جامعة الأزهر

حولية كلية اللغة العربية بالقاهرة

يحررها نخبة من أساتذة الكلية

العدد ٢٠

القسم الثاني

يشرف على تحريرها

أ. د. علي البدري
عميد الكلية ورئيس قسم البلاغة والنقد

أ. د. عزيز نافع
وكيل الكلية

القسم الرابع

قسم التاريخ

١- حق الملكية والتصرف للمرأة في شمال غرب الجزيرة

د/رشاد بن محمود بغدادي

٢- ولاية يزيد بن حاتم لمصر وإفريقية (دراسة تحليلية)

د/ سيد عبد الفتاح بلاط

٣- محاضر المجالس العباسية وحرب الدعاية ضد الفاطميين (دراسة تحليلية)

د/ سيد عبد الفتاح بلاط

حق الملكية والتصرف للمرأة في شمال غرب الجزيرة العربية قبل الإسلام

د. رشاد بن محمود بغدادي

أستاذ مشارك التاريخ القديم

قسم التاريخ والحضارة الإسلامية

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

جامعة أم القرى

بسم الله الرحمن الرحيم

إنّ المتصفح لما كتبه كبار المؤرخين الإسلاميين كالطبرى والمسعودى والبلاذرى والدينورى وابن الأثير وابن كثير وابن خلدون وغيرهم -ليعجب للدقة والتحرى الدقيق الذى عالجوا به تاريخ الإسلام، فى معظم مصنفاتهم التاريخية، بقدر ما يأسف إلى نظرتهم إلى العصور القريبة من الإسلام، أو بالأحرى إلى عصر ما قبل الإسلام، فإذا كان التاريخ العربى فى عصر ما قبل الإسلام قد تعرض لكثير من الإهمال والخلط، فضلاً عن التشويه فإنّ تاريخ المرأة العربية فى ذلك العصر إنما ناله أكبر نصيب من ذلك، فقد ذهب المؤرخون إلى أنها كانت تعامل معاملة المتاع، وكانوا يحرمونها أى نصيب من إرث زوجها المتوفى، أو من إرث أبيها، أو أعد أحد من أنسبائها، بل إنها هى نفسها إنما كانت تورث كجزء من تركة المتوفى، إلى آخر تلك القائمة من الإتهامات التى لا تنتهى(١).

كما يذهب جمهرة من المؤرخين المسلمين إلى أن العرب القدامى كانوا ينظرون إلى عدم الأهلية المالية للمرأة فى العصر الجاهلى(٢) ولكن هناك بعض

(١) مولانا محمد علي: حياة محمد ورسالته، بيروت ١٩٦٧، ص ٢٧- ٢٨.

محمد مبروك نافع: تاريخ العرب- عصر ما قبل الإسلام، القاهرة ١٩٥٢، ص د.

(٢) الجاهلية: لفظ استعمل في الإسلام للزمن الذي كان قبل البعثة النبوية الشريفة. (أنظر: السيوطي، المزهر في علوم اللغة، القاهرة ١٩٤٢) وذهب البعض إلي أن المراد بلفظة الجاهلية إنما هو الجهل والجهالة نقيض العلم المعرفة، أو الجهل بالقراءة والكتابة ويذهب فريق آخر إلي أنها بمعني الجهل بالله ورسوله وشرائع الدين وإتباع الوثنية والتعبد لغير الله، ويذهب فريق ثالث إلي أنها بمعني «السفه» الذي هو ضد الحلم، وفي الحديث الشريف: «إذا كان أحدكم ==

الروايات تبين أن المرأة تمتعت بأهلية مالية من حيث الوجوب، فكانت أهلاً لاكتساب الحقوق والتحمل بالإلتزامات المالية، كما تمتعت بأهلية الأداء، فكانت أهلاً- بدءاً من سن معينة- لإجراء التصرفات القانونية المختلفة، التى تكسبها حقاً أو تحملها بالإلتزام.

وهناك شواهد مختلفة تبين أن المرأة العربية القديمة فى البادية وفى الحاضرة تتمتع بأهلية تملك الأموال الخاصة والمختلفة.

أولاً: أحقية الوجوب:

أ) الميراث:

لعل من أهم الأسباب التى كانت تؤدى إلى عدم التكافؤ بين الجنسين من حيث تملك الأموال، هو أن المرأة فى العصر الجاهلى لم يكن يعترف لها كقاعدة عامة بأى حق فى الميراث، وكان العرب القدامى ينظرون إلى المرأة وكأنها متاع، ويحرمونها إيما نصيب من إرث زوجها المتوفى، أو أى نسيب من أنسبائها، بل إنها هى نفسها كانت تورث كجزء لا يتجزأ من تركة المتوفى(١) وذلك إذا لم يكن لها ولد(٢) لأن العرف الشائع عندهم أن النساء- وكذا الصغار من الغلمان- لا يرثون، ومن ثم فالإرث إنما هو مقصور على من طاعن بالرمح وذاد عن الحوزة، وحاز الغنيمة(٣).

على أن الأمر على إطلاقه ربما لم يكن كما صوره المؤرخون المسلمون، لأن العرب فى الجاهلية كانوا يورثون البنات، ولكنهم كانوا يفضلون الذكور الكبار والمقاتلين على الذكور الصغار وعلى البنات، وأن عادة

== صائماً فلا يرفث ولا يجهل»، وفي حالة قول الرسول ﷺ لأبي ذر- وقد عيّر رجلاً بأمه- «إنك إمرء فيك جاهلية» أي فيك روح الجاهلية، فهي إذن بمعني الحمية والمفاخرة والأنفة. (أنظر: إبراهيم مصطفي: رأي في تحديد العصر الجاهلي، مجلة مجمع اللغة العربية، الجزء الثامن، القاهرة ١٩٥٥، ص ٣٤١- ٣٤٧، أحمد أمين: فجر الإسلام، بيروت ١٩٦٩، ص٦٩- ٧٠، محمد بيومي مهران: الحضارة العربية القديمة، دار المعرفة الجامعية، الأسكندرية ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨، ص١٦٥- ١٨٦، محمد عبد الله دراز: مدخل إلي القرآن الكريم، الكويت ١٩٧٤، ص١٣٩-١٤١).

(١) مولانا محمد علي: المرجع السابق، ص٢٨.

(٢) النيسابوري (أبو الحسن الواحدي): أسباب النزول، مكتبة مصطفي البابي الحلبي- القاهرة ١٩٦٨، ص ١٤٠.

(٣) ابن حبيب (أبو جعفر بن أمية بن عمرو الهاشمي): كتاب المحبر، حيدر آباد الدكن، ١٩٤٢، ص٣٢٤، أحمد محمد الحوفي: المرأة في الشعر الجاهلي، القاهرة ١٥٤، ٢٦٣، مولانا محمد علي: المرجع السابق، ص٤٨.

حرمان النساء من الإرث لم تكن سنة عامة عند جميع القبائل[1]، وهناك الكثير من الأدلة على توريث البنات منها:

(أولا) هناك رواية تذكر أن أول من جعل للبنات نصيباً فى الإرث فى الجاهلية هو عامر بن جشم بن غنم بن حبيب بن كعب بن يشكر، الملقب بـ ذى المجاسد، فقد ورث ماله لولده قبل الإسلام، فجعل للذكر مثل حظ الأنثيين، فوافق حكمه حكم الإسلام[2]، مصداقاً لقول الله تعالى فى كتابه الكريم: **﴿يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين﴾**[3].

(ثانيا) رواية تذهب إلى أن أوس بن ثابت الأنصارى[4] توفي فى زمن رسول الله ﷺ وترك إمرأة يقال لها أم كحة وابنتين وابناً صغيراً، فقام رجلان هما ابنا عم المتوفى ووصياه وكان يقال لهما سويد وعرفجة، فأخذا ماله ولم يعطيا امرأته وبنتيه وولده شيئاً، فجاءت أم كحة إلى رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله إن أوس بن ثابت مات وترك علىّ بنتين وولداً صغيراً، وأنا إمرأة وليس عندى ما أنفق عليهن، وقد ترك أبوهم مالاً حسناً، وهو عند سويد وعرفجة ولم يعطيانى ولا لبناته من المال شيئاً وهن فى حجرى، ولا يطعمانى

---

(١) ويلكن، ج. أ.: الأمومة عند العرب، تعريب بندلي جوزي صليبا، قازان ١٩٠٢، ص٦٥-٦٦، جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الجزء الخامس، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٦، ص٥٦٣.

(٢) ابن حبيب: المرجع السابق، ص٢٣٦- ٢٣٧، ابن حزم (محمد علي بن أحمد) جمهرة أنساب العرب، الطبعة الأولي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣، ص٣٠٨، جواد علي: المرجع السابق ٥/ ٥٦٥.

(٣) سورة النساء (٤)، الآية ١١.

(٤) أختلف في اسمه فقيل: ثابت بن زيد، وقيل أوس، وقيل معاذ، وقيل سعد بن عبيد وقيل قيس بن زعوراء، وقيل قيس بن السكن، من بني عدي بن النجار. (انظر: ابن سعد «أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الزهري»: الطبقات الكبري، الجزء السابع، القاهرة ١٩٦٨، ص٢٧).
كما تشير بعض المصادر إلي «أنه أحد الذين جمعوا القرآن، علي عهد النبي ﷺ، والمراد بجمعه في هذا السياق حفظه وتلقيه من فيه رسول الله ﷺ. (أنظر: ابن حجر العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الجزء التاسع، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤد عبد الباقي وصححه وأخرجه محب الدين الخطيب، المكتبة السلفية، القاهرة ١٣٧٩هـ، ص٥، ابن الجوزي: أعمار الأعيان تحقيق د. محمود محمد الطناحي، صدر عن سلسلة، مهجرجان القراءة للجميع ٩٩، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٥، ص٤٣).

ولا يسقيانى ولا يرفعان لهن رأساً. فدعاهما رسول الله ﷺ، فقالا: يا رسول الله ولدها لا يركب فرساً ولا يحمل كلاً، ولا ينكى عدواً[1]. فنزل الوحى: **﴿للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيباً مفروضا﴾**[2]. ثم نزلت بعد ذلك آية تؤيد الآية السابقة وتقرر بعض الأحكام وترتب بعض الحقوق: **﴿ويستفتونك فى النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم فى الكتاب فى يتامى النساء اللاتى لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون أن تنكحوهن والمستضعفين من الولدان وأن تقوموا لليتامى بالقسط وما تفعلوا من خير فإن الله كان به عليما﴾**[3]. ثم نزلت آية الميراث: **﴿يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين..﴾**[4]، وبذلك انتفت سنة الجاهليين فى عدم توريث البنات[5]. وتكون المرأة قد استحوذت على رأس مال حصلت عليه من وارث بعد أن علمت بعض الأسر على توريث البنت من أبيها لنصف ما يرثه أخوها[6].

ومن هنا تقرر حقيقة كانت شائعة وهى أن البنات الثريات مرغوبات وتعجب من أن يقبل أحد على بناتها وهن لا مال لهن وتصرخ من استئثار الرجل بتركه أخيه أو ابن عمه، ومعنى هذا أنها كانت تتوقع، كما يتوقع غيرها، من هذا العم أن يترك لبنات أخيه أو ابن عمه نصيباً من تركة أبيهن[7].

(ثالثا) إن ضباعة بنت عامر صعصعة قد ورثت من زوجها مالاً كثيراً رجعت به إلى قومها[8].

---

(١) الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير): جامع البيان في تفسير القرآن، الجزء الرابع، المطبعة الأميرية، القاهرة ١٣٢٨هـ، ص١٧٦، النيسابوري: المصدر السابق، ص١٣٩.

(٢) سورة النساء (٤) الآية: ٧، تفسير الطبري: ٦ / ٥٩٧ - ٥٩٩.

(٣) سورة النساء (٤) الآية ١٢٧، تفسير الطبري: ٩/ ٢٥٣- ٢٦٧.

(٤) سورة النساء (٤) الآية: ١١، النيسابوري: المصدر السابق، ص ١٣٨- ١٣٩، ١٤٣.

(٥) حول إرث المرأة قبل الإسلام، واختلاف الآراء فيه (أنظر: ويلكن، ج. أ.: المرجع السابق، ص ٦٥- ٦٧، جواد علي: المرجع السابق، ٥/ ٥٦٣).

(٦) ابن حبيب: المرجع السابق، ص ٢٣٦.

(٧) أحمد محمد الحوفي: المرجع السابق، ص ٢٩.

(٨) محمد بيومي مهران: المرجع السابق، ص٧٥.

(رابعا) أن جابر بن عبد الله الأنصارى[١] له إبنة عم عمياء وكانت دميمة وكانت قد ورثت عن أبيها مالاً، فكان جابر يرغب فى نكاحها ولا ينكحها رهبة أن يذهب الزوج بمالها، فجعل جابر يسأل رسول الله ﷺ، أترث الجارية إذا كانت قبيحة عمياء؟، فجعل النبى ﷺ- يقول: نعم[٢]. ولا شك أن هذه ورثت فى الجاهلية بدليل أن جابر رغب أن يتزوجها وعضلها[٣]، وفى سؤاله: أترث الجارية القبيحة العمياء، دليل على أن مبعث استنكاره أنها مئوفة (أى أنها مصابة بآفة العمى) لا أنها أنثى[٤].

ومن ثم فإن المال كان عنصراً حيوياً فى تزويج البنت[٥]، إلا أنه لم يكن ليفصل النسب والمنبت الحسن والأخلاق الكريمة فى اختيار الرجل لفتاته أو العكس[٦].

ولنا أن نسأل الآن، إذا لم تكن المرأة الجاهلية ذات نصيب فى الميراث وإن كان قليلاً فمن أين حصلت النساء على ما ملكن؟ حتى كان منهن ثريات مشهورات بالثروة، ومن أين حصلن على المال الذى كان يزين لبعض الرجال أن يعضلوهن حتى يفتدين أنفسهن، أو حتى يمتن فيرث الرجل ما خلفن[٧] ولا شك أنهن لم يحصلن على ذلك بحد السيف، أو بكثرة الغزو والسلب والنهب؟ ومن ثم فإنه ربما كان عن طريق الهبة أو الوصية أو العطاء، وربما عن طريق الميراث، وفى كلا الحالتين الآخرين فالأمر فيما نظن- لا يتفق وما ذهب إليه البعض من المؤرخين المسلمين، لأن التى تنال مالاً عن طريق الهبة أو الوصية أو العطاء، أجدر أن تنال ذلك بالمشاركة فى التركة،

---

(١) الفقيه الحافظ، صاحب رسول الله ﷺ، اختلف في سنة وفاته والأكثر أنه توفي سنة ٧٨هـ (أنظر: ابن الجوزي: المصدر السابق، ص٨٤ (١)).

(٢) تفسير الطبري: ٩/ ٢٥٧.

(٣) عضل المرأة عن الزواج أي حبسها (أنظر: لسان العرب ٩/ ٢٥٩).

(٤) أحمد محمد الحوفي: المرجع السابق، ص ٢٢٦.

(٥) خير الدين الزركلي: الأعلام، الجزء التاسع، ط ٣، مطبعة كوستاتوماس (بدون) ١٣٦٧هـ/ ١٩٥٧، ص ١٠٥، عمر رضا كحالة: أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، الجزء الثالث، مادة (هند بنت عتبة).

(٦) ليلي صباغ: المرأة في التاريخ العربي، في تاريخ العرب قبل الإسلام، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق ١٩٧٥، ص ١٤٣.

(٧) أحمد محمد الحوفي: المرجع السابق، ص ٢٦٤.

على أى وجه من وجوه المشاركة[1].

ب) الحرف

كانت فرصة المرأة العربية القديمة لممارسة الحرف المختلفة أضيق منها بالنسبة للرجل فى المجتمع العربى القديم، فعملها الأساسى هو رعاية شئون بيتها، غير أنها كانت صانعة فى بيتها وأسرتها، كما قدمت صناعاتها للمجتمع خارج بيتها، وخاضت غمار صناعات كان المجتمع بحاجة إليها، فمن الصناعات التى احترفتها وطلبت الرزق من ورائها بعض الصناعات الغذائية مثل الزيت والسمن وتقديد اللحوم، وكذلك طحن الحبوب وصناعة الخبز[2]، وقد ورد فى المثل العربى «رغيف الخولاء» ويضرب عادة فى الشئ اليسير يجلب الخطب الكبير، فقد ورد أن «خولاء» هذه كانت خبازة فى بنى عد بن زيد مناة، فمرت فى الحى وعلى رأسها كارة خبز، فتناول رجل من رأسها رغيفاً فاشتكت إلى جار لها فثار وثار معه قومه ضد الرجل الذى اختطف الرغيف، فحدثت بين قومى الطرفين قتال أسفر عن ألف قتيل[3]، ومن هنا نستدل على أن صناعة الخبز كانت مهنة وحرفة ترتزق منها المرأة.

كذلك الصناعات النسيجية من غزل الصوف والوبر والقطن ونسجها. وأيضاً صنع الحصير وتنميقه، كما كانت تقوم بصنع الأوانى الفخارية والمنزلية فضلاً عن الخياطة بأنواعها، كما مارست الأعمال الطبية الهامة التى كانت تختص بها المرأة إلى حد كبير مثل القبالة وختان الفتيات ومواساة الجراح وتجبير العظام، إضافة إلى ما يدخل فى نطاق تجميل المرأة وصناعة الطيب[4].

ولم تطرق المرأة باب الصناعات النسائية والبيئية فحسب، بل أنها عملت فى ميدان صناعة الأسلحة ومنها الرماح، وقد أتقنت هذه الصناعة حتى سميت بإسمها، الرماح الردينية «وهى أكرم الرماح وأشرعها نفاذاً وانتسبت

---

(١) محمد بيومي مهران: المرجع السابق، ص ٧٥.
(٢) ليلي صباغ: المرجع السابق، ص١١٥.
(٣) الثعالبي (أبو منصور عبد الله): ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، القاهرة ١٨٩٠م ص٣١٠.
(٤) ليلي صباغ: المرجع السابق، ص ١١٥ - ١١٦.

إلى ردينة» التى كانت تصنعها فى البحرين[1] وكما نسبت الرماح الردينية إلى ردينة، فقد نسبت القسى إلى «رازة» وهى امرأة ماسخة[2].

والمرأة العربية فى عملها الصناعى الخارجى هذا كانت إما تعمل برأسمال الغير كأن تأخذ المرأة الخام من تاجر، أو من بيت من البيوت وتقوم بالصناعة فى بيتها، ثم تقدم الإنتاج إلى الممول، أو تذهب بنفسها إلى البيت الذى مولها وتقوم بالصناعة فيه، أو تقدم الخدمة المطلوبة. وفى كلتا الحالتين فإنها «عاملة» فقط وتنال أجراً محدوداً على عملها، وقد تملك المرأة بعض المال الذى تستطيع به تمويل صناعتها، وفى هذه الحالة يكون الإنتاج لها ومن ثم تبيعه لحسابها[3].

وهكذا احترفت المرأة بعض المهن الشريفة فكانت تغزل وتنسج حتى ولو كانت ثرية غنية، فتتولى الغزل والنسج مع جواريها وإمائها، فكان لسمراء زوجة عبد المطلب ثلاث جوار يخدمنها ويجلسن معها لتسليتها فيحدثنها بأخبار بلادهن ويغنين لها ويغزلن معها[4]، بل إن المرأة البدوية كانت هى التى تنسج بيت الشعر الذى يؤويها وزوجها وأولادها[5].

هناك من النساء من كن يمارسن الكهانة أو العرافة أو السحر[6]، فكانت المرأة تحصل على بعض المال مقابل خدماتها، كما عرف عن بعضهن ممارسة التطيب وتزيين النساء والتوليد وختان البنات وإرضاع الأطفال، وكانت

---

(١) السهيلي (عبد الرحمن الختمي الأندلسي): الروض الأنف في تفسير سيرة ابن هشام، الجزء الثاني، المطبعة الجمالية، القاهرة ١٩١٤، ص٢١٢، الألوسي (السيد محمود شكري) بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، الجزء الثاني، ط٣، القاهرة ١٣٤٢هـ، ص٦٤.

(٢) الماسخي: الذي يصنع الأقواس، وقيل «ماسخة» رجل من الأزد السراة، كان أول من عمل القسي من العرب، وأصبح يقال لكل (قواس) ماسخي (أنظر: ابن منظور «أبو الفضل محمد بن مكرم»: لسان العرب، بيروت ١٩٥٥، ص٥٥، مادة مسخ).

(٣) ليلي صباغ: المرجع السابق، ص ١١٧- ١١٨.

(٤) طه حسين: إسلاميات (مرآة الإسلام علي هامش السيرة) ط١، بيروت ١٩٦٧، ص١٩٣، عواطف أديب علي سلامة: قريش قبل الإسلام، دورها السياسي والاقتصادي والديني، الرياض ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤، ص٥٧.

(٥) أحمد أمين: المرجع السابق، ص١٠، أحمد الحوفي: المرجع السابق، ص٩٦.

(٦) عبد الله عفيفي: المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها، ط٢، دار الرائد العربي، بيروت ١٩٨٢، ص٩٤- ٩٥.

تحصل نظير ذلك على أجرها مقابل خدماتها في مثل هذه الحالات، وهذا لا شك أنه كان يشكل مصدراً من مصادر ثروتها[١].

روى أن فكهة بنت زيد بن كلدة بن عامر بن زريق، كانت ذات جلد وشرف فى قومها فى الجاهلية، دخلت على «تبّع» وقد استوبأ[٢] بئره التى حفرها وشكا بطنه من مائها، فشكا إليها ذلك فانطلقت فأخذت قرباً وحمارين حتى استقت له من ماء رومه فشربه فأعجبه، قال: زيدينى من هذا الماء، فكانت تختلف إليه فى كل يوم بماء رومه، فلما حان رحيله دعاها فقال لها: يا فكهة إنه ليس معنا شئ من الصفراء والبيضاء، ولكن لك ما تركنا من أزوادنا ومتاعنا، فلما خرج «تبع» نقلت ما تركوه من أزوادهم ومتاعهم فيقال إنه لم تزل فكهة أكثر بنى رزيق مالاً حتى جاء الإسلام[٣].

كانت رقاش بنت ضبيعة بن قيس بن ثعلبة الطيئيه كاهنة جاهلية ذات حزم ورأى ونفوذ، تغزو بقومها طي برأيها، فأغارت بطيء على إياد بن نزار ابن معد، فظفرت لهم وغنمت وسبت فأصابت فتى جميلاً فمكنته من نفسها فحملت منه فلم تلبث أن دنا وقت الغزو فقالوا لها: الغزو. فقالت: رويد الغزو يثمرن (أى أمهل الغزو حتى يخرج الولد) فأرسلتها مثلاً[٤].

كانت حليمة بنت أبى ذؤيب عبد الله السعدية، مرضعة من مراضع العرب، أرضعت النبى ﷺ، وذلك أنها خرجت من بلدها مع زوجها وابن لها ترضعه فى نسوة من بنى سعد بن بكر تلتمس الرضعاء فى سنة شهباء لم يبق لها شيئاً، فقدمت مكة ورأت محمد بن عبد الله ﷺ يعرض على جملة من المرضعات فيأبين أن يأخذنه إذا قيل لهن إنه يتيم، لأنهن كن يأملن المعروف من أبى الرضيع، فما بقيت إمرأة قدمت مع حليمة إلا وأخذت رضيعاً ماعدا حليمة، فلما أجمعن الإنطلاق قالت حليمة لصاحبها: إنى لأكره أن أرجع من بين صويحباتى ولم آخذ رضيعاً، والله لأذهبن إلى ذلك اليتيم فلأخذنه، قال: لا عليك أن تفعلى فعسى الله أن يجعل لنا فيه بركة، فذهبت إليه

(١) أحمد محمد الحوفي: المصدر السابق، ص ٣٩٩.
(٢) استوبأ الماء، أي كثر مرضه (أنظر: لسان العرب ١٥/ ١٩٧).
(٣) عمر رضا كحالة: زعلام النساء، ٤/ ١٧٩.
(٤) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص٣١٧، عمر رضا كحالة: أعلام النساء، ١/ ٤٥٢.

فأخذته وأرضعته حتى أكملت رضاعه فدرّ عليها عملها هذا كثيراً من الخيرات والبركات[١].

وفى الحقيقة لقد كان «الإرضاع» فى عصر ما قبل الإسلام مهنة ترتزق منها المرأة، فالمراضع كن نساء من البادية يأتين القرى والحواضر يبحثن عن رضع، فيرجعن إلى مضاربهن وقد حملن ولداناً يتعهدن بنشأتهم بين مضارب قومهم وملاعبهم. ويبدو أن الإرضاع من غير ثدى الأم كان خاصاً بالولد دون البنت، لأن الأخبار لم ترد عن استرضاع البنات، وكان العرب يأبون على صاحبات الحسب الإرتزاق من الرضاع، ويقولون فى ذلك «تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها»[٢]، ونظرتهم هذه مبنية على أساس مادى فقط، أى أن الارتزاق عبر هذه المهنة كان دليلاً على فقر صاحبته، لا على وضاعة هذه المهنة وحطة من قيمتها[٣].

من النساء من اشتغلن بالتجارة، فمنهن من اشتغلن بالتجارة على مستوى متواضع، حيث كانت الفواقر من النساء ينتجعن الأسواق، ويرتدن مختلف الأحياء، لابتياع التمر والسمن والعسل، أو بيعها واستبدالها بأمثالها، واعتراض الركبان فى مغداهم ورواحهم بالقدور والأدم يبعنها لهم[٤].

ومن النساء من مارسن التجارة على مستوى عال وبإمكانات كبيرة مما مثّل مورداً مالياً استطاعت بعض النساء عن طريقه تكوين ثروات خاصة بلغت فى بعض الأحيان شأواً عظيماً، لأن ممارسة التجارة باب واسع من أبواب التصرف المالى[٥].

ويمكن تصنيف النشاط التجارى للمرأة فى المجتمع العربى القديم إلى مجموعتين[٦]:

الأولى: تجارة داخلية محدودة تبيع فيها المرأة ما أنتجت فى السوق

---

(١) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص٢٦٥، عمر رضا كحالة: أعلام النساء ١/ ٢٩٠.

(٢) الميداني: مجمع الأمثال، ١ /١٢٢- ١٢٣.

(٣) ليلي صباغ: المرجع السابق، ص ٩٣- ٩٤.

(٤) عبد الله عفيفي: المرجع السابق، ص٩٤- ٩٥.

(٥) محمود سلام زناتي: نظم العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، القاهرة ١٩٩٥، ص٧٦٩.

(٦) ليلي صباغ: المرجع السابق، ص ١٢٢- ١٢٣.

«السوق المحلية» أو «العامة» كسوق عكاظ[١] مثلاً، ودون وسيط، وقد يكون لها مقر للبيع والشراء تعمل فيه طيلة العام وتبيع فيه ما تنتجه هى صناعياً أو ما تنتجه لها نساء أخريات تعملن لصالحها فتضيف عليه ما تشتريه مصنوعاً من السوق. ومن مثل هذا النوع «أم المنذر بنت قيس»[٢]، والتى على ما يبدو كانت تبيع تمراً فى المدينة.

الثانية: توظيف المرأة الموسرة مالها فى التجارة الخارجية، حيث تستأجر لهذا الغرض من يبيع ويشترى لصالحها من الرجال وتدفع لهم المال مضاربة[٣]، وكانت تشرك غيرها مع القوافل الكبيرة الخارجة للتجارة، أو أنها تدخل شريكة مع أحد التجار المعروفين بموجب عقد أو إتفاق تحدد فيه مسئولية كل منهما، ويقوم الشريك أو المستأجر للعمل بالأسفار دونها، وقد تتبعه بأحد غلمانها كمساعدة منها أو للمراقبة، ولا يقتصر ذلك على التجارة الخارجة وإنما تساهم فى التجارة الداخلية كذلك.

كما أن المرأة فى مكة -بالذات- قد عملت بالتجارة[٤] وخاصة النساء القرشيات ولم تقصرن عن الرجال فى هذا المجال، بل كان منهن من اتسعت ثروتها من التجارة حتى فاقت كثيراً من الرجال، ولعل السيدة خديجة بنت خويلد -رضى الله عنها كانت من أكبر تجار قريش وأكثرهم مالاً وأوفرهم غنى[٥] فقد كانت فى حسب ومقام رفيع فى قومها، مع مزايا فى أخلاقها الطيبة، كانت تاجرة ذات مال تستأجر الرجال فى مالها وتدفع لهم المال مضاربة بشئ تجعله لهم[٦] فترسل بأموالها إلى الشام وإلى

(١) هي السوق التجارية الكبري في شبه الجزيرة العربية، بالطائف (أنظر: حمد الجاسر: «المواضع الأثرية في جزيرة العرب- موقع سوق عكاظ»، مجلة المجمع العلمي العربي الجزء الأول، المجلد السادس والعشرون، دمشق ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م، ص ٣٧٧- ٣٩٨.

حمدان الكبيسي: «أسواق العرب قبل الإسلام»، مجلة آداب المستنصرية، العدد الرابع، بغداد ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ص ٨١- ١١٣).

(٢) عمر رضا كحالة: أعلام النساء ، ١/ ٢٢٦- ٢٢٨.

(٣) نفس المرجع السابق، ص ٢٧٥.

(٤) ليلي صباغ: المرجع السابق، ص١٢١.

(٥) سعيد الأفغاني: أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، القاهرة ١٩٩٣، ص١٣٢.

(٦) من الطرق التي عرفها العرب القدامي لتنمية تجارتهم ما عرف بالقراض أو المضاربة ومن ذلك تقديم مال إلي شخص يتاجر به علي جزء يأخذه من ربح المال (أنظر: ناصر سعد ==

عكاظ[1] وحباشة[2] وغيرها من أسواق العرب القديمة، وكثيراً ما كانت ترجع هذه الأموال بربح وافر، وذكروا أن عير السيدة خديجة رضى الله عنها كانت كعامة عير قريش[3]، وقد اختارت رسول الله ﷺ قبل البعثة ليكون فى تجارة لها إلى سوق بصرى[4] وأميناً لتجارتها برفقة خادمها ميسرة لما كانت قد عرفته عن محمد من «صدق حديثه وعظم أمانته وكرم أخلاقه»، على أن تمنحه فى مقابل ذلك ضعف ما كانت تمنح عادة، وقد عاد عليها نشاطه التجارى الأمين بربح وافر[5].

كان عبد الله بن أبى ربيعة تاجراً موسراً، وكان متجره إلى اليمن، وكان من أكثر التجار مالاً، وأمه أسماء بنت مخرمة بنت جندل، كانت عطارة يأتيها العطر من اليمن، فتبيعه إلى الكرماء من أجاويد العرب وكانت تضع العطور فى قوارير وتزينها، وتبيع نقداً أو ديناً إلى أجل مسمى. وقد عاشت هذه المرأة إلى أيام الفاروق عمر بن الخطاب، رضى الله عنه (١٣-٢٣هـ/ ٦٣٤- ٦٤٤م)، وربما بعدها[6].

== الرشيد: تعامل العرب التجاري وكيفيته في العصر الجاهلي، دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثاني، جامعة الملك سعود، الرياض ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ص٢٣٨).

(١) سعيد الأفغاني: المرجع السابق، ص ٢٧٧- ٣٤٣.

(٢) حباشة: تقوم هذه السوق بتهامة في ديار بارق نحو قنونا علي ست ليال من مكة إلي جهة اليمن، فهي المتجر المتوسط المشترك بين الحجاز واليمن، والأصل حبشي، والجمع أحباش والحباشة الجماعة من الناس ليسوا من جنس واحد، ولعلها سميت بذلك لكثرة ما يجتمع بها من مختلف القبائل والأجناس للتجارة (أنظر: سعيد الأفغاني: المرجع السابق، ص ٢٥٨).

(٣) سعيد الأفغاني: المرجع السابق، ص ١٣٢- ١٣٣.

(٤) بصري: مدينة في منطقة حوران (جبل الدروز) بسوريا (أنظر: عبد المنعم عبد الحليم سيد: "الأسماء الجغرافية الآسيوية ذات القيمة التاريخية في النقوش العربية القديمة"، البحر الأحمر وظهيره في العصور القديمة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٩٣م، ص٣٨٦).

(٥) مولانا محمد علي: المرجع السابق:، ص٨٥- ٨٦، خير الدين الزركلي: المرجع السابق، الجزء الثاني، ص٣٤٦، عمر رضا كحالة، أعلام النساء، ١/ ٣٢٦- ٣٢٧، ناصر سعد الرشيد: المرجع السابق، ص٢٣٨.

(٦) الأصفهاني (أبو الفرج علي بن الحسن بن محمد): كتاب الأغاني، الجزء الأول، مصور عن طبعه دار الكتب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٣٠، ص ١٦٤، عمر رضا كحالة: أعلام النساء، ١/ ٦٤، جواد علي: المرجع السابق، ٧/ ٢٩٣، ليلي صباغ: المرجع السابق، ص١٢٢.

كما كانت «منشم» عطارة كذلك- تبيع العطر بمكة، وكان القوم إذا قصدوا الحرب غمسوا أيديهم في طيبها وتحالفوا عليه بأن يستميتوا في تلك الحرب ولا يولوا أو يقتلوا، فكانوا إذا دخلوا بطيب تلك المرأة يقول الناس «قد دقوا بينهم عطر منشم»، ولذا فإن «عطر منشم» كان كناية عن الشؤم، فلما كثر هذا القول صار مثلاً[(١)]، وكان زهير ممن تمثل به حيث يقول في إحدى مدائحه:

تداركتما عبساً وذبيان[(٢)] بعدما تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم

ولقد اختلف في المكان الذي عملت فيه منشم، فمن قائل إنها من جرهم وكانت تطيب قبيلتها في مكة إذا خرجت لقتال خزاعة، ومن قائل إنها من حمير في اليمن[(٣)]، ويذكر ابن منظور أن منشم إمرأة عطارة من همدان وكان إذا تطيبوا من ريحها اشتدت الحرب وكثر القتلى فيما بينهم، فقال: أشأم من عطر منشم فصارت مثلاً في الشر[(٤)].

روى أن هاشم بن عبد مناف خرج في عير قريش فيها تجارات، وكان طريقهم إلى المدينة، فنزلوا بسوق النبط[(٥)] فصادف سوقاً تقوم بها في السنة

---

(١) الميداني (أبو الفضل أحمد): مجمع الأمثال، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد الجزء الأول، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م، ص ٣٨١- ٣٨٢ (٢٠٣٨)، عمر رضا كحالة: أعلام النساء، ٥/ ١١١- ١١٢، جواد علي: المرجع السابق، ٤/ ٦٢٦، ٥/ ١٦٣.

(٢) هي حرب طويلة دارت بين عبس وذبيان، واشتملت علي عدة أيام هي: المريقب وذي حسي واليعمرية والهباءة والفروق وقطن، واللاتي يعرفن بـ «داحس والغبراء»، أنظر: منذر الجبوري: "أيام العرب في الجاهلية"، المورد، المجلد الثاني، العدد الأول، ص ٥٠.

(٣) ليلي صباغ: المرجع السابق، ص١١٦- ١١٧، هـ (٥)، لسان العرب: (مادة منشم)، ١٢/ ٥٧٧.

(٤) ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري): المعارف، القاهرة ١٩٣٤م، ص٦١٣، لسان العرب، ١٤/ ١٥٢.

(٥) كانت أشهر أسواق يثرب، وعرفت باسم الأنباط، وذكرها ابن سعد في الطبقات في معرض حديثه عن هاشم بن عبد مناف، ويبدو أن هذه السوق كانت تقوم في وقت معلوم من السنة يجتمع فيها تجار الأنباط (أنظر: الطبقات الكبري ١/ ٧٨)، ناصر بن سعد الرشيد: المرجع السابق، ص٢١٨- ٢١٩.

وانظر عن الأنباط والموطن الأصلي لهم:

سليمان بن عبد الرحمن الذييب: "الموطن الأصلي للأنباط"، الدارة العدد الثاني، السنة الحادية والعشرون، ١٤١٦هـ، ص ٦٧- ٨٠.

يحشدون لها، فباعوا واشتروا ونظروا إلى إمرأة على موضع مشرف من السوق فرأى إمرأة تأمر بما يشترى ويباع لها، فرآى إمرأة حازمة جلدة، مع جمال، فسأل هاشم عنها: آأيم هى أم ذات زوج؟ فقيل له: أيم كانت تحت أحيحة بن الجلاح فولدت له عمراً ومعبداً، ثم فارقها، وكانت لا تنكح الرجال لشرفها فى قومها حتى يشترطوا لها أن أمرها بيدها منذ زواجها، فإذا كرهت رجلاً فارقته، وهى سلمى بنت عمرو بن زيد بن لبيد بن حداس بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار، فخطبها هاشم فعرفت شرفه ونسبه، فزوجته نفسها ودخل بها(١).

وهناك من التاجرات كذلك إمرأة من بني تيم الله بن ثعلبة كانت تبيع السمن فى الجاهلية وضرب بها المثل فقيل(٢) «أشغل من ذات النحيين»(٣)

ج) الزواج:

كانت الفتاة تحصل عادة بمناسبة زواجها على بعض الهدايا من قبل أهلها وخاصة من قبل أبيها، كما كانت تحصل على بعض الهديا من قبل زوجها، بل كانت تحصل فى بعض الأحيان على الأموال التى يدفعها الزوج على سبيل الصداق(٤)، والمهر فى الأصل إنما هو العوض الذى يدفع لأهل المرأة، أما الصداق فالعوض الذى يدفعه الرجل للزوجة(٥). وكان الأصل فى المهر فى الجاهلية دفعه للمرأة غير أن ولى أمرها هو الذى يأخذه لينفق منه على ما يشترى لتأخذه معها إلى بيت الزوجية، وقد يأخذ ولى أمرها المهر لنفسه ولا يعطيها منه شيئاً لإعتقاده أن ذلك حق يعود إليه، وللمرأة حق استرداد مهرها إذا فسخ الزوج عقد الزواج، أو إذا طلقها إلا إذا كان ذلك بسبب الزنا فيسقط، ويبدو أن العرب فى الجاهلية لم يكونوا على عرف واحد بالنسبة إلى حق الإنتفاع بالمهر، فمنهم من كان يعطيه كله للمرأة، ومنهم

---

(١) الطبقات الكبري، ١/ ٧٨، عمر رضا كحالة: أعلام النساء ٢/ ٢٤٩، سعيد الأفغاني: المرجع السابق، ص١٠٥.

(٢) الميداني: المصدر السابق، الجزء الأول، ص ٣٧٦- ٣٧٧، (٢٩-٢٠)، ليل صباغ: المرجع السابق، ص١٢٢- ٢١٢.

(٣) النحي: زق السمن (أنظر: نفس المرجع السابق، ص١٢٢).

(٤) محمود سلام زناتي: المرجع السابق، ص ٨٠- ٨٢.

(٥) أحمد محمد الحوفي: المرجع السابق، ص١٥١.

من كان يعطيه كله ويزيد عليه إكراماً لإبنته، ومنهم من كان يأكله كله أو بعضاً منه[1]، ومن ثم فقد نهى الإسلام عن ذلك بقوله سبحانه وتعالى: **﴿وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن لكم عن شئ منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً﴾**[2].

روى أن لقيط زرارة جاء شريداً لا يملك شيئاً إلى قيس بن خالد ذى الجدين كريم العرب وأحد ملوكها، فخطب إليه إبنته دختنوس[3]، وهى شاعرة من شواعر العرب فى الجاهلية، وتكلم بكلمات كشفت عن قلب ذكى وأنف حمى ونسب سنى، فزوجه الملك إبنته لليلته، وساق إليها المهر عنه[4].

ولم يكن الرجل يستتبع أى انتقاص من أهلية المرأة، فكانت المرأة المتزوجة شأنها شأن غير المتزوجة، لها أموالها الخاصة، فكانت تحتفظ بالأموال التى كانت لها قبل الزواج- مستقلة ومنفصلة عن أموال الزوج.

وكان باستطاعتها تنمية أموالها الخاصة التى كانت لها من قبل، أو اكتساب أموال أخرى جديدة، وكذلك كانت المرأة أهلاً لأن تكون لها أموال خاصة، رغم كون أبيها مازال على قيد الحياة، فقد كانت لها ذمتها المالية الخاصة.

روى أن سنانة بنت حاتم الطائية[5]، كانت من أجود نساء العرب[6] إلى جانب كونها من ربات الفصاحة والبلاغة والحسن والجمال، وكان أبوها يعطيها الصرمة بعد الصرمة من إبله فتهبها وتعطيها الناس، فقال لها أبوها: يا بنية إن الكريمين إذا اجتمعا فى المال أتلفاه، فإما أن أعطى وتمسكى أو أمسك وتعطى فإنه لا يبقى على هذا شئ، فقالت: والله لا أمسك أبداً، وقال

---

(١) جواد علي: المرجع السابق، ٥/ ٥٣١- ٥٣٢.

(٢) سورة النساء (٤) الآية: ٤، تفسير الطبري: ٩/ ٥٥٢- ٥٦٠.

(٣) هناك من يذهب إلي أن دختنوس، أنما تزوجت عمرو بن عمر بن عدس، ثم عمير بن معبد بن رزازة، ثم مسلم بن عبيد بن يربوع بن ثعلبة بن حنيفة (أنظر: ابن حبيب: المرجع السابق، ص٤٣٦).

(٤) جواد علي: المرجع السابق، ٥/ ٤٥٤، عبد الله عفيفي: المرجع السابق، ص١٥٩.

(٥) حول قصتها مع النبي ﷺ (أنظر: عمر رضا كحالة: أعلام النساء، ٢/١٩٦- ٩١٩٧.

(٦) وعلي العكس فقد اشتهر بعضهن بالبخل، وعموما كانت المرأة أحرص علي المال من الرجل (أنظر: أحمد محمد الحوفي: الحياة العربية من الشعر الجاهلي، ط٤، دار القلم، ببيروت ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م، ص٣٢٥-- ٣٢٩).

أبوها والله لا أمسك أبداً. فقلت فلا نتجاور، فقاسمها ماله وتباينا[1].

لم يكن الزواج عند العرب يؤدى إلى الإنتقاص من أهلية الأداء التى للمرأة، بل كانت المرأة تظل رغم زواجها متمتعة بأهليتها كاملة، فكان باستطاعتها التصرف فى أموالها بكل أنواع التصرفات، بما فيها التصرفات التبرعية ولم تكن فى تصرفها فى مال من أموالها بحاجة إلى إذن الزوج أو موافقته. على أن المرأة إذا جنحت نحو الإسراف والتبذير يخشى أهلها أن تبدد ثروتها حجروا عليها[2]. ومن ثم منعوها من التصرف فى شئ من أموالها ومنعوها بخاصة إجراء التصرفات التبرعية التى تنطوى على عطاء دون مقابل.

كانت غنية بنت عفيف بن عمرو بن عبد القيس[3] لما رأى إخوتها إتلافها حجروا عليها ومنعوها مالها، فمكثت دهراً لا تصل إلى شئ ولا يدفع لها شئ من مالها حتى إذا ظنوا أنها وجدت ألم ذلك أعطوها صرمة من إبلها، فجاءتها إمرأة من هوازن كانت تأتيها كل سنة تسألها، فقالت لها: دونك هذه الصرمة فخذيها فقد والله مسنى من ألم الجوع ما آليت معه ألا أمنع الدهر سائلاً شيئاً[4].

د) الدية:

كانت المرأة تحصل – على الأقل فى بعض الأحيان– على نصيب من الدية التى تدفع فى حالة قتل أحد أقاربها الأقربين وبخاصة فى حالة قتل أحد أولادها[5]. وثمة شواهد تدل على أن الأم كانت تحصل على نصيب دية

---

(١) القالي (أبو علي إسماعيل بن القاسم): كتاب الأمالي وكتاب ذيل الأمالي والنوادر دار الاتفاق، بيروت ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠، ص ٢٣، عمر رضا كحالة: أعلام النساء، ٢/ ١٩٦-١٩٧.

(٢) لم يكن الحجر بسبب الإسراف أو التبذير إجراءاً مقصوراً علي النساء، وإنما كان من الممكن تطبيقه علي الرجال أيضاً في نفس الظروف، فقد روي مثلاً أن عبد الله بن جدعان – أحد أثرياء مكة– أسرف في أواخر عمره في إكرام الناس، وبالغ في إعطائهم حتي حجر رهطه عليه لما أسن، فكان إذا أعطي أحداً شيئاً رجعوا علي المعطي فأخذوه منه، (أنظر: ابن حبيب: المرجع السابق، ص٣٨).

(٣) أم حاتم الطائي، وفي الأغاني هي غنية بنت عمرو بن امرئ القيس علي بن حزم (أنظر: عمر رضا كحالة: أعلام النساء ٤/١١ (١)).

(٤) عمر رضا كحالة: أعلام النساء ٤/ ١١- ١٢.

(٥) النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب): نهاية الإرب في فنون الأدب، الجزء السادس، القاهرة ١٩٤٣، ص٥٠- ٥١، جواد علي: المرجع السابق، ٤/ ٣٥٢-٣٥٣.

إبنها، حيث روى أنه قيل للأحنف بن قيس: ممن تعلمت الحلم؟ قال: من قيس بن عاصم المنقرى، رأيته قاعداً يوماً بفناء داره محتبياً حمائل سيفه يحدث قومه، حتى أتى بمكتوف ورجل مقتول. فقيل له: هذا إبن أخيك قتل إبنك. فوالله ما حل حبوته ولا قطع كلامه، ثم إلتفت إلى إبن أخيه فقال له: يا ابن أخي بئس ما فعلت أثمت بربك وقطعت رحمك ورميت نفسك بسهمك، وقتلت ابن عمك، ثم قال لإبن له آخر: قم يا بنى فوار أخاك، وحل أكتاف ابن عمك وسق إلى أمه مائة ناقة دية إبنها فإنها غريبة(١).

ثانيا: أحقية الأداء:

كانت الفتاة فى هذا شأن الفتى تكتسب أحقية الأداء ببلوغها، فسن البلوغ كانت تشكل عند العرب فى الجاهلية السن التى يعتبر معها الصغير ذكراً أو أنثى أهلاً بمباشرة التصرفات القانونية بأنواعها المختلفة. فكانت الفتاة بوسعها إجراء التصرفات التى تنطوى على تبرع كما هو الحال بالنسبة للهبة من زاوية الواهب، وهناك من الشواهد ما يدل على أن المرأة كانت تقوم -كما أوضحنا سابقاً- بالأعمال التجارية، والاعتراف للمرأة بممارسة التجارة يشير فى ثناياه إلى أنها كانت تتمتع بأكبر قدر من أحقية الأداء.

وهناك ثمة شواهد على أن المرأة كانت أهلاً لإجراء التصرفات التبرعية، فكان باستطاعتها أن تهب من أموالها ما تشاء لمن تشاء وأين تشاء، فهذه نتيلة بنت جناب أم العباس بن عبد المطلب، وهى سيدة ثرية، قامت بكسوة الكعبة بالديباج والحرير الخالص، على حسابها الخاص عندما وجدت العباس بعد أن تاه منها(٢).

وروى عن عمرو بن الحكم السلمى قوله: نذرت أمى بدنة تنحرها عند

---

(١) ابن حجر العسقلاني (أحمد بن علي): الإصابة في تميز الصحابة، الجزء الثالث، دار الفكر، بيروت ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، ص٢٥٢ (ت ٧١٩٤)؛ محمود سلام زناتي: المرجع السابق، ص٢١١.

(٢) ابن الجوزي (الإمام عبد الرحمن): تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير، القاهرة ١٩٨٥، ص٤٦٥؛ ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد): تاريخ ابن خلدون المسمي بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، الجزء الثاني، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص ٤٠٤؛ عمر رضا كحالة: زعلام النسا، ٥/ ١١.

البيت وجللتها شقتين من شعر ووبر، فنحرت البدنة وسترت الكعبة بالشقين والنبى ﷺ، يومئذ بمكة لم يهاجر(١).

وكذلك ما روى عن أن ماريه(٢) بنت ظالم بن وهب بن الحارث بن معاوية بن ثور بن كندة(٣)، وقد عرفت بأنها أول امرأة عربية تقرّطت، ولذا لقبت بذات القرطين، وكان قرطاها نفيسى القيمة، مما يدل على مكانتها عند زوجها الملك ولقد أهدت هذين القرطين إلى الكعبة وعليهما درتان كبيضتى حمام، لم ير الناس مثلهما، ولم يدروا ما قيمتهما(٤). وقد بلغ من نفاستهما أن جرى المثل عند العرب (خذه ولو كان بقرطى ماريه)، ويضرب هذا المثل عند العرب فى الشئ الثمين- أى لا يفوتك بأى ثمن يكون(٥).

على أن أمر الملكية الفردية بالنسبة للمرأة العربية إنما هو حق جد قديم، فهناك نص نبطى، أرخ بالعام الخامس والأربعين من عهد الملك الحارث الرابع (٩ ق م- ٤٠ م)(٦) أشهر ملوك الأنباط ويتحدث عن مقبرة شيدها كل من رجل يدعى غانم وزوجه أرسكسة، وكان لغانم هذا الثلث، بينما لزوجه ثلثى المقبرة.

---

(١) عبد القدوس الأنصاري: "الكعبة: أسماء، وعمارات، ومعبداً لا معبوداً، وتاريخاً قبل الإسلام"، دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثاني، الجزيرة العربية قبل الإسلام، جامعة الملك سعود ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ص١٤١.

(٢) اختلف المؤرخون في نسبها، فمنهم أيضاً من يري أنها حفيدة (جفنة) الجد الأول للغساسنة، فهي بنت أرقم بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة، وكانت أماً للحارث بن جبلة الغساني الملقب لدي المؤرخين العرب (-الحارث الأعرج) أو (الحارث بن أبي شمر) (أنظر: خير الدين الزركلي. المرجع السابق، الجزء السادس، ص١٢٢- ١٢٣)؛ نبيه عاقل: تاريخ العرب القديم وعصر الرسول ط١، دمشق ١٩٦٩، ص١٥٣.

(٣) جواد علي: المرجع السابق، ٣/ ٤٠٣.

(٤) هناك من قدر ثمنها بأربعين ألف دينار (أنظر: الألوسي، المصدر السابق، ٢/ ١٧٤).

(٥) الميداني: المصدر السابق، الجزء الأول، ص١٥٦؛ ليلي صباغ: المرجع السابق، ص٣٢١-٣٢٢.

(٦) الحارث الرابع: حمل لقب «رحم عم» أي المحب لأخته، ولقّب ملك النبط وراحم شعبه ويجعله إبناً لعبادة الثاني (٣٠ - ٩ ق م) (أنظر: kitchen
Hastings, j., Encyclopaedia of Religion and Ethics, Vol. 9, Edinburgh, P. 121. kitchen, K. A., Decumentation for Ancient Arabian, P. 1, Liverpool University Press, 1994, P. 172).

وقد استنتج أحد المؤرخين من النص النبطى حقيقتين[1]؛ أولهما: ما نم عنه من أن المقبرة كانت مقبرة أسرية أعدت بملحقاتها لدفن الرجل والمرأة أى الزوج والزوجة، وتوسيد من قدر له أن يدفن معهما من الإخوة، ثم من يعقبهما من الأبناء والحفدة فى مواضع متمايزة منها.

ثانيهما: وهو الأبلغ دلالة، تأكيد النص على تمتع المرأة (الزوجة) بأهلية التملك الفردى، حتى وإن كان ضمن عقار مشترك، دون فرض ولاية الزوج بالضرورة عليه، ودون اختلاط نصيبها منه بنصيبه، بل ومع إقرار نصيبها بمقداره ومحتواه، ثم التوصية بأيلولة المقبرة بعد الزوجين إلى الوارثين من الأبناء والحفدة دون تفرقة بين ذكورهم وبين إناثهم، وذلك بما ينم عن نوع ضمنى من التساوى داخل الأسرة.

هذا فضلاً عن أن النص لا يخلو من دلالة هامة، هى أن نصيب الزوجة ارسكسة قد زاد على نصيب زوجها بمثل مقداره، فحاذت على ثلثى ملكية المقبرة، واقتصر نصيب الزوج غانم على الثلث. على أن النص لم يحدد مصدر ملكية الزوجة لنصيبها المضاعف، وإن كانت قد اشترته بمالها الخاص؟، أم آثرها به زوجها؟، ولعل الفرض الأول هو الأرجح بمعنى أن أفضليتها فى التملك ترتبت على بنوتها لشخص ثرى عظيم وهو خيام الاستراتيجى، أو خيمو اسرتجا[2].

---

(١) عبد العزيز صالح: "المرأة في النصوص والآثار العربية القديمة"، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد ١٤، الكويت ١٩٨٥م، ص ١٥- ١٧؛ محمد بيومي مهران: المرجع السابق، ص٧٨ - ٧٩.

(٢) الإسرتج: من المناصب المهمة في مملكة الأنباط، والتي تلي ذلك منصب "حاكم الولاية أو الإقليم" أي نواب الملك علي الولايات، وهي كلمة محرفة من كلمة Strategos الأغريقية وتعني قائدا عسكرياً وذلك في بلاد اليونان إلا أنها في العصر الهلنسي كانت لقبا لموظفين ذوي سلطات سياسية وعسكرية واسعة (أنظر: عبد المنعم عبد الحليم سيد: "صلات الأنباط بمصر من خلال النقوش النبطية علي صخور الحجاز وصحراء مصر الشرقية"، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الملك عبد العزيز بجدة المجلد الأول ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص ٤٧، هتون أجواد الفاسي،: "الوظائف الحكومية والعسكرية في مملكة الأنباط"، العصور، المجلد الثاني، الجزء الثاني ١٩٩٣م، ص ٣١٢- ٣١٣؛

Milik, J. T. and Starcky, J., "Inscriptions Nabateenes", (in) Winnett, F. V and Reed. W. L,. Ancient Records From North Arabia, Toronto, 1970, P. 150, no. 57.

هنا وقد أيدت بضعة نصوص نبطبة أخرى قديمة ما توفر المرأة (المقتدرة) من إرادة مالية وملكية خاصة سمحت لها بما كانت تسمح به للرجال من تحديد أسماء المتنفعين بمقبرتها وإباحة دفن الغير فيها، إن شاءت، على شريطة الحصول على إذن منها، أو منعه، واستعداء معبودات قومها على من يفسدون إرادتها، والتهديد بتحميلهم غرامات مالية تراوحت بين المائة وبين ثلاثة آلاف من العملات السلعية الذهبية التى كان من المفروض أن تؤدى إلى المعابد، وإلى اسم الملك (فى الخزانة، أو فى المعبد)، ولعل ذلك كان- فى أغلب الظن- صدى لإرادة المرأة وخصوصية ملكيتها لعقارات أخرى دنيوية[١].

ومن الأمثلة على مثل تلك النصوص نص نبطى[٢] يشير إلى مقبرة قامت ببنائها كمكم بنت وائلة بنت حرم وإبنتها كليبة لنفسيهما وذريتهما ولا يخلو إشهار أسماء الأم والجدة والحفيدة جميعاً، إلى جانب اسم الأب، من مدلول، وكان ذلك العمل فى العام التاسع (العام الأول الميلادى) من عهد الملك النبطى الحارث الرابع[٣].

وهناك تدمر بنت حسان بن أذينة بن الشميدع بن مزيد، وهى من فواضل نساء عصرها، قيل إن تدمر سميت بإسمها وفيها قبرها، فقد ذكر ابن الكلبى عن محمد بن خالد، (وفى رواية أخرى إسماعيل القسرى) فقال: كنت مع مروان آخر ملوك بنى أمية حين هدم حائط تدمر فكشفوا عنه صخرة فإذا بيت مجصص كأن اليد رفعت عنه تلك الساعة وإذا فيه سرير عليه إمرأة مستلقية على ظهرها وعليه سبعون حلة (وفى رواية تسعون حلة) منسوجة بالذهب على قفاها وإذا لها سبعة غدائر مشدودة بخلبخالها، قال: فذرعت قدمها فإذا ذراع من غير الأصابع وإذا فى بعض غدائرها صحيفة ذهب مكتوب باسمك اللهم أنا تدمر بنت حسان بن أذينة الملك خرب الله بيت من

(١) عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص٢٤؛ محمد بيومي مهران: المرجع السابق، ص٧٩- ٨٠.
(٢) جواد علي: المرجع السابق، ٣/ ٤١ (٦).
(٣) عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص٢٤؛ محمد بيومي مهران: المرجع السابق، ص ٨٠.

خرب بيتى، وفى رواية أخرى أدخل الله الذل على من يدخل بيتى هذا، فأمر مروان بالجرف فأعيد كما كان ولم يأخذ مما كان عليها من الحلى شيئاً[1].

ولعل من الأهمية بمكان الإشارة إلى ما يترتب للمرأة، إلى جانب الرجل من حقوق مدنية فى التملك وكافة التصرفات العينية وقبول الوصية وأمثالها بالنسبة للمقابر، جرت أمثلة كذلك على الممتلكات العقارية الدنيوية، من أرض ومزارع ومسكن، فى المجتمع النبطى، وفى بعض المجتمعات العربية الأخرى المعاصرة له[2]، ورجح هذا القول نص لحيانى من ديدان (العلا)، أشهر ملكية مزرعة لأخوات ثلاث (لبة وخفشة وغرثة) ملكية توريث تنتقل منهن إلى أعقابهن، كذلك ورد فى نص من تيماء ما يفيد أن رجلاً يدعى ذئب بن حجاج اشترى، بعيراً أسود من إمرأة تدعى «ذات هنأن» فنفق عنده، فقضى حاكم تيماء المدعو «كلع» أو «كلاع» (يعنى الشديد)، بأن تعوضه المرأة بحمار، وربما كانت بهذا تمتهن التجارة أو على الأقل تمتلك بعض الدواب والأنعام[3].

(١) عمر رضا كحالة: أعلام النساء، ١/ ١٦٧- ١٦٨.

(٢) محمد بيومي مهران: المرجع السابق، ص ٨٠.

(٣) عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص٢٩-٣٠؛ محمد بيومي مهران: المرجع السابق، ص ٨٠.

خاتمة:

أقر الإسلام ما كانت تتمتع به المرأة العربية القديمة من أحقية مالية كاملة، بل لقد أوجد الإسلام للمرأة مصادر جديدة لكسب الأموال، لم تكن متاحة لها من قبل، فقد أقر الإسلام للمرأة الحق فى الميراث، فمن حقها أن ترث أقاربها بناء على قرابة النسب، كما أن لها الحق فى أن ترث زوجها بناء على رابطة الزوجية، فكان منح الإسلام المرأة الحق فى الميراث سبباً فى إزدياد ثروات النساء العربيات فى صدر الإسلام. كذلك جعل الإسلام من المهر حقاً خالصاً للزوجة فأتاح بذلك لها مورداً مالياً مهماً لتكوين ثروة خاصة.

كما أقر الإسلام حق المرأة فى ممارسة التجارة ومباشرة الحرف والصناعات المختلفة، ومن الشواهد ما يدل على أن المرأة العربية ظلت - فى صدر الإسلام- تمارس الحرف المختلفة التى كانت تمارس فى العصر الجاهلى باستثناء بعض الحرف القليلة التى نهى عنها الإسلام[1].

نخلص مما سبق أن المرأة كانت عند العرب قبل الإسلام تتمتع بأحقية وأهلية مالية كاملة، سواء من حيث الصلاحية لاكتساب الحقوق والتحمل بالالتزامات، أم حيث الصلاحية لمباشرة التصرفات القانونية المختلفة.

---

(١) محمد بيومي مهران: المرجع السابق، ص ٣٤-٣٧، ٧٣-٧٨؛ محمود سلام زناتي المرجع السابق، ص٢٦٢.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: العربية:

القرآن الكريم.

إبراهيم مصطفى: رأى فى تحديد العصر الجاهلى مجلة مجمع اللغة العربية الجزء الثامن، القاهرة ١٩٥٥.

ابن الجوزى (الإمام عبد الرحمن بن على): تلقيح مفهوم أهل الأثر فى عيون التاريخ والسير، القاهرة ١٩٨٥.

أعمار الأعيان، تحقيق د. محمود محمد الطناحى، سلسلة مهرجان القراءة للجميع، (٩٩)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٩.

ابن حبيب (أبو جعفر بن أمية بن عمرو الهاشمى): كتاب المحبر، حيد أباد الدكن، ١٩٤٢.

ابن حجر العسقلانى (أحمد بن على بن حجر العسقلانى): ٠فتح البارى بشرح صحيح البخارى، الجزء التاسع، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقى، وصححه وأخرجه محب الدين الخطيب، المكتبة السلفية، القاهرة ١٣٧٩هـ.

ابن حجر (أبو محمد على بن أحمد): جمهرة أنساب العرب، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣.

ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد): تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، الجزء الثانى، دار الفكر، بيروت ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

ابن سعد (أبو عبد الله محمد بن سعد منيع الزهرى): الطبقات الكبرى، الجزء السابع، القاهرة ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨.

ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينورى): المعارف، القاهرة ١٩٣٤م.

ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم): لسان العرب، الأجزاء

التاسع والثانى عشر والخامس عشر، الطبعة الثالثة، دار إحياء التراث العربى، بيروت ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

أحمد أمين: فجر الإسلام، بيروت ١٩٦٩م.

أحمد محمد الحوفى: المرأة فى الشعر الجاهلى، القاهرة ١٩٥٤م.

: الحياة العربية من الشعر الجاهلى، ط٤، دار القلم، بيروت ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م.

الأصفهانى (أبو الفرج على بن الحسين بن محمد): كتاب الأغانى، الجزء الأول مصور عن طبعة دار الكتب وزارة الثقافة والإرشاد القومى، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة ١٣٥٧هـ.

الألوسى (السيد محمود شكرى): بلوغ الإرب فى معرفة أحوال العرب، الجزء الثانى، ط٣، القاهرة ١٣٤٢هـ.

الثعالبى (أبو منصور عبد الملك بن محمد): ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر، القاهرة ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م.

جواد على: المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، عشرة أجزاء، الطبعة الثانية، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٦٨م.

حمد الجاسر: المواضع الأثرية فى جزيرة العرب- موقع سوق عكاظ، مجلة المجمع العلمى العربى، الجزء الأول، المجلد السادس والعشرون، دمشق ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م.

حمدان عبد المجيد الكبيسى: أسواق العرب قبل الإسلام، مجلة آداب المستنصرية، العدد الرابع، بغداد ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

خير الدين الزركلى: الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، الجزء التاسع، ط٣، مطبعة كوستاتوماس (د.م) ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م.

سعيد الأفغانى: أسواق العرب فى الجاهلية والإسلام، القاهرة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

سليمان بن عبد الرحمن الذييب: الموطن الأصلي للأنباط، الدارة، العدد الثاني، السنة الحادية والعشرون، ١٤١٦هـ.

السهيلي (عبد الرحمن الخثمي الأندلسي): الروض الآنف في تفسير سيرة ابن هشام، الجزء الثاني، المطبعة الجمالية، القاهرة ١٩١٤م.

الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير): جامع البيان في تفسير القرآن، الأجزاء الرابع والسادس والتاسع، الطبعة الأميرية، القاهرة ١٣٢٨هـ.

طه حسين: إسلاميات، (مرآة الإسلام، على هامش السيرة)، الطبعة الأولى بيروت ١٩٦٧م.

عبد القدوس الأنصاري: الكعبة: أسماء، وعمارات، ومعبداً لا معبوداً، وتاريخاً قبل الإسلام، دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثاني، الجزيرة العربية قبل الإسلام، جامعة الملك سعود، الرياض ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

عبد الله عفيفي: المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها، ط٢، دار الرائد العربي، بيروت ١٩٨٢م.

عبد العزيز صالح: المرأة في النصوص والآثار العربية القديمة، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد ١٤، الكويت ١٩٨٥م.

عبد المنعم عبد الحليم سيد: صلات الأنباط بمصر من خلال النقوش النبطية على صخور الحجاز وصحراء مصر الشرقية»، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الملك عبد العزيز، بجدة، المجلد الأول ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

عبد المنعم عبد الحليم سيد: الأسماء الجغرافية الآسيوية ذات القيمة التاريخية في النقوش العربية القديمة، البحر الأحمر وظهيره في العصور القديمة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٩٣م.

عمر رضا كحالة: أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، ط٩، خمسة أجزاء، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

عواطف أديب على سلامة: قريش قبل الإسلام، دررها السياسى والاقتصادى الرياض ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

القالى (أبو على إسماعيل بن القاسم) : كتاب الأمالى وكتاب ذيل الأمالى والنوادر، دار الإتفاق، بيروت ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

ليلى صباغ: المرأة فى التاريخ العربى، فى تاريخ العرب قبل الإسلام، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومى، دمشق ١٩٧٥م.

محمد بيومى مهران: الحضارة العربية القديمة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.

محمد عبد الله دراز: مدخل إلى القرآن الكريم، الكويت ١٩٧٤م.

محمد مبروك نافع: تاريخ العرب- عصر ما قبل الإسلام، القاهرة ١٩٥٢م.

محمود سلام زناتى: نظم العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام، القاهرة ١٩٩٥م.

منذر الجبورى: أيام العرب فى الجاهلية، المورد، المجلد الثانى، العدد الأول، ٤٠- ٥٣.

مولانا محمد على: حياة محمد ورسالته، بيروت ١٩٦٧م.

الميدانى (أبو الفضل أحمد) : مجمع الأمثال، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد، الجزء الأول، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م.

ناصر سعد الرشيد: تعامل العرب التجارى وكيفيته فى العصر الجاهلى: دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثانى، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

نبيه عاقل: تاريخ العرب القديم وعصر الرسول، الطبعة الأولى، دمشق ١٩٦٩م.

النويرى (شهاب الدين أحمد عبد الوهاب) : نهاية الأرب فى فنون الأدب، الجزء السادس، القاهرة ١٩٤٣م.

النيسابورى (أبو الحسن الواحدى) : أسباب النزول، مكتبة مصطفى البابى

الحلبى، القاهرة ١٩٨٦م.

هتـون أجـواد الفـاسى: الوظائف الحكومـيـة والعـسكرية فى مملكة الأنبـاط، العصور، المجلد الثامن، الجزء الثانى ١٩٩٣م.

ثانيا: المترجمة:

ويلكن، ج. أ. الأمـومـة عند العـرب، تعـريب: بندلى جوزى صليـبـا، قـازان ١٩٠٢م.

ثالثا: الأجنبية:

Hastings, J., Encyclopaedia of Religion and Ethics, Vol. 9. Edinburgh.

Kitchen, K. A. Documentation for Ancient Arabia, Part 1, Liverpool University Press, 1994.

Milik, J. T. and Starcky, J., "Inscriptions Nabateennes," (in) Winnett, F. V. and Reed, W. L. Ancient Records From North Arabia, Toronto, 1970.

ولاية يزيد بن حاتم لمصر وإفريقية
دراسة تحليلية
(سنة ١٤٤ - ١٧٠ هـ/ سنة ٧٦١ - ٧٨٦م)

د/ السيد عبد الفتاح بلاط

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

فقد حفل العصر العباسي الأول ببعض القادة الذين أسهموا في التمكين للعباسيين، وكان لهم دور بارز وإنجازات باهرة في المناطق التي تولوا إمارتها، وأخذ بعضهم حقه من الدراسة والبحث، والبعض الآخر مازالت أخباره قليلة ومتناثرة بين ثنايا المصادر، أو ضمن تراجم لآخرين، ولم نعرف حقيقة إنجازاتهم، ومن هؤلاء يزيد بن حام المهبلي. وهذا ما صرح به ابن خلكان الذي كان قد تناول بعض أخبار يزيد ضمناً وهو يترجم لأخيه روح بن حاتم، ولكن لما تبين له أهمية شخصية يزيد وولايته، قال: «... فأحببت أن أفرد له ترجمة وأذكر ما جرى له، لأن مثله لا يصلح لأن يكون ضميمة في ترجمة أخيه»- وفيات ٥/ ٣٦٧.

لذا عقدت العزم- بإذن الله تعالى- على تناول هذه الشخصية في بحث تحت عنوان: «ولاية يزيد بن حاتم لمصر وإفريقية» دراسة تحليلية - سنة ١٤٤- ١٧٠هـ/ سنة ٧٦١- ٧٨٦م)- وأتناول فيه- إن شاء الله تعالى- النقاط الآتية:

التعريف بيزيد، وولا يته لمصر سنة ١٤٤هـ، وأهم ما وقع فيها مثل: ثورة على ابن محمد العلوى (سنة ١٤٥هـ)، وثورة الأقباط بسخا، (١٥٠هـ) وعلاقة مصر بالحبشة في عهده، وبعض إصلاحاته كجريان الماء إلى بنى المعارف بالقرب من المقطم.

ثم ولايته لإفريقية (سنة ١٥٤هـ)، وتصديه لثورات الخوارج البربر بها في طنبة، وطرابلس، ونفوسة، والزاب الغربي، وورفجومة (١٥٦- ١٥٨هـ)، وما ترتب على هذه الثورات، ثم عرجت على بيان أهم إصلاحاته في إفريقية

فى: الزراعة، والرعى، والصناعة، والأسواق، والتجارة الداخلية والخارجية، والقضاء، واهتمامه بالعلم والعلماء، وذيلت البحث بخاتمة ضمنتها أهم النتائج التى توصلت إليها. والله يوفقنا ويهدينا إلى سواء السبيل، اللهم أمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

التعريف بيزيد:

هو يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبى صفرة الأزدى الطائى(١)، البصرى، الأمير(٢) وكنيته أبو خالد(٣) كان شجاعاً مقداماً(٤)، مهيباً شديد البأس(٥)، وفى شجاعته قال محمد بن عبد الله المولى(٦) الشاعر:

---

(١) الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد): سير أعلام النبلاء- تحقيق نزيه حمدان- مؤسسة الرسالة- بيروت ط(٣) سنة ١٩٨٥م- ٨/ ٢٣٣، اليافعي (أبو محمد عبد الله بن أسعد): مرآة الجنان وعبرة اليقظان- دار الكتاب الإسلامي- القاهرة- ط(٢) سنة ١٩٩٣م- ١/ ٣٦١، ابن تغري بردي (جمال الدين أبو المحاسن): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة- مطبعة دار الكتب المصرية- ط(١) سنة ١٩٣٠م-٢/١.

(٢) الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد): تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام- دار الغد- مصر ط (١) سنة ١٩٩٦م- ٥/ ٢٠٥.

(٣) ابن الأبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله): الحُلة السيراء- تحقيق: د/ حسين مؤنس- الشركة العربية للطباعة والنشر- القاهرة- ـ(١) سنة ١٩٦٣م- ١/ ٧٢، ابن خلكان (أبو العباس أحمد بن محمد): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان- تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد- النهضة المصرية- بدون -٥/ ٣٦٥، ابن عذاري: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب :ج- س- كولان، ليفي بروفنسال- دار الثقافة- بيروت- ط(٢) سنة ١٩٨١م- ١/ ٧٨.

(٤) وكانت الشجاعة صفة غريزية في المهالبة، فقد قال جده المهلب يوماً لجلسائه حين عنفوه علي الإقدام وأنه يردي نفسه المهالك، قال: إليكم عني! فوالله لولا أن آتي الموت مسترسلاً لأتاني مستعجلاً، ثم تمثل بقول الحصين بن الحمام المري.

تأخرت أستبقي الحياة فلم أجد لنفسي حياة مثل أن أتقدما

(القيرواني «إبراهيم بن علي الحضري»: زهرة الآداب وثمرة الألباب- تحقيق: علي محمد البجاوي- ط(٢) سنة ١٩٦٩م- عيسي الحلبي- ٢/ ١٠٦٧).

(٥) الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد): دول الإسلام- إدارة إحياء التراث الإسلامي- قطر ١٩٨٨م- ١/ ١١٣، الذهبي: العبر ٨/ ٢٣٤، ابن عذاري، البيان ١/ ٧٨.

(٦) محمد بن عبد الله بن مسلم، مولي بني عمرو بن عوف الأنصاري، شاعر متقدم مجيد، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ومداحي أهلهما، وقدم علي الخليفة المهدي وامتدحه بعده قصائد فوصله بصلات سنية، وكان ظريفاً نظيف الثياب حسن الهيئة (الأصفهاني «أبو الفرج علي بن الحسين»: الأغاني - دار الفكر- بدون- ٣/ ٨٥».

وإذا تباع كريمة أو تشترى ... فسواك بائعها وأنت المشترى

وإذا تخيل من سحابك لامع ... سبقت مخيلته يد المستمطر

وإذا صنعت صنيعة أتممتها ... بيدين ليس نداهما بمكدر

وإذا الفوارس عددت أبطالها ... عدوك في أبطالهم بالخنصر(١)

وكان يزيد أيضا ذا مروءة ونجدة(٢) نافذ الرأى، بعيد الصيت(٣) عالى الهمة(٤)، كثير الشبه بجده المهلب(٥) فى حروبه ودهائه(٦).

كما كان يزيد بمكان من التقوى والخوف من الله، فقد أثر عنه أنه كان يقول: «والله ما هبت شيئاً قط هيبتى من رجل ظلمته، وأنا أعلم أنه لا ناصر له إلا الله تعالى، فيقول: الله حسبك، الله بينى وبينك»(٧) ولهذا كان ثقة فيما يرويه، قال ابن معين: يزيد بن حاتم ثقة(٨).

---

(١) القيرواني: زهرة الآداب ٢/ ١٠٧٨، ابن خلكان: وفيات ٥/ ٣٦٨، اليافعي: مرآة الجنان ١/ ٣٩٩، ابن العماد الحنبلي (أبو الفلاح عبد الحي): شذرات الذهب في أخبار من ذهب- دار الفكر - ط(١) سنة ١٩٧٩ م- ١/ ٢٧٥.

(٢) السلاوي (أبو العباس أحمد بن خالد الناصري): الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصي- تحقيق- جعفر الناصري، محمد الناصري- دار الكتاب- الدار البيضاء- سنة ١٩٥٤م- ١/١١٩، الباجي (أبو عبد الله محمد): الخلاصة النقية في أمراء أفريقية- المطبعة الدولية، تونس سنة ١٢٨٣هـ- ص٢٠، الزاوي (الطاهر أحمد): تاريخ الفتح العربي في ليبيا- دار المعارف- مصر- ط(٢) سنة ١٩٦٣م، ص١٤٤.

(٣) النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب): نهاية الأرب في فنون الأدب- تحقيق د/ حسين نصار- المجلس الأعلي للثقافة- مصر ١٩٨٣م- ٢٤/ ٨٧، ابن عذاري: البيان ١/ ٧٨.

(٤) دبوز (محمد علي): تاريخ المغرب الكبير- دار إحياء التراث العربية- مصر ط(١) سنة ١٩٦٣م- ٣/ ٩٤.

(٥) المهلب بن أبي صفرة ظالم بن سراق الأزدي العتكي، أبو سعيد، أمير بطاش، جواد، نشأ بالبصرة، وولي إمرتها لمصعب بن الزبير، ومن شجاعته فقئت عنيه بسمرقند، وقاتل الأزراقة ستة عشر عاماً، وتم له النصر عليهم، فقتل الكثيرين منهم، وشتت بقيتهم في البلاد، وولي خراسان لعبد الملك بن مروان سنة (سنة ٧٩هـ)، وتوفي بها (٨٣هـ). (الطبري «أبو جعفر محمد ابن جرير»: تاريخ الأمم والملوك- دار المعارف-مصر- ط(٣) سنة ١٩٦٦م- ٦/٣٥٤،٣٥٥، ابن الأثير (أبو الحسن علي بن أبي الكرم): الكامل في التاريخ- دار الكتب العلمية- بيروت- ط(١) سنة ١٩٨٧م- ٤- ٢٠٧، ٢٠٨، اليافعي: مرآة الجنان ١/ ١٦٥، ١٦٦).

(٦) ابن الآبار: الحلة ١/ ٧٣، ابن عذاري: البيان ١/ ٧٨.

(٧) ابن خلكان: وفيات ٥/ ٣٦٨، اليافعي: مرآة الجنان ١/ ٣٩٨.

(٨) الذهبي: تاريخ الإسلام ٥/ ٥٥.

وكان يزيد مقصداً للناس محباً للشعر وأهله، مدحه عدة من الشعراء، منهم محمد بن عبد الله المولى، القائل:

وإذ تباع كريمة أو تشترى فسواك بائعها وأنت المشترى[١]

وكثيراً ما طلب من جلسائه من الشعراء أن ينظموا له الشعر، فقد قال لهم مرة: أنسقوا لى ثلاثة أبيات، فقال صفوان بن صفوان- من بنى الحارث ابن الخزرج- أفيك؟ فقال: فيمن شئتم، فكأنها كانت فى فمه فقال:

لم أدر ما الجود إلا ما سمعت به حتى لقيت يزيداً عصمة الناس

لقيت أجود من يمشى على قدم مفضلا برداء الجود والباس

لو نيل بالجود مجد كنت صاحبه وكنت أولى به من آل عباس

قال صفوان: ثم كففت، فقال يزيد أتمم، فقلت لا يصلح، فقال: لا يسمعن هذا منك أحد[٢].

نعم فقد كان يزيد غاية فى الكرم والجود[٣] وله فيهما مآثر، فقد كتب إليه أحد العلماء يستوصله، فبعث إليه ثلاثين ألف درهم، وكتب إليه: «أما بعد، فقد بعثت إليك بثلاثين ألفا، لا أكثرها امتنانا، ولا أقللها تجبرا، ولا أستثيبك عليها ثناء، ولا أقطع لك بها رجاء، والسلام»[٤].

وقال ابن المولى- الشاعر- كنت أمدح يزيد بن حاتم من غير أن أعرفه ولا ألقاه فلما ولاه المنصور مصر- (١٤٤هـ/ ٧٦١م)- أخذت على طريق المدينة فلقيته فأنشدته وقد خرج من مسجد رسول الله ﷺ، فأعطانى رزمتى ثياب، وعشرة آلاف دينار، فاشتريت بها ضياعاً تغل ألف دينار أقوم فى أدناها وأصبح بقيمى ولا يسمعنى وهو فى أقصاها[٥].

---

(١) القيرواني: زهرة الآداب ٢/ ١٠٨٧، ابن تغري بردي: النجوم ٢/٢.

(٢) ابن خلكان: وفيات ٥/ ٣٦٨، الذهبي: سير ٨/ ٢٣٤، اليافعي: مرآة الجنان ١/ ٣٩٩.

(٣) وأكثر المهالبة كانوا كذلك، قال أحد الشعراء:

نزلت علي آل المهلب-بخراسان- شاتيا بعيدا عن الأوطان في الزمن المحل

فمازال بي معروفهم وافتقادهم وبرهم حتي حسبتهم أهلي

(ابن خلكان: وفيات ٤/ ٤٣٨، ٤٣٩).

(٤) ابن عبد ربه (أحمد بن محمد) العقد الفريد- تحقيق د/ مفيد قميحة- دار الكتب العلمية- بيروت- ط(٣) سنة ١٩٨٧م- ١/ ٢٥٨.

(٥) ابن عبد ربه: العقد ٣/ ٥٨٨، ابن عذاري: البيان ١/ ٨١.

ولهذا مدح ابن المولى يزيداً- وهو بمصر- قائلاً:

يا واحد العرب الذى أضحى وليس له نظير

لو كان مثلك آخر ما كان فى الدنيا فقير

فدعا بخازنه وقال له: كم فى بيت مالى؟ قال: فيه من الورق (١) والعين ما مبلغه عشرون ألف دينار، فقال: ادفعها إليه، ثم قال لابن المولى: يا أخى المعذرة إلى الله تعالى وإليك، ولو أن فى ملكى غيرها لما ادخرتها عنك(٢).
وهذا من باب المبالغة، إذ كيف يدفع إليه ما فى بيت مال مصر، وهى تحتاج للنفقة اليومية للأرزاق والطعام والجند وغيرها.

وقصده الشاعر ربيعة بن ثابت الرقى(٣) ذات مرة، فشغل عنه يزيد بعض الوقت فانصرف مغضباً وقال:

أرانى - ولا كفران لله- راجعاً بخفى حنين من عطاء ابن حاتم

فبلغ يزيد ذلك، فرده وملأ خفيه ذهباً، فأخذ يمدحه ويفضله على يزيد ابن أسيد السلمى(٤)- الذى كان قد مدحه قبل ذلك وقصر فى حقه قائلاً:

لشتان ما بين اليزيدين فى الندا يزيد سليم والأغر بن حاتم

فهم الفتى الأزدى إتلاف ماله وهم الفتى القيسى جمع الدراهم

فلا يحسب التمتام(٥) أنى هجوته ولكننى فضلت أهل المكارم(٦)

(١) الورق: الدراهم المضروبة من الفضة، ويقال للفضة فقط ورق. (ابن منظور (جمال الدين محمد ابن علي): لسان العرب- دار المعارف- مصر- بدون ٦/ ٤٨١٦).

(٢) الأصفهاني: الأغاني ٣/ ٨٧، ابن خلكان: وفيات ٥/ ٣٦٩، اليافعي: مرآة الجنان ١/ ٣٩٩.

(٣) ربيعة بن ثابت الرقي، مولي بن سليم بن منصور، ويكني أبا شبابه، وكان ضريراً، نشأ بالرقة، وأشخصه إليه الخليفة المهدي فمدحه بعده قصائد وأثابه عليها مالاً جزيلاً، وكان الرشيد يأنس به وله معه ملح كثيرة. وهو من المكثرين المجيدين للشعر، وكان غزلياً، توفي سنة ١٩٨هـ) (الأصفهاني: الأغاني ١٥/ ٣٧، المرصفي (سيد بن علي) رغبة الآمل من كتاب الكامل- مطبعة النهضة- مصر- ط(١) سنة ١٩٢٨م- ٥/ ٢٠٣).

(٤) يزيد بن أسيد بن زافر بن أسماء بن سليم بن منصور بن عكرمة. من رجال الدولة العباسية، وولي أرمينية للمنصور والمهدي، وكان أحد الأبطال الموصوفين. غزا الروم (سنة ١٥٨هـ)، توفي بعد سنة ١٦٢هـ). (ابن الأثير: الكامل ٥/ ٢٤٣، الذهبي: تاريخ الإسلام ٤/ ٣١٤، المرصفي: رغبة الآمل ٥/ ٢٣).

(٥) التمتام: التمتمة، رد الكلام إلي التاء. (ابن منظور: لسان العرب ١/ ٤٤٩).

(٦) ابن عبد ربه: العقد ١/ ٢٥٨، الأصفهاني: الأغاني ١٥/ ٣٧،٣٨، المبرد (أبو العباس محمد ابن يزيد): الكامل في اللغة والأدب- دار الفكر العربي- بيروت- سنة ١٩٩٢م، ٢/ ٤٢١، ابن الأبار: الحلة ١/ ٧٤، ٧٥.

كل هذا دفع بعض الناس والشعراء خاصة لقصد يزيد لما عزل عن مصر وولى إفريقية[١] (سنة ١٥٢هـ/ ٧٦٩م) فقد وفد عليه أحد الشعراء[٢] بأفريقية- وأنشده:

إليك قصرنا النصف من صلواتنا مسيرة شهر ثم شهر نواصله

فلا نحن نخشى أن يخيب رجاءنا لديك ولكن أهنأ البر عاجله

فأمر يزيد بوضع العطاء فى جنده- وكان فى خمسين ألفاً- وقال: من أحب أن يسرنى فليضع لزائرى هذا من عطائه بدرهمين، فاجتمع له مائة ألف درهم، وضم يزيد إليها مائة ألف أخرى، ودفعهما إليه[٣]. وهذا مبلغ كبير جداً، إن دل على شئ فإنما يدل على حب يزيد للمدح والثناء عليه وخاصة فى قصائد الشعر التى يتناقلها الناس.

وكان يزيد يفتخر بكرمه هذا، فهو القائل عن نفسه:

لا يألف الدرهم المضروب خرقتنا[٤] إلا لماما يسير ثم ينطلق

يمر مراً عليها وهى تلفظه إني امرؤ لم يخالف خرقتى الورق[٥]

ويربط دبوز بين شجاعة يزيد بن حاتم وكرمه بقوله: «كان يزيد بن حاتم مع دهائه السياسى، وعبقريته فى الإدارة، وشجاعته سمحاً كريماً، وكذلك الكرم هو توأم الشجاعة وقرينها، فإن النفس المضحية التى تقدم فى القتال ولا تهاب الموت، لابد أن تضحى بالمال ولا تخشى الفقر[٦].

---

(١) إفريقية: اسم بلاد واسعة ومملكة كبيرة، قبالة جزيرة صقلية، وينتهي آخرها إلي قبالة الأندلس، وسميت بإفريقش بن صيفي. وهو الذي اختطها، وحد إفريقية من طرابلس إلي بجاية. (ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله): معجم البلدان- دار صادر- بيروت- بدون- ١/ ٢٢٨- ٢٣١) ابن عبد الحق (صفي الدين عبد المؤمن): مراصد الإطلاع علي أسماء الأمكنة والبقاع- تحقيق: علي محمد البجاوي- دار إحياء الكتب العربية سنة ١٩٥٤م- ١/ ١٠٠/ ١٠١).

(٢) يدعي: التميمي الشاعر. (اليافعي: مرآة الجنان ١/ ٣٩٨).

(٣) ابن خلكان وفيات ٥/ ٣٦٨، اليافعي، مرآة الجنان ١/ ٣٩٨.

(٤) الخِرْقة: القطعة من الثوب إذا شققته. (ابن منظور: لسان العرب ٢/ ١١٤١). والمراد: الصُرة من المال.

(٥) ابن الأبار: الحلة السيراء ١/ ٧٦، النويري: نهاية الأرب ٢٤/ ٨٧، ابن عذاري: البيان ١/ ٨١.

(٦) تاريخ المغرب الكبير ٣/ ٩٤.

وكان ليزيد عدد من الأولاد مثله فى الشجاعة والكرم وحسن السياسة منهم المغيرة، قتل بالسند(١)، وداود، ولى السند وإفريقية، وخالد ولى جرجان(٢)، وعبد الله، ومحمد، وإسحاق، وغيرهم(٣).

كل هذه الصفات من الشجاعة والمروءة والنجدة، ونفاذ الرأى، وعلو الهمة، والدهاء، وحسن السياسة، والكرم، جعلت يزيد بن حاتم محل ثقة من الخلفاء، فقد كان من خواص أبي جعفر المنصور وولاته(٤) وولى ولايات كثيرة منها أرمينية(٥) والسند، وأذربيجان(٦) (سنة ١٤١هـ/ ٧٥٨م)، ونقل اليمانية من البصرة إليها، وكان أول من نقلهم(٧). ومصر (سنة ١٤٤هـ/ سنة ٧٦١م)، وأفريقية (سنة ١٥٤هـ/ ٧٧٠م)، ووليها لأربعة من الخلفاء، أبو جعفر المنصور، والمهدى، والهادى، وبعض خلافة الرشيد(٨).

وظهرت شخصية يزيد كوال له دوره المؤثر فى ولايتيه الأخيرتين مصر وأفريقية لذا نبين- إن شاء الله تعالى- فى الصفحات التالية مدى نجاح يزيد فى هاتين الولايتين.

---

(١) السند: بلاد بين الهند وكرمان وسجستان، وقصبتها المنصورة. فتحت أيام الحجاج الثقفي، وغالب أهلها علي مذهب أبي حنيفة. (ياقوت الحموي: معجم البلدان ٣/ ٢٦٧، ابن عبد الحق: مراصد ٢/ ٧٤٦).

(٢) جرجان: مدينة مشهورة بين طبرستان وخراسان، ويكثر بها الزيتون والنخيل والجوز والرمان وقصب السكر والأترج. خرج بها خلق من العلماء والأدباء والفقهاء والمحدثين. (ياقوت الحموي: معجم البلدان ٢/١١٩- ١٢٢، ابن عبد الحق: مراصد ١/ ٢٢٣).

(٣) ابن حزم (أبو محمد علي بن أحمد) جمهرة أنساب العرب- دار الكتب العلمية- بيروت ط (١) سنة ١٩٨٣ م- ص ٣٧٠.

(٤) ابن الأبار: الحلة السيراء ١/ ٧٣، ابن عذاري: البيان ١/ ٨١، الباجي: الخلاصة ص٢٠.

(٥) أرمينية: اسم لصقع واسع عظيم في جهة الشمال، وتمتد إلي بلاد الروم، وهي صغري وكبري، فالصغري تفليس ونواحيها، والكبري خلاط ونواحيها. وقيل هي مدينة (زرادشت) نبي المجوس. (ياقوت الحموي: معجم البلدان ١/ ١٥٩، ابن عبد الحق: مراصد ١/ ٦٠).

(٦) أذربيجان: اسم صقع يحده من الشرق برذعة والغرب زنجان، وتتصل من الشمال ببلاد الديلم والجبل، ومن أشهر مدنها تبريز. وسميت بأذر باذ بن إيران بن الأسود بعد سام بن نوح عليه السلام. وقيل: (أذر) اسم النار، و (بايكان) الحافظ أو الخازن. (ياقوت الحموي: معجم البلدان ١/ ١٢٨، ١٢٩، ابن عبد الحق: مراصد ١/ ٤٧).

(٧) اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر): تاريخ - دار صادر- بيروت سنة ١٩٦٠- ٢/ ٣٧١.

(٨) اليعقوبي: تاريخ ٢/ ٣٨٦، الذهبي: سير ٨/ ٢٣٤.

ولاية يزيد مصر (سنة ١٤٤هـ سنة ٧٦١م):

عزل أبو جعفر المنصور حميدا بن قحطبة(١) عن إمرة مصر فى ذى القعدة (سنة ١٤٤هـ/ سنة ٧٦١م) وولى عليها يزيد بن حاتم(٢) فقدم مصر يوم الاثنين الخامس عشر من ذى القعدة (سنة ١٤٤هـ/ سنة ٧٦١م)(٣) وقيل (١٤٣هـ/ سنة ٧٦٠م)(٤)، والأول المشهور، فأقر على شرطته عبد الله ابن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج(٥)، وعلى الخراج معاوية بن مروان بن موسى بن نصير(٦)، وعلى القضاء أبا خزيمة إبراهيم بن يزيد الرعينى(٧)، وأجرى عليه فى كل يوم عشرة دنانير، وكان يرفض أن يتقاضى أجراً عن يوم

(١) حميد بن قحطبة بن شبيب الطائي، أمير، من القادة الشجعان. ولي إمرة مصر (سنة ١٤٣هـ)، ثم إمرة الجزيرة، ووجه لغزو أرمينية (سنة ١٤٨هـ)، وغزا كابل أيضا (سنة ١٥٢هـ)، ثم جعل أميرا علي خراسان، التي توفي بها (سنة ١٥٩هـ). (الكندي «أبو محمد بن يوسف» الولاة والقضاة- مؤسسة قرطبة- مصر- بدون- ص١١٠، ١١١، ابن عساكر (أبو القاسم بن علي بن الحسن): تهذيب تاريخ دمشق- هذبه: الشيخ عبد القادر بدران- دار المسيرة- بيروت ط(٢) سنة ١٩٧٩م- ٤/ ٤٦٥، ابن الأثير: الكامل ٥/ ٢٣١).

(٢) الطبري: تاريخ الأمم ٧/ ٥١٥، ابن الأثير: الكامل ٥/ ١٣٦، ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد): العبر وديوان المبتدأ والخبر- دار الكتب العلمية- بيروت- ط(١) سنة ١٩٩٢م- ٣/ ٢٤٦.

(٣) الكندي: الولاة والقضاة، ص١١١، المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي): المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار- دار صادر- بيروت- بدون- ١/ ٣٠٧، ابن تغري بردي: النجوم ١/ ٢.

(٤) الطبري: تاريخ الأمم ٧/ ١٥، ابن الأثير: الكامل ٥/ ٣٦، الذهبي: تاريخ الإسلام ٤/ ١٤١.

(٥) عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج التجيبي، الأمير. أبو عبد الرحمن، أمير مصر، وليها من قبل أبي جعفر المنصور بعد عزل يزيد بن حاتم عنها (سنة ١٥٢هـ)، ولم يول علي الشرطة أحدا وباشرها بنفسه. وهو أول من خطب في رداء أسود. توفي (سنة ١٥٥هـ). (الكندي: الولاة ١١٧، ١١٨، الذهبي: تاريخ الإسلام ٤/ ٣٦٢، ابن تغري بردي، النجوم ١٧/٢).

(٦) الكندي: الولاة ص١١١، المقريزي: الخطط ١/ ٣٠٧، ابن تغري بردي، النجوم ٢/ ١. (ولم أعثر له علي ترجمة).

(٧) إبراهيم بن يزيد الرعيني، أبو خزيمة. من قضاة مصر، ولاه يزيد بن حاتم قضاء مصر (سنة ١٤٤هـ) بعد عزل غوث بن سليمان، وكان تقياً ورعاً فاضلاً، استمر قاضياً إلي أن توفي (سنة ١٥٤هـ). (ابن عبد الحكم (أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله) فتوح مصر وأخبارها- مكتبة مدبولي، مصر ط(١) سنة ١٩٩١م- ص٢٤١- ٢٤٣، الكندي: الولاة ص٣٦٢- ٣٦٧، السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن): حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة- تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم- دار إحياء الكتب العربية- مصر-ط(١) سنة ١٩٦٧م- ٢/ ١٣٩، ١٤٠).

الجمعة، ويقول: إنما أنا أجير المسلمين، فإذا لم أعمل لهم لم آخذ متاعهم.[1] وظل يزيد والياً على مصر حتى (سنة ١٥٢هـ/ ٧٦٩م)[2].

وخلال هذه الفترة- (سنة ١٤٤- سنة ١٥٢هـ) وقع بمصر عدة أحداث كان لها أثرها على يزيد وولايته، منها:

ثورة علي بن محمد[3] (العلوي) (١٤٥هـ/ سنة ٦٧٢م):

صدق ما توقعه أبو جعفر المنصور حين قال ليزيد بعد أن ولاه مصر سنة ١٤٤هـ): «يا أبا خالد، بادر النيل قبل خروج الرايات الصفر[4] وأصحاب الدواب البتر[5]»، فقد قدم إلى مصر علي بن محمد، وهو أول علوي قدم إليها[6] في إمرة حميد بن قحطبة داعية لأبيه النفس الزكية[7] وعمه إبراهيم[8]،

---

(١) ابن عبد الحكم: فتوح ص ٢٤١.

(٢) ابن تغري بردي: النجوم ٢/ ١.

(٣) هو: علي بن محمد بن عبد الله بن حسن بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب، أول علوي قدم مصر. (الكندي: الولاة ص ١١١).

(٤) وهذا خطأ لأن شعار آل البيت كان اللون الأبيض. (الجهشياري (محمد بن عبدوس): الوزراء والكتاب- مكتبة الحلبي- مصر ط(٢) سنة ١٩٨٢م- ص ٣١٣).

(٥) ابن الأبار: الحلة ١/ ٧٣، والدواب البتر: المقطوعة الذنب من أي موضع كان. (ابن منظور: لسان العرب ١/٢٠٥).

(٦) الكندي: الولاة ص١١١.

(٧) محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، أبو عبد الله الملقب بالمهدي وبالنفس الزكية، ولد ونشأ بالمدينة، وكان غزير العلم، فيه شجاعة وحزم وسخاء، لم يفد علي السفاح ولا المنصور، نطلبه المنصور فتواري بالمدينة. فقبض المنصور علي والده وعدد من أهل بيته وحبسهم بالكوفة، فخرج محمد ثائرا واستولي علي المدينة ومكة وأرسل أخاه إبراهيم إلي البصرة، فقتله عيسي بن موسي (سنة ١٤٥هـ). (الطبري: تاريخ الأمم ٧/ ٥٥٢/ ٦٠٩، ابن الأثير: الكامل ١٤٧/٥- ١٦٤، أبو الفداء (عماد الدين إسماعيل): المختصر في أخبار البشر- مكتبة المتنبي- القاهرة- بدون- ٢/ ٣، ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل): البداية والنهاية- دار الغد- مصر ط(١) سنة ١٩٩٩م- ١٠/ ٥٧٤-٥٧٨).

(٨) الكندي: الولاة ص١١١، ابن خلدون، العبر ٣/ ٢٣١، المقريزي: الخطط ١/ ٣٠٦، وإبراهيم: هو إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب. أحد الأمراء الأشراف الشجعان. خرج بالبصرة علي أبي جعفر المنصور، وكثر اتباعه فاستولي علي البصرة وهاجم الكوفة، وكانت بينه وبين جيوش المنصور وقائع هائلة حتي قتله حميد بن قحطبة (سنة ١٤٥هـ)، وكان شاعرا، عالما بأخبار العرب وأشعارهم (الطبري: تاريخ الأمم ٦٢٢/٧- ٦٤٩، ابن الأثير: الكامل ١٦٨/٥-١٧٥، أبو الفداء: المختصر ٢/ ٤٥٣، اليافعي: مرآة الجنان ١/ ٢٩٨- ٣٠٠، ابن كثير: البداية ١٠/ ٥٨٠- ٥٨٤).

ونزل على عسامة بن عمرو المعافرى[1]، فذكر ذلك صاحب السكة لحميد ابن قحطبة، وقال له: ابعث إليه وخذه. فتوانى حميد فى الأمر وأرسل إلى على ابن محمد يأمره بالاختفاء، فكتب بذلك صاحب السكة إلى أبى جعفر المنصور، فعزل حميدا وولى بدلا منه يزيد بن حاتم (سنة ١٤٤هـ/ سنة ٧٦١م)[2].

وفى بداية ولاية يزيد كانت دعوة بني الحسن قد ظهرت فى مصر وبايع كثير من الناس لعلى بن محمد، وكاد أمر بنى الحسن أن يتم[3]. وكان القائم بدعوة على بن محمد فى مصر خالد بن سعيد بن ربيعة بن حبيش الصدفى[4]، وانضم إلى على بن محمد بعض الأمويين بمصر مثل دحية بن مصعب بن الإصبغ بن مروان[5] ومنصور والأشل وزيد أبناء الإصبغ بن عبدالعزيز بن مروان.

وتشاور الجميع فى كيفية مواجعة يزيد فأشار عليهم دحية أن يبيتوا يزيد ابن حاتم فى العسكر ويضرموا عليه النار. وقال غيره نحوز بيت المال، ومال المتشاورون إلى الرأى الثانى لكراهة خالد بن سعيد أن يبيت يزيد. وسمع مشاورتهم هذه رجل من أهل الصدف فأتى عبد الله بن عبد الرحمن بن حديج- صاحب الشرطة- وأخبره خبرهم، فمضى عبد الرحمن إلى يزيد وأخبره بأمرهم، وكان ذلك فى العاشر من شوال (سنة ١٤٥هـ/ ٧٦٢م)[6].

وسار خالد بن سعيد فى الذين معه فى منتصف الليل وانتهبوا بيت المال، وأرسل يزيد بن حاتم ابن حديج- صاحب شرطته- فى نفر لاستطلاع

---

(١) الكندي: الولاة ص١١١.

(٢) الكندي: الولاة ص١١١، المقريزي: الخطط ١/ ٣٠٧.

(٣) المقريزي: الخطط ١/ ٣٠٧، ابن تغري بردي: النجوم ١/ ٢.

(٤) وهذا لأن جده ربيعة كان من خاصة علي بن أبي طالب وشيعته. (الكندي: الولاة ص١١١،١١٢).

(٥) دحية بن مصعب بن الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان، أمير، من بقايا بني أمية بمصر، خرج علي أميرها إبراهيم بن صالح (سنة ١٦٧هـ)، ودعا لنفسه بالخلافة، وملك صعيد مصر، قاتله الفضل بن صالح العباسي حتي قبض عليه وضرب عنقه (سنة ١٦٩هـ). (الكندي: الولاة ص١١٢، ١٢٩-١٣١، ابن تغري بردي: النجوم ٢/ ٤٩، ٦٠، ٦١).

(٦) الكندي: الولاة ص١١١- ١١٤.

الأمر فانتهوا إلى سوق السراجين فلم يجدوا شيئاً، فذهبوا إلى سوق وردان[1] ومنه إلى سوق الحمام ومنه إلى دور بنى مسكن[2]، فوقف ابن حديج على الباب الذى من ناحية بيت المال وكلم خالداً بن سعيد ليرجع عما أقدم عليه فرفض، وتراشقا بالسهام فى الظلام فأصاب أحدها خالداً فخرج ومعه ولداه- إبراهيم وهدبة- إلى دور بنى سهم وطلب حماية إسماعيل بن حيوة فرفض، فأتى جابر بن حيوة الحضرمى فأواه سبعين ليلة حتى سكن الطلب وهدأ أمره، وقتل فى تلك الليلة- (الحادى أو الثانى عشر من شوال سنة ١٤٥هـ)- من أصحاب خالد ثلاثة عشر رجلاً، وأسر عدد آخر- ربما يقارب العشرين- فأمر يزيد بن حاتم عبد الله بن حديج بإطلاق سراحهم[3] لتيقنه بعدم خطورتهم عليه، ويعنيه فقط أمر الثائر العلوى على بن محمد.

ولما تنامت هذه الأخبار إلى مسامع الخليفة المنصور أمر بردم خليج أمير المؤمنين[4] خشية أن يرسل على بالطعام والميرة من مصر إلى الملتفين حول والده[5]-بالمدينة- فردم يزيد بعض أجزائه قطعاً لطريق الإتصال بين الثائرين من العلويين فى الحجاز وأنصارهم فى مصر[6]، كما منع يزيد أهل مصر من الحج فى هذه السنة (١٤٥هـ/ ٧٦٢م)[7]، لنفس الغرض.

---

(١) سوق وردان: كان يقع بفسطاط مصر وينسب إلي وردان الرومي مولي عمرو بن العاص، من سبي أصبهان. (ياقوت الحموي: معجم البلدان ٣/ ٨٤، ابن عبد الحق: مراصد ٢/ ٧٥٦).

(٢) هذه المناطق اندثرت، وكانت فيما بين أول الحسينية إلي المشهد النفيسي. (المقريزي: الخطط ٢/ ٩٤، ٩٥). ولم يذكر المقريزي شيئاً منها.

(٣) الكندي: الولاة ص١١١ - ١١٤.

(٤) كان هذا الخليج بظاهر القاهرة من جانبها الغربي فيما بينها وبين المقس، وهو خليج قديم احتفره بعض قدماء ملوك مصر، ثم طم فحفره بعض من ملك مصر من الروم، ثم حفره عمرو بن العاص بأمر الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، وجرت فيه السفن تحمل الطعام والمال إلي بلاد الحجاز، وتم حفره في حوالي سنة، وسماه خليج أمير المؤمنين- نسبة إلي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب- رضي الله عنه. (المقريزي: الخطط ١/ ٧١، السيوطي: حسن المحاضرة ١/ ١٥٦، ١٥٧).

(٥) المقريزي: الخطط ١/ ٧١، السيوطي: حسن المحاضرة ٢/ ٣٨٧.

(٦) د/ مصباح (أحمد مجاهد): مصر في ظلال الخلفاء- دار الطباعة المحمدية- مصر- ط(٢) سنة ١٩٧١م- ص١٧٧.

(٧) الكندي: الولاة ص١١٥، المقريزي: الخطط ١/ ٣٠٧، ابن تغري بردي: النجوم ١/ ٢.

كل هذا وعلى بن محمد متخف لا يعرف أحد مكانه، وظل مختفياً من شوال حتى ذى الحجة (سنة ١٤٥هـ/ سنة ٦٧٢م) وبينما الناس فى ذلك قدم البريد برأس عمه إبراهيم بن عبد الله- ثائر البصرة- فى ذى الحجة (سنة ١٤٥هـ)، فنصب فى المسجد الجامع(١)، أياماً ليراها الناس(٢). مما جعل الناس يتخلون عن على بن محمد(٣). وأخمدت الحركة العلوية فى مصر، كما أخمدت فى الحجاز والعراق(٤). مما يؤكد أن التفاف بعض المصريين حول على بن محمد فى بداية أمره كان بدافع الشعور بالعاطفة تجاه أهل البيت وليس لتشيعهم، ومازالت هذه العاطفة لدى المصريين حتى اليوم.

أما الداعية العلوى على بن محمد فقد اختلفت الروايات فى مصيره، فمنها ما يقرر أنه تم القبض عليه وأرسل إلى أبى جعفر المنصور فى بغداد، فأمر بحبسه(٥). وقيل إنه اختفى عند عسامة بن عمرو الذى أنزله قرية له تعرف بطوة(٦)، فمرض على ومات ودفن بها، وحمل عسامة إلى العراق فحبس زماناً، فلما ولى المهدى الخلافة (سنة ١٥٨- سنة ١٦٩هـ/ سنة ٧٧٤-٧٨٥م)- قام أبو عبيد الله الأشعرى- كاتب المهدى- فى أمر عسامة وأدخله إلى المهدى وشفع فيه(٧)، فأمنه المهدى على أن يصدقه عن على ابن محمد، فقال: مات والله يا أمير المؤمنين فى بيتى لا شك فيه. فصدقه المهدى وأمر له بمأتى درهم ورده إلى مصر(٨). وأما خالد بن سعيد- القائم على ثورة على بن محمد - فاستخفى زماناً طويلاً ثم مات فى خلافة المهدى بعد (سنة ١٦٠هـ/ سنة ٧٧٦م)(٩).

(١) السيوطي: حسن المحاضرة ١/ ١٣٢.

(٢) الكندي: الولاة ص١١٤، المقريزي: الخطط ١/ ٣٠٧، ابن تغري بردي: النجوم ١/ ٢.

(٣) د. حسن (حسن علي)، د/ جمال الدين (عبد الله): دراسات في تاريخ مصر الإسلامية- دار الهاني للطباعة سنة ١٩٩٠م- ص٢٢٩.

(٤) د. سيدة كاشف: مصر في عصر الولاة من الفتح العربي إلي قيام الدولة الطولونية- الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٨م- ص٩٣.

(٥) الكندي: الولاة ص١١٥، ابن خلدون:" العبر ٣/ ٢٣١.

(٦) طوة: كورة من بطن الريف، من أسفل الأرض بمصر (ابن عبد الحق: مراصد الإطلاع ٢/ ٨٩٨)، وأسفل الأرض مصطلح كان يطلق علي الأراضي الواقعة في وسط الدلتا.

(٧) للمودة التي كانت بين الأشعريين والمعافر. (الكندي: الولاة ص١١٥).

(٨) الكندي: الولاة ص١١٥. (٩) نفس المصدر السابق.

وبعد انتهاء أمر على بن محمد، وفى بداية السنة التالية (سنة ١٤٦هـ/ سنة ٧٦٣م)- أرسل أبو جعفر المنصور إلى يزيد يأمره بالتحول من العسكر إلى الفسطاط، وأن يجعل الدواوين فى كنائس القصر- قصر الشمع[١]- بسبب ما سبق من الإعتداء على بيت المال أثناء ثورة على بن محمد[٢]. وعلى الجملة لم يحقق العلويون هدفهم فى تحقيق نجاح ملموس فى مصر[٣].

ويلاحظ على هذه الثورة أنها انتهت نهاية ضعيفة، فلم يحقق العلويون شيئاً فى مصر، ولم يستطع يزيد- والى العباسيين- القضاء على على بن محمد، بل ساعدته الظروف بمقتل إبراهيم بن عبد الله- عم على بن محمد- فى العراق، وجئ برأسه إلى مصر ونصبت فى المسجد أياماً، مما أرعب المصريين وجعلهم يتخلون عن على، ولولا ذلك لكان من الممكن أن يطول أمد هذه الثورة، ويكون لها أثرها السياسى والمذهبى فى مصر خلال هذه الفترة.

كما يلاحظ تعاون بعض الأمويين الموجودين فى مصر مع على بن محمد- العلوى- على الرغم من العداء القديم بينهم منذ الصراع بين على ومعاوية- (سنة ٣٦هـ/ سنة ٦٥٦م)، وكان هذا نكاية فى العباسيين الذين قضوا على دولتهم (سنة ١٣٢هـ/ سنة ٧٤٩م)، وقتلوا منهم عدداً كبيراً.

وكذلك لجأت الخلافة العباسية وواليها يزيد إلى أساليب أقرب إلى الخطأ فى مواجهة هذه الثورة العلوية، فأمرت بردم جزء من خليج أمير المؤمنين، ومنعت الناس من الحج (سنة ١٤٥هـ/ سنة ٧٦٢م) لقطع خطوط الإتصال والإمدادات بين العلويين فى مصر والحجاز، تأكيدا لمبدأ الحفاظ على الملك، والذى من أجله ترتكب كل الأخطاء.

---

(١) بناه الوليد بن أرسلاوس. وكان يوقد عليه الشمع في رأس كل شهر وفي معظم الليالي ليعلم الناس أن الشمس انتقلت من البرج الذي كانت فيه إلي برج آخر غيره. وخُرب في زمن بختنصر ابن نيروز الكيلداني، ثم أعاد بناءه رجل من الروم يدعي أرجاليس بن مقراطس، وقبل كجروش الفارسي. وذكر أيضا أنه يعرف بقصر الشمع لأنه كان له باب يقال له باب الشمع. وهو عند حصن أليون، عند الكنيسة المعلقة. (المقريزي: الخطط ١/ ٢٨٧، ٢٨٨).

(٢) الكندي: الولاة ص١١٥، المقريزي: الخطط ١/ ٣٠٧، ابن تغري بردي، النجوم ٢/٢.

(٣) د. حسن، د. جمال الدين: دراسات في تاريخ مصر ص٢٢٩.

القضاء علي خارجي الحبشة (سنة ١٤٧هـ/ سنة ٦٧٤م):

لم يقف نشاط يزيد عند حدود مصر، وإنما تعداها إلى خارجها، فبعد عودته من الحج (سنة ١٤٧هـ/ سنة ٧٦٤م)[١]، أرسل عبد الأعلى بن سعيد الحيشاني[٢] على رأس جيش إلى الحبشة[٣]، لقتال خارجي ظهر بها يدعى أبو ميمون. وتمكن هذا الجيش من قتل أبي ميمون وأصحابه، وقدموا برءوسهم إلى مصر، فنصبت بها أياما ثم حملت إلى بغداد[٤] ،بواسطة المهلب ابن داود بن يزيد بن حاتم[٥]. وكافأ أبو جعفر المنصور يزيد على ذلك، فضم إليه حكم برقة[٦]، وهو أول من ضم له برقة على مصر، وكان ذلك سنة (١٤٨هـ/ سنة ٧٦٥م)[٧] فولى عليها يزيد عبد السلام بن عبد الله بن هبيرة الشيباني[٨].

بعض إصلاحات يزيد في مصر:

اهتم يزيد بشئون رعيته، فقد شكت إليه المعافر[٩] بعد الماء عنهم[١٠]،

---

(١) الكندي: الولاة ص١١٥، ١١٦، ابن تغري بردي: النجوم ٢/ ٣.

(٢) لم أعثر له علي ترجمة، ولعله كان له علم بالطريق إلي هذه البلاد بواسطة التجارة أو غيرها.

(٣) الحبشة: سميت بالحبشة لأن أهلها من نسل حبش بن كوش بن كنهان بن حام بن نوح عليه السلام، وأولها من الجهة الغربية مالي، ومن الجهة الشرقية بحر الهند واليمن. وأهلها يشبه بعضهم العرب، والبعض الآخر يشبه أهل السودان. (القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي): صبح الأعشي في صناعة الإنشاء- دار الكتب المصرية سنة ١٩٢٢م- ٥/ ٣٠٣، الرمزي (خليفة بن أبي الفرج): الرونق الحسان في فضائل الحبشان- مخطوط في مكتبة الأزهر- رقم ٣٩٢٢ خاص- ورقة ٢ ب، أحمد القنائي: الجواهر الحسان في تاريخ الحبشان- طبعة بولاق- ط(١) سنة ١٣٢١هـ- المقدمة ص و، م، ش).

(٤) الكندي: الولاة ص١١٦، المقريزي: الخطط ١/ ٣٠٧، ابن تغري بردي: النجوم ٢/ ٣.

(٥) الكندي: الولاة ص١١٦.

(٦) برقة: تقع بين الإسكندرية وإفريقيتو واسم مدينتها أنطابلس- أي الخمس مدن- وهي كثيرة الخيرات والفواكه (ياقوت الحموي: معجم البلدان ١/ ٣٨٨، ٣٨٩، ابن عبد الحق، مراصد ١/ ١٨٦، ١٨٧). وكان قد فتحها عمرو بن العاص (سنة ٢٢هـ/ سنة ٦٤٢م)، وصالح أهلها علي ثلاثة عشر ألف دينار يؤدونها إليه جزية. (ابن عبد الحكم: فتوح ص١٧٠، السيوطي: حسن المحاضرة ١/ ١٤٤).

(٧) المقريزي: الخطط ١/ ٣٠٧، ابن تغري بردي: النجوم ٢/ ٣.

(٨) الكندي: الولاة ص١١٦.

(٩) المعافر: ولد يعفر بن مالك بن الحارث، وهم باليمن، والأندلس، ومصر. (ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ص ٤١٨).

(١٠) الكندي: الولاة ص١١٥.

وكانوا بالقرب من جبل المقطم[١]، فابتنى فسقية المعافر وأجرى إليها الماء من ساقية أبي العون، وأنفق عليها مالا عظيما، أثار حفيظة الخليفة أبا جعفر المنصور واعترض بشدة على كثرة إنفاق هذا المال[٢]، الذى ربما كان عشرة آلاف دينار. ولاشك أن هذا من الأعمال التى تحسب ليزيد فى ولايته لمصر، وإنه لأمر طيب أن يستجيب الوالى لمطالب رعيته وينفذها على الفور مهما كلفه ذلك من مال، خاصة إذا كان الأمر يتعلق بأمر حيوى جوهرى كالماء.

وهذا ما أكدته الأحداث بإحسان وتوسعة يزيد على المصريين خلال فترة ولايته- (سنة ١٤٤- سنة ١٥٢هـ)- فقد دخل أبو اليقظان القيسى على يزيد بن حاتم وعنده هاشم بن حديج، وكان على أبى اليقظان حلة وكساء خز[٣] فقال له هاشم: الحمد لله أبا اليقظان، لبستم الوشى بعد العباء[٤]! قال: أجل، تحوكون ونلبس، فلا عدمتم هذا منا، ولا عدمنا هذا منكم[٥].

ثورة القبط[٦] بسخا[٧] (سنة ١٥٠هـ/ ٧٦٦م):

لم تشر المصادر إلى سبب هذه الثورة، ولكن بالرجوع إلى ثورات القبط- أو تذمرهم- فى مصر فى عصر الولاة نجد أنها كانت لأسباب، منها:

---

(١) السيوطي: حسن المحاضرة ١/ ١٣٧. وكانوا في بداية نزولهم مصر مع عمرو بن العاص بجوار مسجده فأذاهم البعوض، فشكوا ذلك إلي عمرو فنقلهم إلي المقطم. (ابن عبد الحكم: فتوح ص ١٢٦، ١٢٧).

(٢) الكندي: الولاة ص١١٥.

(٣) كساء خز: ثياب تنسج من صوف وحرير، وهي مباحة، لبسها الصحابة والتابعون، وكان النهي عنها لأجل التشبه بالعجم وزي المترفين. (ابن منظور: لسان العرب ٢/ ١١٤٩).

(٤) الوشي: وشي الثوب: حسنه، والثياب الموشية، أي المنقوشة. (ابن منظور: لسان العرب ٦/ ٤٨٤٧). والعباء: جمع عباية، وهي ضرب من الأكسية، مشقوق بلا كمين، يلبس فوق الثياب. (ابن منظور: لسان العرب ٤/ ٢٧٩١، المعجم الوسيط- دار الفكر- ط(٣) سنة ١٩٨٥م- ٢/ ٦٠٠).

(٥) ابن عبد ربه: العقد ٤/ ١٣٣.

(٦) ينسب القبط إلي: قبطيم بن مصرايم بن حام بن نوح عليه السلام. وهو أول من عمل العجايب بمصر وأثار بها المعادن وشق الأنهار. وكان القبط علي الوثنية ثم تنصروا. (المقريزي: الخطط ٢/٤٨١).

(٧) سخا: كورة بمصر، وهي قصبة الغربية، وتعني التربة اللينة، فتحها خارجة بن حذافة أثناء فتح عمرو بن العاص لمصر. (ياقوت الحموي: معجم البلدان ٣/ ١٩٦).

بعض القيود التى كانت توضع عليهم، فى ملابسهم بإظهار مناطقهم[١]، وجز نواصيهم، وفى مركبهم بالإقتصار على ركوب البغال والحمير دون الخيل، وأن يكون ركوبهم عليها عرضا[٢] بهدف سهولة التمييز فى الشكل بين المسلمين والأقباط، وتعطيل بعض حانات الخمور وكسرها، وعزل بعض الأقباط عن مناصبهم، والإعتداء على بعض كنائشهم وهدم بعضها، وخاصة المحدثة بعد العهد العمرى[٣].

ويلاحظ أن هذه القيود لم تكن ذات بال إذا قورنت باضطهاد المسيحيين فى مصر أيام الإمبراطور الوثنى «دقلديانوس»، أو باضطهادهم أيام الإمباطور المسيحى «هرقل»، بسبب اختلاف المذهب[٤]. ولم تكن مستمرة وإنما كانت تنفذ حين صدورها بمتهى الدقة، بيد أن التمسك بها كان يقل تدريجيا بمرور الوقت، ليعود المسلمون بعدها إلى التسامح المطلق إزاء أهل الذمة من الأقباط[٥]، وتطلق لهم حرية ممارسة شعائرهم الدينية، وحرية الإحتفال بأعيادهم[٦]، ويسمح لهم بتجديد بناء بعض الكنائس، بل ويتولى بعضهم مناصب إدارية خاصة الوظائف المالية[٧]. وبالرجوع إلى ولاية يزيد فى مصر - (١٤٤- ١٥٢هـ) يتضح أنه لم يأمر بشئ من هذه القيود على الأقباط وتمتعوا فى عهده بحرية كاملة.

---

(١) المناطق: جمع منطقة، وهي كل ما يشد به وسط الرجل والمرأة. (ابن منظور: لسان العرب ٦/ ٤٤٦٢).

(٢) الماوردي (علي بن محمد بن حبيب): الأحكام السلطانية والولايات الدينية- دار الفكر- مصر (١) سنة ١٩٨٣م- ص ١٢٦،١٢٧، المقريزي: الخطط ١/ ٧٦، السيوطي: حسن المحاضرة ١/ ١٤٥.

(٣) د/ عبد الرازق (أحمد): مصر الإسلامية: مكتبة سعيد رأفت- عين شمس سنة ١٩٨٤- ص٦٣-٦٧.

(٤) د/ سيدة كاشف: مصر في عصر الولاة ص١١٨.

(٥) د. سيد كاشف: مصر في عصر الولاة ص١٢١، د. عبد الرازق: مصر الإسلامية ص٦٦.

(٦) كان للنصاري في مصر أربعة عشر عيدا في كل سنة قبطية، منها سبعة أعياد كبيرة، وسبعة أعياد صغيرة، من الكبيرة: عيد البشارة، والفصح، وسبت النور، وعيد الصليب، ومن الصغيرة: عيد الختان، وخميس العهد، وأحد الحدود. (المقريزي: الخطط ١/ ٢٦٤- ٢٦٨).

(٧) د. الخربوطلي (علي حسني): مصر العربية والإسلامية- الأنجلو المصرية سنة ١٩٦٣م- ص٥٤، د. سيدة كاشف: مصر في عصر الولاة ص١١٥- ١١٧.

ومن عوامل تذمر القبط أيضا أمر الجزية[(١)]، فأحيانا كان يحدث تشدد فى جمع الجزية منهم، وهذا فى القليل النادر جدا، والثابت أن المسلمين كانوا غاية فى العدل والتسامح مع أهل الذمة فى أمر الجزية، فكانت تؤخذ ممن بلغ مبلغ الرجال دينارين فى السنة، وأعفى منها النساء والأطفال والشيوخ[(٢)]. وفى المقابل كانت تتعهد الحكومة الإسلامية بحماية أرواح أهل الذمة وممتلكاتهم وتعفيهم من الخدمة العسكرية[(٣)]، ولم تعطنا المصادر أية إشارة إلى تعنت يزيد مع القبط فى تحصيل الجزية.

وأيضا من دوافع ثورات القبط أمر الخراج[(٤)]، وكان عليهم لكل فدان نصف إردب وويبتين من شعير- والويبة ستة أمداد-[(٥)]. وأحيانا يزاد على هذا أو يقل عنه، يقول السيوطى[(٦)]: «إذا عمرت القرية وكثر أهلها زيد عليهم، وإن قل أهلها وخربت نقصوا». وكانت الأعباء المالية التى تحملها المصريون فى العهد الإسلامى أخف وطأة عن مثيلتها فى العهد البيزنطى بكثير[(٧)].

ولكن أحيانا كان يتشدد بعض الولاة فى زيادة الخراج وجمعه، وعبر عن هذا السيوطى بقوله: «وكانت الولاة تتشدد فى طلب ذلك- (الخراج)- مرة وتسامح به مرة»[(٨)]. وكانت الزيادة فى الخراج والتشدد فى طلبه من أهم العوامل المحركة لثورات الأقباط فى مصر.

(١) الجزية: مشتقة من الجزاء، أي جزاء أماننا لأهل الذمة، وهي موضوعة علي الرأس، ومشروعة بقوله تعالي: «حتي يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون»- التوبة ٢٩- وتسقط بالإسلام. (الماوردي: الأحكام السلطانية ص١٢٥، ١٢٦).

(٢) الماوردي: الأحكام السلطانية ص١٢٥، المقريزي، الخطط ١/ ٧٦، السيوطي: حسن المحاضرة ١/ ١٤٥.

(٣) الماوردي: الأحكام السلطانية ص١٢٧، د. الخربوطلي: مصر العربية الإسلامية ص٦٤.

(٤) الخراج: هو ما وضع علي رقاب الأرض من حقوق تؤدي عنها، وفيه نص من الكتاب، قال تعالي: «أم تسألهم خرجا فخراج ربك خير وهو خير الرازقين»- المؤمنون ٧٣- (الماوردي: الأحكام السلطانية ص١٢٧). وكان خراج مصر في عهد الأمويين والعباسيين يقارب الثلاثة ملايين دينار. ويؤخذ عن الأراضي التي تزرع حبوبا ونخلا وعنبا وفاكهة، وما يؤخذ من الفلاحين هدية مثل الغنم والدجاج. (المقريزي: الخطط ١/ ٩٨، ١٠٣).

(٥) السيوطي: حسن المحاضرة ١/ ١٤٦.

(٦) المصدر السابق ١/ ١٤٥.

(٧) د. حسن، د. جمال الدين: دراسات في تاريخ مصر ص٤٤.

(٨) حسن المحاضرة ١/ ٨٢.

على أن الأقباط لم يقفوا مكتوفى الأيدى طوال العمر الإسلامي أمام مطالب الخلافة المالية بل قاوموها، وبدأت المقاومة فى البداية سلبية، إذ أخذت جماعات الزراع يهربون من منطقة إلى أخرى، فعمد الولاة إلى قمع تلك الحركة بالتشدد فى مراقبة الزراعة والهجرة. ثم بدأ الأقباط يتركون سبيل المقاومة السلبية ويقاومون حكومة الخلافة مقاومة إيجابية(١). فقد قام القبط فى الوجه البحرى بأول ثورة لهم ضد العرب (سنة ١٠٧هـ/ ٧٢٥م) فى خلافة هشام بن عبد الملك(٢)، على أثر ما قام به عامل الخراج عبيد الله ابن الحبحاب(٣) من زيادة الخراج- الضرائب- زيادة كبيرة(٤)، وبعدها ثورة أقباط الصعيد فى ولاية حنظلة بن صفوان(٥) (سنة ١٢١هـ/ ٧٣٨م)، وثورة القبط فى سمنود(٦) (سنة ١٣٢هـ/ ٧٤٩م)، وثورة أقباط رشيد(٧) فى نفس السنة

(١) د. سيد كاشف: مصر في عصر الولاة ص١٣٣، ١٣٤.

(٢) هشام بن عبد الملك بن مروان، من خلفاء الدولة الأموية، ولد في دمشق، وبويع فيها بعد وفاة أخيه يزيد (سنة ١٠٥هـ). وخرج عليه زيد بن علي بن الحسين (سنة ١٢٠هـ) فوجه إليه من قتله. اجتمع في خزانته من المال الكثير، وبني الرصافة، وتوفي بها (سنة ١٢٥هـ)، وكان حسن السياسة. (الطبري: تاريخ الأمم ٧/ ٢٠٠- ٢٠٨، ابن الأثير: الكامل ٤/ ٤٦٥- ٤٦٧، أبو الفداء: المختصر ١/ ٢٠٤، ٢٠٥، اليافعي: مرآة الجنان ١/ ٢٦١- ٢٦٣).

(٣) عبيد الله بن الحبحاب السلولي الموصلي، أمير من الرؤساء النبلاء الخطباء، نشأ كاتبا، وولي مصر زمنا، ثم نقله هشام بن عبد الملك إلي أفريقية (سنة ١١٧هـ) فضبط أمورها، وأنشأ بتونس دار صناعة للسفن، وكذلك جامع الزيتونة، وأساء بعض عماله في المغرب فعزله هشام (سنة ١٢٥هـ). (ابن الأثير: الكامل ٤/ ٤١٦، ٤١٧، ابن تغري بردي: النجوم ١/ ٢٥٨، السلاوي: الإستقصا ١/ ٩٤- ٩٨).

(٤) كان قد زاد علي القبط قيراطا في كل دينار. (المقريزي: الخطط ٢/ ٤٩٢).

(٥) حنظلة بن صفوان الكلبي، أبو حفص، أمير، من القادة الشجعان، من أهل دمشق، استخلفه أخوه بشر علي إمارة مصر (سنة ١٠٣هـ)، وأقره يزيد بن عبد الملك، فلما تولي هشام عزله عنها (سنة ١٠٥هـ)، ثم أعاده إليها (سنة ١١٩هـ)، وظل بها حتي (سنة ١٢٤هـ) وولي إفريقية، وتمكن من قمع ثورة للبربر فيها، توفي (سنة ١٣٠هـ). (الذهبي: تاريخ الإسلام ٣/ ٤٧٨، السلاوي: الإستقصا ١/ ١٠١، ١٠٢، الزركلي (خير الدين): الأعلام- دار العلم للملايين- بيروت ط(٩) سنة ١٩٩٠م- ٢/٢٨٦، ٢٨٧).

(٦) سمنود: بلد في نواحي مصر، جهة دمياط، علي ضفة النيل، بينها وبين المحلة ميلان، وينسب إليها الشاعر هبة بن محمد السمنودي. (ياقوت الحموي: معجم البلدان ٣/ ٢٥٤، ابن عبد الحق، مراصد ٢/ ٧٣٨).

(٧) رشيد: بلد علي ساحل البحر الموسط، شرقي الإسكندرية، وخرج منها جماعة من المحدثين منهم: عبد الوارث بن إبراهيم بن فرس، ويحيي بن جابر، وسعيد بن سابق. (ياقوت الحموي: معجم البلدان ٣/٤٥، ابن عبد الحق: مراصد ٢/ ٦١٧).

أيضا- (سنة ١٣٢هـ)-، ثم كانت ثورتهم فى ولاية يزيد بن حاتم (سنة ١٥٠هـ/ ٧٦٧م)[١]. ولعل ما يؤكد أن سبب هذه الثورة كان الزيادة فى الخراج، أن المقريزى ذكرها هنا عقب سياقه لثوراتهم من (سنة ١٠٧- ١٣٢هـ) وهذا هو سبب ثورتهم (سنة ١٥٠هـ)- والله أعلم.

وعليه فقد تحرك الأقباط وثاروا بمدينة سخا، ونابذوا عاملها عبد الجبار ابن عبد الرحمن الأزدى[٢]، وصاروا إلى شبرا سنباط[٣] وقاتلوا عبد الجبار، وانضم إليهم أهل البشرود والأوسية والبجوم[٤]، مما مكنهم من تكوين جيش قوى صوره المقريزى بقوله: «وصاروا فى جمع عظيم»[٥] فأتى الخبر يزيد بن حاتم فعقد لنصر بن حبيب المهلبى[٦] على رأس جيش كبير[٧] فخرج إليهم، فبيتهم القبط وقتلوا منهم مقتلة عظيمة[٨].

وأصيب قائد الجيش نصر بن حبيب بطعنتين، وقتل عبد الجبار بن

---

(١) المقريزي: الخطط ١/ ٧٩.

(٢) لم أعثر له علي ترجمة.

(٣) شبرا سنباط: ويقال لها سنبوطية، وهي بليد حسن في جزيرة قويسنا من نواحي مصر. (ياقوت الحموي: معجم البلدان ٣/ ٢٦١، ابن عبد الحق: مراصد ٢/ ٧٤٣).

(٤) البشرود: كورة من كور بطن الريف بمصر من أسفل الأرض. (ياقوت الحموي: معجم البلدان ١/ ٤٢٨، ابن عبد الحق: مراصد ١/ ٢٠٠).

الأوسية: بلد بمصر من ناحية أسفل الأرض، يضاف إليها كورة، فيقال: كورة الأوسية والنجوم. (ياقوت الحموي: معجم البلدان ١/ ٢٨١، ابن عد الحق: مراصد ١/ ١٣٢).

البجوم: بلد يضاف إليه كورة من كور أسفل الأرض. (ياقوت الحموي: معجم البلدان ١/ ٣٤٠، ابن عبد الحق: مراصد ١/ ١٦٤).

(٥) الخطط ٢/ ٤٣٩. وأظنه - والله أعلم- من تسعة إلي عشرة آلاف، لو خرج من كل منطقة من المناطق الستة ألف ونصف تقريبا.

(٦) نصر بن حبيب المهلبي، أمير كان علي شرطة يزيد بن حاتم بمصر- فترة- وإفريقية، وهو الذي وجهه يزيد لقتال القبط (سنة ١٥٠هـ)، وأصيب بطعنتين. ولاه الرشيد إفريقية (سنة ١٧٤هـ)، فأقام بها سنتين وثلاثة أشهر، وحمدت سيرته ثم عزله وولي الفضل بن روح بن حاتم (سنة ١٧٧هـ). (الكندي: الولاة ص١١٦، ١١٧)، ابن عذاري: البيان ١/ ٨٥، الزركلي: الأعلام ٨/٢٢).

(٧) لم تقدره المصادر، وعادة هذه الجيوش التي كانت تخرج لإخماد مثل هذه الثورات والفتن كان يتراوح عددها من خمسة إلي سبعة آلاف مقاتل، والله أعلم.

(٨) الكندي: الولاة ص١١٦، المقريزي: الخطط ١/ ٧٩، ابن تغري بردي: النجوم ٢/ ٣.

عبد الرحمن والى سخا، وطعن محمد بن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج[١] ، فاضطر الجيش إلى إلقاء النار فى عسكر القبط وانصرفوا إلى الفسطاط منهزمين[٢] . ويعلق المقريزى على هزيمة هذا الجيش بقوله: «فبعث إليهم - (يزيد)- جيشا فشتته القبط ورجع منهزما»[٣] . وأما ابن تغرى بردى فيقول: «فقاتله - (جيش يزيد)- القبط وكسروه، فرد الجيش منهزما»[٤] .

وهذا أول نصر للأقباط فى ثوراتهم على الولاة منذ فتح مصر- (سنة ٢٠هـ، ٦٤٠م)- فقد هزموا من قبل فى (سنة ١٠٧، ١٢١، ١٣٢، ١٣٥هـ)، مما يشير إلى مدى القوة التى كان عليها الأقباط، وأنهم استطاعوا بعد أن تجمعوا من أكثر من مكان أن يلحقوا الهزيمة بجيش يزيد، ويقتلوا عدة من جنده[٥] .

ويرى البعض أن هذه الثورة لم تكن ذات صبغة قومية بالمعنى الصحيح، وإنما كانت حركة غير منظمة- على الرغم من انتصارهم- هدفها خفض الضرائب أو الهرب من دفعها[٦] . ولم تصل إلى مرحلة التخلص من حكم الولاة والإستقلال بحكم مصر والإنفصال بها عن حكم الخلافة، كما حدث ببلاد المغرب[٧] .

كان هذا هو الغالب على هذه الثورة، ولكنى لا أجردها تماما من الصبغة المذهبية والقومية، بدليل أن معظم عناصرها كانت من غير المسلمين، وانحياز أقباط البشرود والأوسية والبجوم إلى أقباط سخا. فلو كان السبب زيادة الخراج على أقباط سخا، فما الذى دفع أقباط هذه المناطق للإنحياز إليهم؟! ثم إن مقدار الخراج الذى كان يؤخذ منهم كان معقولا بحسب حالة الأرض، كما أكدت المصادر، وإن كان هناك زيادة طفيفة- قيراطا فى كل دينار- فلم تكن بالسبب الذى يؤدى إلى تجمع أقباط أربعة مدن للثورة ضد

---

(١) الكندي: الولاة ص١١٦، المقريزي: الخطط ١/ ٧٩.
(٢) الخطط ١/ ٣٠٧.
(٣) النجوم ٢/ ٣.
(٤) د. عبد الرازق: مصر الإسلامية ص٦٩، ٧٠.
(٥) د. جمال، د/حسن: دراسات في تاريخ مصر ص٢٢٧.
(٦) د. سيدة كاشف: مصر في عصر الولاة ص١٣٥.
(٧) د. حسن، د. جمال الدين: دراسات في تاريخ مصر ص٢٠٠، ٢١٨.

الوالى العباسى.

أما عن سبب انتصارهم فربما كان راجعا إلى أنهم كانوا يملكون المال الوفير الذى مكنهم من شراء السلاح وتجنيد الجنود. وربما أيضا -وهو الأقوى- بسبب تجمعهم- أقباط سخا وشبرا والبشرود والأوسية والبجوم، على العكس من الثورات السابقة- (سنة ١٠٧- ١٣٥هـ)- والتى كان يقاتل فيها أقباط كل منطقة وحدهم، مما مكن الولاة من الإنتصار عليهم وإخفاق يزيد معهم. كما يؤخذ فى الإعتبار عامل معرفة الأقباط بدروب ومسالك سخا والمناطق المجاورة لها بحكم أنهم يقطنونها منذ فترة طويلة، بدليل أنهم بيتوا جيش يزيد وفاجأوه، مما أوقع فيه الخلل والإضطراب ولم يقو على الصمود والتماسك، فاضطر للعودة إلى مصر منهزما.

عزل يزيد عن ولاية مصر (سنة ١٥٢هـ/ ٧٦٩م):

وليس هناك أدنى شك أن هزيمة جيش يزيد أمام القبط (سنة ١٥٠هـ) كان لها أثرها فى مصر وبغداد، أما فى مصر فقد رفع هذا النصر روح الأقباط المعنوية، وهو أول انتصار لهم فى مصر الإسلامية، مما جعلهم يشعرون بقوتهم العسكرية.

وأما فى بغداد فقد أغضب هذا النصر الخليفة أبو جعفر المنصور، مما دفع بعض المؤوخين إلى التأكيد بأنه كان السبب المباشر لعزل يزيد عن مصر (فى شهر ربيع الآخر سنة ١٥٢هـ/ ٧٦٩م)(١).

ولا أميل إلى هذا الرأى لأن الثورة كانت (سنة ١٥٠هـ) وعزله عن مصر كان (سنة ١٥٢هـ)، فلو كان عزله بسبب إخفاقه فى مواجهة الأقباط لعزل فى نفس السنة، ولكنه ظل بعدها سنتين واليا على مصر. وأرجح أن يكون عزله عن مصر كان للإستعانة به فى إفريقية التى نشط بها الخوارج(٢)

(١) الكندي: الولاة ص١١٧، المقرزي: الخطط ١/ ٣٠٧، ابن تغري بردي: النجوم ٢/ ٣.

(٢) الخوارج: كل من خرج علي الإمام الحق الذي اتفقت عليه الجماعة يسمي «خارجيا» الشهرستاني (محمد بن عبد الكريم): الملل والنحل- الأنجلو المصرية سنة ١٩٥٩م- ص١٠٥). وظهر الخوارج علي مسرح الأحداث أثناء الصراع بين علي ومعاوية وموقعة صفين (سنة ٣٧هـ)، وما ترتب عليها من مسألة التحكيم، ورفض الخوارج له. وخروجهم علي علي بن أبي طالب ومعارضتهم له حتي قاتلهم في النهروان، مما جعلهم يضمرون قتله (سنة ٤٠هـ). =

وكانوا فى مرحلة قتال مع مهلبى آخر هو عمر بن حفص(1). فربما عزله المنصور ليرسله إلى إفريقية في أى لحظة يخفق فيها عمر، فلما أخفق (سنة ١٥٤هـ) وقتله الخوارج، على الفور أرسل المنصور يزيدا إلى إفريقية. خاصة وأن ولاية مصر قريبة جغرافيا من بلاد المغرب، ويعرف واليها- يزيد أو غيره- الكثير من المعلومات عن طبيعة هذه البلاد وسكانها. ولو كان عزله لعجزه عن مواجهة الأحداث، كما هو الحال فى ثورة الأقباط (سنة ١٥٠هـ)- لما استعانت به الخلافة ضد خوارج المغرب (سنة ١٥٤هـ). وربما كان عزله بسبب زيادته للخراج مما أثار الأقباط وإصرار يزيد على استمرار هذه الزيادة حتى بعد الثورة. أو ربما كان عزله لقلة إنجازاته.

ويصور الشاعر ربيعة الرقى حال أهل مصر وحزنهم على عزل يزيد عن ولايتهم بقوله:

بكى أهل مصر بالدموع السواجم(2) غداة غدا عنها الأغر بن حاتم(3)

وكانت ولايته لمصر سبع سنين وأربعة أشهر(4)، ووليها بعده عبد الله بن عبد الرحمن ابن معاوية بن حديج(5).

= والخلافة عندهم يجب أن تكون باختيار حر من المسلمين، وليس بضروري أن يكون الخليفة قرشيا، ويرون الخروج علي الإمام إذا خالف السنة أو حقا واجبا. وأهم فرقهم: المحكمة، والأزارقة، والصفرية، والأباضية. (البغدادي (عبد القاهر بن طاهر): الفرق بين الفرق- مطبعة المعارف مصر سنة ١٩٢٤م- ص٦٥-٦٦، ابن حزم (علي بن محمد): الفصل في الملل والأهواء والنحل- مكتبة السلام العالمية- مصر سنة ١٣٤٨هـ- ٤/ ١٤٤، ١٤٥، الشهرستاني: الملل والنحل ص١٠٥، ١٠٦، أمين (أحمد): فجر الإسلام - النهضة المصرية - ط٣ سنة ١٩٨٢م- ص٢٥٦- ٢٦٥.

(1) عمر بن حفص بن عثمان بن قبيصة بن أبي صفرة المهلبي، أمير من الأبطال، كانت العجم تسميه «هزارمرد» أي ألف رجل، ولي إمارة السند للمنصور مدة، ثم وجهه أميرا إلي إفريقية (سنة ١٥١هـ)، وقاتل بها البربر والخوارج زمنا حتي حاصروه في القيروان وقتلوه بها (سنة ١٥٤هـ). (الطبري: تاريخ الأمم ٨/ ٤٢، ابن الأثير: الكامل ٥/ ٢٠٥، السلاوي: الإستقصا ١/ ١١٧، ١١٨).

(2) السواجم: السجم: هو قطران الدمع وسيلانه، قليلا كان أو كثيرا، (ابن منظور: لسان العرب ٣/ ١٩٤٧).

(3) ابن عبد ربه العقد ١/ ٢٥٨، ابن تغري بردي: النجوم ٢/ ٢.

(4) الكندي: الولاة ص١١٧، المقريزي: الخطط ١/٣٠٧، ابن تغري بردي، النجوم ٢/ ٣.

(5) الكندي: الولاة ص١١٧، ابن تغري بردي: النجوم ٢/٣، ابن إياس (محمد بن أحمد): بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفي- الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٢م- ح١ ق١/١٣٥.

وبتحليل فترة ولاية يزيد لمصر (سنة ١٤٤- ١٥٢هـ) يتضح أنها حوت بعض الإيجابيات، مثل: تثبيت حكم العباسيين فى مصر، فقد جابه العلويين بقيادة على بن محمد النفس الزكية (سنة ١٤٥هـ)، وقطع خطوط الإتصال بينه وبين الثوار الملتفين حول والده فى بلاد الحجاز بردم جزء من خليج أمير المؤمنين ومنع المصريين من الحج (سنة ١٤٥هـ)، مما حرم محمد النفس الزكية من مساعدة المصريين له بالرجال والمال والطعام والسلاح.

كما أمن يزيد حدود مصر الجنوبية بالتصدى لخوارج الحبشة، ومعروف طبيعة العلاقة العدائية بين الخوارج والخلافة العباسية، بسبب نظريتهم فى الحكم.

كما قام يزيد ببعض الإصلاحات القليلة،كمد الماء إلى بنى المعافر بالقرب من المقطم.

كما كان هناك بعض السلبيات، منها قيامه بردم جزء من خليج أمير المؤمنين، وكان من الممكن قطع خطوط الإتصال بين مصر والحجاز بإحكام مراقبة الطرق المعروفة فى هذا الوقت، كما أخفق يزيد أمام ثورة أقباط سخا (سنة ١٥٠هـ)، وهزم جيشه وقتل عدد كبير منهم (فكانت ولاية يزيد لمصر متوسطة النجاح).

ولاية يزيد بن حاتم افريقية (سنة ١٥٤هـ/ ٧٧٠م):

كان المذهب السنى هو السائد بين السكان فى شمال أفريقيا لأنهم تلقوا عقديتهم عن الصحابة والتابعين الذين أخذوا أصول اعتقادهم من الكتاب والسنة[١]، وخلال القرن الثانى الهجرى حدثت تطورات وتغييرات فى المغرب نتيجة الظروف السياسية والمذهبية التى عاشها المغرب، ووضحت التيارات المذهبية ودخل المذهب الخارجى الصفرى[٢] الذى يمثل النزعة اليسارية،

(١) د/ زيتون (محمد محمد): القيروان ودورها في ازدهار الحضارة الإسلامية- دار المنار- القاهرة- ط(١) سنة ١٩٨٨م- ص٢٣١.

(٢) الصفرية: أصحاب زياد بن الأصفر. وهم لا يكفرون القعدة عن القتال، إذا كانوا موافقين في الدين والإعتقاد، ولم يسقطوا حد الرجم، ويجيزون التقية، ولا يرون قتل أطفال مخالفيهم (البغدادي: الفرق بين الفرق ص٧٠، الشهرستاني: الملل والنحل ١/ ١٢١، ١٢٢).

والإباضى(١) الذى هو أكثر اعتدالا(٢). وقد انتشرت هذه الدعوة بسهولة بين البربر(٣) حيث لاقت فى نفوسهم أرضا خصبة، لأنها -من وجهة نظرهم- دعوة ديمقراطية تدعو إلى المساواة(٤)، ولعب الخوارج الذين قدموا من العراق على هذا الوتر، مستغلين بعد المغرب الإسلامى عن مركز الإدارة العربية فى الشام والعراق(٥). وجهل البربر وبغضهم ولاتهم العرب الذين يفرضون الضرائب العالية عليهم(٦). وزيادة من أبناء المغرب فى التعرف أكثر على مبادئ هذا المذهب-الخارجى- أخذوا فى الرحلة إلى المشرق للدراسة والتحصيل، وعادوا ينشرون ما تعلموه، فأقاموا المجالس وعقدوا الندوات، وأثمر ذلك العديد من الدعاة المحليين(٧).

وانتشر المذهب الخارجى بين البربر، الذين أخذوا على عاتقهم مقاومة نظام الحكم العربى، ويصور ميور ثورات البربر فى بداية العصر العباسى بقوله:

---

(١) الإباضية: نسبة إلي عبد الله بن إباض، الذي خرج أيام مروان بن محمد- (سنة ١٢٧-١٣٢هـ) وهم يجيزون التزوج من مخالفيهم، ويتوارثون معهم، ويحرمون قتل مخالفيهم غيلة، ويرون أن دار مخالفيهم من أهل الإسلام دار توحيد، إلا معسكر السلطان، ومرتكب الكبيرة عندهم موحد لا مؤمن، ولا يزال أتباعهم في المغرب إلي اليوم. (البغدادي: الفرق بين الفرق ص٨٢، ٨٣، الشهرستاني: الملل والنحل ١/ ١٢١، د/ أمين: فجر الإسلام ص٢٦٠).

(٢) د حسن (حسن علي): الحياة الدينية في المغرب في القرن الثالث الهجري- دار النمر للطباعة مصر سنة ١٩٨٥- ص٩٧،٩٨، باجيه (صالح): الأباضية بالجريد في العصور الإسلامية الأولي- دار بو سلامة للنشر والتوزيع- تونس- ط(١) سنة ١٩٧٦م- ص٢٩.

(٣) البربر: قوم من بقايا ولد حام بن نوح عليه السلام، وهم بطون عظيمة جدا، منها: برنس، وكتامة، وصنهاجة، ومصمودة، وأورية، وغيرها. (ابن حزم:جمهرة أنساب العرب ص٤٩٥-٤٩٨). وهم سكان المغرب القديم، ويغلب عليهم الطبيعة البدوية، فبيوتهم من الخوص والشجر والشعر والوبر والحجارة والطين. ويعتمدون علي حياة المراعي، ويلبسون الصوف، ولغتهم البربرية، وسموا بها، وكانوا علي المجوسية، ثم النصرانية، ثم الإسلام. (ابن خلدون: العبر ٦/ ١٠٤، ١٢٥).

(٤) د/حسن (حسن إبراهيم: تاريخ الإسلامي السياسي- النهضة المصرية -ط(٩ سنة ١٩٨٠م-٢/٢٠٧، د/ محمود (حسن أحمد)، د/ الشريف (أحمد إبراهيم): العالم الإسلامي في العصر العباسي.- دار الفكر العربي- مصر ط(٥)- بدون ص٤٠٢، ٤٠٥.

(٥) د/ محمود، د/ الشريف: العالم الإسلامي في العصر العباسي ص٤٠٥، د/ حسين (طاهر راغب): محاضرات في تاريخ المغرب والأندلس- دار الثقافة- مصر ١٩٩٠م- ص٨٥،٨٦.

(٦) د/ حسن: تاريخ الإسلام السياسي ٢/ ٢٠٧.

(٧) د/ حسن: الحياة السياسية ص١٧٢، ١٧٣.

«إن إفريقية كادت تخرج عن طاعة العباسيين فى معظم عهد المنصور، وأن البربر والعرب النازلين فيها مالوا إلى مبادئ الخوارج، وخلعوا طاعة العباسيين الذين أخذوا يرسلون إليهم الجيوش لإخضاعهم، ولكن دون جدوى، واستمرت مدينة القيروان تسقط فى أيدى الثوار حينا، وفى أيدى العباسيين حينا آخر إلى قبيل نهاية خلافة المنصور»[١].

ولم يكن قيام الخوارج من البربر على العباسيين خروجا على الدين، بل كان خروجا على السلطة الحاكمة[٢]. ونزعة منهم إلى الإستقلال الذى كان أساس حياتهم أزمانا طويلة[٣]. واتسمت نزعة الخوارج هذه- الإستقلالية- بالشدة، يقول ابن عبد ربه[٤]: «وكانت الخوارج تقاتل على السوط يؤخذ منها والعلق الخسيس أشد قتال».

ورغبة من العباسيين فى الحفاظ على سلطانهم بالمغرب، وقع اختيارهم على أسرة قوية هى أسرة المهالبة[٥] التى اشتهرت فى المشرق قبل ذلك بطول باعها فى محاربة الخوارج [٦]. فولى المنصور عمر بن حفص المهلبى إفريقية (سنة ١٥٠ هـ/ ٧٦٧م)، وحقق عمر فى البداية عدة انتصارات[٧]، لكن سرعان ما تماسك البربر وكونوا جيشا قيل بلغ ثلاثمائة وخمسين ألفا ما بين فارس وراجل[٨]. وقيل مائتين وخمسة وثمانين ألفا[٩] بقيادة أبى حاتم

---

(١) نقلا عن: د/ حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام السياسي ٢/ ٢٠٨.

(٢) نفس المرجع السابق.

(٣) د/ محمود، د/ الشريف: العالم الإسلامي ص٤٠٧، باجيه: الأباضية ص١٥٢.

(٤) العقد: ١/ ١٨٦.

(٥) المهالبة: نسبة إلي المهلب بن أبي صفرة. (ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ص٣٦٧). وهم أهل بيت كبير، اجتمع فيه خلق كثير من الأعيان الأمجاد النجباء. (ابن خلكان: وفيات ٥/ ٣٦٥).

(٦) د/ بدر (أحمد): تاريخ المغرب والأندلس- مطبعة الروضة- دمشق- سنة ١٩٨٢م- ص٤٥.

(٧) البلاذري (أحمد بن يحيي): فتوح البلدان- دار الكتب العلمية- بيروت- سنة ١٩٨٣م- ص٢٣٤، ابن الأثير: الكامل ٥/ ١٩٥، السلاوي: الإستقصاء ١/ ١١٧.

(٨) الطبري: تاريخ الأمم ٨/ ٤٢، ابن كثير: البداية ١٠/ ٦٠٤.

(٩) الذهبي: تاريخ الإسلام ٤/ ٣١٢.

الأباضى[1] الذى تمكن من حصار عمر المهلبى وقتله (سنة ١٥٣هـ/ ٧٧٠م)[2] ويعلق البلاذرى على هزيمة عمر بقوله: «وانتفض الثغر، وهدمت تلك المدينة -(طبنة)[3]- التى ابتناها[4]» ويقول ابن كثير[5]: «وأكثرت الخوارج الفساد فى البلاد، وقتلوا الحريم والأولاد».

فكان على الخلافة أن تتدارك الأمر وتهب لإنقاذ إفريقية من خطر الخوارج، وكان على أبى جعفر المنصور أن يتخير لهذه المهمة قائدا فذا يتمكن من تنفيذ هذه المهمة فوقع اختياره على يزيد بن حاتم المهلبى، الذى كان له كيان سياسى لدى أبى جعفر المنصور والذى كان يثق فيه كل الثقة، ومن هنا كان قرار توليته إفريقية بعد مصر حيث أدرك أنه الرجل الذى يستطيع أن يضع حدا لكل ما يدور على أرض إفريقية[6]. مما جعل بعض المؤرخين يصف يزيدا حين انتدب لهذه المهمة بقوله: «وكان- (يزيد)- من جبال الدولة العباسية التى أمسكتها فى الزلازل، وردت عنها العواصف، وكانت لها كالجبال الشاهقة المشجرة تجذب إليها السحاب الذى تخصب به... ولولا يزيد ابن حاتم وأضرابه من الفحول لقضت على الدولة العباسية الزلازل التى تعرضت لها فى المشرق والمغرب»[7].

وكان يزيد بعد عزله عن ولاية مصر (سنة ١٥٢هـ/ ٧١٩م) يعيش - غالبا- متنقلا بين مصر والشام، فسار المنصور إلى بلاد الشام وزار بيت

---

(١) هو يعقوب بن لبيب بن مرتين بن يطوف بن ملزوز، من مغيلة، الكندي بالولاء، أبو حاتم، من كبار الثوار في إفريقية، وهو الذي قتل عمر بن حفص المهلبي، وكان مصدر قلق للعباسيين. (ابن الأثير: الكامل ٥/ ٢٠٦، ابن خلدون: العبر ٦/ ١٤٨، الزركلي: الأعلام ٨/ ١٩٧).

(٢) اليعقوبي : تاريخ الطبري: تاريخ الأمم ٨/ ٤٢، الذهبي: دول الإسلام ١/ ١٠٥، ابن العماد الحنبلي: شذرات ١/ ٢٣٤، الباجي: الخلاصة ص١٩.

(٣) طبنة: بلد في طرف إفريقية مما يلي المغرب، علي ضفة الزاب، ليس فيما بين القيروان إلي سجلماسة بلد أكبر منها، فتحها موسي بن نصير، واستجدها عمر بن حفص. (ياقوت الحموي: معجم البلدان ٤/ ٢١، ابن عبد الحق: مراصد ٢/ ٨٧٩).

(٤) فتوح ص ٢٣٤. (٥) البداية ١٠/ ٦٠٤.

(٦) د. مقلد (عبد الفتاح): موسوعة تاريخ المغرب العربي- مكتبة مدبولي- القاهرة -ط(١) سنة ١٩٩٤م- ١/ ١٧٥.

(٧) دبوز: تاريخ المغرب الكبير ٣/ ٩٧.

المقدس واستدعى يزيد بن حاتم وولاه إفريقية (سنة ١٥٤هـ) وجهزه بجيش بلغ خمسين ألف مقاتل[١]. وقيل ستين ألفا[٢]، وقيل كان في ثلاثين ألفا من أهل خراسان، وستين ألفا من أهل البصرة والكوفة والشام[٣]. والمشهور والراجح الأول. وأنفق المنصور في هذا الجيش نفقة عظيمة بلغت ستين ألف ألف مليون درهم[٤]، مما جعل الذهبي يقول: «وهذه نفقة لم يسمع بمثلها أبدا»[٥]، وقيل كانت النفقة ثلاثة وستين ألف درهم فقط[٦] وهو الأقرب إلى الصواب على اعتبار أن الجيش ما بين خمسين إلى ستين ألفا، فتكون تكلفة الجندي ألف درهم، وهي نسبة معقولة لشراء ما يلزمه من عدة القتال، واستبقاء جزء لأهله يمتارون به لحين عودته. كما أفادت المصادر أن والي مصر محمد بن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج لما مر به يزيد زوده بالمال والخيل والسلاح[٧]، مما يؤكد أن يزيدا لن يحتاج لمثل هذه النفقة الكبيرة، وشيع أبو جعفر المنصور يزيدا وجيشه إلى بيت المقدس، فحسده الأمراء والرؤساء[٨].

بين يزيد وأبي حاتم الأباضي (سنة ١٥٥هـ/ ٧٧١م):

وخرج يزيد من مصر إلى المغرب فوصل سرت[٩] واجتمع بجميل بن

(١) البلاذري: فتوح ص٢٣٤، الطبري: تاريخ الأمم ٨/ ٤٤، الذهبي (محمد بن أحمد): العبر في خبر من غبر، تحقيق: محمد السعيد بسيوني- دار الكتب العلمية- بيروت- ط(١) سنة ١٩٨٥م. ١/ ١٧٠، ابن كثير: البداية ١٠/ ٦٠٥.

(٢) ابن الأثير: الكامل ٥/ ١٩٧، السلاوي: الإستقصا ١/ ١١٨، الباجي: الخلاصة ص٢٠.

(٣) النويري: نهاية الأرب ٢٤/ ٨٥.

(٤) الطبري: تاريخ الأمم ٨/ ٤٤، الذهبي: العبر ١/ ١٧، ابن تغري بردي: النجوم ٢/ ٢٢، ابن العماد: الحنبلي: شذرات ١/ ٢٣٦.

(٥) دول الإسلام ١/ ١٠٥.

(٦) ابن كثير: البداية: ١٠/ ٦٠٥.

(٧) ابن تغري بردي: النجوم ٢/ ٢٣.

(٨) البلاذري: فتوح ص٢٣٤، اليعقوبي: تاريخ ٢/ ٣٨٦، ابن الأبار: الحلة ١/ ٧٤.

(٩) سرت: مدينة علي البحر المتوسط، بين برقة وطرابلس الغرب، ولها ثلاثة أبواب: قبلي وجنوبي وباب صغير إلي البحر. (ياقوت الحموي: معجم البلدان ٣/ ٢٠٦، ٢٠٧، ابن عبد الحق: مراصد ٢/ ٧٠٤).

صخر[1] وبمن معه من الجند القادمين عليه من القيروان[2] بعد هزيمتهم أمام أبي حاتم (سنة ١٥٤هـ). ولعله بذلك كان يريد الإستفادة من خبرتهم وليقيموا الموقف ويتفقوا على خطة المواجهة وذلك من سمات القائد الناجح بلا شك[3].

وعندما وصلت أخبار مسير يزيد إلى أبي حاتم خرج إلى طرابلس[4] لقطع الطريق عليه، فخرج عليه- بالقيروان- عمرو بن عثمان الفهرى الذى أخذته العزة لعروبته بعدما نزل بعمر بن حفص وجنوده، فاضطر أبو حاتم إلى الرجوع إلى القيروان، وقاتل أهلها ودخلها بعد أن غادرها عمرو بن عثمان إلى تونس[5].

وسار يزيد وجيشه إلى طرابلس وجعل على مقدمته سالم بن سوادة التميمى[6]، الذى التقى بأبى حاتم واقتتلا قتالا شديدا هزم على أثره سالم وأصحابه ورجعوا إلى يزيد منهزمين[7]. ويستبعد بعض المؤرخين هزيمة مقدمة جيش يزيد، ويرى أن الأقرب إلى العقل أن يكون أبو حاتم هو الذى هزم فى المواجهة الأولى مع جيوش يزيد مما دفعه إلى الإعتصام بحبل نفوسة[8] فتتبعته

---

(١) لم أعثر له على ترجمة. وهو ممن حضروا معركة القيروان مع عمر بن حفص (سنة ١٥٤هـ).

(٢) ابن الأثير: الكامل ٥/ ١٩٧، النويري: نهاية الأرب ٢٤/ ٥٨. والقيروان: مدينة عظيمة بإفريقية، وتعني الجيش. اختطها عقبة بن نافع. ولفظها معرب، وهي بالفارسية (كاروان). (ياقوت الحموي: معجم البلدان ٤/ ٤٢٠، ٤٢١).

(٣) د/ الخطيب (محمد عبد القادر): الحياة السياسية في بلاد المغرب الإسلامي- مطبعة الحسين- مصر سنة ١٩٨٩م- ص١٠٨

(٤) طرابلس: هي طرابلس الغرب، علي جانب البحر المتوسط، منها إلي جبال نفوسة ثلاثة أيام، فتحها عمرو بن العاص (سنة ٢٣هـ). (ياقوت الحموي: معجم البلدان ٤/ ٢٥، ٢٦، ابن عبد الحق: مراصد ٢/ ٨٨٢).

(٥) ابن خلدون: العبر ٦/ ١٣٣، الزاوي: تاريخ الفتح العربي ص١٤٤، د/ عبد الحميد (سعد زغلول): تاريخ المغرب العربي- منشأة المعارف- الإسكندرية سنة ١٩٧٩م- ص٣٥٩.

(٦) سالم بن سوادة التميمي، وكان يقال له: سالم بن الذؤابة، وكان أجدع جدعته اليمانية. ولي مصر في الثاني عشر من المحرم (سنة ١٦٤هـ)، وصرف عنها في ذي الحجة من نفس السنة. (الكندي: الولاة ص١٢٣).

(٧) ابن الأثير: الكامل ٥/ ١٩٧، النويري: نهاية الأرب ٢٤/ ٥٨.

(٨) نفوسة: جبال في المغرب بعد إفريقية عالية، طول الجبل مسيرة ستة أيام من الشرق إلي الغرب، وبين نفوسة وطرابلس ثلاثة أيام، وبينها وبين القيروان ستة أيام، وغالب أهل هذه الجبال شراة وهبية وإباضية متمردون علي طاعة السلاطين. (ابن عبد الحق: مراصد ٣/ ١٣٨٢).

قوات يزيد وحاصرته هناك(١). وهذا رأى له وجاهته، إذ كيف يفر إلى الجبل ويتحصن به إلا إذا رأى عدم قدرته على المواجهة.

وبدأ كل طرف الإستعداد الجاد للقاء الثانى، فأما أبو حاتم فمسح المنطقة وطلب أوعر المنازل وأمنعها، وفى نواح عامرة بأنصاره ليساعدوه وفى مناطق جبلية ليحارب فيها حرب العصابات إذا تغلب عليه يزيد، فلجأ إلى جبال نفوسة، وخندق على نفسه. وأما يزيد ابن حاتم فقد عبأ أصحابه، وسار هذه المرة بنفسه للقاء أبى حاتم، فوقعت بينهما معركة قاسية عنيفة (فى يوم الإثنين السابع والعشرين من ربيع الأول سنة ١٥٥هـ/ ٧٧١م)، قتل فيها أبو حاتم(٢) وأهل نجدته، وطلبهم يزيد فى كل سهل وجبل فقتلهم قتلا ذريعا، وكان عدة من قتل من جيش أبى حاتم- الخوارج- ثلاثين ألفا، ولم يقتل من جيش يزيد إلا ثلاثة- وهذه مبالغة دون أدنى شك. وأقام يزيد فى مكانه نحوا من شهر يقتل فلول الخوارج، ثم رجع إلى قابس(٣). وكان سبب تتبعه لفلول الخوارج وقتلهم لعلمه أن الأباضية سيثورون عليه فى أول فرصة يجدونها، وأنهم سيبايعون إماما آخر للدفاع عنهم، فيعيدونها جذعة، ويشعلونها عليه حربا شعواء، فيقع فيما وقع فيه عمر بن حفص- حين قتل أبا الخطاب(٤)-. ومن قابس توجه يزيد إلى طرابلس فاستولى عليها وولى عليها رجلا عسكريا قويا هو العلاء بن سعيد المهلبى(٥)، وسار إلى القيروان

---

(١) د/ عبد الحميد: تاريخ المغرب ص٣٦٠.

(٢) ودفن في ككلة بين يفرن ومديرية الأصابعة في جبل نفوسة، وقبره مشهور هناك. (دبوز: تاريخ المغرب الكبير ٣/ ٧٧). ويري خليفة بين خياط: أنه لم يقتل، بل هزمه يزيد ونفاه عن البلاد. (أبو عمرو العصفوري): تاريخ -تحقيق: د/ أكرم العمري-در القلم- دمشق ط(٢) سنة ١٩٧٧م- ص٤٣٤). والراجح أنه قتل في المعركة.

(٣) اليعقوبي: تاريخ ٢/ ٣٨٦، ابن الأثير: الكامل ١٩٧/٥، ١٩٨، النويري: نهاية الأرب ٢٤/ ٨٥، ٨٦، ابن عذاري: البيان ١/ ٧٩، وقابس: مدينة بين أطرابلس وصفاقص ثم المهدية علي ساحل البحر المتوسط، من أعمال إفريقية. وبها حصون وأرباض وفنادق. (البكري (أبو عبيد الله بن عبد العزيز البكري). المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب- مكتبة المثني- بغداد- بدون- ص١٧-١٩، ابن عبد الحق: مراصد ٣/ ١٠٥٤).

(٤) دبوز: تاريخ المغرب الكبير ٣/ ٨٥.

(٥) العلاء بن سعيد بن مروان المهلبي، كان واليا علي الزاب، وكان له دور بارز في محاوية ابن الجارود حتي أخرجه من إفريقية (ابن الأبار: الحلة ١/ ٨٧).

فدخلها (يوم الإثنين الحادى عشر من جمادى الثانية سنة ١٥٥هـ/ ٧٧١م)[١].

ويجمل دبوز عوامل انتصار يزيد على أبى حاتم فى نفوسة فى الآتى:

أولا: تعب جيش أبى حاتم وإرهاقه بسبب الحروب المتوالية فى طرابلس، قبل حصار القيروان، وبعد خروجه من القيروان للقاء يزيد ثار عليه عمرو بن عثمان الفهرى فاضطر للرجوع إلى القيروان والقضاء على هذه الثورة، ثم عاود المسير إلى طرابلس للقاء يزيد.

ثانيا: أن يزيد من تقدمه من الشام إلى سرت كان يسير فى بلاد خاضعة للعباسيين، وكان يجد فى طريقه من يساعده، وكل ما يقوى جيشه، على العكس من أبى حاتم الذى واجهته كثير من الصعوبات فى المغرب الأدنى.

ثالثا: أن جيش يزيد كان جيشا مدربا منظما، قد أعد للحرب. أما جيش أبى حاتم فكان من المتطوعين الذين تميزوا بالحماس والإخلاص، ولكن الحماس والإخلاص فى الحرب لا يكفى، فإن النصر فيها يكون للجيوش المدربة.

رابعا: عبقرية يزيد بن حاتم العسكرية، فإنه كان من أكبر قواد المنصور، وأعظمهم كفاية حربية، نشأ فى الحروب وبرع فيها، وأتقن فى القيادة، ووضع الخطط الحربية التى تكفل له النصر[٢]- بإذن الله-.

ويضاف إلى ذلك فارق الروح المعنوية بين الفريقين، فالخوارج- طوال تاريخهم- هزموا، وحتى لو حققوا نصرا فى بداية أية معركة لا يصمدون كثيرا، بل كانوا يبدأون فى التخاذل ساعة وراء أخرى حتى تكون الكرة عليهم وكانوا -غالبا- فى معاركهم فى موقع المدافع، وفارق بين جيش يدخل المعركة للدفاع كالخوارج، وجيش يدخل المعركة لتحقيق النصر والظفر كجيش يزيد والى العباسيين.

---

(١) ابن عذاري: البيان ١/ ٧٩، دبوز: تاريخ المغرب الكبير ٣/ ٧٦.

(٢) تاريخ المغرب الكبير ٣/ ٨٢- ٨٤.

وكذلك من عوامل انتصار يزيد عقدة الخوارج من اسم «المهالبة»، الذين حققوا عليهم الإنتصارات المدوية فى بلاد المشرق، ويزيد من طراز المهالبة الأقوياء، مما دفع أبا حاتم إلى اللجوء إلى جبل نفوسة والتحصن به فأصبح فى موقع المدافع، فتمكن يزيد من حصاره وقتله.

وربما كان لتكوين جيش أبى حاتم أثره فى إخفاقه أمام يزيد، فقد كان جيشه مؤلفا من الأباضية والصفرية، والعرب والبربر. فكان للتنافر المذهبى والعرقى أثره فى عدم تماسك جيشه بالدرجة الكافية، ولم يستطع الصمود طويلا.

كما كان لصلة يزيد القوية بأفراد جيشه أثرها البالغ فى تحقيق النصر على أبى حاتم، فقد كان يزيد كريما، عادلا، رؤوفا بجنده- ورعيته- إلى أقصى درجة متشبها فى هذا بجده المهلب، الذى قال عنه مالك بن بشير للحجاج الثقفى لما سأله: كيف هو- (المهلب)- فى جنده؟ قال والد رؤوف. قال: كيف جنده معه؟ قال: أولاد بررة. قال: كيف رضاهم عنه؟ قال: وسعهم بالفضل وأقنعهم بالعدل(١).

وكان من نتائج معركة نفوسة (سنة ١٥٥هـ)، قتل عدد كبير من كبار الخوارج منهم أبو حاتم، وأبو عاد وغيرهم(٢). كما قض هذا النصر مضاجع الخوارج ولم تقم لهم قائمة قوية بعد ذلك، إلا ما حدث من محاولة إثبات الذات فقط، وتمكن يزيد أيضا من القضاء عليهم- كما سيأتى بعد قليل- إن شاء الله-. كما أثبتت هذه المعركة بعد نظر الخلافة فى عزلها يزيد عن مصر والإستعانة به فى إفريقية، التى كانت تحتاج بالفعل واليا على نفس كفاءة وشجاعة وسياسة يزيد بن حاتم، الذى كان عند حسن الظن به وحقق نصرا كبيرا على أبى حاتم والخوارج، ولولا انتصاره عليهم- والله أعلم- لكان من الممكن أن يسيطروا على إفريقية ردحا طويلا من الزمن، وتخرج عن حوزة العباسيين.

---

(١) ابن عبد ربه: العقد ١/ ٣٢٩، ٣٣٠.

(٢) الذهبي: العبر ١/ ١٧٢.

بين يزيد وعبد الرحمن بن حبيب الفهري[1] (سنة ١٥٦هـ/ ٧٧٢):

كان عبد الرحمن بن حبيب حليفا قويا لأبى حاتم الأباضى، بسبب حنقه على الدولة العباسية التى عسفت بجده عبد الرحمن بن حبيب، وقضت على الدولة الأموية التى كانت تعرف لآل عقبة بن نافع، فى المغرب مقامهم، والتى نالوا فى عهدها كل عز وسلطان[٢]. فلما هزم أبو حاتم فى معركة جبل نفوسة (سنة ١٥٥هـ) لحق عبد الرحمن بجبال كتامة[٣] المنيعة فى شمال قسنطينة[٤]، واعتصم بقلعة حبحاب الحصينة، فأرسل إليه يزيد بن حاتم المخارق ابن غفار الطائى لقتاله فحاصره فى قلعته ثمانية أشهر، ولم يستطع أن يفعل معه شيئا لمساعدة كتامة له[٥].

فلما كانت (سنة ١٥٦هـ/ سنة ٧٧٢م) أرسل يزيد أحد قواده الكبار وهو ابن عمه العلاء بن سعيد المهلبى فى جيش كبير- ربما كان عشرة آلاف- مدداً للمخارق، فاجتمعوا على عبد الرحمن، وقتلوا عدة كبيرة من أنصاره[٦] فولى عبد الرحمن هاربا ولم يعرف مكانه[٧]، وقيل فر إلى الأندلس. وقيل قتل[٨]. والراجح فراره إلى الأندلس لأنها استقبلت بعض الخارجين على

(١) عبد الرحمن بن حبيب الفهري، قائد شجاع، عرف بالصقلبي لطوله وزرقة عيونه وشقرته. قاوم عبد الرحمن الداخل بالأندلس. قتل (سنة ١٦٢هـ). (ابن الأثير: الكامل ٥/ ٢٣٩، ٢٤٠، السلاوي: الإستقصا ١١٩/١، الزركلي: الأعلام ٣/ ٣٠٢).

(٢) دبوز: تاريخ المغرب الكبير ٣/ ٨٦.

(٣) كتامة: هم من ولد كتام بن برنس، من قبائل البربر بالمغرب، وهم من أشدهم بأسا وقوة، ومتشعبون بالمغرب. (ابن خلدون: العبر ٦/ ١٧٤- ١٧٦).

(٤) قسنطينة: وقسنطينية، مدينة وقلعة يقال لها قسنطينة الهواء، وهي قلعة كبيرة عالية جدا من حود إفريقية، مما يلي المغرب، وهي علي ثلاثة أنهار، تجري فيها السفن. (ابن عبد الحق: مراصد ٣/ ١٠٩٣).

(٥) ابن الأثير: الكامل ٨/ ١٩٨، ابن عذاري، البيان ١/ ٧٩، ابن خلدون: العبر ٦/ ١٣٣.

(٦) ابن الأثير: الكامل ٥/ ٢١٠، ابن عذاري: البيان ١/ ٧٩ السلاوي: الإستقصا ١/ ١١٩، دبوز: تاريخ المغرب الكبير ٣/ ٨٦.

(٧) السلاوي: الإستقصا ١/ ١١٩.

(٨) ابن خلدون: العبر ٦/ ١٣٣.

العباسيين مثل عبد الرحمن الداخل (سنة ١٣٨هـ/ ٧٥٥م)(١)، ولمعرفة الفهريين الجيدة بالأندلس منذ أيام يوسف الفهرى (سنة ١٣٩هـ/ ٧٥٦م)(٢).

وخلص يزيد إفريقية- خاصة- والدولة العباسية -عامة- من رجل قوى شجاع، ذكى، متطلع، كان وجوده فى المغرب يمثل شوكة كبيرة فى ظهر واليها-يزيد- وفى ظهر العباسيين أيضا، وقطع خطوط التعاون بينه وبين البربر الخوارج، والذى كان له أثره فى القضاء على عمر بن حفص (سنة ١٥٣هـ).

يزيد والقضاء علي بقية خوارج إفريقية:

كان أهل الزاب الغربى(٣) فى حالة ثورة على العباسيين لميلهم إلى الدولة الرستمية(٤) وكرههم للعباسيين، لذا واصلوا تمردهم وثورتهم (سنة ١٥٦هـ/ سنة ٧٧٢م). ولما قضى يزيد على ثورة عبد الرحمن الفهرى فى كتامة أرسل إليهم المخارق بن غفار الطائى فى جيش كبير، فنزل طبنة وخاض فيها معارك مع أهل الزاب تغلب فيها عليهم وأخضعهم بقوة السلاح. وكانت ثورة أهل الزاب ثورة غير منظمة، فلم يبايعوا إماما- كعادة الخوارج- ولم يعينوا لثورتهم قائدا يوجههم، ويوحد صفوفهم، لذلك استطاع المخارق الإنتصار عليهم. وولى عليهم يزيد إبنه المهلب، وهو شخصية حربية قوية يهابونها، وجعل معه جيشا كبيرا مزودا بأحسن السلاح(٥).

وكانت هذه سياسة يزيد -غالبا- عندما يفتح جيشه منطقة، كان يولى

---

(١) ابن الأثير: الكامل ٥/ ١١٩- ١٢٤، ابن خلدون: العبر ٤/ ١٤٥- ١٤٩.

(٢) ابن الأثير: الكامل ٥/ ١٢١- ١٢٢.

(٣) الزاب: بالمغرب عليه عدة بلدان كثيرة منها بسكرة، وتورز، وطولقة، وقفصة وغيرها. (ياقوت الحموي: معجم البلدان ٣/ ١٢٤، ابن عبد الحق: مراصد ٢/ ٦٢٥، ٦٤٥).

(٤) تنسب إلي عبد الرحمن بن رستم، أحد طلبة العلم الخمسة الذين أخذوا عن أبي عبيدة مسلم ابن أبي كريمة في البصرة، وكان قد ولاه أبو الخطاب إفريقية والمغرب الأوسط فقام بهما أحسن قيام، ولما قتل أبو الخطاب استتر عبد الرحمن بلماية، ثم بجبل سوفج، ولحق به عدد كبير من سكان المغرب الأدني. ولم يتمكن ابن الأشعث والي العباسيين من القضاء عليه، حتي بني تيهرت وأسس الدولة (سنة ١٦١هـ/ ٧٧٧م). (السلاوي: الإستقصا ١/ ١١٥، دبوز: تاريخ المغرب الكبير ٣/ ٢٥١- ٢٧٣).

(٥) السلاوي: الإستقصا ١/ ١١٩، دبوز: تاريخ المغرب الكبير ٣/ ٨٧.

عليها أحد أبنائه- كالمهلب- أو أبناء عمومته- مثل العلاء بن سعيد المهلبى الذى ولاه طرابلس (سنة ١٥٥هـ)- ليضمن- بإذن الله- تأمين هذه المنطقة بولاة يعرفهم ويثق فيهم وإن لم يظهر هذا بوضوح فى سياسة المهالبة الذين تولوا بعده فى شمال أفريقيا.

وكان انتصار يزيد على أهل الزاب الذين على المذهب الخارجى الإباضى، بمثابة رد اعتبار للمهالبة أمام الإباضية الذين حاصروا عمر بن حفص المهلبى وقتلوه (سنة ١٥٣هـ). كما أبعد يزيد الخطر بدرجة كبيرة عن جنوب القيروان مركز الحكم الإستراتيجى للولاة.

وفى نفس السنة -(١٥٦هـ/ ٧٧٢م)- ثار على يزيد بن حاتم يحى بن فانوس[١] الهوارى[٢] بناحية طرابلس، وانضم إليه كثير من البربر من نفوسة وزناتة[٣] المثخنتين بالجراح من يزيد وجيوشه، فزحفت طوائف منهم إلى أبى يحى، وانضم إليهم بقايا فلول أبى حاتم الذى هزموا (سنة ١٥٥هـ/ سنة ٧٧١م)، واشتعل شرق طرابلس على يزيد[٤]. وكان يزيد قد ترك بطرابلس جيشا بقيادة عبد الله بن السمط الكندى[٥]، الذى التقى بأبى يحيى وجموعه فى موضع على شاطي البحر- المتوسط- بسواريه، وهزمهم هزيمة منكرة بعد معركة حامية الوطيس، وقتل منهم مقتلة عظيمة[٦].

ويلتمس دبوز- كعادته فى تحيزه للبربر والخوارج- العذر لهزيمة هوارة وحلفائها من نفوسة وزناتة فى هذه المعركة، بأن ثورتهم لم تكن ثورة شاملة قد

---

(١) وقيل: يحي بن قرياس (ابن عذاري: البيان ١/ ٧٩).

(٢) هوارة: من بطون البربر البرانس، وهم ولد: هوار بن أوريغ بن برنس. وبطونهم كثيرة منهم بنونبه وأوريغ وكهلان وغيرهم. (ابن خلدون: العبر ٦/ ١٦٣- ١٦٦).

(٣) نفوسة: أولاد نفوس بن زحيك بن مادغيس، وهم من أوسع قبائل البربر، ومنهم زمور ومكسور وماطوسة. وموطنهم بطرابلس، وبها الجبل المعروف بهم. (ابن خلدون: العبر ٦/ ١٣٤، ١٣٥)، وزناتة: ويقال جناتة، نسبة إلي جانا بن يحي بن خريس بن جالوت بن هريك. وأعدادهم كبيرة ببلاد المغرب، ومنهم بنو مرين، وعبد الواد. (القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي): قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان- تحقيق: إبراهيم الإبياري- دار الكتب الحديثة- القاهرة -ط(١) سنة ١٩٦٣م- ص١٧٦،١٧٧).

(٤) دبوز: تاريخ المغرب الكبير ٣/ ٨٨، د/ عبد الحميد: تاريخ المغرب ص٣٦٣.

(٥) لم أعثر عل ترجمة.

(٦) ابن الأثير: الكامل ٥/ ٢١٠، ابن عذاري، البيان ١/ ٧٩، ابن خلدون: العبر ٦/ ١٦٦.

أحكمت خطتها، وإنما هى انفجار لشدة الغليان، ورد فعل لما وقع بهوارة من يزيد، لذلك تمكن عبد الله بن السمط من هزيمتهم[1]، وغاب عن دبوز الحقيقة المؤكدة وهى أن الخوارج فى معظم معاركهم كان ينقصهم وجود القيادة الواعية، والتخطيط الجيد للمعرة، وكان يدفعهم فقط روح الإنتقام بشدة من مخالفيم، وهذا سبب هزيمة يحى بن فانوس وهوارة.

وكانت هذه المعركة فاصلة بالنسبة لطرابلس- خلال إمارة يزيد (سنة ١٥٤- ١٧٠هـ)-، فلم تذكر المصادر شيئا عن ثورتهم بعد ذلك خلال بقية حكم يزيد، مما دفع بعض المؤرخين لوصفها بقوله: «وتهدنت إفريقية ليزيد بن حاتم، وضبطها»[2] وقال آخر: «وسكن الناس بإفريقية، وصفت ليزيد بن حاتم»[3].

وبهذا أمن يزيد القيروان من ناحية الشمال، كما أكدت هذه المعركة تفوق قادة يزيد -عبد الله بن السمط- على كبار قادة البربر والخوارج- يحى بن فانوس. كما كان من نتائج هذه المعركة- طرابلس- أن تشتت بقية الفلول الخارجية التى كانت مع أبى حاتم (سنة ١٥٥هـ/ سنة ٧٧١م)، وتعاونت مع يحيى بن فانوس وهوارة (سنة ١٥٦هـ/ ٧٧٢م).

وفى السنة التالية (سنة ١٥٧هـ/ ٧٣٣م) ثار على يزيد خوارج ورفجومة[4] بقيادة أبى زرجونة[5]، بأرض الزاب فى جنوب غرب إفريقية، بسبب حنقهم على الولاة العباسيين، وأنفتهم من الخضوع لحكمهم. ولما تنامى إلى أسماعهم أن يزيد بصدد إرسال حملة إليهم لإخضاعهم- كهوارة[6]-. ولا شك أن ثورة ورفجومة إحدى حلقات الصراع المذهبى

---

(١) تاريخ المغرب الكبير ٣/ ٨٨.

(٢) ابن عذاري: البيان ١/ ٧٩.

(٣) ابن الأثير: الكامل ٥/ ٢١٠.

(٤) ورفجومة: من قبيلة نفزاوة، وكانوا من أوسم بطون نفزاوة وأشدهم بأسا وقوة. ومنازلهم في الجنوب الغربي لإفريقية، وكانت ورفجومة في النصف الأول من القرن الثاني الهجري صفرية. ولما انتشر المذهب الإباضي في جنوب إفريقية دخلت في المذهب الإباضي في آخر القرن الثاني الهجري. (ابن خلدون: العبر ٦/ ١٣٥، دبوز: تاريخ المغرب الكبير ٣/٨٨).

(٥) واسمه عند ابن الأثير «أيوب الهواري» (الكامل ٥/ ١٣٣).

(٦) دبوز: تاريخ المغرب الكبير ٣/ ٨٩.

لاعتناقها المذهب الخارجي الصفرى ثم الإباضى، والعرقى بين العرب والبربر، الذين يعتبرون العرب دخلاء عليهم، وأنهم أصحاب البلاد الأصليين. كما أنهم يعتقدون أن العرب يعاملونهم معاملة غير كريمة. بجانب ما اعتاده البربر من حياة الإنطلاق أنفة من الخضوع لحكم الغير.

ولما علم يزيد بثورتهم أرسل إليهم جيشا بقيادة يزيد بن مجزأة المهلبى[1]، ولكن انتهى القتال بانتصار ورفجومة وهزيمة يزيد بن مجزأة ومقتل كثير من أصحابه، وقتل أيضا المخارق بن غفار الطائى والى الزاب، فولى يزيد ابن حاتم مكانه ابنه المهلب بن يزيد- على الزاب وطبنة وكتامة- وسيره على رأس حملة لتأديب ورفجومة، وأمده بالعلاء بن سعيد المهلبى وانضم إليهم المنهزمون فى الجولة الأولى. وبعد قتال شديد تمكن المهلبيون من إلحاق الهزيمة بثوار ورفجومة وطلبوهم فى كل سهل وجبل، ولم يقتل من المهلبيين أحد[2]، وكانت النتيجة المباشرة لهذه المعركة أن سكن جنوب إفريقية ليزيد، بل وسكن المغرب الأدنى كله[3].

ولعل ما يدل على دور يزيد البارز فى التصدى لخطر الخوارج من البربر ما أشارت إليه المصادر أن المعارك التى خاضها البربر الخوارج من قتل عمر بن حفص (سنة ١٥٣ هـ)- إلى انتهاء خطرهم فى ولاية يزيد بن حاتم- (سنة ١٥٧ هـ)- كان ثلاثمائة وخمسة وسبعون معركة[4]، جلها كان فى ولاية يزيد. ولهذا تعددت أقوال المؤرخين عن هذا الدور البارز ليزيد: فمن قائل أنه الذى انتزع من الخوارج ما تغلبوا عليه من القيروان وطبنة وطرابلس ونفوسة ومناطق كتامة ورفجومة وهوارة: «استنقذ يزيد بن حاتم المغرب من الخوارج بعد حروب عظيمة»[5] وليس هذا فقط بل وأذل البربر وجعلهم - بدرجة كبيرة- ينقادون له: «وذلل البربر»[6]. فلم تذكر المصادر شيئا عن ثورتهم عليه

(١) لم أعثر له علي ترجمة. وهو أحد المهلبيين الذين كان يعتمد عليهم يزيد في إفريقية.
(٢) ابن الأثير: الكامل ٥/ ١٩٨.
(٣) دبوز: تاريخ المغرب الكبير ٣/ ٨٩.
(٤) ابن خلدون: العبر ٦/ ١٣٣، السلاوي: الإستقصا ١/ ١١٩.
(٥) انظر بألفاظ متقاربة: الذهبي: تاريخ الإسلام ٤/ ٣١٣، ابن تغري بردي: النجوم ٢/ ٢٤، ابن العماد الحنبلي: شذرات ١/ ٢٣٨.
(٦) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٨/ ٢٣٤.

بعد (سنة ١٥٧هـ)- إلى وفاته (سنة ١٧٠هـ) فكان المغرب الأدنى غاية فى الطاعة: «واستقامت بلاد المغرب»[١]، مما جعله يتجه إلى إصلاح إفريقية: «ومهد إقليم المغرب، وأصلح أموره»[٢].

ويحمل ابن كثير إنجازات يزيد ضد الخوارج البربر بقوله: «دخل يزيد ابن حاتم إفريقية فافتتحها عودا على بدء، وقتل من كان فيها ممن تغلب عليها من الخوارج، وقتل أمراءهم وأسر كبراءهم[٣]، وأذل أشرافهم، واستبدل أهل تلك البلاد بالخوف أمنا وسلامة وبالإهانة كرامة»[٤].

بل وكان ليزيد الدور الكبير فى إطفاء ثورة المذهب الخارجى فى إفريقية، يقول السلاوى[٥]: «لم يزل أمر الخوارج بالمغرب فى تناقض- (يعنى أيام يزيد)- إلى أن اضمحلت ديانتهم وافترقت جماعتهم». ولم يبق لهذا المذهب إلا آثار بسيطة وأعداد محدودة فى بلاد زناتة بالصحراء، وكذلك فى جبال طرابلس- فى ليبيا، وكذلك فى الجزائر- مما جعل السيطرة لأهل السنة عن كل بلاد المغرب[٦]. ومن كل هذا يتأكد نجاح يزيد بالفعل فى التصدى لخطر خوارج المغرب، ولعله أمر بالتخصص فهذه الأسرة المهلبية- منذ العصر الأموى- لها بالفعل الباع الطويل والشوكة الظاهرة فى التصدى لخوارج المشرق، وهنا فى المغرب- وفى العصر العباسى- يكمل المهالبة نفس الدور بداية بعمر بن حفص المهلبى (سنة ١٥١- ١٥٣هـ) ومرورا بيزيد- الذى كان له الدور البارز جدا (سنة ١٥٤- ١٧٠هـ)- وانتهاء بالفضل بن روح ابن حاتم- آخر مهلبى حكم إفريقية- (سنة ١٧٧- ١٧٨هـ).

إصلاحات يزيد بن حاتم في إفريقية:

قام يزيد بعدة إصلاحات هامة فى إفريقية، ويأتى فى مقدمتها **الأمن**، فقد حتمت الظروف السائدة فى إفريقية من الصراع العرقى بين العرب

(١) الطبري: تاريخ الأمم ٨/ ٤٦.
(٢) ابن تغري بردي: النجوم ٢/ ٢٤.
(٣) لم تذكر المصادر شيئا من هذا.
(٤) البداية ١٠/ ٦٠٧.
(٥) الإستقصا ١/ ١١٩.
(٦) د/ السيد (محمود): تاريخ دول المغرب العربي- مؤسسة شباب الجامعة- الإسكندرية- سنة ٢٠٠٠م- ص١١١.

والبـربر- والمذهبى- بين السنة والخـوارج- ومـا يتـخلل هذا الصـراع من اضطراب الأمور وانتشار الفوضى والسرقة، حتم كل هذا على يزيد أن يهتم بأمن إفريقية اهتمـاما خاصـا، نظرا لتأثيره البالغ فى جوانب الحياة المختلفة، وعليه فبعد قضاء يزيد على أبى حاتم الخارجى، ودخوله القيروان (يوم الإثنين الحادى عشر من جمـادى الثـانيـة سنة ١٥٥هـ- ٧٧١م) نادى فى الناس جميعا بالأمان(١). وساعده على تطبيق هذا عدله وحزمه(٢).

ولا شك أن اتسـاع القيروان وكثرة سبل الحياة فيـها وتنوع سكانها واختلاف نشاطهم جعلها عرضة لحدوث بعض المخالفات سواء بين سكانها أو بينهم وبين القـادمين إليهـم من الأقاليم الأخرى بقصد التجارة والتسوق أو العمل. فعين يزيد حراسا للطرق يحفظون الأمن وينشرون السلام ويقبضون على كل من يحـاول العبث بالأمن أو الإعتـداء على السكان أو ممتلكاتهم، كما كان هناك من هم مكلفون بمنع الغش والإحكتار أو التلاعب بالأسعار فى أسواق التجارة، أو من يعطل الطرق. وكان للمدينة أربعة محارس خارجها وثلاثة داخلها علاوة على السور الذى يحيط بها، مما ساعد على نشر الأمن والإطمئنان بين السكان(٣). وكذلك لا أستبعد أنه قام بعمل الحراسة الليلية، وكانت أسلوبا جيدا لتأمين الناس وبيوتهم ومتاجرهم ليلا.

وأنيط كل هذا بصاحب الشرطة الذى كـان يتولى رئاسة الجند الذين يسـاعـدون الوالى فى تثـبيـت الأمن وحـفظ النظام والقـبض على الجناة والمفسدين. وكان يختار لكل مدينة من المدن- طرابلس نفوسة طنبة وغيرها- جماعة من الجند برئاسة من ينيبه صاحب شرطة القيروان- مركز الولاية(٤)- وكان صاحب شرطة يزيد فى إفريقية نصر بن حبيب المهلبى(٥). أما باقى المناطق الأخرى فكان يتولاها أحد أولاد يزيد مثل داود أو المهلب، أو من أبناء

---

(١) اليعقوبي: تاريخ ٢/ ٣٨٦.

(٢) د. سليمان محمود (حسن): ليبيا بين الماضي والحاضر- مؤسسة سجل العرب سنة ١٩٦٢م- ص١٢٣.

(٣) د/ زيتون: القيروان ص١٨١.

(٤) د/ أيوب (إبراهيم): التاريخ العباسي السياسي والحضاري- الشركة العالمية لكتاب- بيروت- ط(١) سنة ١٩٨٩م- ص٢٢٤.

(٥) ابن عذاري: البيان ١/ ٨٥.

عمومته كالعلاء بن سعيد المهلبى، والذين كان يرسلهم يزيد للقضاء على ثورات طرابلس والزاب ونفوسة وغيرها، وبعد إخمادهم لثورات سكان هذه المناطق كانوا يتولون مسئولية تأمينها- والله أعلم-.

وأقر يزيد الأمن فى المغرب الأدنى من طرابلس حتى الزاب- ليبيا وتونس وأول الجزائر-، واطمأن الناس وسكنوا طوال ولاية يزيد- (سنة ١٥٥-١٧٠هـ/ سنة ٧٧١- ٧٨٦م)، خمسة عشر عاما- وهذا ما أكده كثير من المؤرخين بأن بلاد المغرب- الأدنى- لم تزل هادئة مستقرة طوال ولايته[١]. ويقول ابن كثير[٢]: «... واستبدل -(يزيد)- أهل تلك البلاد بالخوف أمنا وسلامة، وبالإهانة كرامة». ويقول الباجى[٣]: «وضبط الأحوال أحسن ضبط». وللأمن أثره الكبير فى حياة الأمم والشعوب إذا تحقق كان دافعا للتقدم فى شتى مجالات الحياة المختلفة، وإذا عدم كان العكس!.

وترتب على استتباب الأمن والسلام فى البلاد أن تهيأت الظروف ليزيد ابن حاتم للقيام **بالأعمال الإنشائية فى** البلاد، ونشر العمران والرخاء فيها. وساعده على هذا طبيعته التى تتصف بالجود والكرم حتى أصبح مضرب الأمثال[٤].

وكان من الطبيعى أن تحظى مدينة القيروان بعناية يزيد فى هذا المجال، فقد كانت بسيطة فى نظامها، تفتقر إلى الدقة[٥]، بجانب كونها مركز الحكم الإستراتيجى. فاهتم بتنظيم نشاطها الإقتصادى بصفة خاصة، فرتب أسواقها، كما ينسب إليه تجميع أصحاب كل صنعة فى مكان خاص بهم[٦]. وكان بها عدد من الصناعات المشهورة مثل صناعة الغزل[٧]، وصناعة الأقمشة

---

(١) النويري: نهاية الأرب ٢٤/ ٧٨، ابن عذاري: البيان ١/ ٧٨، ابن كثير: البداية ١٠/ ٦٠٧، ابن خلدون: العبر ٦/ ١٣٣.

(٢) البداية: ١٠/ ٦٠٧.

(٣) الخلاصة النقية ص٢٠.

(٤) د. زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب ص٣٦٤.

(٥) دبوز: تاريخ المغرب الكبير ٣/ ٩١.

(٦) النويري: نهاية الأرب ٢٤/ ٨٧، ابن عذاري: البيان ١/ ٧٨، السلاوي: الإستقصا ١/ ١١٩، الباجي: الخلاصة ص٢٠.

(٧) البكري: المغرب ص٣٦.

الصوفية والقطنية والحريرية، وصناعة دباغة الجلود، والصناعات الخشبية، المتعلقة بالأبواب والنوافذ والشرفات، وصناعة الزجاج، والمعادن من نحاس وفضة وذهب[1].

وأبعد الصناعات التى تضر سكان المدينة بعجيجها وأوساخها كالحدادة وغيرها[2]. وعليه فيرجع الفضل ليزيد بن حاتم فى ذلك التنظيم البديع الذى كانت تزهو به الأسواق فى المدن العربية لعهد قريب، والذى جعل لكل موضع من السوق تخصص فى نوع معين من السلع أو الحرف، وهو التنظيم الذى ظهر حديثا فى شكل المخازن الكبرى ذات الأقسام المتنوعة[3]. مما جعل مؤرخا كالنويرى يصرح: أنه لو قيل: إنه الذى مصرها -(القيروان)- لم يبعد من الحق[4].

ومن أعمال يزيد فى المغرب الأدنى اهتمامه **بالزراعة والرعى**، وهما من أهم موارد الثروة فى البلاد فى تلك الأيام[5]، فقد اهتم- مثل ولاة المغرب- بتوزيع موات الأرض على من يستحقها، كما خفف مقدار الخراج عن البادية ولم يثقل كاهلهم بالضرائب الفادحة، كما أقيمت مشاريع الرى والقناطر والجسور والسدود للإنتفاع بالمياه فى الزراعة[6].

ولعل ما يؤكد ازدهار النشاط الزراعى فى القيروان فى عهد يزيد ما ذكر أن أحد وكلائه أتاه يوما وقال له: أعز الله الأمير: أعطيت فى الفول الذى زرعناه بفحص القيروان كذا وكذا. وذكر مالا جليلا. فسكت يزيد ثم أمر قهرمانه[7] وطباخه أن يخرجا إلى ذلك الموضع، وأمر فراشيه أن يضربوا له قبة، فضربوا مضارب كثيرة. وخرج مع أصحابه فتنزه فيه وأطعم. فلما أراد

---

(١) د. زيتون: القيروان ص١٥٧- ١٦١.

(٢) دبوز: تاريخ المغرب الكبير ٣/ ١٩١.

(٣) د. زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب ص٣٦٥.

(٤) نهاية الأرب ٢٤/ ٨٧.

(٥) د. زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب ص٣٦٥.

(٦) د. زيتون: القيروان ص١٥٥.

(٧) القهرمان: فارسي معرب، وهو الخازن والوكيل الحافظ لما تحت يده.(ابن منظور: لسان العرب٥/٣٧٦٤).

الإنصراف دعا بالوكيل وأمر بأدبه وقال له: يا ابن اللخناء[١]، أردت أن أعير بالبصرة فيقال: يزيد بن حاتم باقلاني! أمثلي يبيع الفول، لا أم لك؟. ثم بإباحته. فخرج الناس إليه بين آكل وشارب ومتنزه حتى أتوا على جميعه[٢].
هذا عن محصول واحد- الفول- في ضيعة واحدة- ليزيد، فما بالنا ببقية المحاصيل الأخرى، وضياع الأمراء، وكبار رجال القبائل؟

واشتهرت القيروان- والمغرب الأدنى عامة- بزراعات أخرى غير الفول منها الزيتون في شرق القيروان، وزراعة الحبوب في الشمال، وزراعة النخيل في الجنوب- بلاد الجريد-، وكذلك شجر الموز والتوت، وبعض قصب السكر[٣].

وأما الرعى فقد اهتم يزيد بالثروة الحيوانية ولاسيما الغنم، فيذكر النويرى أن يزيد خرج من القيروان يوما متنزها إلى منية الخيل[٤] فنظر في طريقه إلى غنم كثيرة. فقال: لمن هذه؟ قالوا: لابنك إسحاق. فاستدعاه وقال له: ذلك هذه الغنم؟ قال: نعم: لي. قال: لم أردتها؟ قال: آكل من خرافها وأشرب من ألبانها وأنتفع بأصوافها. قال: فإذا كنت أنت تفعل هذا، فما بينك وبين الغنامين والجزارين فرق. وأمر أن تذبح وتباح للناس. فأخذوها وذبحوها وأكلوا لحومها، وجعلوا جلودها على كدية[٥]، فهي تعرف من ذلك الوقت إلى اليوم- عصر النويرى- بكدية الجلود[٦]. وكان يكثر بالقيروان أيضا- مع الغنم- البقر، والإبل، والخيل لاستخدامها في الركوب والنتاج[٧].

ونتج عن تنظيم يزيد للصناعة والأسواق والإهتمام بالزراعة بالقيروان نشاط تجارى واسع أعاد إليها نشاطها التجارى والصناعى الذى افتقدته خلال ثورات الخوارج[٨]. وأصبحت القيروان سوقا تجاريا كبيرا للتجارة الداخلية،

---

(١) اللخناء: التي لم تختن. وقيل اللخن، النتن، وقبح رائحة الفرج. (ابن منظور: لسان العرب ٥/ ٤٠١٨، ٤٠١٩).
(٢) النويري: نهاية الأرب ٢٤/ ٨٧، ابن عذاري: البيان ١/ ٨٢.
(٣) البكري: المغرب ص٢٠، ٢٦، ٣٢، د. زيتون: القيروان ص١٥٥، ١٥٦.
(٤) منية الخل: منية الناقة، هي الأيام التي تعرف فيها ألا قح أم لا. (ابن منظور: لسان العرب ٦/ ٤٢٨٤). والمراد المكان الذي جعل فيه يزيد خيله لهذا الغرض.
(٥) كدية: الكديد: ما أغلظ من الأرض وارتفع. (ابن منظور: لسان العرب ٥/ ٣٨٣٤).
(٦) نهاية الأرب ٢٤/ ٨٦.
(٧) البكري: المغرب ص٢٦، ابن خلدون: العبر ٦/ ١٠٤.
(٨) الزاوي: تاريخ الفتح العربي ص١٤٧.

وكان يحمل إلى القيروان كل يوم من أطرافها والمناطق المجاورة لها الفواكه والبقول[١]. وأما التجارة الخارجية فكانت القوافل تسير إلى بلاد الصحراء ومصر والأندلس[٢]، وصقلية[٣]. ولقد ساعد القيروان على ذلك موقعها الجغرافى المتوسط، وكثرة مراسيها، ومهارة تجارها ودرايتهم بإنشاء السفن وخوض عباب البحار ومسالك الصحراء[٤]. ويذكر لنا البكرى مقدار التعامل اليومى للتجارة فى القيروان بستة وعشرين ألف درهم[٥]. ولهذا كانت دار ضرب النقود فى القيروان نشطة فى عهد يزيد، وكانت تضرب الدراهم الفضية والفلوس النحاسية التى كانت تحمل اسمه[٦].

وفى **القضاء** يتبين مدى اهتمام يزيد بنظم إمارته وتراتيبها، من ذلك أنه عزل القاضى يزيد بن الطفيل لأنه كان إذا انصرف من مجلس قضائه يستودع ديوانه رجلا صباغا مقابل المسجد الجامع، ولما كلمه يزيد فى ذلك قال: إنى أحفظ ما فى ديوانى وهذا لا يضرنى، ولم يستجب لقول يزيد، فعزله[٧]. ولاشك أن هذا عمل الوالى الحازم العادل الذى يحرص على إيتاء كل ذى حق حقه، فما يدريه أن يتلاعب فى هذا الديوان- وهو عند هذا التاجر- بالحذف فتضيع بعض الحقوق، أو تقديم بعض القضايا المتأخرة وتأخير القضايا المتقدمة لقرابة أو رشوة أو لنيل منفعة، مما ينفى صفة العدل. والعدالة صفة معتبرة وهامة فى كل ولاية، ومن عدالة القاضى أن يكون متوقيا المآثم بعيدا عن الريب[٨].

واهتم يزيد **بالعمارة** ومما يذكر ليزيد بالفخر فى هذا المجال تجديده بناء جامع القيروان (سنة ١٥٧هـ/ ٧٧٣م)[٩] وكان بسيطا فى بنائه ضيقا فى

---

(١) البكري: المغرب ص٣٢، د/ زيتون: القيروان ١٦٢، ١٦٣.
(٢) د. مقلد: موسوعة تاريخ المغرب ١/ ٢٢٧.
(٣) د. زيتون: القيروان ص١٦٣.
(٤) المرجع السابق ص١٦٤.
(٥) المغرب ص٢٥.
(٦) د. زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب ص٣٦٦.
(٧) نفس المصدر السابق.
(٨) الماوردي: الأحكام السلطانية ص٥٩.
(٩) ابن الأبار: الحلة ١/ ٧٢، ابن عذاري: البيان ٧٩/١، النويري: نهاية الأرب ٨٧/٢٤، السلاوي: الإستقصا ١١٩/١، الباجي: الخلاصة ص٢٠.

مساحته، فوسعه وجمله[1]. ولم تعطنا المصادر أية تفصيلات عن مقدار هذه التوسعة إلا ما ورد عن البكرى أن يزيد هدم المسجد كله عدا المحراب وبناه واشترى العمود الأخضر بمال جزل عريض ووضعه فيه[2]. وربما بلغ ما أنفقه يزيد على هذا المسجد ستة وثمانين ألف مثقال[3]. فكان هذا المسجد كما قال ابن عذارى[4]: «غاية فى الجود والحسن». ومعروف أهمية مثل هذه المساجد الجامعة فى هذه الفترة من الناحية الدينية، والعلمية، والسياسية، والإجتماعية.

ولأن عهد يزيد فى إفريقية كان عهد استقرار فقد أخذت القيروان بأسباب الحضارة وظهر فيها كثير من **العلماء والشعراء والكتاب**[5]. وشجع على هذا كرم يزيد وحبه وحمايته لرجال الفكر والأدب، فالتفوا حوله[6]، إضافة إلى الإتصال النشط بين القيروان ومراكز الثقافة الدينية فى بلاد الحجاز- مكة والمدينة- حيث اللقاء فى موسم الحج، وفى مصر المحطة الواقعة على الطريق إلى الحجاز، وكذلك العراق حيث قصر الحكم المركزى ومركز التجارة[7]. لكل هذا نشطت القيروان علميا وحضاريا فى عهد يزيد بن حاتم (سنة ١٥٤- ١٧٠هـ).

فكانت دار الإمارة فى عهد يزيد مجمع الشعراء- والعلماء- الذين ساروا إلى بابه من كل مكان، مثل ربيعة بن ثابت الرقى، الذى وفد عليه وأنشده:

لشتان ما بين اليزيدين فى الندى   يزيد سليم والأغر بن حاتم[8]

---

(١) دبوز: تاريخ المغرب الكبير ٣/ ٩٠.

(٢) المغرب ص٢٣.

(٣) المصدر السابق ص٢٤، وهي نفس النفقة التي أنفقها بعده زيادة الله إبراهيم بن الأغلب لما وسعه.

(٤) البيان ١/ ٧٩.

(٥) دبوز: تاريخ المغرب ٣/ ٩٣، ٩٤.

(٦) د. زغلول بد الحميد: تاريخ المغرب ص٣٦٧، د. بدر: تاريخ المغرب والأندلس ص٤٥.

(٧) د. بدر: تاريخ المغرب والأندلس ص٦٠.

(٨) الأصفهاني: الأغاني ١٥/ ٣٧، ٣٨، المبرد: الكامل ٢/ ٤٢١، ابن الأبار: الحلة١/ ٧٤، ٧٥، ابن خلكان: وفيات ٥/ ٣٦٨.

واشتهر فى عهد يزيد فقيه إفريقية سحنون بن سعيد الذى أخذ العلم عن البهلول بن راشد(١)، وهو الذى شهد ليزيد بالتقوى والصلاح(٢).

وكذلك اشتهر فى عهده قاضى القيروان عبد الرحمن بن زياد أنعم(٣)، وكان فقيها زاهدا ورعا، وكان من الطبقة الخامسة من أهل المغرب، وعرف بقول الحق والعدل(٤)، حتى أنه وفد على أبى جعفر المنصور ووعظه بكلام خشن حذره فيه من ارتكاب المظالم وانتقد بعض أعماله، فاحتمله(٥). وبلغ من تقدير يزيد له أنه لما توفى (سنة ١٦١هـ/ سنة ٧٧٧م)- أو (سنة ١٦٢هـ)- صلى عليه بنفسه- وتمثل بهذا البيت:

يا كعب ما راح من قوم ولا ابتكروا إلا وللموت فى آثارهم حادى(٦)

واشتهر فى عهد يزيد أيضا جملة من العلماء الذين أخذوا العلم عن الإمام مالك(٧)، منهم: أبو محمد عبد الله بن فروج فقيه القيروان

---

(١) الذهبي: تاريخ الإسلام ١/ ٣٩٨، والبهلول هو: البهلول بن راشد، أبو عمرو الحجري الرعيني بالولاء، من العلماء الزهاد بالقيروان. له كتاب في (الفقه) علي مذهب الإمام مالك، دونوه أصحابه عنه. عارض أمير إفريقية محمد بن مقاتل العكي في مهادنته لملك إسبانيا ومحاولة إرسال الحديد والسلاح إليه، فقبض عليه العكي وقيده وجرده وضربه عشرين سوطا، توفي علي إثرها (سنة ١٨٣هـ). (الدباغ (عبد الرحمن بن محمد الأنصاري): معالم الإيمان- المطبعة العربية- تونس سنة ١٣٢٠هـ- ٢/ ١٩٧- ٢٠٨)، الذهبي: تاريخ الإسلام ٥/ ٢٤٦، الزركلي: الأعلام ٢/ ٧٧).

(٢) اليافعي: مرآة الجنان ١/ ٣٩٨.

(٣) عبد الرحمن بن زياد بن أنعم المعافري الأفريقي، أبو خالد، قاض من العلماء، اشتهر بالجرأة علي الولاة، ولد ببرقة (سنة ٧٥هـ) وهو أول مولود في الإسلام في إفريقية، ورحل إلي بغداد، واتصل بالمنصور، وأحبه، فكان رفيقه. توفي بالقيروان (سنة ١٦١هـ). (ابن الأثير: الكامل ٥/ ٢٤٣، الدباغ: معالم الإيمان ٢/١٧١-١٧٧).

(٤) الدباغ: معالم الإيمان ٢/١٧١، الذهبي: العبر ١/١٧٣، ابن تغري بردي: النجوم ٢/ ٢٨.

(٥) الذهبي: العبر ١/ ١٧٣.

(٦) الدباغ: معالم الإيمان ٢/١٧٧، ابن عذاري: البيان ١/ ٨٠.

(٧) مالك بن أنس بن مالك الأصبحي الحميري، أبو عبد الله. إمام دار الهجرة، وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، وإليه تنسب المالكية. وهو أستاذ الإمام الشافعي، وكان صلبا في دينه، بعيدا عن الأمراء والملوك. له الموطأ، والمسائل، والرد علي القدرية، وتفسير غريب القرآن، وغيرها. توفي بالمدينة (سنة ١٧٩هـ). (ابن الأثير: الكامل ٥/ ٣٠٦، ٣٠٧، أبو الفداء: المختصر ٢/ ١٤، الذهبي: تاريخ الإسلام ٥/ ١٧٣- ١٨١، ابن كثير: البداية ١٠/ ٦٨٤، ٦٨٥).

وزاهدها[1]. الذى قال عنه الإمام مالك: «هذا فقيه أهل المغرب»[2]. وكذلك قاضى إفريقية عبد الله بن غانم[3]، الذى كان إذا دخل على الإمام مالك وقت سماعه أجلسه إلى جنبه ويقول لأصحابه: أكرموه. وكان ثقة ورعا[4]. والبهلول بن راشد، الفقيه الثقة، واسع العلم[5]. قال عنه الإمام مالك: «هذا عابد أهل بلده»[6]، وكان من أشد الناس خشية لله تعالى[7].

وأهمية هؤلاء العلماء والفقهاء لا تقتصر على العمل على نشر السنة، ومحاربة البدع، وتعريف الناس بالحلال والحرام، وإنما تعدتها إلى الرقابة على أعمال الناس وأعمال الحكام، تطبيقا لفريضة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر[8]. فعبد الله بن زياد بن أنعم كان وهو فى القضاء لا يسمح ليزيد بن حاتم- وهو الأمير- بفض أختام ما يصدره من كتب الأحكام، حتى أنه فضل العزل عنما ألح عليه يزيد فى إعادة ختم كتاب حكم كان أصدره لامرأة كانت تتردد على داره[9].

وكان درسا فهمه يزيد بن حاتم أنه لا يجوز لأحد كائنا من كان- ولو كان الأمير- أن يفض أختام القضاء بعد صدورها والبت فيها، وكيف وهو الذى عزل ابن الطفيل من قبل عندما سمح لنفسه بحفظ كتبه فى دكان

(١) الذهبي: تاريخ الإسلام ٥/ ١٣٨. وهو : عبد الله بن فروخ الفارسي ثم المغربي، أبو محمد، فقيه، من العلماء بالحديث. ولد بالأندلس (سنة ١١٥هـ)، وسكن إفريقية، عرض عليه روح بن حاتم القضاء فأبي وخرج حاجا فمر بمصر، وتوفي بها في طريق عودته (سنة ١٧٦هـ)، وله كتاب: (الرد علي أهل البدع والأهواء). (الدباغ: معالم الإيمان ٢/ ١٧٨-١٨٥، الذهبي: تاريخ الإسلام ٥/ ١٣٨، ١٣٩، الزركلي: الأعلام ٤/ ١١٣).

(٢) الدباغ: معالم الإيمان ٢/ ١٧٩.

(٣) عبد الله بن غانم بن شرحبيل بن ثوبان الرعيني، أبو عبد الرحمن. قاضي إفريقية، صاحب مالك بن أنس، وروي عنه كثيرا، وعن سفيان الثوري. رحل إلي الشام والعراق لطلب العلم، وكان فقيها ورعا، ولي القضاء لروح بن حاتم. توفي (سنة ١٩٠هـ). (الدباغ: معالم الإيمان ٢/ ٢١٥-٢٣٣).

(٤) الدباغ: معالم الإيمان / ٢١٦.

(٥) الذهبي: تاريخ الإسلام: ٥/ ٢٤٦.

(٦) الدباغ: معالم الإيمان ٢/ ١٩٨، الذهبي: تاريخ الإسلام ٥/ ٢٤٦.

(٧) الدباغ: معالم الإيمان ٢/ ١٩٨.

(٨) زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب ص٣٦٩.

(٩) الدباغ: معالم الإيمان ٢/ ١٧٥.

أحد البزازين (رغم أنها كانت مختومة)[1].

كما أصبح تقليدا يسير عليه كبار القضاة فلا يسمحون للأمراء بفض أختام كتب أحكامهم[2].

وما ورد أيضا من أن ابن فروخ- الفقيه- كان يسير بحى باب نافع- من أحياء القيروان- فرأى إسحاق ابن يزيد وهو يدرب بعض كلاب الصيد فأغراها بظبى نهشته ومزقته، فما كان منه إلا أن خاطب إسحاق- ابن الأمير- دون أن يكنيه، قائلا: «يا فتى: إنى رأيتك تغرى كلابك آنفا ببهيمة، وما أحب ذلك» فقال له إسحاق: صدقت يا أبا محمد، جزاك الله خيرا. وأتبع ذلك بقوله: «والله لا فعلت ذلك بعد يومى هذا»[3].

هذه جملة من إصلاحات يزيد يعلق عليها أحد المؤرخين المحدثين بقوله:

«وقام -(يزيد)- ببعض الإصلاحات التى أثلجت قلوب الناس وجعلتهم يثنون عليه، وذلك لكرمه ودماثه أخلاقه»[4]. وكان لهذه الإصلاحات المتنوعة- بين الزراعة، والرعى، وترتيب الأسواق، والصناعة، والعمارة، وإصلاح القضاء، والإهتمام بالعلم- آثارها:

فقد جعلت إفريقية -فى عهد يزيد- قبلة للعلم، تكاد تضارع بعض مراكز العلم الكبيرة فى الدولة الإسلامية مثل بغداد، ودمشق، ومصر، وغيرها. كما أن هذه الإصلاحات عادت- دون شك- على الرعية بالخير والنفع، مما جعلتهم يثنون عليه ويحبونه، فطالت مدة ولايته (سنة ١٥٤- ١٧٠هـ)- خمس عشرة سنة، وكانت لأربعة من الخلفاء المنصور والمهدى والهادى وبداية خلافة الرشيد. كما كشفت هذه الإصلاحات النقاب عن شخصية يزيد المحبة للعمارة والعمران- كما هو الحال فى تجديد بناء مسجد القيروان، والزراعة والصناعة-، وعن شخصيته الإدارية فى تنظيمه الجيد للأسواق، وأظهرت حبه للعلماء- وخاصة الشعراء- وتقديره لهم- كما فى صلاته

---

(١) د. زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب ص٣٧٠.

(٢) نفس المرجع السابق.

(٣) الدباغ: معالم الإيمان ٢/ ١٨٢.

(٤) د. سليمان محمود: ليبيا بين الماضي والحاضر ص١٢٢.

بنفسه على عبد الرحمن بن أنعم- واحترامه لأحكام القضاة. مما يؤكد أن شخصية يزيد كانت شخصية مستنيرة متوهجة فكرها ثاقب ومنتجة فى أكثر من اتجاه، وليس فى المجال العسكرى فحسب كما هو الحال بالنسبة لنمط الكثير من الولاة الذين يعاصرونه.

كما جعلت هذا الإصلاحات العباسيين يثقون فى كفاءة المهالبة وحسن سياستهم وإدارتهم، فولوا بعده على إفريقية أربعة من نفس الأسرة، وهم: داود بن يزيد (سنة ١٧٠- ١٧٢هـ)، وروح بن حاتم (سنة ١٧٢- ١٧٤هـ)، ونصر بن حبيب (سنة ١٧٤- ١٧٧هـ)، والفضل بن روح بن حاتم (سنة ١٧٧- ١٧٨هـ).

وظل يزيد واليا على إفريقية حتى (سنة ١٧٠هـ/ ٧٨٦م)، فكانت مدة ولايته عليها خمس عشرة سنة وثلاثة أشهر[١]. وكانت فى بعض خلافة المنصور (سنة ١٥٤هـ)، وخلافة المهدى والهادى كلها وبداية خلافة هارون الرشيد حتى (سنة ١٧٠هـ)[٢]. وتعد هذه الفترة أصعب فترات عصر الولاة وأكثرها خيرا على أفريقية وفائدة لها. فقد كان يزيد رجلا ذكيا نشطا ذا خبرة بشئون الحكم والإدارة، وكذلك كان عربيا صادق العروبة يتصف بالشهامة والجرأة والبعد عن الصغائر، وكان مؤمنا قوى الإيمان ثابت العقيدة يؤمن بدولة السنة والجماعة، وأخلص للعباسيين[٣]. لذلك عم النشاط كل أنحاء المغرب الأدنى بفضل يزيد الذى كان رجلا طموحا يعرف واجبه فى الولاية، ويعلم أن حظه منها هو ما يتركه من المنشآت والآثار الحسنة فى رعيته لا ما يحتكره لنفسه من خيراتها، وما يمتصه من دمائها. وكان يزيد راعيا مخلصا، كريم النفس، لا يتهالك على المادة، همه سعادة الرعية، وفى تقدم المغرب الأدنى على يده. فدفع بالمغرب الأدنى فواصل فى طريق الحضارة أشواطه وخطاه التى لم تتوقف رغم الثورات التى عكرت جوه زمنا طويلا[٤]. ولهذا

(١) ابن الأثير: الكامل ١٩٨/٥، الذهبي: تاريخ الإسلام ٣١٣/٤، ابن العماد الحنبلي: شذرات ٢٧٥/١، الباجي: الخلاصة ص٢٠.

(٢) ابن عذاري: البيان ٨٢/١.

(٣) د. مقلد: موسوعة تاريخ المغرب ٢/ ٣٧.

(٤) دبوز: تاريخ المغرب الكبير ٣/ ٩٠.

عقب السلاوى على ولاية يزيد بقوله: «واستمر يزيد بن حاتم ضابطا لأمر إفريقية»[(١)].

ولم يأخذ المؤرخون على يزيد فى ولايته لإفريقية إلا أنه اكتفى ببسط سيطرته على المغرب الأدنى، ولم يحاول مد نفوذ العباسيين- وهو الوالى المحنك والمقاتل البارع- إلى المغرب الأوسط والأقصى[(٢)]. مما جعل حكمه بداية لظهور الدويلات المستقلة فى المغرب، والتى كانت أولها الدولة الرستمية (سنة ١٦١هـ)- الخارجية الإباضية-، ثم دولة الأدارسة (سنة ١٧٢هـ)[(٣)]. ويزيد لا يتحمل وزر هذا وحده، بل تشاركه الخلافة العباسية أيضا، لانشغالها بشرق العالم الإسلامى ومصر والشام الحجاز، ولم تعر المغرب -عامة- نفس اهتمامها بهذه الأقطار، وكان همها من المغرب القيروان، الحاضرة التى بناها عقبة بن نافع. وهذا لعدم قدرتها على إرسال الجيش تلو الجيش إلى هذه المسافات البعيدة وخسارتها للأرواح والأموال.

كما أن الولاة الذين سبقوا يزيد فعلوا نفس الأمر السيطرة على المغرب الأدنى فقط، ولما حاول بعضهم كسلفه عمر بن حفص المهلبى أن يمد نفوذه إلى المغرب الأوسط ثار عليه أهله- فى طبنة- وحاصروه بها واضطروه إلى العودة إلى القيروان وقتلوه بها (سنة ١٥٣هـ)، فلم يرد يزيد أن يثير عليه مثل هذه المشاكل والعقابت[(٤)].

نهاية يزيد بن حاتم (سنة ١٧٠هـ/ سنة ٧٨٦م):

ولم يزل متوليا على إفريقية إلى أن توفى بالقيروان (يوم الثلاثاء الثامن عشر من رمضان سنة ١٧٠هـ/ سنة ٧٨٦م)[(٥)]، ودفن بباب سلم بتونس[(٦)].

وكان قد استخلف على إفريقية ابنه داود (بن يزيد)[(٧)].

---

(١) الإستقصا ١/ ١١٩.

(٢) دبوز: تاريخ المغرب الكبير ٣/ ٩٥.

(٣) د. مقلد: موسوعة تاريخ المغرب ١/ ٢٥٥.

(٤) دبوز: تاريخ المغرب الكبير ٣/ ٩٥.

(٥) ابن خلكان: وفيات ٥/ ٣٦٩، الذهبي: تاريخ الإسلام ٥/٥٥، اليافعي: مرآة الجنان ١/ ٣٦١، السلاوي: الإستقصا ١/ ١١٩.

(٦) ابن خلكان: وفيات ٥/٣٦٩، الزاوي: تاريخ الفتح العربي ص١٤٧.

(٧) اليعقوبي: تاريخ ٢/٤١١، الذهبي: سير أعلام النبلاء ٨/٢٣٥، ابن تغري بردي:النجوم٢/٣.

ونجح يزيد فى إمارته لإفريقية نجاحا منقطع النظير، ساعده على هذا طول فترة ولايته- (سنة ١٥٤- ١٧٠هـ)، خمس عشرة سنة وثلاثة أشهر-، وحب الناس له. مما جعل ولايته لإفريقية ولاية إنجازات تمثلت فى القضاء على خطر الخوارج البربر والإصلاحات المتعددة التى قام بها، على العكس من ولايته مصر التى كان بمثابة ولاية إنقاذ، لما حل بها من ثورة العلويين بقيادة على بن محمد النفس الزكية (سنة ١٤٥هـ)، وثورة أقباط سخا ومن انضم إليهم (سنة ١٥٠هـ)، ومحاولته تأمين حدود مصر من ناحية الجنوب بالتصدى لبعض خوارج الحبشة.

نتائج البحث

ويخلص هذا البحث إلى عدة نتائج هى:

أولا: أن عزل يزيد عن مصر (سنة ١٥٢هـ) لم يكن بسبب إخفاقه فى ثورة أقباطها بسخا (سنة ١٥٠هـ)، لأنه عزل بعد هذه الثورة بسنتين (سنة ١٥٢هـ). وإنما كان للإستعانة به فى إفريقية التى نشط بها الخوارج وكانوا فى قتال مع عمر بن حفص المهلبى، فلما أخفق عمر فى الجولة الثانية معهم وقتلوه (سنة ١٥٣هـ)، ولى أبو جعفر المنصور يزيد على إفريقية لثقته الكبيرة فى كفاءته وحسن سياسته، وكان عند حسن ظن الخليفة به.

ثانيا: أن الصراع بين يزيد والبربر فى إفريقية تداخلت فيه النزعة العرقية القومية، لرفض البربر الخضوع لحكم العرب ونزعتهم إلى الإستقلال. وتداخلت فيه النزعة المذهبية، لاعتناق البربر، المذهب الخارجي- الصفرى والإباضى- وهو ضد المذهب السنى الذى يعتنقه ولاة العباسيين فى إفريقية، مما جعل من الصعب التمييز فى الأحداث بين هاتين النزعتين.

ثالثا: بيّن البحث الدور البارز للمهالبة فى ملاحقة الخوارج وكسر شوكتهم، فكما أن المهالبة حققوا الإنتصارات المدوية عليهم فى المشرق، كذلك كان الحال فى المغرب، وتمكن يزيد بن حاتم المهلبى من القضاء على أبى حاتم (سنة ١٥٥هـ)، وثورة أهل الزاب ويحيى بن فانوس (سنة ١٥٦هـ)، وثورة ورفجومة (سنة ١٥٧هـ) مما قض مضاجعهم وجعلهم يخضعون له، وثبت المذهب السنى.

رابعا: أن نجاح يزيد فى إفريقية يفوق نجاحه فى مصر (سنة ١٤٤- ١٥٢هـ)، وهذا راجع لطول المدة- خمس عشر سنة فى إفريقية، وسبع سنوات فى مصر-، ولحب الناس له، مما جعل ولايته تأخذ طابع ولاية الإنجازات

التى تمثلت فى القضاء على خطر الخوارج البربر، والإصلاحات المتعددة التى قام بها فى الزراعة والصناعة وترتيب السواق والقضاء والإهتمام بالعلم والعلماء، على عكس ولايته لمصر والتى كانت ولاية إنقاذ لما حل بها من التصدى للخارجين على العباسيين- كثورة على بن محمد (سنة ١٤٥هـ)- أو عليه- كثورة أقباط سخا (سنة ١٥٠).

خامسا: ترتب على سياسة تولية يزيد أقاربه كأحد أبنائه- مثل المهلب- أو أحد أبناء عمومته- مثل العلاء بن سعيد، ويزيد بن مجزأة المهلبيان- تأمين هذه المنطقة بولاة يعرفهم ويثق فيهم لقربهم منه وشدة إخلاصهم له وهو الأمر الذى اشتهر به المهالبة، ونجح هؤلاء بالفعل فى تأمين طرابلس وجبال نفوسة والزاب وورفجومة وغيرها، ولم يطمح المهالبة إلى الإستقلال بهذه المناطق ولا بإفريقية، وأخلصوا للعباسيين غاية الإخلاص.

سادسا: أكد البحث حب يزيد بن حاتم للعلم بصفة عامة وللشعر بصفة خاصة، فقد قرب إليه عددا من الشعراء مثل ربيعة بن ثابت الرقى، ومحمد بن عبد الله المولى، وصفوان بن صفوان، وغيرهم. كما كان يزيد يجل العلماء ويقدرهم ويعرف لهم مكانتهم، وتمثل هذا فى احترامه لرأى القاضى عبد الله بن زياد بن أنعم، وصلاته بنفسه على قاضى القيروان عبد الرحمن بن زياد وحزنه عليه.

سابعا: أن نجاح يزيد فى ولايته لإفريقية - (سنة ١٥٤- ١٧٠هـ)- جعل العباسيين يثقون فى كفاءة المهالبة وحسن سياستهم وإدارتهم، فولوها بعده لأربعة مهالبة (١٧٠- ١٧٨هـ) وهم داود بن يزيد، وروح بن حاتم، ونصر بن حبيب، والفضل بن روح بن حاتم، ولم يجد هؤلاء صعوبة فى ولايتهم لإفريقية التى مهدها لهم يزيد.

وبعد: فمن باب إحقاق الحق فإنه قد وقع فى ولاية يزيد بعض السلبيات، منها ردمه لجزء من خليج أمير المؤمنين فى مصر، وكان شريانا تجرى فيه السفن محملة بالطعام والمال إلى بلاد الحجاز بواسطة بحر القلزم- قناة السويس- وكان من الممكن الإستعاضة عن ذلك بمراقبة طرق القوافل جيدا، كما نجح القبط عسكريا لأول مرة فى ولايته أثناء ثورتهم بسخا (سنة ١٥٠هـ). وفى إفريقية اقتصر نشاطه السياسى والعسكرى على المغرب الأدنى، ولم يحاول - كمن سبقوه- مد نفوذ العباسيين للمغربيين الأوسط والأقصى خشية أن يتعرض لبعض المخاطر التى تعرض ولايته للتصدع ولو فعل ذلك لأجل قيام بعض الدول التى استقلت فيهما كالرستميين والأدارسة.

وعلى الجملة كشف البحث عن وال عباسى يتمتع بمميزات متعددة فى الشجاعة والكرم، ونفاذ الرأى، وحسن السياسة، والكفاءة العسكرية العالية، فكان محل ثقة أربعة من الخلفاء العباسيين- (المنصور والمهدى والهادى والرشيد)- أقروا حكمه، ولم يترك الولاية إلا بوفاته (سنة ١٧٠هـ/ ٦٨٧م).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

مصادر البحث ومراجعه

ابن الأبار (عبد الله محمد بن عبد الله) ت سنة ٦٥٨هـ:

١- الحلة السيراء تحقيق د/ حسين مؤنس- الشركة العربية للطباعة والنشر- القاهرة -ط(١) سنة ١٩٦٣.

ابن الأثير (أبو الحسن على بن أبى الكرم) ت سنة ٦٣٠هـ:

٢- الكامل فى التاريخ- دار الكتب العلمية- بيروت- ط(١) سنة ١٩٨٧م.

الأصفهانى (على بن الحسين بن محمد) ت سنة ٣٥٦هـ:

٣- الأغانى- دار الفكر- بدون.

أمين (أحمد):

٤- فجر الإسلام -مكتبة النهضة المصرية ط(١٣) سنة ١٩٨٢م.

ابن إياس (محمد بن أحمد) ت سنة ٩١١هـ:

٥- بدائع الزهور فى وقائع الدهور- تحقيق: محمد مصطفى- الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٢م.

د. أيوب (إبراهيم):

٦- التاريخ العباسى السياسى والحضارى- الشركة العالمية للكتاب- بيروت- ط(١) سنة ١٩٨٩م.

الباجى (أبو عبد الله محمد) ت ١٨٧٩م:

٧- الخلاصة النقية فى أمراء إفريقية- المطبعة الدولية- تونس سنة ١٢٨٣هـ.

باجيه (صالح):

٨- الأباضية بالجريد فى العصور الإسلامية الأولى- دار بو سلامة للطبع والنشر- تونس -ط(١) سنة ١٩٧٦م.

د. بدر (أحمد):

٩- تاريخ المغرب والأندلس- مطبعة الروضة- دمشق سنة ١٩٨٢م.

البغدادى: (أبو منصور عبد القاهر بن طاهر) ت سنة ٤٢٩هـ.

١٠- الفرق بين الفرق- مطبعة المعارف- مصر سنة ١٩٢٤م.

البكرى (أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز) ت سنة ٤٨٧هـ:
١١- المغرب فى ذكر بلاد إفريقية والمغرب- مكتبة المثنى- بغداد- بدون.
البلاذرى (أحمد بن يحى) ت سنة ٢٧٩هـ:
١٢- فتوح البلدان - دار الكتب العلمية- بيروت سنة ١٩٨٣م.
ابن تغرى بردى (جمال الدين أبو المحاسن) ت سنة ٨٧٤هـ:
١٣- النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة- دار الكتب المصرية- ط(١) سنة ١٩٣٠م.
الجهشيارى (محمد بن عبدوس) ت سنة ٣٣١هـ:
١٤- كتاب الوزراء والكتاب -مكتبة الحلبى- مصر- ط(٢) سنة ١٩٨٢م.
ابن حزم (أبو محمد على بن أحمد) ت سنة ٤٥٦هـ.
١٥- جمهرة أنساب العرب- دار الكتب العلمية- بيروت- ط(١) سنة ١٩٨٣م.
١٦- الفصل فى الملل والأهواء والنحل- مكتبة السلام العالمية- مصر سنة ١٣٤٨هـ.
د/حسن إبراهيم (حسن):
١٧- تاريخ الإسلام السياسى والثقافى والإجتماعى- النهضة المصرية ط(٩) سنة ١٩٨٠م.
د/ حسن (حسن على):
١٨- الحياة الدينية فى المغرب فى القرن الثالث الهجرى- دار النمر للطباعة- مصر سنة ١٩٨٥م.
د. حسن (حسن على)، د/ جمال الدين (عبد الله):
١٩- دراسات فى تاريخ مصر الإسلامية- دار الهانى للطباعة- مصر- سنة ١٩٩٠م.
د. حسين (طاهر راغب):
٢٠- محاضرات فى تاريخ المغرب والأندلس- دار الثقافة المصرية- سنة ١٩٩٠م.

د. الخربوطلى (على حسنى):

٢١- مصر العربية الإسلامية- الأنجلو المصرية سنة ١٩٦٣م.

د. الخطيب (محمد عبد القادر):

٢٢- الحياة السياسية فى بلاد المغرب الإسلامى- مطبعة الحسين- مصر سنة ١٩٨٩م.

ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) ت سنة ٨٠٨ هـ:

٢٣- العبر وديوان المبتدأ والخبر- دار الكتب العلمية- بيروت ط(١) سنة ١٩٩٢م.

ابن خلكان (أبو العباس أحمد بن محمد) ت سنة ٦٨١هـ:

٢٤- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان- تحقيق: محمد محى الدين عبد الحميد- النهضة المصرية- بدون.

خليفة بن خياط (أبو عمرو العصفرى) ت سنة ٢٤٠هـ:

٢٥- تاريخ - تحقيق: د. أكرم العمرى- دار القلم- دمشق- ط(٢) سنة ١٩٧٧م.

الدباغ (عبد الرحمن بن محمد الأنصارى) ت ٦٩٦هـ.

٢٦- معالم الإيمان فى معرفة أهل القيروان- المطبعة العربية- تونس سنة ١٣٢٠هـ.

دبوز (محمد على):

٢٧- تاريخ المغرب الكبير- دار إحياء الكتب العربية- مصر- ط(١) سنة ١٩٦٣م.

الذهبى (شمس الدين محمد بن أحمد) ت سنة ٧٤٨هـ.

٢٨- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام- دار الغد- مصر- ط(١) سنة ١٩٩٦م.

٢٩- دول الإسلام- إدارة إحياء التراث الإسلامى- قطر سنة ١٩٨٨م.

٣٠- سير أعلام النبلاء- تحقيق: نزيه أحمد- مؤسسة الرسالة- بيروت- ط(٣) سنة ١٩٨٥م.

٣١- العبر فى خبر من غبر- تحقيق: محمد السعيد بسيونى- دار الكتب العلمية- بيروت ط(٣) سنة ١٩٨٥م.

الرمزى (خليفة بن أبى الفرج) ت (خلال القرن الثالث عشر الهجرى):

٣٢- الرونق الحسان فى فضائل الحبشان- مخطوط- فى مكتب الأزهر- رقم ٣٩٢٢ خاص.

الزاوى (الطاهر أحمد):

٣٣- تاريخ الفتح العربى فى ليبيا- دار المعارف- مصر -ط(٢) سنة ١٩٦٣.

الزركلى (خير الدين):

٣٤- الأعلام- دار العلم للملايين- بيروت- ط(٩) سنة ١٩٩٠م.

د. زغلول عبد الحميد (سعد):

٣٥- تاريخ المغرب العربى- منشأة المعارف- الإسكندرية سنة ١٩٧٩م.

د. زيتون (محمد محمد):

٣٦- القيروان ودورها فى الحضارة الإسلامية- دار المنار- القاهرة- ط(١) سنة ١٩٨٨.

السلاوى (أبو العباس أحمد بن خالد الناصرى) ت سنة ١٣١٥هـ.

٣٧- الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى- تحقيق:جعفر الناصرى، ومحمد الناصرى، دار الكتاب- الدار البيضاء سنة ١٩٥٤م.

د. سليمان محمود (حسن):

٣٨- ليبيا بين الماضى والحاضر- مؤسسة سجل العرب سنة ١٩٦٢م.

د. السيد (محمود):

٣٩- تاريخ دول المغرب العربى- مؤسسة شباب الجامعة- الإسكندرية سنة ٢٠٠٠م.

د. سيدة كاشف:

٤٠- مصر فى عصر الولاة من الفتح العربى إلى قيام الدولة الطولونية- الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٨.

السيوطى (جلال الدين عبد الرحمن) ت سنة ٩١١هـ.

٤١- حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة- تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم- دار إحياء الكتب العربية- مصر- ط(١) سنة ١٩٦٧م.

الشهرستانى (محمد بن عبد الكريم) ت سنة ٥٤٩هـ:

٤٢- الملل والنحل- الأنجلو المصرية سنة ١٩٥٦م.

الطبرى (أبو جعفر محمد بن جرير) ت سنة ٣١٠هـ:

٤٣- تاريخ الأمم والملوك- دار المعارف- مصر -ط(٣) سنة ١٩٦٦م.

ابن عبد الحق (صفى الدين عبد المؤمن) ت سنة ٧٣٩هـ:

٤٤- مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع- تحقيق: على محمد البجاوى- دار إحياء الكتب العربية- مصر ط(١) سنة ١٩٥٤م.

ابن عبد الحكم (أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله) ت سنة ٢٥٧هـ:

٤٥- فتوح مصر وأخبارها- مكتبة مدبولى- مصر- ط(١) سنة ١٩٩١م.

د. عبد الرازق (أحمد):

٤٦- مصر الإسلامية- مكتبة سعيد رأفت- عين شمس سنة ١٩٨٤م.

ابن عبد ربه (أحمد بن محمد) ت سنة ٣٢٨هـ.

٤٧- العقد الفريد -تحقيق: د. مفيد قميحة- دار الكتب العلمية- بيروت ط(٣) سنة ١٩٨٧م.

ابن عذارى (أبو عبد الله محمد المراكشى) ت (فى أواخر القرن السابع الهجرى).

٤٨- البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب- تحقيق: ج- س- كولان، ليفى بروفنسال-د ار الثقافة- بيروت- ط(٢) سنة ١٩٨١م.

ابن عساكر (أبو القاسم على بن الحسن) ت ٥٧١هـ.

٤٩- تهذيب تاريخ دمشق- هذبه: الشيخ عبد القادر بدران- دار المسيرة- بيروت- ط(٢) سنة ١٩٧٩م.

ابن العماد الحنبلى (أبو الفلاح عبد الحى) ت سنة ١٠٨٩هـ.

٥٠- شذرات الذهب فى أخبار من ذهب- دارالفكر- ط(١) سنة ١٩٧٩م.

أبو الفداء (عماد الدين إسماعيل) ت سنة ٧٣٢هـ.

٥١- المختصر فى أخبار البشر -مكتبة المتنبى- القاهرة- بدون.

القلقشندى (أبو العباس أحمد بن محمد) ت سنة ٨٢١هـ.

٥٢- صبح الأعشى فى صناعة الإنشا- دار الكتب المصرية سنة ١٩٢٢م.

٥٣- قلائد الجمان فى التعريف بقبائل عرب الزمان- تحقيق: إبراهيم الأبيارى- دار الكتب الحديثة- مصر -ط(١) سنة ١٩٦٣م.

القنائى (أحمد):

٥٤- الجواهر الحسان فى تاريخ الحبشان- طبعة بولاق- مصر -ط(١) سنة ١٣٢١هـ.

القيروانى (أبو إسحاق إبراهيم بن على) ت سنة ٤٢٥هـ:

٥٥- زهرة الآداب وثمرة الألباب- تحقيق: على محمد البجاوى- مكتبة عيسى الحلبى- مصر- ط(٢) سنة ١٩٦٩م.

ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل) ت سنة ٧٧٤هـ:

٥٦- البداية والنهاية- دار الغد- مصر -ط(١) سنة ١٩٩١م.

الكندى (أبو عمر محمد بن يوسف) ت سنة ٣٥٠هـ:

٥٧- الولاة والقضاة- مؤسسة قرطبة- مصر -بدون.

الماوردى (على بن محمد بن حبيب) ت سنة ٤٥٠هـ:

٥٨- الأحكام السلطانية والولايات الدينية- دار الفكر- مصر -ط(١) سنة ١٩٨٣م.

المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد) ت سنة ٣٨٥هـ:

٥٩- الكامل فى اللغة والأدب- دار الفكر العربى- بيروت سنة ١٩٩٩م.

د. محمود (حسن أحمد)، د/ الشريف (أحمد إبراهيم):

٦٠- العالم الإسلامى فى العصر العباسى- دار الفكر- مصر- ط(٥)- بدون.

المرصفى (سيد بن على):

٦١- رغبة الآمل من كتاب الكامل- مطبعة النهضة- مصر- ط(١) سنة ١٩٢٨م.

د. مصباح (أحمد مجاهد):

٦٢- مصر فى ظلال الخلفاء- دار الطباعة المحمدية- مصر -ط(٢) سنة ١٩٧١م.

المقريزى (أبو العباس أحمد بن على) ت سنة ٨٤٥هـ:

٦٣- المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار- دار صادر- بيروت- بدون.

د. مقلد (عبد الفتاح):

٦٤- موسوعة تاريخ المغرب العربى- مكتبة مدبولى- القاهرة- ط(١) سنة ١٩٩٤م.

ابن منظور (محمد بن مكرم) ت سنة ٧١١هـ:

٦٥- لسان العرب- دار المعارف- مصر- بدون.

النويرى (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب) ت سنة ٧٣٣هـ.

٦٦- نهاية الأرب فى فنون الأدب- تحقيق: د. حسين نصار- المجلس الأعلى للثقافة - مصر سنة ١٩٨٣م.

اليافعى (أبو محمد عبد الله بن أسعد) ت سنة ٧٦٨هـ.

٦٧- مرآة الجنان وعبرة اليقظان- دار الكتاب الإسلامى- القاهرة- ط(٢) سنة ١٩٩٣م.

ياقوت الحموى (أبو عبد الله) ت سنة ٦٢٦هـ:

٦٨- معجم البلدان -دار صادر- بيروت- بدون.

اليعقوبى (أحمد بن أبى يعقوب) ت سنة ٢٨٤هـ:

٦٩- تاريخ- دار صادر- بيروت سنة ١٩٦٠م.

محاضر المجالس العباسية
وحرب الدعاية ضد الفاطميين
دراسة تحليلية

د/ السيد عبد الفتاح بلاط

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

فالعلاقة بين العباسيين والفاطميين كانت عدائية منذ اللحظات الأولى لقيام الدولة الفاطمية فى المغرب (٢٩٧هـ/ ٩٠٩م)، نظراً لاستيلاء الفاطميين على أملاك العباسيين فى المغرب ومصر والشام، وإقامة الدعوة لهم فى اليمن والحجاز- المركز الروحى للعالم الإسلامى- ولم يكتفوا بهذا، بل وحاولوا مد نفوذهم إلى العراق- دار خلافة العباسيين- وزاد العداء حدة اختلافهما المذهبى، فالصفة المذهبية الشيعية التى اتسمت بها الدولة الفاطمية كانت أحد أهم عوامل الخصومة بينها وبين الدولة العباسية السنية.

فوجد العباسيون أنفسهم أمام خطر كبير يتهددهم ويجب عليهم التصدى له، فكان من الأساليب التى لجأوا إليها لمقاومة الفاطميين سلاح التشهير بهم، فأصدروا ثلاثة محاضر[1]- (سنة ٤٠٢، ٤٤٤سنة ٤٨٨هـ) طعنوا فيها فى نسب الفاطميين إلى آل البيت، واتهموهم فيها بالكفر والزندقة، وأنهم يعطلون حدود الإسلام ولا يقيمونها، ورموهم بالفسق والفجور، وسفك الدماء، وأنهم يسبون ويلعنون الخلفاء الراشدين وبعض الصحابة -رضى الله عنهم أجمعين- وليس هذا فقط بل واتهموهم بادعاء الألوهية من دون الله تعالى، وأشهدوا على هذه المحاضر كبار الفقهاء ورجال البيت العلوى، ليكون لهذه المحاضر- بعد توزيعها على معظم الأقطار- أثرها فى تخذيل الناس عن الفاطميين، وإضعاف مركزهم فى المناطق التى استولوا عليها.

فما حقيقة هذه التهم التى جاءت فى محاضر العباسيين؟ وما آثارها على الفاطميين؟ هذا ما نجيب عليه فى الصفحات التالية- إن شاء الله تعالى- فى هذا البحث: «محاضر المجالس العباسية وحرب الدعاية ضد الفاطميين دراسة تحليلية».

والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل

---

(١) المحضر: السجل، والصحيفة تكتب في واقعة وفي آخرها خطوط الشهود بما تضمنه صدرها (المعجم الوسيط ١/ ١٨٨).

الصراع العباسي الفاطمي[١].

بعد انتهاء الدولة الأموية (سنة ١٣٢هـ/ سنة ٧٤٩م)، ظن الشيعة[٢] أن الدولة أصبحت لهم، ولكن خاب ظنهم حين قبض أبناء عمومتهم من بني العباس على ناصية الأمر، وجعلوا الخلافة في بيتهم: وبدأت مرحلة جديدة من الصراع بين العباسيين والعلويين، وتمسك العلويون بحقهم في الخلافة وقاموا بعدة ثورات هددت سلامة الدولة العباسية في بعض الأحيان، غير أن العباسيين قضوا على تلك الثورات بكل شدة وعنف[٣]. وبعد صراع طويل، تمكن الفاطميون من إقامة دولتهم في المغرب (سنة ٢٩٧هـ/ سنة ٩٠٩م)[٤].

وبدأ الفاطميون في التوسع على حساب أراضى الدولة العباسية، فاستولوا على مصر (سنة ٣٥٨هـ/ سنة ٩٦٨م)[٥]. لموقعها الجغرافى بين المشرق والمغرب، وقربها من حواضر الدولة العباسية فى الحجاز والشام والعراق، فضلا عن وفرة خيراتها[٦]. وفى السنة التالية (سنة ٣٥٩هـ/ سنة ٩٦٩م)- استولوا

---

(١) نسبة إلي فاطمة بنت رسول الله - ﷺ- ويقال لهم العلويون: نسبة إلي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب- رضي الله عنه- ويسموا أيضا بالمصريين: لاستقرارهم بها أخيراً. (القلقشندي (أحمد بن عبد الله): مآثر الأناقة في معالم الخلافة- تحقيق: عبد الستار فراج- عالم الكتب- بيروت- بدون- ٢/ ٢٤٨).

(٢) الشيعة: هم الذين شايعوا علياً- رضي الله عنه- علي الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصية، إما جلياً وإما خفيا. (الشهرستاني (محمد بن عبد الكريم): الملل والنحل- الأنجلو المصرية- ط(٢)- بدون- ١/ ١٣١).

(٣) د/ البعادي (أحمد مختار): في التاريخ العباسي والفاطمي، مؤسسة شباب الجامعة- بدون، ص٢٢٠.

(٤) الذهبي (محمد بن أحمد): تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام- دار الغد- مصر ط (١) سنة ١٩٩٦م ٨/ ٢٣٥.

(٥) ابن الساعي (علي بن أنجب): أخبار الخلفاء- المطبعة الأميرية- بولاق- مصر ط (١) سنة ١٣٠٩هـ- ص٨٤، أبو الفداء (عماد الدين إسماعيل): المختصر في أخبار البشر- مكتبة المتنبي- مصر- بدون- ٢/ ١٠٩، ابن عذاري (أبو عبد الله محمد المراكشي): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب- تحقيق: ج. س. كولان، ليفي بروفنسال- دار الثقافة- بيروت- ط(٣) سنة ١٩٨٣م- ١/ ٢٢١.

(٦) د. سرور (محمد جمال الدين): الدولة الفاطمية في مصر- دار الفكر العربي- مصر سنة ١٩٧٩م- ص٦٢، د. مصباح (أحمد مجاهد): مصر في ظلال الخلفاء- دار الطباعة المحمدية- ط(٢) سنة ١٩٧١م- ص٣٠٨.

على الشام[1] لتأمين حدود مصر، ولأن الشام مدخل للعراق مقر الخلافة التى تعتبر فى نظر الفاطميين خلافة مغتصبة للحكم غير شرعية[2]. وبعدها تطلعوا لبسط نفوذهم على بلاد الحجاز ليكسبوا خلافتهم قوة أمام العالم السلامى ويضعفوا من شأن الخلافة العباسية[3] فأقيمت الدعوة للمعز لدين الله[4] بالحرمين (سنة ٣٦٣هـ/ ٩٧٣م) وقطعت خطبة بنى العباسى[5]. ويعلق ابن خلكان على استيلاء الفاطميين على هذه المناطق بقوله: «وأرسل إليه- (جوهر إلى المعز)- يخبره بانتظام الحال بمصر والشام والحجاز، وإقامة الدعوة له بهذه المواضع[6]». وامتد نفوذ الفاطميين إلى اليمن، والتى كانت من أوائل المناطق التى انتشرت بها الدعوة الشيعية، فدعى للعزيز بالله[7] بها (سنة ٣٨٢هـ/ ٩٢٢م)[8].

---

(١) ابن القلانسي (أبو يعلي حمزة): ذيل تاريخ دمشق- مطبعة الآباء اليسوعيين- بيروت سنة ١٩٠٨م- ص١، ابن الأثير (أبو الحسن علي بن أبي الكرم) الكامل في التاريخ -دار الكتب العلمية- بيروت ط(١) سنة ١٩٨٧م- ٧/ ٣١٠، ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل): البداية والنهاية- دار الغد- مصر- ط(١) سنة ١٩٩١م- ١١/ ٣٤١.

(٢) د. العبادي: في التاريخ العباسي والفاطمي ص٢٧٥.

(٣) د. سرور (محمد جمال الدين): النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب- دار الفكر العربي- ط(٤) سنة ١٩٦٤م- ص١٤.

(٤) معد بن إسماعيل بن القائم بن المهدي الفاطمي، أبو تميم، بويع بالخلافة بعد وفاة أبيه (سنة ٣٤١هـ). ودان له المغرب كله عدا سبتة، واستولي علي مصر والشام والحجاز بقيادة قائده جوهر الصقلي. تحول عن المغرب إلي مصر سنة (٣٦٢هـ)، وتوفي بها (سنة ٣٦٥هـ). (ابن خلكان (أبو العباس أحمد بن محمد): وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان- تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد- النهضة المصرية- ط(١) سنة ١٩٤٨م- ٤/ ٣١٢- ٣١٦، الذهبي: تاريخ الإسلام ١٠/ ٢٠٣، ابن العماد الحنبلي (أبو الفلاح عبد الحي): شذرات الذهب في أخبار من ذهب- دار الفكر- بدون- ٣/ ٥٢- ٥٤).

(٥) ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمن) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم- دائرة المعارف العثمانية- حيدر آباد- الدكن- ط(١) سنة ١٣٥٨هـ- ٧/ ٧٥، الذهبي (محمد بن أحمد): العبر في خبر من غبر- تحقيق: محمد السعيد- دار الكتب العلمية- بيروت- بدون- ٢/ ١١٥- اليافعي (عبد الله بن أسعد): مرآة الجنان وعبرة اليقظان- دار الكتاب الإسلامي- مصر ط (٣) سنة ١٩٩٣م- ٢/ ٣٧٩.

(٦) وفيات ٤/ ٣١٢.

(٧) نزار بن معد بن المنصور الفاطمي، أبو منصور، ولد في المهدية (سنة ٣٤٤هـ)، وبويع بعد وفاة أبيه (سنة ٣٦٥هـ) وكان يكره سفك الدماء، وهو الذي بني قصر الذهب، وكانت في أيامه بعض الفتن والقلاقل. توفي وهو خارج لغزو الروم (٣٨٦هـ). (ابن الجوزي: المنتظم ٧/ ١٩٠، الذهبي: تاريخ الإسلام ١٠/ ٤٥٦، ابن العماد الحنبلي: شذرات ٣/ ١٢١).

(٨) ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد): العبر وديوان المبتدأ والخبر- دار الكتب العلمية- بيروت- ط(١) سنة ١٩٩٢م- ٤/ ٣٧، المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي): اتعاظ الحنفا=

ويبدو أن هذا النجاح للفاطميين شجعهم على محاولة مد نفوذهم إلى العراق، فيذكر المقريزى أنه دعى للعزيز فى الموصل[١] (سنة ٣٨٢هـ/ سنة ٩٩٢م)- أيضا[٢].

وأشارت المصادر إلى رسالة من العزيز إلى عضد الدولة[٣]، جاء فيها: «.. فأدى ما تحمله من إخلاصك فى ولاء أمير المؤمنين ومودتك، ومعرفتك بحق إمامته»[٤]. فأجابه بما مضموه صدق الطوية وحسن النية[٥]. على الرغم مما يعلمه عضد الدولة من الخلاف بين العلويين والعباسيين، مما جعل ابن تغرى بردى يعلق على هذا التصرف بقوله «فهذا من العجب»[٦].

ويعلق اليافعى على هذا التوسع الفاطمى بقوله: «وانتظم الحال بمصر والشام والحجاز، وإقامة الدعوة له- (المعز)- بهذه المواضع فسر بذلك سرورا عظيما»[٧] ويزيد المقريزى[٨]: «وبعض أعمال العراق» فكان هذا التوسع الفاطمى أحد أسباب العداء بين العباسيين والفاطميين.

وزاد العداء حدة اختلافهما فى المذهب، فالصفة المذهبية الشيعية التى

= بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا- تحقيق: د/ جمال الدين الشيال، د/ محمد حلمي- المجلس الأعلي للشئون الإسلامية سنة ١٩٩٦م- ١/ ٢٧٤، ابن تغري بردي (جمال الدين أبو المحاسن): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة- دار الكتب المصرية- ط(٣) سنة ١٩٣٣م- ٤/ ١١٦.

(١) الموصل: مدينة علي طرف دجلة، ويقابلها من الجانب الشرقي نينوي. وسميت بالموصل لأنها وصلت بين الجزيرة والعراق. (ابن عبد الحق (صفي الدين عبد المؤمن): مراصد الإطلاع علي أسماء الأمكنة والبقاع- تحقيق: علي محمد البجاوي- دار إحياء الكتب العربية- ط(١) سنة ١٩٥٤م- ٣/ ١٣٣٣).

(٢) اتعاظ الحنفا ١/ ٢٧٤.

(٣) فناخسرو بن الحسن بن بويه، الملقب بعضد الدولة، أبو شجاع. تولي ملك فارس والموصل وبلاد الجزيرة. وهو أول من خطب له علي المنبر بعد الخليفة العباسي، وأول من لقب «شاهنشاه»، وكان شيعيا- توفي سنة (٣٧٢هـ). (ابن الجوزي: المنتظم ٧/ ١١٣- ١١٨، ابن العماد الحنبلي: شذرات ٣/ ٧٨، ٧٩).

(٤) ابن تغري بردي: النجوم ٤/ ١٢٤.

(٥) الذهبي (محمد بن أحمد): دول الإسلام- إدارة إحياء التراث الإسلامي- قطر- سنة ١٩٨٨م ١/ ٢٢٨، ابن العماد الحنبلي: شذرات ٣/ ٦٨.

(٦) النجوم ٤/ ١٢٥.

(٧) مرآة الجنان ٢/ ٣٨٤.

(٨) (أحمد بن علي): المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار- دار صادر- بيروت- بدون ١/ ٣٥٤.

اتسمت بها الدولة الفاطمية كانت أحد أهم عناصر الخصومة بينها وبين الدولة العباسية السنية[١]. ولهذا يعلق ابن العماد الحنبلى على قدوم المعز مصر (سنة ٣٦٢هـ/ ٩٧٢م) بقوله: «وقويت شوكة الرفض[٢] شرقاً وغرباً، وخفيت السنن وظهرت البدع»[٣].

وزيادة على هذا وجدت الخلافة العباسية نفسها فى مأزق بسبب تطلعات الفاطميين القوية لمحاربتها فى عقر دارها- فى العراق- ففى (سنة ٣٩٨هـ/ ١٠٠٧م) حدثت فتنة فى بغداد بين السنة والشيعة الذين يسكنون حى الكرخ[٤]، فصاح الشيعة: «يا حاكم يا منصور» إشارة إلى خليفة مصر الفاطمى الحاكم بأمر الله[٥]، مما أحفظ الخليفة العباسى القادر بالله[٦]، وجعله يرسل جندا من حرسه الخاص لنصرة أهل السنة[٧]. وفوق ما أبداه الشيعة من ولاء للحاكم الفاطمى-الشيعى-، فربما استنتج القادر أنه لا يستبعد أن يكون للفاطميين دور- ولو سرى- فى تأليب الشيعة على أهل السنة لإحداث خلل فى بغداد يشغل العباسيين فينقضون عليهم.

(١) د. العبادي: في التاريخ العباسي والفاطمي ص٣٤٨.

(٢) الروافض: قوم من الشيعة، سموا بذلك لأنهم تركوا زيد بن علي، وكانوا قد بايعوه وقالوا له: ابرأ من الشيخين نقاتل معك، فأبي وقال: كان وزيري جدي، فلا أبرأ منهما، فرفضوه وأرفضوا عنه، فسموا رافضة. (ابن منظور (محمد بن مكرم) لسان العرب- دار المعارف- بدون ٣/ ١٦٩٠).

(٣) شذرات ٣/ ٤٠.

(٤) الكرخ: سوق كبير بين الصراة ونهر عيسي. غالب سكانه من الشيعة. (ابن عبد الحق: مراصد ١١٥٦/٣).

(٥) منصور بن نزار بن معد، أبو علي، ولد في القاهرة (سنة ٣٧٥هـ)، وتولي الخلافة بعد وفاة أبيه (سنة ٣٨٦هـ). له عناية بالعلوم والنظر في النجوم. وكانت حياته غريبة عجيبة مليئة بالمتناقضات. عرف عنه سفك الدماء، وادعاء الألوهية، قتل (٤١١هـ) (ابن خلكان: وفيات ٤/ ٣٧٩- ٣٨٣، الذهبي: تاريخ الإسلام ١١/ ١٦١، ابن كثير: البداية ١٢/ ٤٦٥).

(٦) أحمد بن إسحاق بن المقتدر. ولي الخلافة (سنة ٣٨١هـ)، وكان حازماً مطاعاً حليماً كريماً، هابته ملوك الترك والديلم. كان يجلس للناس كل اثنين وخميس للنظر في المظالم، وكان عالماً صنف كتابا في «الأصول». توفي (٤٢٢هـ). (ابن طباطبا (محمد بن علي): الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية- دار صادر- بيروت- بدون-ص٢٩١، اليافعي: مرآة ٤١/٣، السيوطي (عبد الرحمن بن محمد): تاريخ الخلفاء- المكتبة التجارية- مصر (٤) سنة ١٩٦٩م- ص٤١١-٤١٧، ابن العماد الحنبلي: شذرات ٣/ ٢٢١- ٢٢٣).

(٧) ابن الجوزي: المنتظم ٧/ ٣٣٨، الذهبي: دول الإسلام ١/ ٢٣٨، اليافعي: مرآن ٢/ ٤٤٩.

وفى هذا المجال أيضا- سعى الفاطميون للوصول إلى بغداد- حاولوا كسب قبائل عرب العراق وبلاد الجزيرة وأمرائهم، فقد تكررت رسل الحاكم ورسائله إلي قرواش بن المقلد العقيلى[1]، الذى خطب للحاكم فى الموصل والمدائن والأنبار والكوفة[2]، (سنة ٤٠١هـ/ سنة ١٠١٠م)[3]. ومما جاء فى الخطبة التى أرسل بها قرواش للخطباء: «الحمد لله... الذى محا بعدله جور الظلمة، وقصم بقوته الفتنة، فعاد الأمر إلى نصابه والحق إلى أربابه..» وفى الخطبة الثانية دعا للحاكم بقوله: «.. اللهم اجعل نوامى صلواتك على سيدنا ومولانا، إمام الزمان، وحصن الإيمان.. عبدك ووليك المنصور أبى على الحاكم بأمر الله.. اللهم أعنه على ما وليته، واحفظ ما استرعيته، وانصر جيوشه وأعلامه..»[4] ولكنه أعاد الخطبة للعباسيين بعد شهر[5]، لما علم بتيسير الجيوش إليه[6]. ولاشك أن هذا تطور كبير فى الدعوة الفاطمية أن تصل إلى حدود العراق.

ولم يكتف الخليفة العباسى القادر فى مواجهة الفاطميين بقوة السلاح، بل لجأ إلى سياسة التشهير بهم فأصدر فى شهر ربيع الآخر (سنة ٤٠٢هـ/ سنة ١٠١١م) محضراً رسمياً تناول فيه الطعن فى نسب

---

(١) قرواش بن المقلد بين المسيب بن رافع العقيلي، أبو منيع، معتمد الدولة. أصله من هوازن، وولي الكوفة والموصل والمدائن بعد أبيه (سنة ٣٩١هـ)، وأحسن تدبير ملكه وسياسته. وقع خلاف بينه وبين أخيه بركة، فقبض عليه بركة (سنة ٤٤١هـ) وحبسه في إحدي قلاع الموصل، ثم نقله إلي قلعة الجراجية فتوفي بها (٤٤٤هـ). (ابن الأثير: الكامل ٨/ ٣٠٨، أبو الفداء،: المختصر ٢/ ١٧٢).

(٢) المدائن: في الجانب الغربي من دجلة، وكانت قديماً سبع مدن (ياقوت الحموي «أبو عبد الله»: معجم البلدان -دار صادر- بيروت- بدون ٥/ ٧٤،٧٥). والأنبار: مدينة علي الفرات غربي بغداد، سميت بذلك لأنه كان يجمع بها أنابير الحنطة والشعير (ابن عبد الحق: مراصد ١/ ١٢٠). والكوفة: البلد المشهور بأرض بابل من سواد العراق، وسميت بالكوفة لاستدارتها، أو لاجتماع الناس بها. (ياقوت الحموي: معجم البلدان ٤/ ٤٩٠- ٤٩٢).

(٣) ابن الأثير: الكامل ٨/ ٦٣، أبو الفداء: المختصر ٢/ ١٣٩، الذهبي: العبر ٢/ ١٩٧، ١٩٨.

(٤) ابن الجوزي: المنتظم ٧/ ٢٤٩-٢٥١، الذهبي: تاريخ الإسلام ١١/ ١٩، ٢٠، ابن تغري بردي: النجوم ٤/ ٢٢٥- ٢٢٧.

(٥) المقريزي: اتعاظ ٢/ ٨٨.

(٦) الذهبي: دول الإسلام ١/ ٢٤٠، ابن كثير: البداية ١١/ ٤٣٩.

الفاطميين، واتهمهم بالكفر والزندقة، وتعطيل حدود الإسلام، ورماهم بالفسق والفجور وسفك الدماء، وأنهم يسبون ويلعنون الصحابة والسلف، وأنهم يدعون الألوهية(١).

وقيل إن السبب المباشر لهذا المحضر، أن الخليفة القادر بلغه قول الشريف الرضى(٢):

ما مقامى على الهوان وعندى … مقول صارم وأنف حمى
ألبس الذل فى بلاد الأعادى … وبمصر الخليفة العلوى
من أبوه أبى ومولاه مولا … ى إذا ضامنى البعيد القصى
لف عرقى بعرقه سيد النا … س جميعا محمد وعلى

فاستدعى القادر الأشراف والقضاة والفقهاء وأمر بكتابة هذا المحضر، وأن يوقع فيه الشريف الرضى بخطه(٣).

ورغبة من الخلافة العباسية فى أن يكون لهذا المحضر أثره ولا يتسرب الشك إلى الناس مما فيه، وقع عليه كبار العلويين، والقضاة والفقهاء، وغيرهم(٤)، وأرسلت نسخ منه إلى معظم الآفاق(٥).

---

(١) انظر هذا المحضر في: ابن الجوزي: المنتظم ٧/ ٢٢٥، أبو الفداء: المختصر ٢/ ١٤٢، ١٤٣، الذهبي: تاريخ الإسلام ١١/ ٢٢، اليافعي: مرآة ٣/ ٤، ابن كثير: البداية ١١/ ٤٤١، القلقشندي: مآثر الأناقة ٢/ ٢٥٧، المقريزي: اتعاظ ١/ ٤٣، ٤٤، ابن تغري بردي: النجوم ٤/ ٢٢٩، ٢٣٠، السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن): حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة- تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم- دار إحياء الكتب العربية- مصر- ط(١) سنة ١٩٦٧م- ٢/ ٢٨٢، ٢٨٣، ابن العماد الحنبلي: شذرات ٣/ ١٦٢.

(٢) محمد بن الحسين بن موسى، أبو الحسن، الرضي العلوي الحسيني. شاعر مجيد، وانتهت إليه نقابة الأشراف في حياة والده، وخلع عليه بالسواد. توفي (سنة ٤٠٦هـ) ببغداد (أبو الفداء: المختصر ٢/ ١٤٥، الذهبي: العبر ٢/ ٢١٣، ابن كثير: البداية ١٢/ ٤٥٨، ابن العماد الحنبلي: شذرات ٣/ ١٨٢، ١٨٣).

(٣) ابن كثير: البداية ١٢/ ٤٥٩، المقريزي: أتعاظ ١/ ٣٢، ٣٣.

(٤) وقع عليه من كبار العلويين الشريفان الرضي والمرتضي، ومن القضاة والفقهاء أبو محمد عبد الله الأكفاني، وأبو محمد الكشفلي، والإمام أبو حامد الإسفراييني، وأبو الحسين القدوري، وأبو عبد الله الصيمري، وغيرهم. (ابن الجوزي: المنتظم ٧/ ٢٥٥، ٢٥٦، ابن الأثير: الكامل ٨/ ٧٣، السيوطي: حسن المحاضرة ٢/ ٢٨٣).

(٥) الذهبي: تاريخ الإسلام ١١/٢٢، ابن كثير: البداية ١١/ ٤٤١، ابن تغري بردي: النجوم ٤/ ٢٣٠.

ورأى الفاطميون إزاء تلك السياسة التى اتبعها العباسيون للتشهير بهم أن يضاعفوا من جهودهم فى نشر دعوتهم فى بلاد العراق- مقر الخلافة العباسية- فأرسل الظاهر بالله(١) دعاته إلى بغداد سراً (سنة ٤٢٥هـ/ سنة ١٠٣٣م) واستجاب لهم خلق كثير(٢). بل وحاول الفاطميون استغلال الفرص للدعاية لهم وجذب سكان العراق إليهم، فأرسل الظاهر- أيضا- (سنة ٤٢٧هـ/ سنة ١٠٥٣م) مبلغ ألفى دينار لإصلاح قنطرة الجاروفة التى منها شرب أهل الكوفة، وقبلها الخليفة القائم بالله(٣) بعد مشورة الفقهاء نظراً لسوء الحالة الإقتصادية فى هذا الوقت(٤). ويبين المقريزى الغرض من هذا بقوله: «فأريد بذلك استمالة من هناك- (فى العراق)- إلى الطاعة»(٥). ولنا أن نتصور مدى دعاء الناس فى الكوفة للفاطميين وثنائهم عليهم بإصلاح هذه القنطرة التى يعتمدون عليها اعتماداً رئيسياً فى حصولهم على الماء عصب الحياة.

وعاود الفاطميون -مرة ثانية- استمالتهم لأمراء وعرب العراق والجزيرة، فأرسل المستنصر بالله(٦) (سنة ٤٣٦هـ/ ١٠٤٤م) إلى قرواش بن المقلد- صاحب الموصل- أعلاماً وخلعاً فلبسها، فأرسل إليه الخليفة العباسى القائم يعاتبه على ذلك، فاعتذر ولبس السواد- شعار العباسيين(٧)- وهى محاولة

(١) علي بن منصور بن العزيز بن المعز، أبو الحسن. ولد (سنة ٣٩٥هـ) وتولي الخلافة بعد وفاة أبيه (سنة ٤١١هـ)، وكان طفلاً صغيراً، فكانت عمته ست الملك هي الوصية عليه. واضطربت أحوال مصر والشام في عهده، وكان محباً للعدل، مع ميل إلي اللهو. توفي بالقاهرة (سنة ٤٢٧هـ). (ابن الأثير: الكامل ٨/ ٢١٩، ٢٢٠، ابن خلكان: وفيات ٣/ ٨٤، ٨٥، أبو الفداء: المختصر ٢/ ١٥٩).

(٢) المقريزي: الخطط ١/ ٣٥٥.

(٣) عبد الله بن أحمد بن المقتدر، أبو جعفر، القائم بأمر الله. ولي الخلافة (سنة ٤٢٢هـ) بعهد من والده. وكان ورعاً عادلاً، كثير الرفق بالرعية، له عناية بالأدب. توفي (سنة ٤٦٧هـ). (ابن طباطبا: الفخري ص٢٩٢-٢٩٥، ابن كثير: البداية ١١/ ٣٠٢، السيوطي: تاريخ الخلفاء ص٤١٧- ٤٢٣).

(٤) المقريزي: أتعاظ ٢/ ١٨٥، السيوطي: حسن المحاضرة ٢/ ٢٨٦.

(٥) اتعاظ ٢/ ١٨٥.

(٦) معد بن علي بن الحاكم بأمر الله، أبو تميم. ولد بمصر (سنة ٤٢٠هـ)، وبويع وهو طفل بعد موت أبيه (سنة ٤٢٧هـ)، وقام بأمره وزير أبيه أبو القاسم الجراجرائي، ووقع في عهده غلاء شديد استمر سبع سنوات. توفي في ذي الحجة (٤٨٧هـ) وكانت خلافته ستين سنة وأربعة أشهر. (ابن الأثير: الكامل / ٤٩٧، ٤٩٨، ابن خلكان: وفيات ٤/ ٣١٧-٣١٩، اليافعي: مرآة ٣/ ١٤٥، ابن كثير: البداية ١٢/ ٦٣٩).

(٧) المقريزي: اتعاظ ٢/ ١٩٣.

لتضييق الخناق على العباسيين فى بغداد، كما يظهر منها أن قرواش كان متقلباً تارة يخضع للعباسيين فى بغداد وأخرى للفاطميين، ويبدو أنها كانت سمة لهؤلاء الأمراء.

بل وحاول الفاطميون تطويق العباسيين من جهة الشرق في بلاد فارس والأهواز(١)، فقد استطاع داعيتهم المؤيد فى الدين الشيرازى(٢) أن ينجح فى تحويل الكثير من سكان هذه البلاد إلى المذهب الشيعى الإمامى، ودعا للمستنصر الفاطمى فيها، مما قلل من ضعف نفوذ العباسيين فى هذه المناطق(٣).

كل هذه العوامل كانت مقدمات للمحضر الثانى (سنة ٤٤٤هـ/ ١٠٥٢م)، أما أسبابه المباشرة فكانت الصراع المستمر بين السنة والشيعة فى بغداد ووقوع عدد كبير من القتلى بين الفريقين، كما فى (سنة ٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م)(٤)، (سنة ٤٤١هـ/ سنة ١٠٤٩م)(٥)، (سنة ٤٤٣هـ/ ١٠٥١م)، حتى أن كلا منهما بنى الأسوار حول نفسه حماية له من الآخر، وكتب الشيعة على أبواب الأبراج: «محمد وعلى خير البشر فمن رضى فقد شكر، ومن أبى فقد كفر»(٦). ووقع القتل والنهب والحريق فى بغداد فى هذه السنة

---

(١) الأهواز: أصلها: أحواز، جمع حوز، أبدلته الفرس لأنه ليس في كلامهم حاء. وكانت تسمى أيامهم بخورستان. وهي سبع كور بين البصرة وفارس. (ياقوت الحموي: معجم البلدان ١/ ٢٨٤- ٢٨٦).

(٢) هبة الله بن موسى بن داود الشيرازي، أبو نصر، المؤيد في الدين داعي الدعاة. من زعماء الإسماعيلية وكتابها، ولد وتعلم بشيراز، وكان له ولأبيه الدور البارز في القيام بالدعوة الفاطمية فيها، وفي الأهواز أيضاً وعمل في خدمة المستنصر في ديوان الإنشاء، وتقدم حتى صار إليه أمر الدعوة الفاطمية (سنة ٤٥٠هـ)، توفي بمصر (سنة ٤٧٠هـ). (الزركلي (خير الدين): الأعلام- دار العلم للملايين- بيروت- بدون ٨/ ٧٥، ٧٦).

(٣) د. ماجد (عبد المنعم): ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها في مصر- دار المعارف سنة ١٩٦٨م- ص١٦٩، ١٧٠. د. الخربوطلي (علي حسني): مصر العربية الإسلامية- الأنجلو المصرية سنة ١٩٦٣م- ص١٩٢، د. حسن (حسن علي): دراسات في التاريخ العباسي- مكتبة الشباب- القاهرة سنة ١٩٩٠م- ٤/ ١٠٧، ١٠٨.

(٤) ابن كثير: البداية ١٢/ ٥٢٧.

(٥) الذهبي: دول الإسلام ١/ ٢٥٩، ابن تغري بردي: النجوم ٥/ ٤٧.

(٦) ابن الأثير: الكامل ٨/ ٣١، الذهبي: العبر ٢/ ٢٨٢، اليافعي: مرآة ٣/ ٦١، ابن العماد الحنبلي: شذرات ٣/ ٢٧٠.

- (سنة ٤٤٣هـ)- وغلقت الأسواق(١). وفى (سنة ٤٤٤هـ/ سنة ١٠٥٢م) التى كتب فيها المحضر -الثانى- هاجت الفتنة بين الفريقين واستعرت نيرانها، وأحرقت عدة حوانيت، وأذن الشيعة «بحى على خير العمل»، فحمل عليهم أهل السنة، وقتل عدد من الرجال والنساء والصبيان(٢).

وكانت هذه الفتن التى يثيرها الشيعة فى بغداد أو غيرها من المدن العراقية من حين لآخر مظهراً من مظاهر نجاح الدعاة الشيعة فى تأليب أنصارهم ضد السلطة العباسية(٣). فتأكد العباسيون هذه المرة- كانت السابقة قبل المحضر الأول (سنة ٤٠٢هـ)- من الدور السرى للفاطميين في إذكاء روح الفتنة بين الفريقين لاضطراب العراق على العباسيين، أو على الأقل فعل الشيعة هذا اعتماداً على تشجيع ومساعدة الفاطميين لهم. بدليل أنه لما تجدد القتال بين الفريقين فى السنة التالية (سنة ٤٤٥هـ/ سنة ١٠٥٣م)، وردت الأخبار بأن المستنصر الفاطمى عازم على قصد العراق(٤). فلم تجد الخلافة العباسية أمامها إلا سلاح الطعن فى الفاطميين فكان المحضر الثانى.

وقيل أيضاً فى سبب هذا المحضر، أن المعز بن باديس(٥) لما خرج على المستنصر الفاطمى (سنة ٤٤٣هـ/ ١٠٥١م)، أرسل رسولاً إلى بغداد ليعلن أنه سيقيم الدعوة فى بلاده للعباسيين، ويطلب منهم الخلع، فأجيب إلى ذلك، وجهزت الخلع واللواء والعهد مع هذا الرسول -أبو غالب الشيرزى- فلما كان ببلاد الروم قبض عليه صاحبها وأرسله إلى المستنصر فى مصر، فأمر أن يطاف به فى القاهرة على جمل تشهيرا به، وأحرق اللواء والعهد والهدية التى كانت معه، ثم أعاده المستنصر إلى صاحب الروم الذى أرسله إلى بغداد

---

(١) الذهبي: العبر ٢/ ٢٨٢، ابن الساعي: أخبار الخلفاء ص٨٧.

(٢) الذهبي: العبر ٢/ ٢٨٣.

(٣) د. حسن : دراسات في التاريخ العباسي ٤/ ١١٤.

(٤) ابن كثير: البداية ١٢/ ٥٣٥.

(٥) المعز بن باديس بن المنصور الصنهاجي. ولد بالمنصورية (٣٩٨هـ)، وأقره الحاكم علي إفريقية ولقبه بشرف الدولة، ثم قطع الخطبة للفاطميين، وساد في أيامه الأمن، وكان كثير العمارة، وحارب زناتة وانتصر عليهم. وكان قد أشهر مذهب الإمام مالك بإفريقية. توفي (سنة ٤٥٤هـ). (أبو الفداء: المختصر ٢/١٤٤، اليافعي: مرآة ٣/ ٧٥، ابن خلدون: العبر ٦/ ١٨٧، ١٨٨).

فوصلها (سنة ٤٤٤هـ/ سنة ١٠٥٢م)[١]، وأخبر الخليفة العباسى القائم بما حدث له، فاستدعى القائم الأشراف والقضاة والفقهاء والشهود- كالمحضر الأول- وأمر بكتابة المحضر الثانى- (سنة ٤٤٤هـ)[٢]- للتشهير بالفاطميين[٣].

ولم تذكر المصادر صيغة هذا المحضر، ويقول عنه ابن تغرى بردى، أنه: «.. من جنس المحضر الذى برز فى أيام القادر بالله»[٤] ويقول المقريزى[٥]: «وشنع عليهم- (على الفاطميين فى المحضر الثانى)- تشنيع كبير» إشارة إلى أن هذا المحضر اشتمل على نفس الاتهامات التى وجهت إلى الفاطميين فى المحضر الأول (سنة ٤٠٢هـ/ سنة ١٠١١م).

أما المحضر الثالث فكان (سنة ٤٨٨هـ/ ١٠٥٩م)، وسببه أنه قام تاجر فى بغداد- يعرف بحامد الأصفهانى- وتكلم بأن نسب الخلفاء الفاطميين صحيح، فقبض عليه واعتقل حتى مات[٦]، فأخرجت الخلافة العباسية هذا المحضر كرد فعل لما ذكره هذا التاجر فى صحة نسب الفاطميين.

وقيل أيضاً فى سبب هذا المحضر، أنه كان محاولة من الخلافة العباسية لاستغلال انشقاق الدعوة الإسماعيلية[٧] وانقسامها على نفسها، وانشغال أئمتها بتبرير شرعية خلافتهم للمستنصر الفاطمى فى مصر، فأخذوا يهاجمون الفاطميين من جديد فى بلاد الشام بمساعدة السلاجقة[٨]، وعن

---

(١) المقريزي: اتعاظ ٢/ ٢٢٣، ٢٢٤.

(٢) انظر هذا المحضر في: ابن الأثير: الكامل ٨/ ٣١٠، الذهبي: العبر ٢/ ٢٨٤، اليافعي: مرآة ٣/ ٦٢، ابن كثير: البداية ١٢/ ٥٣٣، المقريزي: اتعاظ ٢/ ٢٢٣، ابن تغري بردي: النجوم ٥/ ٥٣.

(٣) المقريزي: اتعاظ ٢/ ٢٢٤.

(٤) النجوم ٥/ ٥٣.

(٥) اتعاظ ٢/ ٢٢٣.

(٦) المقريزي: اتعاظ ٣/ ١٧.

(٧) الإسماعيلية: هم الذين يقولون بإثبات الإمامة لإسماعيل بن جعفر الصادق، وأنه الابن الأكبر المنصوص عليه. (الشهرستاني: الملل والنحل ١/ ١٤٩٠، ١٧٠).

(٨) مجموعة من القبائل التركية الذين عرفوا باسم «الغز»، وكانوا قد هاجروا منذ القرن الثالث إلي الرابع الهجري من أقصي التركستان تحت ظروف سياسية أو اقتصادية إلي بلاد ما وراء النهر، وأطلق عليهم السلاجقة بعد أن تولي رئاستهم «سلجوق بن آفاق». واعتنق السلاجقة الإسلام علي المذهب السني بواسطة الغزنويين، وغلب عليهم النظام القبلي، ودخلوا في صراع مع الغزنويين وانتصروا عليهم (سنة ٤٢٦هـ). (البنداري (الفتح بن علي بن محمد): تاريخ دولة آل سلجوق- شركة طبع الكتب الحديثة-مصر ١٩٠٠م- ص ٥- ٨).

طريق التشكيك فى نسبهم، فكتب هذا المحضر فى بغداد (سنة ٤٨٨هـ/ ١٠٥٩م)[١] فى شهر ربيع الآخر- كالمحضر الأول.

وأورد لنا المقريزى صيغة هذا المحضر مختصرة، فبعد حمد الله تعالى والثناء عليه، وبيان فضل العباس -رضى الله عنه- والخلفاء العباسيين، يذكر: «فإنه لم يخل وقت ولا زمان من مارق على الدين، وشاع تفرق كلمة المسلمين ليبلوا الله المجاهدين منهم والصابرين، ويصلى أكثر العاكفين نار جهنم التى أعدت للكافرين، وهذه الطائفة المارقة من الباطنية الملحدين، والكفرة المستسلمين، انتهكوا المحارم، واستحلوا الكبائر، وأراقوا الدماء، وكذبوا بالذكر، وأنكروا الآخرة، وجحدوا الحسنات والجزاء، وفصلوا أعضاء المسلمين، وسلموا أعين الموحدين، فكادوا الدين وفقهاءه، وأعلنوا بالشرك ونداءه». ثم رموهم بالفسوق والإهمال والإنحلال، وقالوا: شاعرهم يقول:

حل برقادة[٢] المسيح حل بها آدم ونوح[٣]

إشارة إلى أول خلفائهم عبيد الله المهدى[٤]، ويتشابه هذا المحضر بدرجة كبيرة مع المحضر الأول (سنة ٤٠٢هـ/ ١١٠١م).

ويتضح مما سبق أن العداء بين العباسيين والفاطميين ولد مع مولد الدولة الفاطمية (سنة ٢٩٧هـ/ سنة ٩٠٩م)، حين استولى الفاطميون على المغرب، وتطلعوا لمزاحمة العباسيين فاستولوا عى مصر والشام والحجاز واليمن، ودعى لهم فى هذه المناطق جميعا، ولم يكتفوا بهذا، بل وحاولوا مد نفوذهم

---

(١) د. سيد (أيمن فؤاد)): الدولة الفاطمية تفسير جديد- الدار المصرية اللبنانية- ط(١) سنة ١٩٩٢م- ص١٥٩.

(٢) رقادة: بلد بإفريقية، بينها وبين القيروان أربعة أميال، وهي ذات بساتين. (ابن عبد الحق: مراصد ٢/ ٦٢٤).

(٣) اتعاظ ٣/ ١٧.

(٤) عبيد الله بن محمد الحبيب بن جعفر المصدق بن محمد المكرم، الفاطمي، العلوي- في نسبه خلاف- مؤسس الدولة الفاطمية بالمغرب (سنة ٢٩٧هـ). كان يسكن سليمة بالشام، ثم تحول عنها إلي المغرب بعد أن مهدها له أبو عبد الله الشيعي، فظهر بسلجماسة (سنة ٢٩٦هـ)، ثم بويع بالقيروان (سنة ٢٩٧هـ)، وحاول الاستيلاء علي مصر فلم يتمكن، توفي (سنة ٣٢٢هـ)، (ابن الأثير: الكامل ٧/ ٩٩، ١٠٠، الذهبي: تاريخ الإسلام ٩/ ٢٦٨-٢٧٠، ابن خلدون: العبر ٤/ ٤٨).

إلى بلاد العراق– مقر الخلافة العباسية– فأدرك العباسيون حقيقة الخطر الذى يحدق بهم ويجب عليهم مجابهته. وكان من وسائل مقاومة هذا الخطر «محاضر المجالس»، التى تشكك فى نسب الفاطميين، وتقدح فى دينهم وأخلاقهم، وتتهمهم بسب ولعن الصحابة والسلف، وأنهم ادعوا الألوهية، لتصرف الناس عنهم. فما حقيقة ما جاء فى هذه المحاضر، وما آثارها؟ هذا ما نبينه فى الصفحات التالية– إن شاء الله تعالى:

مسألة النسب:

صدر العباسيون محاضرهم الثلاثة بإنكار نسب الفاطميين، بقولهم: «هذا ما شهد به الشهود أن معد بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن سعيد منتسب إلى ديصان بن سعيد الذى ينتسب إلى الديصانية[1]، وأن هذا الناجم بمصر هو منصور بن نزار المتلقب بالحاكم –حكم الله عليه بالبوار والدمار– (هكذا)– بن معد بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن سعيد– لا أسعده الله– (هكذا)، وأن من تقدمه من سلفه الأرجاس والأنجاس– عليهم لعنة الله ولعنة اللاعنين– أدعياء خوارج لا نسب لهم فى ولد على بن أبى طالب–رضى الله عنه– وأن ما ادعوه من الإنتساب إليه زور وباطل»[2].

وهذه المسألة اختلف فيها المؤرخون قديماً وحديثاً، وذكرت المصادر التاريخية أن من أنكر نسبهم أرجع أصلهم إلى المجوس، ويقولون إنه كان لديصان ابن اسمه ميمون القداح فولد له عبد الله، وكان عالماً بالشرائع والمذاهب، ودعا الناس إلى أمام من أهل البيت وهو محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، وصار له دعاة فى الأهواز والبصرة، فلما توفى قام بالدعوة بعده ولده أحمد، ولما مات خلفه ابنه الحسين فأخوه سعيد الذى استقر بسلمية[3]، وأرسل الدعاة إلى اليمن والمغرب[4]. وعليه فنسب المهدى مؤسس الدولة

(١) الديصانية: هم أصحاب ديصان، وأثبتوا أصلين: نورا وظلاما. فالنور يفعل الخير قصدا واختيارا، والظلام يفعل الشر طبعا واضطرارا. (الشهرستاني: الملل والنحل ١/ ٢٣٠، ٢٣١).

(٢) انظر: ابن الجوزي: المنتظم ٧/ ٢٢٥، أبو الفداء: المختصر ٢/ ١٤٢، ١٤٣، الذهبي، العبر ٢/ ٢٠٠، ابن تغري بردي: النجوم ٤/ ٢٢٩، ٢٣٠.

(٣) بليدة من أعمال حماة، بينهما مسيرة يومين. (ياقوت الحموي: معجم البلدان ٣/ ٤٢٠، ٤٢١).

(٤) ابن الأثير: الكامل ٦/ ٤٤٩، ٤٥٠، المقريزي: اتعاظ ١/ ٢٣- ٢٦.

الفاطمية هو: سعيد بن الحسين بن أحمد ابن عبد الله بن ميمون القداح بن ديصان الأهوازى، وأصله من المجوس[1].

وكان سبب الخلط فى نسبتهم إلى المجوس وميمون القداح، أن جعفر الصادق[2] خلف أربعة أولاد منهم عبد الله. ولما أراد أولاد جعفر هؤلاء إظهار دعوتهم خافوا نفاق المنافقين، وأخفوا شخصياتهم بعيداً عن اضطهاد العباسيين، فتسموا بغير أسمائهم وأطلقوا على أنفسهم: مبارك وميمون وسعيد للفأل الحسن فى هذه الأسماء، فكان لقب ميمون الذى أطلق على أحد أولاد جعفر هو الذى قاد إلى هذا الخلط[3].

وفريق آخر من الطاعنين ينسبونهم إلى اليهود، ويقولون إن الحسين بن ميمون القداح لما استقر بسليمة ذكروا له النساء ووصفوا له امرأة رجل يهودى حداد مات عنها زوجها -بسلمية- ولها منه ولد فائق الذكاء، فتزوجها وأحب هذا الولد فأدبه وعلمه أسرار الدعوة، وزعم أنه الإمام الوصى، فكان هو عبيد الله المهدى[4].

وقيل أيضا فى نسبة الفاطميين إلى اليهود، إن المهدى لما دخل سلجماسة[5] ونمى خبره إلى إليسع[6] ملكها، وأن هذا هو الذى يدعو أبو عبد الله الشيعى[7] إلى بيعته أخذه واعتقله، فلم علم أبو عبد الله حشد جمعا

---

(١) المقريزي: الخطط ١/ ٣٤٨.

(٢) جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين، أبو عبد الله. لقب بالصادق لأنه لم يعرف الكذب. وهو سادس الأئمة الإثني عشر عند الإمامية. وله منزلة رفيعة في العالم، وأخذ عنه الإمامان أبو حنيفة ومالك. توفي بالمدينة سنة ١٤٨هـ (ابن الأثير: الكامل ٥/ ١٨٨، ابن خلكان: وفيات ١/ ١٠٥، اليافعي: مرآة ١/ ٣٠٤، ٣٠٥).

(٣) د. سيد: الدولة الفاطمية ص٣٥.

(٤) ابن الأثير: الكامل ٦/ ٤٥٣، أبو الفداء: المختصر ٢/ ٦٤، ابن تغري بردي: النجوم ٤/ ٧٥.

(٥) سجلماسة: مدينة في جنوب المغرب، بينها وبين فاس عشرة أيام. (ابن عبد الحق: مراصد ٢/٦٩٤).

(٦) إليسع بن مدرار، قتله أبو عبد الله الشيعي (سنة ٢٩٦هـ)، لما استولي علي سلجماسة وخلص المهدي وابنه أبا القاسم من حبسه. (ابن الأثير: الكامل ٦/ ٤٥٥، ٤٦٠، ابن خلدون: العبر ٦/ ١٥٦).

(٧) الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا، أبو عبد الله، المعروف بالشيعي، من أهل صنعاء. وهو صاحب الفضل الكبير في قيام الدولة الفاطمية في المغرب (سنة ٢٩٧هـ). اتصل بالإمام محمد الحبيب، وأرسله إلي مكة، ومنها إلي المغرب مع حجاج كتامة (سنة ٢٨٦هـ)، ثم استولي =

كبيرا من كتامة وغيرها، وقصد سلجسامة وأخذها، فوجد المهدى مقتولا وعنده رجل يهودى كان يخدمه، فخاف أبو عبد الله أن ينتقض عليه أمره فيما دبره، فأخرج لهم هذا اليهودى وقال لهم: هذا هو المهدى[(١)].

ويرى ابن الأثير أن من نسبهم إلى اليهود يعاديهم، قائلا: «وعدا -(من العدواة)- طائفة منهم إلى أن جعلوا نسبه- (عبيد الله المهدى)- يهوديا»[(٢)] ويرى د. مصباح أن الباعث على هذا الطعن إنما هو الحقد لأنهم لم ينسبوهم إلى واحد من المسلمين، وإنما نسبوهم إلى اليهود شر أجناس الأرض منذ القدم[(٣)]. ويرى د/ شعوط أن من نسب الفاطميين إلى اليهود- أو غيرهم- يحاول إيقاع الشقاق والخلاف بين صفوف المسلمين، وإلصاق التهم والتشكيك فى الشخصيات التى لها مقام مرموق فى تاريخ المسلمين[(٤)].

وكان السبب فى اختلاف المؤرخين فى نسب الفاطميين هكذا بين مجوس ويهود، أن العلويين أمام اضطهاد العباسيين وبطشهم بهم لجأوا إلى سياسة التقية، وعملوا على نشر دعوتهم فى الخفاء والتكتم ليتقوا شر العباسيين، وصيانة لأشخاص الأئمة[(٥)]. وتبدأ هذه الفترة بمحمد المتكوم الذى اختفى نحو (سنة ١٣٨هـ/ سنة ٧٥٥م)، وتنتهى بظهور عبيد الله النهدى فى المغرب (سنة ٢٩٦هـ/ سنة ٩٠٨م). فكانت فترة غامضة كل الغموض[(٦)]. أدت إلى الإختلاف فى نسبهم.

وبالعمل بالتقية فقد فر عبيد الله ومعه ابنه أبو القاسم نزار[(٧)] من سليمة

= = علي القيروان (سنة ٢٩٦هـ). ومع هذا قتله عبيد الله المهدي (سنة٢٩٨هـ) (ابن الأثير: الكامل ٦/ ٤٦١- ٤٦٣، ابن كثير: البداية ١١/ ١٤٩، المقريزي: الخطط ٢/ ١٠- ١٢).

(١) ابن دقماق (إبراهيم بن محمد بن أيدمر): الجوهر الثمين في سير الملوك والطلابن- تحقيق: محمد كمال الدين- عالم الكتب- بيروت- ط(١) سنة ١٩٨٥م ١/ ٢٤٢، القرماني (أحمد بن يوسف): أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ- تحقيق: د. أحمد حطيط، د. فهمي سعد- عالم الكتب- بيروت ط(١) سنة ١٩٩٢م- ٢/ ٢٣٠.

(٢) الكامل ٦/ ٤٤٧.

(٣) مصر في ظلال الخلفاء، ص٣٠٥.

(٤) (إبراهيم علي): أباطيل يجب أن تمحي من التاريخ- مطبعة خطاب سنة ١٤٠٣هـ- ص٣٧٧.

(٥) ابن تغري بردي: النجوم ٤/ ٧٦، د. عبد الرازق (أحمد): مصر الإسلامية- عين شمس- مكتبة سعيد رأفت سنة ١٩٨٤م- ص١٦٤.

(٦) ابن خلدون: العبر ٤/ ٣٦، د. العبادي: في التاريخ العباسي والفاطمي ص٢٢٢.

(٧) محمد بن عبيد الله المهدي، أبو القاسم، القائم، ويسمي نزاراً، ولد في سليمة بالشام ==

بالشام إلى مصر متخفيا فى زى التجار، ومنها إلى الإسكندرية وأتت الكتب من الخليفة العباسى المكتفى بالله(١) إلى والى مصر عيسى النوشرى(٢) بالقبض عليه فلم يتمكن من ذلك. وواصلا السير حتى وصلا طرابلس الغرب، ولم يتمكن زيادة الله بن الأغلب(٣) من القبض عليهما، فلحقا بسلجماسة فقبض عليهما إليسع بن مدار وحبسهما، وتمكن أبو عبد الله الشيعى من تخليصهما، وذهب بهما إلى رقادة، وفيها بايع المهدى (سنة ٢٩٧هـ/ سنة ٩٠٩م)(٤). فاستغل الطاعنون فترة التخفى هذه وطعنوا فى نسب الفاطميين.

وأكدوا رأيهم هذا بقتل عبيد الله المهدى لأبى عبد الله الشيعى وأخيه أبى العباس، لما بدأ أبو العباس يشيع بين الناس فى القيروان(٥) ليس هذا الذى كنا نعتقد طاعته وندعو إليه، لأن المهدى يأتى بالآيات الباهرة مما جعل بعض شيوخ كتامة(٦) يقول للمهدى: إن كنت أنت المهدى فأتنا بآية، فقد شككنا

= سنة (٢٧٨هـ)، ولما استولي والده علي المغرب جهزه مرتين لفتح مصر (سنة ٣٠١، ٣٠٧هـ)، فلم يتمكن من فتحها. بويع بعد موت أبيه (سنة ٣٢٢هـ)، وتوفي بالمهدية (سنة ٣٣٤هـ)، وكان شجاعا مهيبا. (ابن الأثير: الكامل ٧/ ٢١٠، أبو الفداء: المختصر ٢/ ٩٥، ابن كثير: البداية ١١/ ٢٧٥).

(١) علي بن أحمد المعتضد بن الموفق بن المتوكل، أبو محمد، بويع بعد وفاة أبيه (سنة ٢٨٩هـ)، وقام بشئون الدولة قياما حسنا، وأنفق الأموال العظيمة في حروب القرامطة، حتي أباد أكثرهم ودحرهم، واسترجع أنطاكية من الروم، وتوفي شابا ببغداد (سنة ٢٩٥هـ) (ابن طباطبا: الفخري ص٢٥٨، السيوطي، تاريخ الخلفاء ص٣٧٦- ٣٧٨).

(٢) ولي مصر من قبل المكتفي بالله في جمادي الأولي (سنة ٢٩٢هـ)، وظل بها حتي وفاته (سنة ٢٩٧هـ). (الكندي (أبو عمر محمد بن يوسف) الولاة والقضاة- مؤسسة قرطبة- مصر- بدون- ص٢٥٨- ٢٦٧).

(٣) زيادة الله بن أبي العباس عبد الله بن إبراهيم الأغلبي التميمي، أبو نصر. آخر أمراء الدولة الأغلبية بتونس، كان ميالاً إلي اللهو، ودس من قتل والده وتولي بعده (سنة ٢٩٠هـ)، واستولي أبو عبد الله الشيعي علي إفريقية منه، نفر إلي مصر (سنة ٢٩٦هـ) وتوفي بها (سنة ٣٠٤هـ). (ابن الأثير: الكامل ٦/ ٤٤٤- ٤٤٦، الذهبي: تاريخ الإسلام ٨/ ٥٤٨).

(٤) أبو الفداء: المختصر ٢/ ٦٥، ابن خلدون: العبر ٤/ ٤١- ٤٤، القلقشندي: مآثر الأناقة ٢/ ٢٤٩، المقريزي: اتعاظ ١/ ٦٠- ٦٥.

(٥) القيروان: مدينة عظيمة بإفريقية، وتعني القافلة أو الجيش. (ياقوت الحموي: معجم البلدان ٤/ ٤٢٠، ٤٢١، ابن عبد الحق: مراد ٣/ ١١٣٩).

(٦) كتامة: من ولد كتام بن برنس، من قبائل البربر بالمغرب، وهم من أشدهم بأسا وقوة، ومتشعبون بالمغرب. (ابن خلدون: العبر ٦/ ١٧٤- ١٧٦).

فيك، فقتلهما المهدى[1] خوفا من افتضاح أمره. ويعلق البعض على المهدى هذا بقوله: «وهل يليق هذا بأهل البيت؟»[2].

واعتمدوا أيضا- فى إنكار نسب الفاطميين- على سؤال الشريف ابن طباطبا[3] للمعز لدين الله عند دخوله مصر- (سنة ٣٦٢هـ/ ٩٧٢م)- عن نسبه قائلا له: إلى من ينتسب مولانا؟ فلما استقر بقصره عقد مجلساً عاماً واستل سيفه من غمده وقال: هذا نسبى. ونثر على الحاضرين ذهبا كثيرا قال: هذا حسبى: فقالوا: سمعنا وأطعنا[4]. وفى كلام المعز هذا- كما يرى د/ عنان- ما يدل على اعتداد الدولة الجديدة بقوتها وجاهها، قبل اعتمادها على إمامتها وهيبة انتسابها لآل البيت، وإن كانت قد اتخذت الإمامة شعارها لدى الكافة منذ الساعة الأولى[5].

وكذلك على شهادة الشهود من القضاة والفقهاء والأشراف الذين شهدوا على المحضر الأول -(سنة ٤٠٢هـ/ سنة ١٠١١م)، بإنكار نسب الفاطميين[6]. كما أن سياسة الفاطميين فى الدماء التى سفكوها، وأموال المسلمين التى كنزوها وبددوها على تابعيهم، وسياستهم فى تقريب اليهود والنصارى، من الأدلة فى نفى نسبهم إلى آل البيت[7].

---

(١) د/ عويس (عبد الحليم): قضية نسب الفاطميين أمام منهج النقد التاريخي- دار الصحوة- القاهرة- ط(١) سنة ١٩٨٥م- ص١٧.

(٢) أبو الفداء: المختصر ٢/ ٦٦، ابن عذاري: البيان ١/ ١٦١، ابن خلدون: العبر ٤/ ٤٥، المقريزي: اتعاظ ١/ ٦٧.

(٣) أبو محمد عبد الله بن أحمد بن علي بن الحسن بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، ولد (سنة ٢٨٦هـ)، وكان طاهرا كريما، صاحب ضياع ونعمة، وله صلة وثيقة بكافور الإخشيد، حسده عليها من يعاصرونه. توفي (سنة ٣٤٨هـ). (ابن خلكان: وفيات ٢/ ٢٦٨- ٢٧٠).

(٤) ابن خلكان: وفيات ٢/ ٢٩٦، ابن تغري بردي: النجوم ٤/ ٧٧، ابن إياس (محمد بن أحمد): بدائع الزهور في وقائع الدهور- تحقيق: محمد مصطفي- الهيئة المصرية العامة للكتاب- سنة ١٩٨٢م- جـ١ ق١/ ١٨٧.

(٥) (محمد عبد الله): الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية- دار النشر الحديث- مصر- سنة ١٩٣٧م- ص٣٥.

(٦) ابن الجوزي: المنتظم ٧/ ٢٥٦، ابن الأثير: الكامل ٨/ ٧٣، ابن كثير: البداية ١١/ ٤٤١.

(٧) د/ عويس: قضية نسب الفاطمين ص٢٠.

وخلاصة ما سبق أن الفاطميين مشكوك فى نسبهم إلى على وفاطمة -رضى الله عنهما- وأنهم أدعياء في النسب، وينسبون إلى المجوس أو اليهود، اعتمادا على قتل عبيد الله المهدى لأبى عبد الله الشيعي ولأخيه أبى العباس خشية افتضاح أمره لأنهما اكتشفا زيفه، ولعجز المعز لدين الله عن الإجابة عن نسبه حين سأله عنه الشريف بن طباطبا عند دخوله مصر، ولشهادة الشهود- وفيهم كبار الفقهاء والقضاة ورجال البيت العلوى- على المحضر الأول (سنة ٤٠٢هـ/ سنة ١٠١١م).

وناقش المؤرخون الآراء السابقة- مجوس ويهود- وأدلتها، فيرد المقريزى على من نسبهم إلى المجوس بقوله: «فإن بنى على بن أبى طالب- رضى الله عنه- قد كانوا إذ ذاك على غاية من وفور العدد وجلالة القدر عند الشيعة، فما الحامل لشيعتهم على الإعراض عنهم والدعاء لابن مجوسى؟.. فهذا مما لا يفعله أحد ولو بلغ الغاية فى الجهل والسخف»[1]. وهل يضع رجل مثل أبى عبد الله الشيعى نفسه وحياته في خدمه مدع؟[2].

وأما من نسبهم إلى ابن الحداد اليهودى، فيتسائل ابن الأثير[3]: «ما الذى حمل أبا عبد الله الشيعى وغيره ممن قام فى إظهار هذه الدعوة، حتى يخرجوا الأمر من أنفسهم، ويسلموه إلى ولد يهودى؟ وهل يسامح نفسه بهذا الأمر من يعتقده دينا يثاب عليه؟».

وأما من زعموا أن أبا عبد الله لما دخل سلجماسة ووجد المهدى مقتولا جعل مكانه خادمه اليهوى، فالثابت تاريخيا أن المهدى لم يقتله إليسع بن مدرار، وإنما خلصه أبو عبد الله الشيعى من حبسه- وابنه نزار- وبايعه فى (سنة ٢٩٧هـ/ ٩٠٩م)[4]، كما يبطل هذا الزعم أيضا وجود أبى القاسم نزار فى السجن مع أبيه المهدى، فما الذى جعل الداعية أبا عبد الله الشيعى يعدل عن إسنادها إلى ابن إمامه؟ وما الذى أسكت أبا القاسم عن الإعتراض على صرف الإمامة عنه؟ وهو الذى خلف أباه بعد وفاته (سنة ٣٢٢هـ)، ولقب بالقائم بأمر الله؟[5].

---

(١) الخطط ٢/ ٣٤٨، ٣٤٩. (٢) د. ماجد: ظهور خلافة الفاطميين ص١٦٦.

(٣) الكامل ٦/ ٤٥٣.

(٤) أبو الفداء: المختصر ٢/ ٦٥، ابن عذاري: البيان ١/ ١٥٣، القلقشندي: مآثر الأناقة ٢/ ٢٤٩.

(٥) د. مصباح: مصر في ظلال الخلفاء ص٣٠٥، د/ شعوط: أباطيل ص٣٨٢.

وأما بالنسبة لقتل المهدى لأبى عبد الله الشيعى وأخيه أبى العباس، فلم يكن خشية افتضاح أمره لشكهما فى نسبه، وإنما كان لحقدهما عليه وحسدهما له لما استقامت له الأمور وباشرها بنفسه وكف أيديهما عن الإطلاق فيها، فأشاعا أنه ليس المهدى الذى كنا نعتقده، فقتلهما فى النصف الأول من جمادى الآخرة (سنة ٢٩٨هـ/ ٩١٠م)(١).

وأما بالنسبة لسؤال ابن طباطبا للمعز لدين الله عن نسبه وعجزه عن الإجابة عليه، فابن طباطبا توفى (سنة ٣٤٨هـ/ سنة ٩٥٩م)، وكان قدوم المعز إلى مصر (سنة ٣٦٢هـ/ سنة ٩٧٢م)(٢)، فكيف تم اللقاء بينهما؟(٣).
وقول المعز لما أخرج سيفه للناس وقال: هذا نسبى، فليس معنى هذا أنه يتغاضى عن صحة نسبه، لأن الفاطميين كانوا يؤمنون تماما بصحة نسبهم، وإنما أراد المعز بهذه العبارة أن يقطع أى جدال فى هذا الموضوع بطريقة حاسمة، لاسيما وأن الستر والكتمان أصل من أصول الدعوة الإسماعيلية، وأن من ضعف العقيدة كشف المستور(٤).

وأما بالنسبة لشهادة القضاة والفقهاء وبعض العلويين فى بغداد على إنكار نسب الفاطميين فى المحضر الأول (سنة ٤٠٢هـ/ سنة ١٠١١م)، فإنما شهدوا خوفا وتقية، فلا احتجاج بقولهم(٥). وكانت شهادة القوم فى ذلك على السماع لما اشتهر وعرف بين الناس ببغداد وأهلها أنها شيعة بنى العباس الطاعنون فى هذا النسب، فنقل الإخباريون وأهل التاريخ ذلك كما سمعوه ورووه حسب ما تلقوه من غير تدبر(٦)، وخلت هذه الشهادة من أدلة وبراهين تؤكدها، واعتمدت على القدح وترهات ملؤها التعصب، «بحيث لم يخرجوا الفاطميين فقط من النسب الشريف، بل راحوا يخرجونهم من الإسلام قاطبة»(٧).

(١) ابن الأثير: الكامل ٦/ ٤٦١، ٤٦٢، أبو الفداء: المختصر ٢/ ٦٦، ابن عذاري: البيان ١/ ١٦٤، ابن خلدون: العبر ٤/ ٤٥.
(٢) ابن خلكان: وفيات ٢/ ٢٦٩.
(٣) د. مصباح: مصر في ظلال الخلفاء ص٣٠٦، د/ شعوط: أباطيل ص٣٨١.
(٤) د. العبادي: في التاريخ العباسي والفاطمي ص٢٧٧.
(٥) ابن الأثير: الكامل ٦/ ٤٤٨، المقريزي: اتعاظ ١/ ٣٧.
(٦) ابن خلدون: العبر ٤/ ٣٧، المقريزي: الخطط ١/ ٣٤٩.
(٧) د. ماجد: ظهور خلافة الفاطميين ص١٦٦.

وبعد مناقشة هذه الآراء فيرى بعض المؤرخين صحة نسب الفاطميين إلى على بن أبى طالب وفاطمة- رضى الله عنهما(١)- ولهم أدلتهم، وهى أن كتاب الخليفة العباسى المكتفى بالله إلى عيسى النوشرى- والى مصر- وإلى زيادة الله بن الأغلب- والى إفريقية- يطلب منهما القبض على عبيد الله المهدى، شاهد على صحة نسبه(٢). ويقول المقريزى معلقاً على هذا: «فإن المعتضد(٣) لولا صحة نسب عبيد الله عنده ما كتب لمن ذكرنا بالقبض عليه، إذ القوم حينئذ لا يدعون لدعى البتة ولا يذعنون له بوجه وإنما ينقادون لمن كان علويا، فخاف مما وقع، ولو كان عنده من الأدعياء لما قر له بفكر ولا خافه على ضيعة من ضياع الأرض»(٤).

وشهادة كثير من العلويين العالمين بالأنساب بصحة ما قاله الشريف الرضى:

ألبس الذل فى بلاد الأعادى	وبمصر الخليفة العلوى
من أبوه أبى ومولاه مولا	ى إذا ضامنى البعيد القصى
لف عرقى بعرقه سيد النا	س جميعا محمد وعلى(٥)

بل وإصرار الشريف الرضى على عدم الإعتذار عن هذا الشعر، وعدم التوقيع على المحضر العباسى بأن نسب الفاطميين غير صحيح لما حاول والده- أبو أحمد الموسوى(٦)- إجباره على هذا بإيعاز من الخليفة القادر بالله، دليل أيضا على صحة نسبهم(٧).

ومن الأدلة أيضا أن العباسيين لجأوا إلى سلاح التشهير بالفاطميين

---

(١) ابن الأثير: الكامل ٦/ ٤٤٦، أبو الفداء: المختصر ٢/ ٦٤، ابن خلدون: العبر ٤/ ٣٧، ٣٨، المقريزي: اتعاظ ١/ ٥٢، ٥٣.

(٢) ابن خلدون: العبر ٤/ ٣٧.

(٣) الذي كان يعاصر فترة انتقال المهدي من الشام إلي المغرب الخليفة المكتفي بالله (سنة ٢٨٩- ٢٩٥هـ). (السيوطي: تاريخ الخلفاء ص٣٧٦- ٣٧٨).

(٤) الخطط ١/ ٣٢٩.

(٥) ابن الأثير: الكامل ٦/ ٤٤٦، أبو الفداء: المختصر ٢/ ٦٤.

(٦) توفي (سنة ٤٠٠هـ)، وولي نقابة الطالبيين خمس مرات. (ابن كثير: البداية ١١/ ٤٣٧).

(٧) ابن الأثير: الكامل ٤/ ٤٤٧، المقريزي: اتعاظ ١/ ٣٧.

والتشكيك فى نسبهم، لما رأوهم استولو على المغرب ومصر والشام والحجاز وديار بكر واليمن، ولم يتوقفوا عند هذا الحد بل حاولوا مد نفوذهم إلى بغداد أيضا، وعجزت عساكر بنى العباس عن مقاومتهم بالسلاح، فلم تجد الخلافة العباسية أمامها سوى سلاح الطعن فيهم لصرف الناس عنهم[1].

ويرى المقريزى أن من أدلة صحة نسب الفاطميين استمرار دولتهم لمدة مائتين وسبعين سنة (سنة ٢٩٧- ٥٦٧هـ/ سنة ٩٠٩- ١١٧١م)، ويقول: «وأنت إذا سلمت من العصبية والهوى، وتأملت ما قد ذكر من أقوال الطاعنين فى أنساب القوم علمت ما فيها من التعسف والحمل مع ظهور التلفيق فى الأخبار، وتبين لك ما تأبى الطباع السليمة قبوله، ويشهد الحس السليم بكذبه، فإنه ثبت أن الله تعالى لا يمد الكذاب المفتعل بما يكون سببا لانحراف الناس إليه، وطاعتهم له على كذبه..».

ثم يستطرد ويقول: «فلما لم يفعل ذلك بعبيد الله المهدى، بل كتب تعالى له النصر على من ناوأه والتأييد بمعونته على من خالفه وعاداه، حتى مكن له فى الأرض، وجعله وبنيه من بعده أئمة، وأورثهم أكثر البسيطة.. تبين لك أن دعواهم الإنتساب إلى رسول الله ﷺ صحيحة، وهذا دليل يجب التسليم له»[2].

بل ويأخذ المقريزى على العباسيين الطعن فى نسب الفاطميين، لأن هذا يجر إلى الطعن فى نسب العباسيين أنفسهم نظرا لتشابه الظروف فى قيام الدولتين، فإن أبا العباس- السفاح[3]- خرج من الحميمة[4] بالشام يطلب الخلافة، وكان متخفيا أيضا طوال الدور السرى للدعوة العباسية، وأبو سلمة الخلال[5] يؤسس له الأمر، ويبث دعوته، وعبيد الله المهدى خرج من سلمية

(١) المقريزي: الخطط ١/ ٣٤٩. (٢) المقريزي: اتعاظ ١/ ٥٢، ٥٣.

(٣) عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، أبو العباس. أول خلفاء الدولة العباسية، وأحد الدهاة الجبارين. بويع بالخلافة في الكوفة (سنة ١٣٢هـ)، وبنى الهاشمية وجعلها مقر خلافته. توفي سنة (١٣٦هـ). (ابن طباطبا: الفخري ص١٥١- ١٥٨، ابن كثير: البداية ١٠/ ٥٣٩- ٥٤٢، السيوطي: تاريخ الخلفاء ص٢٥٦- ٢٥٩).

(٤) الحميمة: بلد من أعمال عمان، في أطراف الشام. (ياقوت الحموي: معجم البلدان ٢/ ٣٠٧، ابن عبد الحق: مراصد ١/ ٤٢٨).

(٥) حفص بن سليمان الهمداني الخلال، أبو سلمة. أول من لقب بالوزارة في الإسلام، وأنفق ==

بالشام، وقد أذكيت العيون عليه، وأبو عبد الله الشيعى يؤسس له الأمر، وكلاهما تم له الأمر، وقتل من قام بدعوته[1]. وعليه فإذا طعن العباسيون فى الفاطميين للدعوة السرية وتشابه الظروف بينهما، فيحق أيضا الطعن فى نسب العباسيين.

وأضيف إليهما ثالث وهو عبد الرحمن الداخل[2] مؤسس الدولة الأموية بالأندلس، فقد خرج من الشام سرا ومر بمصر ودخل إفريقية ومنها إلى الأندلس ولم يعرفه أحد إلا عند إعلان قيام الدولة. فلماذا الطعن فى الفاطميين، وعدم الطعن فى الأمويين بالأندلس؟ مع تشابه الظروف بينهما بدرجة كبيرة؟ يرجع د/ شعوط هذا إلى تأثير الخصومة المذهبية[3]. وأضيف أن الأمويين بالأندلس اكتفوا بها ولم يحاولوا مد نفوذهم إلى خارجها، أما الفاطميون فقد كانوا أكثر تطلعا واستولوا على المغرب ومصر والشام والحجاز، بل وحاولوا مد نفوذهم إلى بغداد- عقر دار العباسيين- فطعنوا فيهم ولم يطعنوا فى بنى أمية.

وأضع فى هذا المقام سؤالا هاما، وهو: ما الذى جعل العباسيين يسكتون عن الطعن فى نسب الفاطميين والتشهير بهم (مائة وخمس سنوات) من (سنة ٢٧٩هـ) قيام الدولة الفاطمية- حتى (سنة ٤٠٢هـ)- صدور المحضر الأول، أرى فى سكوت العباسيين هذه المدة دليلاً قوياً على علمهم بصحة نسبهم، ولم يلجأوا إلى الطعن إلا عندما أحسوا بالزحف الفاطمى، يمتد من بلاد الشام إلى العراق مقر خلافة العباسيين.

= أموالا كثيرة في سبيل الدعوة العباسية، وكان الواسطة بين إبراهيم الإمام والنقباء في خراسان، وكان مقدما عند أبي العباس، ويأنس به، أغتيل بعد أربعة أشهر من قيام الدولة العباسية (سنة ١٣٢هـ). (ابن الأثير: الكامل ٥/ ٨١، ٨٢، ابن كثير: البداية ١٠/ ٥٣٥، ٥٣٦).

(١) المقريزي: اتعاظ ١/ ٧٢.

(٢) عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان، الملقب بصقر قريش، مؤسس الدولة الأموية بالأندلس (سنة ١٣٨هـ)، وكان قد أفلت من العباسيين ورحل إلي المغرب، وكاتب الأمويين بالأندلس فأرسلوا إليه المراكب والجند وعادوا به إلي الأندلس (سنة ١٣٨هـ)، وقاتل يوسف بن عبد الرحمن الفهري، ودخل قرطبة واستقر بها، توفي (سنة ١٧٢هـ)، (ابن الأثير: الكامل ٥/ ٢٨٠، ٢٨١، اليافعي: مرآة ١/ ٣٦٨).

(٣) أباطيل ص٢٨٦.

هذه آراء المؤرخين في مسألة نسب الفاطميين بين منكر ومثبت لنسبهم إلى آل البيت، وهي -كما يرى البعض- مسألة لم يقل التاريخ فيها كلمته الحاسمة حتى الآن، لأن الإجماع على صحة نسبهم يحتاج إلى أدلة لإثباته، ومن الصعب الحصول على هذه الأدلة(١).

نعم هذه مسألة بالفعل غامضة ومن الصعوبة بمكان أن يقطع الباحث في التاريخ فيها برأى جازم لعدة أسباب:

منها مسألة التقية والسرية، وهي أصل من أصول الدعوة عند الشيعة، تجعل الباحث في حيرة من أمره في الحصول على دليل قوى يستند عليه في ترجيح رأى على الآخر.

ومنها اختلاف أسماء الأئمة والدعاة من مكان إلى مكان، وترتيبها حسب قواعد الدعوة، فخلال فترة الدور السرى للدعوة الفاطمية- (سنة ١٣٨- سنة ٢٩٦هـ)- نجد نوعين من الأئمة: الأئمة المستورون أو المستقرون وهؤلاء أولاد إسماعيل بن جعفر الصادق. والأئمة المستودعون أو الحجج وهم الدعاة الذين قاموا بالدعوة للأئمة المستورين إلى أن قامت الدولة (سنة ٢٩٧هـ/ سنة ٩٠٩م)(٢)، فيبقى نسب الفاطميين سرا مع هؤلاء الدعاة، ولم يظهره سوى أبو عبد الشيعي لما بايع المهدى (سنة ٢٩٧هـ)، ثم ذكرت المصادر أنه بعد فترة قصيرة -من ستة إلى سبعة أشهر تقريبا-، عاد وتشكك في نسب المهدى، وأشاع بين الكتاميين هو وأخوه أبو العباس أن عبيد الله ليس بالمهدى، مما يجعل أمر نسب الفاطميين يزداد غموضا وسرية!

وكذلك الدعاة الذين جابوا الأقطار يدعون للفاطميين في الأهواز والعراق والشام واليمن والمغرب، وكانوا يتخفون في زى التجار، فقد كانوا على درجة كبيرة من العلم والفقه والمعرفة التامة بقواعد الدعوة، وكان لهم أسلوبهم المميز وطريقتهم الخاصة في جذب الناس إليهم أينما حلوا، فهل هؤلاء تجار؟ وربما كانوا هم أنفسهم الأئمة العلويون وليسوا بتجار ولا دعاة، وغيروا أسمائهم حفاظا على حياتهم من خطر اكتشاف أمرهم للولاة العباسيين، مما

---

(١) د. عنان: الحاكم بأمر الله ص٣١، د. العبادي: في التاريخ العباسي والفاطمي ص٢٢٣، د. أيوب (إبراهيم): التاريخ الفاطمي السياسي- الشركة العالمية للكتاب- بيروت ط(١) سنة ١٩٩٧م- ص١٦.

(٢) د. العبادي: في التاريخ العباسي والفاطمي ص٢٢٢، ٢٢٣.

يثير أكثر من علامة استفهام حول حقيقة شخصيتهم وأسمائهم.

ويزيد الأمر غموضا أن بعض الكتب الشيعية تردد أن عبيد الله المهدى لم يكن الإمام الحقيقى، وإنما هو سعيد الخير، وأن الإمام الحقيقى هو ابن عمه على بن محمد، الذى مات وهو يتأهب للسفر إلى المغرب، فجعل سعيد الخير هذا ستارا لابنه أبى القاسم، وأبا روحيا له، حيث اصطحبه معه، واعتبر أبو القاسم بعد موت عبيد الله الإمام الظاهر الأول، بعد فترة التقية(١).

وعليه، فالحكم على نسب الفاطميين وتأكيد صحته أمر يصعب الجزم به، وتبقى فيه نسبة شك تصل -والله أعلم- إلى عشرين فى المائة، لكن القرائن- مثل تشابه ظروف قيام دولتهم مع العباسيين والأمويين بالأندلس، والتفاف الناس حولهم بقوة فى الأماكن التى نزلوا بها- يدل على أنهم ينسبون إلى آل البيت- والله أعلم.

عقيدة الفاطميين في محاضر العباسيين (الكفر والزندقة)(٢)

وامتدادا لنسب الفاطميين إلى المجوس أو اليهود -كما سبق- فقد اتهمهم العباسيون فى محاضرهم بالكفر والزندقة، بقولهم: «... وأن هذا الناجم بمصر- (الحاكم بأمر الله)- هو وسلفه كفار وفساق فجار ملحدون(٣) زنادقة معطلون(٤) وللإسلام جاحدون، ولمذهب الثنوية(٥) والمجوسية معتقدون...»(٦).

---

(١) د. ماجد: ظهور خلافة الفاطميين ص١٦٥.

(٢) الزندقة: الزنديق، الذي لا يؤمن بالآخرة، ووحدانية الخالق، كالثنوية والزرادشتية وغيرهم. (ابن منظور: لسان العرب ٣/ ١٨٧١، المعجم الوسيط ١/ ٤١٧).

(٣) ملحدون: الإلحاد، هو الشك في الله تعالي، والملحد: هو الطاعن في الدين المائل عنه. (ابن منظور: لسان العرب ٥/ ٤٠٠٦، المعجم الوسيط ٢/ ٨٥٠).

(٤) معطلون: تعطيل الحدود: أن لا تقام علي من وجبت عليه. (ابن منظور: لسان العرب ٤/ ٢٩٩٩). ويقال: عطل الشريعة: أي أهملها ولم يعمل بها. (المعجم الوسيط ٢/ ٦٣١).

(٥) الثنوية: هم أصحاب الاثنين الأزليين، النور والظلمة، بخلاف المجوس فإنهم قالوا: بحدوث الظلام. (البغدادي (عبد القاهر بن طاهر): الفرق بين الفرق- مطبعة المعارف- مصر- بدون- ص٢٦٩، الشهرستاني: الملل والنحل ١/ ٢٢٤- ٢٣٤).

(٦) أنظر: ابن الجوزي: المنتظم ٧/ ٢٢٥، أبو الفداء: المختصر ٢/ ١٤٣، الذهبي: تاريخ الإسلام ٢٢/١١، اليافعي: مرآة ٤/٣، ابن كثير: البداية ١١/ ٤٤١، المقريزي: اتعاظ ٤٤/١، السيوطي: حسن المحاضرة ٢/ ٢٨٢، ٢٨٣.

بداية يلاحظ أنه بدءاً من هذا الطعن- الكفر والزندقة- كأن المحضر الأول- (سنة ٤٠٢هـ/ سنة ١٠١١م)- كتب خصيصا للقدح في الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله الذى كان معاصرا للخليفة العباسى القادر بالله، لكن العباسيين عمموا الحكم على الفاطميين عامة.

وقد استقصيت بدرجة كبيرة جدا المصادر التاريخية التى تناولت حياة الخلفاء الفاطميين فى مصر- من المعز لدين الله إلى المستعلى (سنة ٣٤١-٤٩٥هـ/ سنة ٩٥٢- ١١٠١م) للحصول على نصوص أو معلومات توضح كفر الفاطميين وإلحادهم وزندقتهم، أو عبادتهم للنار، واعتقادهم بوجود إلهين، أحدهما للنور، والآخر للظلمة- مذهب الثنوية- حسب ما ورد فى محاضر العباسيين- أو أنهم أشركوا بالله، أو أنكروا ما علم من الدين بالضرورة، أو حرموا ما أحل الله، أو أحلوا ما حرم الله، أو أنكروا فريضة من فرائض الإسلام كالصلاة أو الصيام أو الزكاة أو غيرها، لنحكم عليهم بالكفر. فلم أعثر سوى على عبارتين خاصتين بالحاكم بأمر الله، الأولى: «وكان خبيث -أو سيئ- الإعتقاد»[١]، والثانية قول الذهبى فى حوادث -(سنة ٤٠٠هـ/ سنة ١٠٠٩م): «فيها تزهد الحاكم وتأله[٢]، ثم تزندق»[٣]، هذا فقط اتهام خليفة فاطمى واحد من أربعة عشر، ودون أدلة صريحة وواضحة.

ووجدت العكس، نصوص وعبارات وحوادث تنفى عن الفاطميين الكفر والزندقة والمجوسية وغيرها مما اتهمهم بها العباسيون، وإليك بعضها:

نبدأ بالمعز لدين الله- (سنة ٣٤١- ٣٦٥هـ)- تذكر المصادر أنه: «كان مظهرا للتشيع، معظما لحرمات الإسلام»[٤] ويذكر ابن كثير أنه حين دخل مصر (سنة ٣٦٢هـ) ونزل قصره خر ساجدا شاكرا لله[٥] على سنة

---

(١) الذهبي: العبر ٢/ ٢١٩، اليافعي: مرآة ٣/ ٢٥، ابن دقماق: الجوهر ١/ ٢٥١، ابن تغري بردي: النجوم ٤/ ١٨٤.

(٢) تأله: أي تنسك وتعبد، أو: ادعي الألوهية. (المعجم الوسيط ١/ ٢٥). والتعريف الأول الرجح، لأن الحاكم لم يدع الألوهية إلا بعد (سنة ٤٠٨هـ).

(٣) دول الإسلام ١/ ٢٣٩.

(٤) الذهبي: العبر ٢/ ١٢٣، اليافعي: مرآة ٢/ ٣٨٣،٣٨٤، ابن العماد الحنبلي: شذرات ٣/٥٢.

(٥) البداية ١١/ ٣٥٠.

المسلمين حين ينعم الله عليهم بنعمة من نعمه التى لا تعد ولا تحصى، فهل يصدر هذا عن كافر؟!

والعزيز بالله -(سنة ٣٦٥- ٣٨٦هـ) ورد أنه أصدر مرسوما بتحريم الخمر (سنة ٣٨١هـ/ سنة ٩٩١م)[١]، ولما قدم الروم إلى الشام (٣٨٥هـ/ ٩٩٥م)، تجهز واستعد للخروج بنفسه لصدهم، فحاول وجوه الرعية وكبار التجار وغيرهم صرفه عن هذا، وأن يخرج لقيادة الجيش غيره، فأصر على رأيه وقال لهم: «إنما أسير لنصرة الإسلام والذب عن بلدانه، وصيانة أهله»[٢]، ومات ببلبيس[٣] وهو خارج لغزوهم[٤]. فمن يحرم الخمر ويقود الجيش بنفسه لنصرة الإسلام والدفاع عن المسلمين وبلادهم، ويتوفاه الله وهو خارج للغزو، هل هذا كافر؟

والحاكم بأمر الله (سنة ٣٨٦- ٤١١هـ)، والذى كتب المحضر للقدح فيه، وذكر بعض المؤرخين أنه خبيث الإعتقاد، وأنه ادعى الألوهية[٥]، عثرت على كثير من النصوص والأدلة التى تنفى عنه فساد العقيدة، وأنه لم يخرج على الإسلام الحنيف، منها: قول ابن خلدون[٦]: «وأما ما يرمى به- (أى الحاكم)- من الكفر، وصدور السجلات بإسقاط الصلوات فغير صحيح، ولا يقوله ذو عقل، ولو صدر من الحاكم بعض ذلك لقتل لوقته».

وأنشأ الحاكم عدة مساجد منها جامع الحاكم الذى أكمله بعد والده العزيز، وجامع راشدة، وكان مكانه كنيسة حولها مقابر لليهود والنصارى، كما أنشأ عدة مساجد أخرى بالقرافة[٧]، وجامع المقس على شاطئ النيل[٨]، وجامع الأقمر[٩]، وفرش هذه الجوامع بالحصر، وعمل لها الستور، وأمدها

---

(١) المقريزي: اتعاظ ١/ ٢٧١.
(٢) المقريزي: اتعاظ ١/ ٢٨٨.
(٣) بلبيس: مدينة بينها وبين القاهرة عشرة فراسخ، علي طريق الشام. (ابن عبد الحق: مراصد ١/ ٢١٦) وهي الأن في حدود محافظة الشرقية.
(٤) ابن الأثير: الكامل ٧/ ٤٧٧، الذهبي، تاريخ الإسلام ١٠/ ٤٥٧.
(٥) سيتم بحثها-إن شاء الله تعالي- في الصفحات القادمة في عنصر خاص بها، نظرا لأهميتها.
(٦) العبر ٤/ ٧٢.
(٧) ابن خلكان: وفيات ٤/ ٣٨٢، القلقشندي: مآثر الأناقة ١/ ٣٢٣، ابن العماد الحنبلي: شذرات ٣/ ١٩٣.
(٨) المقريزي: الخطط ٢/ ٢٨٣.
(٩) السيوطي: حسن المحاضرة ٢/ ٢٥٤.

بعدد كبير من المصاحف[1]. كما اهتم الحاكم بجامع عمرو بن العاص ففى (سنة ٣٨٧هـ/ ٩٩٧م) جدد بياضه، وأمر بنقش خمسة ألواح وذهبت ونصبت على أبوابه الشرقية. وفى (سنة ٤٠٣هـ/ ١٠١٢م) أرسل إلى هذا الجامع بألف ومائتين وثمانية وتسعين مصحفا بين ربعات وختمات، فيها ما هو مكتوب كله بالذهب، وسمح للناس بالقراءة فيها، كما أرسل إليه بكثير من الفضة، وعمل الرواقين اللذين فى صحن المسجد[2].

ولم تتوقف عناية الحاكم بالمساجد على مصر، بل امتدت إلى خارجها، فأرسل سنة (٣٩٧هـ/ ١٠٠٦م)، كسوة للكعبة من القباطى[3] الأبيض، ومالاً لأهل الحرمين[4]. ومن أدلة صحة عقيدة الحاكم ما ورد من أنه منع الخمر- كوالده العزيز- منعا تاما فى جميع أنحاء الدولة (سنة ٣٩٥هـ)، ثم (سنة ٤٠٢هـ)[5].

فبناء المساجد وعمارتها وتزويدها بالمصاحف لقراءة القرآن الكريم وتدبره، ومنع الخمر والتشديد فى منعها، أمور لا تصدر إلا عن إيمان وليس كفر، وهل يعظم الكعبة ويهتم بكسوتها إلا مؤمن يعرف قدرها وشرفها؟

والظاهر بالله -(سنة ٤١١- ٤٢٧هـ)، يذكر ابن تغرى بردى فى ترجمته له، أنه كان يميل إلى دين وعفة وحلم مع تواضع[6]. وكان الخلفاء الفاطميون يخرجون لإمامة الناس وإلقاء الخطبة فى الأعياد مما يؤكد حرصهم على الإسلام وتقاليد المسلمين[7].

وعلى الجملة كان الفاطميون يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيمون الصلاة ويصومون ويحجون ويؤدون الزكاة، فهم مسلمون. عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «بنى الإسلام على

(١) ابن الأثير: الكامل ٨/ ١٢٩. ابن خلكان: وفيات ٤/ ٣٨٢، ابن العماد الحنبلي: شذرات ١٩٣/٣.

(٢) المقريزي: الخطط ٢/ ٢٥٠.

(٣) القباطي: جمع قبطية: وهي ثياب من كتان بيض رقاق، كانت تنسج بمصر منسوبة إلي القبط. (ابن منظور: لسان العرب ٥/ ٣٥١٤).

(٤) ابن تغري بردي: النجوم ٤/ ٢٤٨.

(٥) ابن خلكان: وفيات ٤/ ٣٧٩، ٣٨٠. المقريزي: الخطط ٢/ ٢٨٦.

(٦) ابن تغري بردي: النجوم ٤/ ٢٤٨. (٧) د/ شعوط: أباطيل ص٣٧٨.

خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، والحج)[1]، أما الباطن فحكمه لله عزوجل، وعليه فإن العباسيين جانبهم الصواب فى حكمهم على الفاطميين بالكفر والزندقة- والله أعلم-.

الفاطميون وتعطيل حدود الإسلام:

وكان الإتهام الثالث للفاطميين فى محاضر العباسيين، أنهم عطلوا حدود الإسلام ولم يعملوا بها، بقولهم: «قد عطلوا الحدود»[2].

الشارع الحنيف يأمر بوجوب إقامة الحدود لنفعها للناس، لأنها تمنع الجرائم، وتردع العصاة، وتكف من تحدثه نفسه بانتهاك المحرمات، وتحقق الأمن لكل فرد على نفسه، وعرضه، وماله، وحريته، وكرامته. وكل عمل من شأنه أن يعطل إقامة الحدود فهو تعطيل لأحكام الله تعالى، ومحاربة له، لأن ذلك من شأنه إقرار المنكر وإشاعة الشر[3]. وطبقت الحدود فى الدولة الإسلامية فى مراحل عصورها المختلفة مع التفاوت فى تطبيقها من عصر إلى عصر، لكنها كانت قائمة ويعمل بها. فما موقف الفاطميين من إقامة حدود الإسلام، وهل عطلوها كما اتهمهم العباسيون فى محاضرهم؟

المعروف أن الأحكام فى الدولة الفاطمية سواء جرائم حدود أو تعازير[4] كانت قائمة ويعمل بها، لكن وفق المذهب الشيعى الإسماعيلى. وكانت هذه الأحكام بالقتل، والجرح، وقطع اليد[5]، والرجم والتعزيز على من سب أو

---

(١) البخاري (محمد بن إسماعيل): الصحيح- دار إحياء الكتب العربية- بدون- ١/ ١١.

(٢) أنظر: ابن الجوزي: المنتظم ٧/ ٢٥٥، الذهبي: العبر ٢/ ٢٠٠،اليافعي، مرآة ٣/٤، ابن كثير: البداية ٤٤١/١١، ابن تغري بردي: النجوم ٤/ ٢٣٠، السيوطي: حسن المحاضرة ٢/ ٢٨٣، ابن العماد الحنبلي: شذرات ٣/ ١٦٢.

(٣) السيد سابق: فقه السنة- دار الفتح للإعلام العربي- ط(١) سنة ٢٠٠٠م، ٢/ ٢٣٠.

(٤) التعزير: تأديب علي ذنوب لم تشرع فيها الحدود، ويختلف حكمه باختلاف حاله وحال فاعله. (الماوردي (علي بن محمد): الأحكام السلطانية والولايات الدينية- دار الفكر- ط(١) سنة ١٩٨٣- ص٢٠٤).

(٥) عند الشيعة الإمامية في حد السرقة للمرة الأولي تقطع الأصابع الأربعة من يده اليسري، وفي الثانية رجله من وسط القدم. (آل كاشف (محمد الحسين): أصل الشيعة وأصولها- بغداد سنة ١٩٤٤م- ص١٥٤-١٥٧).

ضرب أو ارتشى، أو أكل محرما، أو أساء الأمانة، أو غش الناس، أو شهد بالزور، أو طفف فى الكيل والميزان[(١)].

ووجد فى تاريخ الفاطميين ما يؤكد قيام الحدود والعمل بها، ففى (سنة ٣٩٥هـ/ ١٠٠٤م) صدر فى عهد الحاكم بأمر الله مرسوم جاء فيه: «... إنكم من الآمنين بأمان الله الملك الحق المبين، وأمان جدنا محمد خاتم النبيين، وأبينا على خير الوصيين- (هكذا)- .. وأمان أمير المؤمنين على النفس والحال والدم والمال لا خوف عليكم ولا تمتد يد بسوء إليكم إلا فى حد يقام بواجبه، وحق يؤخذ بمستوجبه فليوثق بذلك وليعول عليه إن شاء الله»[(٢)].

وفى عهد خلفه ابنه الظاهر بالله، لما كثر فساد الأعراب وارتكبت الجرائم وخاض بعض الناس فى المآثم، أصدر مرسوما -كوالده- فى جمادى الأولى (سنة ٤١٢هـ/ سنة ١٠٢٣م)، جاء فيه: «... إذ كان أمير المؤمنين لمحله من الإمامة، ومكانه من الخلافة، يأخذ الحق من القوى للضعيف، ومن الشريف للمشروف، ولا تأخذه فى الله لومة لائم فى إقامة حد الله-جل وعز- على واجبه المحتوم[(٣)] ..» نصوص واضحة وصريحة من الحاكم وابنه الظاهر بإقامة حدود الله عزوجل، دون هوادة، ودون محاباة لأحد.

وتعضيدا لهذين النصين نسوق بعض الأمثلة لعدة حدود كشواهد على تطبيقها:

بالنسبة لحد السرقة وهو قطع اليد، عملا بقوله تعالى: ﴿**والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاءا بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم**﴾[(٤)].

فقد قطع الحاكم يد على بن أحمد الجرجرائى[(٥)] فى شهر ربيع الآخر (سنة

---

(١) آل كاشف: أصل الشيعة وأصولها- ص١٥٤- ١٥٧، د. أيوب: التاريخ السياسي الفاطمي ص٢٢٧.

(٢) المقريزي: اتعاظ ٢/ ٥٨، الخطط ٢/ ٢١.

(٣) المسبحي (محمد بن عبيد الله بن أحمد) أخبار مصر- تحقيق: وليم. ج. ميلورد- الهيئة المصرية العامة للكتاب- سنة ١٩٨٠م- ص٢٣، ٢٤.

(٤) المائدة: ٣٨.

(٥) علي بن أحمد الجرجرائي، أبو القاسم، نجيب الدولة، وزير، من الدهاة. ولد في جرجرايا في العراق، وسكن مصر، وتقلد كثيرا من الأعمال في الدولة الفاطمية، ثم كثرت الشكوي منه==

٤٠٤هـ/ ١٠١٣م)، وكان يتولى بعض الدواوين- لعله الخراج- فظهرت عليه خيانة فقطع بسببها[١]. وبعده بخمسة عشر يوما قطعت يد القائد «غين»[٢]، ولم توضح المصادر سبب القطع، ولعله ظهرت عليه خيانة أو غلول كسلفه. وفى يوم الأحد الثامن من ذى القعدة (سنة ٤١٤هـ/ ١٠٢٣م)، قبض على رجل سرق مال القرافية- بعض العرب الذين سكنوا منطقة القرافة فنسبت إليهم- وحمل إلى الشرطة، فقطعت يمينه، وطيف به على جمل[٣]، ويبدو أن هذا المال كان كثيرا، لذا قطعت يده وشهر به.

وأحيانا كان يعزر بعض الذين يسرقون سرقات خفيفة(٤)، ففى شهر رجب (سنة ٤١٤هـ/ ١٠٢٣م) علق لص وجد قد فتح دكانا- ربما فتحه ولم يأخذ منه شيئا، أو أخذ شيئا يسيرا لا يستوجب حد القطع- فضرب وشهر به على جمل، ثم حبس مدة. وقبض على جماعة اتهموا بفتح الدكاكين فى درب الصفين، فضربوا وحبسوا[٥]. وفى شهر شعبان من نفس السنة (٤١٤هـ) ضرب وشهر رجل سرق بعض النحاس[٦].

وطبق حد الزنا، عملا بقوله تعالى: ﴿**الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر**﴾[٧]. ففى ربيع الآخر (سنة ٣٨٢هـ/ ٩٩٢م) فى عهد العزيز بالله، رجم رجل زنى[٨]. لأنه كان محصنا، وفى (سنة ٤٠٥هـ/ ١٠١٤م) فى عهد الحاكم بأمر الله- لما منع النساء من الخروج من بيوتهن- كإجراء وقائى للقضاء على الفتنة- واحتالت امرأة على القاضى بزعم حضور جنازة أخ لها، فأذن لها وخرجت إلى بيت عشيقها، فإنه لما انكشف أمرهما وضبطا وهما فى إزار واحد، وفى حالة سكر بين، أمر الحاكم بحرق المرأة، وضرب

= فى أيام الحاكم بأمر الله فقبض عليه واعتقله (سنة ٤٠٣هـ) وقطع يده (سنة ٤٠٤هـ) واستوزره الظاهر بن الحاكم (سنة ٤١٨ هـ) توفي (سنة ٤٣٦هـ). (الكندي: الولاة ص٤٩٧، الذهبي: تاريخ الإسلام ١١/ ٤٣٤).

(١) ابن خلكان: وفيات ٣/ ٨٥، ابن خلدون: العبر ٤/ ٧١، ابن العماد الحنبلي: شذرات ٣/ ٢٣٢.

(٢) المقريزي: اتعاظ ٢/ ١٠٢ ولم أعثر له علي ترجمة، ويبدو أنه كان أحد المقدمين في عهد الحاكم.

(٣) المسبحي: أخبار مصر ص١٩١.

(٤) الماوردي: الأحكام السلطانية ص٢٠٥.

(٥) المسبحي: أخبار مصر ص٣٨.

(٦) المصدر السابق ص١٧٩.

(٧) النور: ٢.

(٨) المقريزي: اتعاظ ٢/ ٢١.

الرجل ألف سوط[1]. فعلى الرغم من عدم إقامة الحد الشرعى وهو الرجم حتى الموت للمحصن، إلا أن الحاكم أحرق المرأة لجرأتها غير العادية فى الإحتيال والذهاب إلى عشيقها، ولعل الألف سوط التى ضربها للرجل هى التى أوصلته للموت، لإحصانه أيضا.

وأقيم حد الخمر أيضا، وهو الجلد من أربعين إلى ثمانين جلدة[2]، فقد قبض على رجل (سنة ٤١٤هـ/ سنة ١٠٢٣م) فى قيسارية البر بمصر وهو سكران، فاعتقل وحبس[3]. وأقيم عليه الحد بعد ذلك، كعادة الفاطميين يحبسون مدة ثم يقيمون الحد.

وعقوبة القتل الخطأ وهى الدية، عملا بقوله تعالى: **﴿ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله إلا أن يصدقوا﴾**[4] طبقها الفاطميون أيضا، ففى (سنة ٣٦٢هـ/ سنة ٩٧٢هـ) أرسل المعز لدين الله قائده جوهر الصقلى[5] لإحضار جماعة من أهل تنيس[6]، وطالبهم بديات بعض المغاربة الذين قتلوا عندهم بالخطأ، وألزموا بمائتى ألف دينار[7].

وحد المرتد هو القتل، عملا بقوله تعالى: **﴿ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾**[8]. ولقوله ﷺ: «من بدل دينه فاقتلوه»[9]. طبق أيضا فى عصر الفاطميين، ففى شعبان– أو المحرم –(سنة ٤١٤هـ/ سنة ١٠٢٣م) قبض على رجل يقال له أبو زكريا، وكان نصرانيا فأسلم، وكتب الحديث الشريف، وقرأ القرآن الكريم، وحج، ثم ارتد إلى النصرانية، وقال: ما عمل فى سحر نبيكم، فضربت عنقه[10].

---

(١) ابن الجوزي: المنتظم ٧/ ٢٧٠. (٢) السيد سابق: فقه السنة ٢/ ٢٥٢، ٢٥٣.

(٣) المسبحي: أخبار مصر ص١٨٢. (٤) النساء: ٩٢.

(٥) جوهر بن عبد الله الرومي، أبو الحسن، القائد. باني مدينة القاهرة والجامع الأزهر، كان من موالي المعز، وسيره لفتح مصر ففتحها (سنة ٣٥٨هـ)، وفتح الشام وضمها إلي مصر. توفي (سنة ٣٨١هـ)، وكان شجاعا، كثير الإحسان، رثاه كثير من الشعراء (ابن كثير: البداية ١١/ ٣٩٧، ابن العماد الحنبلي: شذرات ٣/ ٩٨-١٠٠).

(٦) تنيس: تقع بين الفرما ودمياط. (ابن عبد الحق: مراصد ١/ ٢٧٨، ٢٧٩).

(٧) المقريزي: اتعاظ ١/ ١٤٣. (٨) البقرة: ٢١٧.

(٩) البخاري: الصحيح ٤/ ١٩٦.

(١٠) المسبحي: أخبار مصر ص٢٢١، المقريزي: اتعاظ ٢/ ١٣٦.

والتعزيز كان مطبقا عند الفاطميين لبعض الجناة والمذنبين، فإنه لما كثر بخس الباعة فى المكاييل والموازين (سنة ٣٨٣هـ/ ٩٩٣م)- فى عهد العزيز بالله- أمر بكتابة منشور يوزع فى كل الأسواق ينهى عن ذلك، وفيه تخويف بأن من وجدت عنده صنجة أو كيل أو ميزان بعد ثلاثة أيام وفيها عيب (حلت به العقوبة)، كائنا من كان(١). وفى عهد الظاهر (سنة ٤١١-٤٢٧هـ) قبض صاحب الشرطة على رجل يدعى ابن الكافى الكتامى (سنة ٤١٤هـ)، كان يقود على خمسة من النساء فى منزلة، فضرب وشهر به(٢). وأيضا من عقولة التعزيز تحديد الإقامة، وطبقها الحاكم على قائده الحسين بن جوهر(٣) لما علم بمخالفته له، وعلى قاضيه عبد العزيز بن النعمان(٤)، لامتداد يده إلى أموال اليتامى، وأمرهما بأن: «يلزما داريهما، ومنعا من الركوب.. وامتنع الداخل إليهم»(٥). وكان الذى يقوم بتنفيذ العقوبات فى كل ما سبق والى الشرطة، فهو الذى ينفذ الأحكام القضائية الصادرة عن القاضى أو المحتسب(٦).

وواضح فيما سبق من النصوص فى عهد الحاكم وابنه الظاهر، والأمثلة المتعددة فى إقامة حد السرقة، والخمر، والزنا، والردة، والقتل الخطأ، والتعزير، أن الحدود كان يعمل بها فى الدولة الفاطمية حسب الأصول، وإن اختلفت فى بعض الفروع- كقطع الأصابع فى السرقة- حسب الفقه الشيعى، وإن وجدت بعض المخالفات- التى لا يخلو منها عصر حتى عند العباسيين أنفسهم. وعليه فقد جانب العباسيون الصواب أيضا فى هذا الطعن- اتهام الفاطميين بعدم إقامة حدود الله- وبعض المخالفات- كانت عند كلا الطرفين

(١) المقريزي: اتعاظ ١/ ٢٨٠. (٢) المسبحي: أخبار مصر ص١٨٧.

(٣) الحسين بن القائد جوهر، قائد القواد. ولاه الحاكم هذه الوظيفة وجعل إليه تدبير الدولة (سنة ٣٩٠هـ)، وظل فيها ثلاث سنوات، ثم تخوف الحاكم فهرب إلى الصعيد، وأعاده الحاكم بالأمان، ثم قبض عليه وقتله (سنة ٤٠١هـ) (اليافعي: مرآة ٣/ ٣، ابن تغري بردي: النجوم ٢/ ١٣٤).

(٤) القاضي عبد العزيز بن النعمان بن حيون، أبو القاسم. قاضي القضاة بمصر والشام، وهو من علماء الباطنية. ولي قضاء مصر (سنة ٣٩٤هـ)، وعظمت مكانته عند الحاكم، ثم عزله (سنة ٣٩٨هـ)، وقتله غيلة (٤٠١هـ)، (الكندي: الولاة والقضاة ص٤٩٥، ٤٩٦، اليافعي: مرآة ٣/ ٣).

(٥) المقريزي: اتعاظ ٢/ ٧٣. (٦) د. أيوب: التاريخ الفاطمي السياسي ص٢٢٥.

-الفاطميين والعباسيين- على مستوى الخاصة والعامة. مع أن الأولى لجميع المسلمين فى مختلف العصور والأمكنة تطبيق شرع الله، لأن فيه الخير الدنيوى والأخروى، وصدق الله العظيم القائل: **﴿وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾**[1].

الفاطميون (والزنا والخمر وسفك الدماء):

ويواصل العباسيون طعنهم فى الفاطميين، بأنهم: «أباحوا الفروج، وأحلوا الخمر، وسفكوا الدماء»[2].. ثلاثة أمراض اجتماعية خطيرة تهدد حياة أى مجتمع، وتشيع فيه الفوضى بشكل عام فى الدين والأخلاق والعرض والمال. كما يلاحظ فى هذا الإتهام أنه محاولة من العباسيين لإخراج الفاطميين من الإسلام بتحليلهم ما حرم الله من الزنا والخمر وقتل النفس، فوق اتهامهم السابق بالكفر والزندقة، أو ما سيأتى -إن شاء الله تعالى- من سبهم السلف وادعائهم الألوهية.

ولبيان حقيقة هذه التهم الثلاثة نعطى فكرة موجزة عن الأخلاق فى العصر الفاطمى، ثم نناقش كل تهمة على حدة -إن شاء الله.

بالنسبة للأخلاق فقد تمتعت مصر فى النصف الأول من العصر الفاطمى برخاء اقتصادى كبير، فقد بلغ ما جباه القائد جوهر (سنة ٣٥٩هـ) ثلاثة ملايين وأربعمائة ألف دينار[3]، وهذا أدى إلى ترف ورفاهية، وبالتالى إلى نوع من الفوضى الإجتماعية فى بعض الفترات[4]. إضافة إلى بعض الفساد الذى بلغ القصر الفاطمى نفسه الذى حيكت فيه المؤامرات، وكثرت المفاسد الأخلاقية بين سكانه[5]. ولم يكن الفاطميون بدعا فى هذا- فساد حياة

---

(١) الأنعام: ١٥٣.

(٢) انظر: ابن الجوزي: المنتظم ٧/ ٢٥٥، أبو الفداء: المختصر ٢/ ١٤٣، الذهبي: تاريخ الإسلام ١١/ ٢٢، اليافعي: مرآة ٣/ ٤، ابن كثير: البداية ١١/ ٤٤١، القلقشندي: مآثر الأناقة ٢/ ٢٥٧، المقريزي: اتعاظ ١/ ٤٤، ابن تغري بردي: النجوم ٤/ ٢٣٠، السيوطي: حسن المحاضرة ٢/ ٢٨٣.

(٣) المقريزي: الخطط ١/ ٩٩.

(٤) د. الخربوطلي: مصر العربية ص١٥٣، د. أيوب (إبراهيم): التاريخ الفاطمي الإجتماعي- الشركة العالمية للكتاب- بيروت- ط(١) سنة ١٩٩٧م، -ص٢٦٨.

(٥) د. سيد: الدولة الفاطمية ص٢١٠.

القصر- فقد حدث هذا لأهل الدول السابقة واللاحقة عليهم[1].

كما كان من عوامل اضطراب الأخلاق فى العصر الفاطمى- فى بعض الفترات- كثرة الأعياد والإحتفالات غير الإسلامية وتنوع الإحتفال بها، واختلاط المسلمين والنصارى فيها دون قيود كعيد الصليب[2]، وعيد الغطاس[3]، وغيرها، وما يرتكب فيها من محرمات من اختلاط وخمر وغناء[4]. وربما كان للفترة السابقة على قيام الدولة الفاطمية (سنة ٢٩٧هـ/ سنة ٩٠٩م)، وما لاقاه الفاطميون فيها من اضطهاد عباسى وتشتت فى عدة بلاد من العراق إلى الأهواز إلى الشام إلى اليمن إلى المغرب، ثم استقرارهم أخيرا بمصر، وما لاقوه خلال ذلك من عناء ومشقة، فلما استقروا (سنة ٣٦٢هـ/ ٩٧٢م)- حاولوا تعويض هذه الفترة فدعاهم هذا إلى حياة الترف والدعة، وساعدهم على ذلك وفرة خيرات مصر- كما سبق-.

كما أن سياسة الفاطميين فى محاولتهم جذب الناس إليهم وتأليفهم، أن وسعوا عليهم، وتأنقوا فى المأكل والملبس والمشرب والمسكن، فمالوا جميعا فاطميين وعامة إلى حياة البذخ والترف التى لا تخلوا من ارتكاب بعض المحظورات، فكانت مادة خصبة لطعن العباسيين وبعض المؤرخين فيهم.

ومن خلال هذه العوامل نستطيع أن نناقش ونستجلى حقيقة هذه التهم:

أما بالنسبة لاستباحة الفروج: أى انتشار الزنا- والعياذ بالله- فما ورد فى المصادر التاريخية يشير إلى مجالس اللهو والطرب والغناء التى كانت تقام على شاطئ الخليج بالقاهرة، حتى أصبحت تلك المنطقة بؤرة للفساد والرذيلة بما يرتكب فيها من مخالفات على أثر شرب المسكرات، والإستماع إلى المغنيات، وحضور حفلات المجون والخلاعة[5]. وما يماثلها أيضا فى حفلات

---

(١) د. فخر الدين (محمد) مصر في ظلال الحكم الإسلامي:- مطبعة الصاوي- مصر- بدون- ص٢٢٤.

(٢) عيد الصليب: يكون في السابع عشر من توت، وسببه ظهور الصليب- بزعمهم- علي يد «هيلانة» أم قسطنطين. (المقريزي: الخطط ١/ ٢٦٦).

(٣) عيد الغطاس: في ليلة الحادي عشر من طوبة، وأصله عند النصاري أن يحيي-عليه السلام- عمد- -غسل-عيسي في بحيرة طبرية في هذه الليلة فاتصل به روح القدس، فلذلك يغمسون أولادهم في الماء فيها. (المقريزي: الخطط ١/ ٢٦٥٩).

(٤) المسبحي: أخبار مصر ص٠٤، المقريزي: الخطط ١/ ٢٦٥، ٢٦٦.

(٥) المقريزي: اتعاظ ٢/ ٧٦، ابن إياس، بدائع ح ١ ق ١/ ١٩٠.

الصحراء[١]. يقول ابن إياس[٢]: «وكان يحصل منه- (الإختلاط فى الملاهى على النيل وفى الصحراء)- غاية الفساد».

وأيضا ما ورد من تزايد حركة البيع والشراء فى القاهرة ليلا، وتزيين الأسواق وإقبال الناس على البيع والشراء والأكل والغناء، وغلبة النساء الرجال على الخروج ليلا، وتزايد الزحام فى الشوارع والطرقات، فكان يقع فى هذه الأسواق والطرقات ليلا بعض الفواحش والمحرمات[٣].

كما تشير المصادر إلى أن الظاهر بالله ظل مستقيما مدة -تقريبا الثلاث سنوات الأولى من حكمه (سنة ٤١١- ٤١٤هـ)، ثم نقض كل التشريعات الإجتماعية التى كان قد أصدرها والده الحاكم[٤]، وأقبل على الإنشغال بلذاته[٥]، ورخص للناس فى شرب الخمر، وسماع الغناء، واتخاذ المغنيين والمغنيات، فأقبل الناس على اللهو، وارتكاب بعض الفواحش[٦]، مما جعل ابن إياس يصفه بأنه: «وكان مخلوعا- (من الخلاعة)- نزها»[٧].

وكانت أكثر مظاهر الإنحدار الأخلاقى وارتكاب الفواحش فى العصر الفاطمى فى أعياد أهل الذمة، ففى ليلة الغطاس يكثر إيقاد المشاعل والشموع ويحضر بشاطئ النيل فى تلك الليلة آلاف من المسلمين والنصارى، ومعهم كل ما يمكنهم من المآكل والمشارب والملاهى والمعازف والخمر، ويظلون هكذا حتى الساعات الأولى من الصباح[٨]. وفى عيد الصليب، يخرج الناس ويتظاهرون فى ذلك بالمنكرات من أنواع المحرمات بما يتجاوز الحد[٩]. وفى عيد الفصح[١٠] يجتمع الناس- نصارى ومسلمون- بقنطرة المقس فى الخيام المنصوبة، ويظلون طوال نهارهم فى لهو وتهتك قبيح، واختلاط بين الرجال

---

(١) المقريزي: الخطط ٢/ ٢٨٧. (٢) بدائع ح ١ ق ١/ ١٩٠.

(٣) المقريزي: اتعاظ ٢/ ٣٨، الخطط ٢/ ١٠٨.

(٤) سيأتي الحديث عنها بعد قليل- إن شاء الله تعالي.

(٥) ابن القلانسي: ذيل ص٨٣. (٦) المقريزي: الخطط ١/ ٣٥٤، ٣٥٥.

(٧) بدائع ح ١ ق ١/ ٢١٢. (٨) المقريزي: الخطط ١/ ٢٦٥، ٢٦٦.

(٩) المصدر السابق ١/ ٢٦٧.

(١٠) عيد الفصح هو العيد الكبير عند النصاري، وهو اليوم الذي نجي الله فيه عيسي من اليهود- حسب زعمهم- بأن ألقي شبهه علي آخر فقتلوه والقرآن الكريم يؤكد أنه لم يصلب ولم يقتل. (المقريزي: الخطط ١/ ٢٦٤).

والنساء وهم يعاقرون الخمر، حتى حملت النساء فى قفاف[1] الحمالين من شدة السكر[2]. ويؤكد المسبحي أن الخليفة الفاطمى الظاهر بالله حضر هذا العيد (سنة ٤١٥هـ/ ١٠٢٤م)[3]، فشاركهم لهوهم وخمرهم وفواحشهم.

هذه بعض إشارات المؤرخين إلى ما يدل على ما يستنتج منه ارتكاب بعض الفواحش فى العصر الفاطمى- فى الفترة السابقة على صدور المحضر الأول (سنة ٤٠٢هـ)، وبعدها بقليل فى عهد الظاهر بن الحاكم- (سنة ٤١١- سنة ٤٢٧هـ)- فما مدى انتشار هذه المفاسد، وما موقف الخلفاء الفاطميين منها؟

أما بالنسبة لمدى انتشارها فقد كان محدودا ولم يكن عاما، فقد كانت فى بداية عهد الحاكم- وسيأتى موقفه منها بعد قليل- إن شاء الله تعالى- وفى عهد ابنه الظاهر كرد فعل لما كان من تشديد فى عهد والده، أو لما طبع عليه من حياة اللهو والمجون. وأما بالنسبة لما كان يقام على شاطئ النيل من حفلات صاخبة فالغالب فيه أنه كان فى الأعياد فقط، إما عامة مثل وفاء النيل، أو خاصة كما فى أعياد النصارى- الصليب والغطاس والفصح وغيرها، وعليه فكان التهتك وما يرتكب فى هذه الأعياد كان فى أيام محدودة، وكان يختلط فيه المسلمون مع النصارى.

أما عن موقف الخلفاء الفاطميين من هذه المخالفات الأخلاقية فنصدره بنص ورد عن المعز لدين الله (سنة ٣٣٤هـ/ ٩٤٥م) فى خطبة له فى الكتاميين، فقد قال لهم بعد أن أوصاهم بالإحسان إلى من تحت أيديهم: «... وأقبلوا بعدها على نسائكم، والزموا الواحدة التى تكون لكم، ولا تشرهوا إلى التكثير منهن والرغبة فيه، فيتنغص عيشكم، وتعود المضرة عليكم، وتنهكوا أبدانكم، وتذهب قوتكم... فحسب الرجل الواحدة الواحدة»[4]. وهذا فى الحلال، فكيف بالحرام؟

وأما الحاكم بأمر الله فقد وقف منها موقفا حازما، لتأكده من وقوع أخطاء ومخالفات شرعية وأخلاقية لقيامه بأمر الحسبة بنفسه، ولكثرة تجوله ليلا

(١) قفاف: جمع قفة: وهي وعاء من الخوص ونحوه. (ابن منظور: لسان العرب ٥/ ٣٧٠).
(٢) المسبحي: أخبار مصر ص٤٠، المقريزي: اتعاظ ٢/ ١٣٧.
(٣) أخبار مصر ص٣٩. (٤) المقريزي: اتعاظ ١/ ٩٦، الخطط ١/ ٣٥٢.

ونهارا[1]، فأمر (سنة ٣٩٩هـ/ سنة ١٠٠٨م) بأن لا يجتمع الناس على شاطئ النيل، وهدد من يفعل ذلك بالشنق، فرجع الناس عن الإختلاط والخمر والمحرمات التي كانت ترتكب في هذه الملاهى(٢). وفى (سنة ٤٠١هـ/ ١٠١٠م) منع أيضا من ضرب الخيام فى الصحراء واجتماع الرجال والنساء والغلمان فيها(٣)، لسد باب الفتنة.

وأما بالنسبة للأسواق وما يرتكب فيها من مخالفات شرعية، فقد منع الحاكم الرجال من الجلوس أمام الحوانيت منعا للتحرش بالنساء(٤). ولما لم يرتدع الناس أمر بحظر التجول من بعد صلاة العشاء إلى صلاة الفجر(٥). وليس هذا فقط، بل أمر أن لا يدخل أحد الحمام إلا بمئزر(٦).

وأما بالنسبة لإشارة المصادر إلى تهتك الخليفة الفاطمى الظاهر وإلغائه للتشريعات الإجتماعية التى كان قد أصدرها والده الحاكم، فهذه كانت حقا، ولكن الرجل كان يحاول أحيانا الرجوع إلى التمسك بآداب الدين، ويرجع عن تبذله ويأمر الناس بذلك، ففى شهر رجب (سنة ٤١٤هـ/ ١٠٢٣م) أصدر مرسوما، أمر فيه: «برفع المناكير وترك التظاهر بشئ منها، وأن لا تخرج الناس من بعد العصر إلى الطرقات بالقرافة، وأن تنزه هذه الأشهر (أى الأربعة الحرم)- الشراف عن المناكير، وأن لا يجتمع الناس كما كانوا يجتمعون بالجيزة ولا بالجزيرة ولا بالقرافة على شئ من المحظورات، وأن يمنع الغناء ظاهرا أو التشهر بشئ منه..»(٧).

وأما بالنسبة لأعياد القبط واختلاط المسلمين والنصارى فيها وما ينتج عنه من مخالفات أخلاقية جسيمة، فإنه فى خلافة العزيز بالله فى الرابع من رجب -الموافق يوم الصليب- (سنة ٣٨١هـ/ ٩٩١م). منع الناس من الخروج للإحتفال، وأمر بضبط الطرق والدروب، ولكنهم خرجوا فى (سنة ٣٨٢هـ/ ٩٩٢م) فلما تولى الحاكم وفى (سنة ٤٠٢هـ/ ١٠١١م)، أمر

---

(١) ابن إياس: بدائع ح ١ ق ١/ ٢٠١.

(٢) المقريزي: اتعاظ ٢/ ٧٦، ابن إياس: بدائع ح ١ ق ١/ ١٩٠.

(٣) المقريزي: اتعاظ ٢/ ٨٧، الخطط ٢/ ٢٨٧.

(٤) المقريزي: اتعاظ ٢/ ٣٨.

(٥) المقريزي: الخطط ٢/ ٢٨٧.

(٦) المقريزي: اتعاظ ٢/ ٧٦.

(٧) المسبحي: أخبار مصر ص٣٤.

بقراءة سجل يشتمل على «منع النصارى من الإجتماع على عمل عيد الصليب، وأن لا يظهروا بزينتهم فيه»[1]، وتكرر هذا المنع (سنة ٤١١هـ/ سنة ١٢٠٢م)[2]. وفى عهد الظاهر بن الحاكم، أمر أن لا يختلط المسلمون مع النصارى عند نزولهم فى البحر فى ليلة الغطاس[3].

ولم يكتف الخلفاء الفاطميون بهذا، وإنما لعلمهم أن المرأة من أشد عوامل الفتنة والغواية- ولاسيما فى عصور الفساد والإنحلال- فقد وضعوا عليهن عدة قيود للمباعدة بينهن وبين الرجال كوسيلة من وسائل مكافحة الرذيلة وحماية الأخلاق الفاضلة[4]. وكانت معظم هذه القيود فى عهد الحاكم لأنه شهد الكثير من تبذل النساء فى طوافه بالقاهرة- على عادته- أثناء الليل. وكانت هذه القيود على النحو الآتى:

بداية أمر النساء (سنة ٤٠٢هـ/ سنة ١٠١١م) أن لا يكشفن عن وجوههن فى الطريق ولا خلف الجنازة، ولا يتبرجن[5]. كما أمر بمنع ركوبهن مع الرجال فى المراكب، وخروجهن إلى مواضع الحرج مع الرجال[6]. ثم منعهن من زيارة القبور، «فلم ير فى الأعياد بالمقابر امرأة واحدة»[7]. وهذا لما يحدث فيها من اختلاط وسفور. ثم منعهن من الخروج من بيوتهن بعد صلاة العشاء[8]، ومن الخروج إلى الأسواق بشكل عام[9]. ومن الذهاب إلى الحمامات[10]، ومحيت صورهن منها[11]. ومن خالفت وذهبت أمر بهدم بعض الحمامات عليهن[12].

ولما لم يرتد عن كل ما سبق منعهن من الخروج من بيوتهن البتة ليلا أو نهارا[13]. وحرصا من الحاكم على تنفيذ أوامره هذه بدقة متناهية منع

---

(١) المقريزي: الخطط ١/ ٢٦٧.
(٢) المصدر السابق ١/ ٢٦٦.
(٣) المسبحي: أخبار مصر ص١٩٠.
(٤) د. عنان. الحاكم بأمر الله ص٩٤.
(٥) المقريزي: الخطط ٢/ ٢٨٦، اتعاظ ٢/ ٥٣.
(٦) المقريزي: اتعاظ ٢/ ٩١.
(٧) المقريزي: الخطط ٢/ ٢٨٧.
(٨) المصدر السابق: ٢/ ١٠٨.
(٩) ابن خلدون: العبر ٤/ ٧٢.
(١٠) الذهبي: دول الإسلام ١/ ٢٤٣، ابن العماد الحنبلي: شذرات ٣/ ١٧٣.
(١١) ابن خلكان: وفيات ٤/ ٣٨٠.
(١٢) السيوطي: حسن المحاضرة ١/ ٦٠٢.
(١٣) الذهبي: تاريخ الإسلام ١١/ ١٦٢، ابن خلكان: وفيات ٤/ ٣٨٠، ابن تغري بردي: النجوم ٤/ ١٧٧، السيوطي: حسن المحاضرة ٢/ ٢٨٣.

صانعى الخفاف(١)- الأحذية- من صنع الأخفاف للنساء حتى يتعذر عليهن الخروج من بيوتهن، فتعطلت حوانيتهم(٢)، وقتل عدة نساء خالفن أمره فى هذا(٣). وظلت النساء ممنوعات من الخروج من بيوتهن مدة سبع سنين وسبعة أشهر(٤)، تبدأ (سنة ٤٠٤هـ/ ١٠١٣م)(٥)، واستثنى منها من دعت الضرورة لخروجها كالقابلة أو الغاسلة، أو المسافرة صحبة زوجها أو للحج، وبعض العجائز(٦). ولما اشتكت بعض النساء اللاتى لا عائل لهن فيمن يقوم بأمرهن، أمر الباعة أن يذهبوا إلى الدروب وأن تكون عملية البيع والشراء بساعد طويل من وراء الباب- أشبه بالمغرفة-(٧).

ولم يتوقف الحاكم عند هذا الحد، بل بالغ فيه جدا وأخرجه عن حده- ربما لأنه كان سيئ الظن ومصاب بعقدة الشك- فمنع النساء (سنة ٤٠٥هـ/ سنة ١٠١٤م) من التطلع من الطاقات- النوافذ- أو الصعود إلى أسطح المنازل، شبابهن وعجائزهن(٨). وذهب الحاكم أبعد من هذا فقد عمل بنظام الجاسوسية، ونشر عددا كبيرا من عجائز النساء يدخلن الدور يستطلعن أخبار النساء بأسمائهن وأن فلانة تعشق فلانا والعكس، وأنهن يجتمعن فى وقت كذا ومكان كذا، فيأمر بالقبض عليهم ويغرقهن(٩). بل ويذكر ابن كثير(١٠): أن الحاكم أكثر من الدوران بنفسه ليلا ونهارا فى القاهرة، وغرق خلقا من الرجال والنساء والغلمان ممن اطلع على فسقهم، فكانت النتيجة: «فضاق الحال واشتد على النساء، وعلى الفساق فى ذلك».

ولاشك أن الحاكم غالى فى حجره على النساء بتلك القيود

(١) كان سوق الخفاف في منطقة باب زويلة. (المقريزي: الخطط ٢/ ١٠٥).
(٢) ابن خلكان: وفيات ٤/ ٣٨٠، الذهبي: دول الإسلام ١/ ٢٤٣، المقريزي: الخطط ٢/ ٢٨٨.
(٣) الذهبي: العبر ٢/ ٢٠٨.
(٤) وقيل سبع سنوات فقط (ابن دقماق: الجوهر ١/ ٢٥٢).
(٥) الذهبي: تاريخ الإسلام ١١/ ١٦٢، اليافعي: مرآة ٣/ ٢٦، القرماني: أخبار الدول ٢/ ٢٣٨.
(٦) ابن الجوزي: المنتظم ٧/٢٦٩، الذهبي: تاريخ الإسلام ٢٧/١١، د. أيوب: التاريخ الفاطمي الإجتماعي ص٥٣.
(٧) ابن الأثير: الكامل ٨/ ١٢٩، ١٣٠، المقريزي: اتعاظ ٢/ ١٩.
(٨) ابن كثير: البداية ١١/ ٤٤٩، السيوطي: حسن المحاضرة ٢/ ٢٨٣، ابن إياس: بدائع ح١ ق١/١٩٩.
(٩) ابن الجوزي: المنتظم ٧/ ٢٦٨، ٢٦٩، ابن كثير: البداية ١١/ ٤٤٩.
(١٠) البداية ١١/ ٤٤٩.

الصارمة[1]. وفوق المغالاة يبدو -والله أعلم- أن الحاكم اطلع بنفسه- وهو القائم بالحسبة، وكان يكثر من التجول ليلا ونهارا، ولا يتورع أن يدخل المناطق المظلمة النائية- على كثير من مفاسد النساء فى هذا الوقت، فعاقبهن بالتدريج منع التبرج والإختلاط، ثم منعهن من الأسواق والحمامات، ثم منعهن من الخروج نهائيا وعاقبهن عدة مرات فلم يرتدعن، مما جعله يفقد ثقته فيهن ويأمر بعدم تطلعهن من النوافذ ومن فوق أسطح المنازل، فكانت هذه القوانين المتعددة والصارمة والحاجزة لهن عن الرجال فى آن واحد.

ويعلق د/ عنان على هذه القوانين: بأن الحكم عليها يقتضي أن نفهم روح العصر وخواص المجتمع المصرى يومئذ، فكان الحاكم على رأس خلافة مذهبية يقوم سلطانها السياسى على صفة الإمامة الدينية، وكانت هذه الخلافة تحيط ملكها فى مصر بسياج قوى من الخلال القويمة. ولكنها ألفت فى مصر مجتمعا متحضرا يميل إلى حياة الترف والحياة الناعمة، وكانت الرذائل الإجتماعية على أشدها حينما تولى الحاكم، وشهد الحاكم فى مواكبه الليلية مظاهر هذا الفساد، «عندئذ وضع هذه الخطة التى يمكن أن توصف بحق بأنها برنامج للإصلاح الإجتماعى، ولجأ إلى تلك القوانين والإجراءات الصارمة كوسيلة لمكافحة هذا الفساد الإجتماعى الشامل»[2].

والخلاصة: أنه وجد فى المجتمع الفاطمى بعض الإنحلال الأخلاقى، وانغمس بعض الخلفاء فيه كالظاهر بالله (سنة ٤١١- ٤٢٧هـ)، ولكن حاول بعض الخلفاء الفاطميين معالجة بعض مظاهر الإنحلال معالجة جادة كالعزيز والحاكم والظاهر- نفسه- ولم يقفوا منها موقفا سلبيا خاصة فى عهد الحاكم، فقضى على الكثير من مظاهر هذا الإنحلال، ولا يخلو منه عصر إلا ما رحم ربى.

وأما تحليل الخمر:

فقد أدى الرخاء فى مصر فى العصر الفاطمى إلى إقبال بعض الناس على شربها، كما هو الحال فى عهد العزيز بالله فى حوادث (سنة ٣٨١هـ/

(١) د. العبادي: في التاريخ العباسي والفاطمي ص٢٨٧.
(٢) الحاكم بأمر الله ص٩٣، ٩٤.

سنة ٩٩١م)[١] وربما زادت فى بداية عهد الحاكم، كما فى حوادث (سنة ٣٩٢هـ- سنة ١٠٠١م)[٢] ومنعت بعدها حتى (سنة ٤١٨هـ/ سنة ١٠٢٧م) فى عهد الظاهر، حيث يذكر المقريزى[٣]: «وفيها شرب الظاهر الخمر وترخص فيه للناس، وفى سماع الغناء، وشرب الفقاع[٤]، فأقبل الناس على اللهو»، حيث عرف الظاهر بأنه كان مشتغلا بالشرب منهمكا فيه[٥]. وورد أيضا أن الخليفة الفاطمى المستنصر كان يعاقر الخمر[٦]. ولما كان الناس على دين ملوكهم- أو أمرائهم- فقد تجاهر الناس بها فى عهدهما[٧].

هذا ما ورد عن الخمر فى العصر الفاطمى حتى المستنصر الذى صدر فى عهده المحضر الثانى (سنة ٤٤٤هـ/ سنة ١٠٥٢م)، كانت متداولة بين العامة من الناس، وكانت بدرجة متوسطة فى عهد العزيز بالله- (سنة ٣٦٥-٣٨٦هـ)، وزادت أكثر من بداية عهد ابنه الحاكم (سنة ٣٨٦هـ). أما بالنسبة للخلفاء الفاطميين فاتهم بشربها اثنين هما الظاهر بالله والمستنصر من أربعة عشر خليفة، والخمر منذ وجدت لم تمنع إلى يومنا هذا. ومع هذا حاربها الفاطميون وشددوا فى محاولة القضاء عليها فى سنوات عدة:

ففى (سنة ٣٨١هـ/ ٩٩١م)، أمر العزيز بالله بإزالة المنكرات، وهدم مواضعها فكسر لرجل خمسون ألف جرة[٨]- وهذا الرقم مبالغ فيه- وردت من الصعيد[٩]. وكان أكثر التشديد فى منع الخمر فى عهد ابنه الحاكم، الذى اتخذ عدة إجراءات -كعادته- جادة وصارمة جدا للقضاء عليها بالكلية، ففى ربيع الأول (سنة ٣٩٢هـ/ ١٠٠١م) قرئ منشور برفع المنكرات وإبطالها، فأغلقت الشرطة عدة مواضع فيها المسكرات وأراقتها[١٠]. وفى السنة التالية (٣٩٣هـ/ ١٠٠٢م) أمر بقطع أشجار الكروم لمنع صناعة

---

(١) المقريزي: اتعاظ ١/ ٢٧١.
(٢) المصدر السابق ٢/ ٤٤.
(٣) المصدر السابق ٢/ ١٢٩.
(٤) الفقاع: شراب يتخذ من الشعير- البيرة-، سمي به لما يعلوه من الزبد. (ابن منظور: لسان العرب ٥/ ٣٤٤٨، ٣٤٤٩).
(٥) ابن عذاري: البيان ١/ ٢٨٧.
(٦) المقريزي: اتعاظ ٢/ ٢٦٥.
(٧) ابن إياس: بدائع ح ١ ق١/ ٢١٢.
(٨) الجرة: إناء من خزف كالفخار. (ابن منظور: لسان العرب ١/ ٥٩٥).
(٩) المقريزي: اتعاظ ١/ ٢٧١.
(١٠) المصدر السابق ٢/ ٤٤.

الخمر[١]، وحددت بعض المصادر أسماء المناطق التى أتلف فيها شجر العنب، حددها السيوطى بديار مصر والصعيد والإسكندرية ودمياط[٢]، وبعض المصادر أطلقتها بكل ديار مصر[٣]. وهذا أمر يصعب تحقيقه. وحدد ابن إياس عدد الأشجار التى قطعت بمائة ألف شجرة[٤].

ويبدو أن الناس أخذوا يتحايلون فى كيفية الحصول على الخمر- بعد قطع أشجار العنب- فاتخذوها من الفقاع- ماء الشعير- فنهى الحاكم (سنة ٣٩٥هـ/ ١٠٠٤م) عن بيعه(٥). وأمر فى نفس السنة أيضا (٣٩٥هـ) بمهاجمة بعض المناطق والدور التى اشتهرت بعمل الخمر، وكسر أوعيتها وأوانيها[٦]. ولا نستبعد أنه تم القبض على أصحابها وحبسوا مدة كافية لردعهم.

ولما كان من الصعوبة بمكان قطع كل أشجار العنب فى مصر، أو أعيد تشجير ما قطع منذ (سنة ٣٩٣هـ) وإثماره مرة ثانية، وتساهل الحاكم فى هذا بعدم حرمان الرعية من فاكهة يقبلون عليها، فعاد وأمر فى المحرم (سنة ٤٠٢هـ/ ١٠١١م) بعدم بيع العنب أكثر من أربعة أرطال، ومنع من اعتصاره، وطرح كميات كبيرة منه فى الطرقات وديست، والبعض الآخر طرحه فى النيل، وأرسل حملة إلى الجيزة قطعت كرومها[٧]. لكونها- فى هذا الوقت المصدر الأول من هذا المحصول لأسواق القاهرة.

وزيادة فى التحرز ورغبة من الحاكم فى التشديد فى منع الخمر وعدم التحايل فى الحصول عليها- كما فى الفقاع- فقد أمر (سنة ٤٠٢هـ) بمنع بيع الزبيب، وعدم استيراده، وجمع ما فى الأسواق منه وأحرق بعضه وطرح البعض الآخر فى النيل[٨]، كما أمر فى نفس السنة (٤٠٢هـ) وهى سنة

---

(١) الذهبي: العبر ٢/ ٢٢٠، اليافعي: مرآة ٣/ ٢٦، ابن كثير: البداية ١٢/ ٤٦٦، ابن العماد الحنبلي: شذرات ٣/ ١٩٣.

(٢) حسن المحاضرة ٢/ ٢٨١.

(٣) الذهبي: دول الإسلام ١/ ٢٤٥، ابن دقماق: الجوهر ١/ ٢٥٢.

(٤) بدائع ح ١ ق ١/ ١٩٩. (٥) المقريزي: اتعاظ ٢/ ٥٤، الخطط ٢/ ٢٨٦.

(٦) الذهبي: تاريخ الإسلام ١١/ ١٦٢، المقريزي: اتعاظ ٢/ ٥٣، ابن تغري بردي: النجوم ٤/١٧٧.

(٧) ابن خلكان: وفيات ٤/ ٣٨٠، المقريزي: الخطط ٢/ ٢٨٧، القرماني: أخبار الدول ٢/ ٢٣٨.

(٨) وقيل (سنة ٤٠٣ هـ) (السيوطي: حسن المحاضرة ٢/ ٢٣٨).

الحسم بالنسبة للخمر[1]- بجمع ما فى المخازن من جرار العسل- الأسود- وأغرقها في النيل[2]، خوفا من تخميره وتحويله إلى مسكر. وكانت خمسة آلاف جرة[3]. وواضح فى كل ما سبق من صدور الأوامر بمنع الخمر وكسر أوانيها، ولما لم تمنع قطعت أشجار العنب- مائة ألف شجرة- فى عدة مناطق تكثر فيها زراعتها، ولما تحايل الناس باتخاذ المسكر من الشعير-البيرة- منع بيع الفقاع، وكذلك العسل الأسود، وزيادة فى الإصرار على منع الخمر منع تصنيع الزبيب واستيراده، وكبست بعض الدور التى اشتهرت بعمل الخمر وكسرت أوانيها، وقبض على أصحابها فترة لردعهم.

كل هذا يشهد بأن الخمر لم تكن عامة عند الفاطميين، وكانت هناك محاولات جادة وصارمة من بعض الخلفاء الفاطميين للقضاء عليها. وأما بالنسبة لترخيص الظاهر فيها للناس فربما كان سمح بها لأهل الذمة الذين يحتفون بها ويحتسونها بكثرة فى أعيادهم. أما أن يجيزها ويرخص فيها للمسلمين فلا أستطيع أن أجزم برأى المقريزى فى هذا، لأنه إنكار معلوم من الدين بالضرورة، يعنى إخراجه من ربقة الإسلام، وهذا أمر خطير جدا.

كما يلاحظ فى هذا المجال أن محاولات الفاطميين للقضاء على الخمر بدأت (سنة ٣٨١هـ)، قبل صدور المحضر الأول (سنة ٤٠٢هـ) بحوالى إحدى وعشرين سنة، فلا محل لاتهامهم بإباحتها من قبل العباسيين، بل كانوا جادين فى القضاء عليها، أما منعها تماما فهذا أمر لم يتمكن منه العباسيون أنفسهم.

وأما سفك الدماء:

فقد ذكرت المصادر حدوث شئ من هذا فى عصر الفاطميين، فعلى سبيل المثال ما ورد من تعذيب المعز لدين الله للشيخ أبى بكر النابلسى[4]، ثم

---

(١) ابن تغري بردي: النجوم ١٧٧/٤، السيوطي: حسن المحاضرة ٢/ ٢٨٣، القرماني: أخبار الدول ٢/ ٢٣٨.

(٢) ابن تغري بردي: النجوم ٤/ ١٧٧، د. العبادي: في التاريخ العباسي والفاطمي ص٢٨٦.

(٣) ابن خلكان: وفيات ٤/ ٣٨٠، وقيل خمسة آلاف وواحد وخمسين (المقريزي: الخطط ٢/ ٣٤٣).

(٤) لم أعثر له علي ترجمة.

قتله، لأنه أظهر أمامه أنه لو خير بين قتال الروم والفاطميين لقدم قتال الفاطميين على الروم[١].

وأما في عهد الحاكم فقد كثر القتل وزاد عن حده، ولم يسلم منه خواصه أو المقربون إليه، وحتى كبار الكتاب والعلماء، حتى بات كل إنسان خائفا على نفسه، مما جعل المؤرخين يسمونه بأنه كان: «سفاكا للدماء، قتل كثيرا من كبراء دولته صبرا»[٢].

ويقول ابن خلدون[٣]: «وكان الحاكم قد أسرف في القتل في أصناف الناس وطبقاتهم، والناس معه على خطر». ويذكر القرماني أن قتله هذا كان بغير سبب، قائلا: «قتل خلفا كثيرا بغير ذنب»[٤].

ومن قتلهم الحاكم على سبيل المثال لا الحصر قائده ومدبر دولته برجوان[٥] (سنة ٣٩٠هـ/ ٩٩٩م) لاستئثاره بالسلطة واستبداده عليه[٦]. وقيل أيضا لإهماله وتقصيره في عمله، حيث كان مقبلا على لذاته، ويجمع المغنيين من الرجال والنساء بداره ويلهون حتى الساعات الأولى من الصباح، ولا يذهب إلى الديوان إلا متأخرا جدا، وأهل الدولة وأصحاب الأشغال على بابه ينتظرونه لأخذ توقيعه، فيوقع ما يختار دون مشاورة للخليفة أو لأحد[٧]. كما أثر عن الحاكم قوله في سبب قتله له: «إنه كان سيئ الأدب جدا»، وكان يضع قدميه في وجه الحاكم تكبرا عليه[٨].

وفي (سنة ٣٩٢هـ/ ١٠٠١م)، ضرب الحاكم عنق أبي طاهر محمود ابن النحوي[٩] ناظر أعمال الشام، لكثرة تجبره وعسفه بالناس[١٠]. وفي (سنة

---

(١) ابن القلانسي: ذيل ص٤، ابن الجوزي: المنتظم ٧/ ٨٢، ابن كثير: البداية ١١/ ٣٦٣.

(٢) ابن خلكان: وفيات ٤/ ٣٧٩، الذهبي: دول الإسلام ١/ ٢٤٥، ابن دقماق: الجوهر ١/ ٢٥١، القلقشندي: مآثر الأناقة ١/ ٣٢٣، ابن تغري بردي: النجوم ٤/ ٢١٢.

(٣) العبر ٤/ ٦٩.

(٤) أخبار الدول ٢/ ٢٣٦.

(٥) منسوب إلي الأستاذ أبي الفتوح برجوان. وكان خصيا، تربى في دار العزيز بالله، وولاه إمرة القصور، فلما حضرته الوفاة أوصاه بابنه الحاكم (المقريزي: الخطط ٢/ ٣، ٤).

(٦) ابن القلانسي: ذيل ص٥٥، ٥٦، ابن الأثير: الكامل ٧/ ٤٨٢، ابن خلدون: العبر ٤/ ٦٩، ابن إياس: بدائع ج ١ ق ١/ ١٩٨.

(٧) المقريزي: اتعاظ ٢/ ٢٦.

(٨) المصدر السابق ٢/ ٤.

(٩) لم أعثر له علي ترجمة.

(١٠) المقريزي: اتعاظ ٢/ ٤٥.

٣٩٤هـ/ ١٠٠٣م) قتل منجمه «البكر»[١]، وجماعة من وجوه دولته[٢]. ولم تعطنا المصادر أسماءهم ووظائفهم، ولا سبب قتلهم، وفى السنة التالية (٣٩٥هـ/ ١٠٠٤م) قتل الحاكم ما يزيد على مائة نفس، وأمر بصلبهم[٣].

وفى (سنة ٤٠١هـ/ ١٠١٠م) قتل الحاكم قائد قواده الحسين بن جوهر، لأنه كاتب أبا ركوة[٤] الثائر عليه •سنة ٣٩٥هـ) والقاضى عبد العزيز ابن النعمان، لامتداد يده إلى أموال اليتامى[٥]. وفى (سنة ٤٠٣هـ/ ١٠١٢م) قتل الحاكم عددا كبيرا من العلماء والفقهاء الذين كانوا بدار العلم[٦] التى أنشأها (سنة ٤٠٠هـ/ سنة ١٠٠٩م)[٧] ولم توضح المصادر سبب قتله للعلماء والفقهاء، وربما كان بسبب تقلبه المعروف فكان أحيانا يتجاوز مع أهل السنة وأخرى ينقلب عليهم، وربما بلغه عنهم قالة فى المذهب الشيعى، أو فى الفاطميين، فنكل بهم، وفى نفس السنة أيضا (سنة ٤٠٣هـ) قتل جماعة من الكتاب والخدم والنساء والعامة[٨].

وعلى الجملة يجمل المقريزى من نكل بهم وقتلهم الحاكم بقوله: «وعم القتل بين وزير وكاتب وقاض وطبيب وشاعر ونحوى ومغن ومختار وصاحب ستر وحمامي وطباخ وابن عم وصاحب حرب وصاحب خبر ويهودى ونصرانى، وقطع أيدى الجوارى فى قصره. وكان فى دولته القتل

---

(١) لم أعثر له علي ترجمة. (٢) ابن عذاري: البيان ١/ ٢٥٦.

(٣) المقريزي: اتعاظ ٢/ ٥٩.

(٤) الوليد أبو ركوة، ثائر أموي، وهو من نسل هشام بن عبد الملك بن مروان، ولد ونشأ في الأندلس، وقدم إلي مصر، وتعلم الحديث، ثم رحل إلي مكة واليمن، ثم استقر بمصر عند بني قرة، الذين قتل الحاكم عددا كبيرا منهم، فدعاهم أبو ركوة إلي خلع طاعته وساعدتهم زناتة، وثاروا عليه (سنة ٣٩٥هـ) وهزم عدة جيوش للحاكم، حتي هزمه وقتل (سنة ٣٩٧هـ). (ابن الأثير: الكامل ٨/ ٤٢- ٤٦، ابن كثير: البداية ١١/ ٤٣٠،٤٣١، ابن خلدون: العبر ٤/ ٦٩، ٧٠).

(٥) اليافعي: مرآة ٣/٣، ابن عذاري: البيان ١/ ٢٥٩، ابن خلدون: العبر ٤/ ٦٩، ٧٠، ابن تغري بردي: النجوم ٤/ ٣٣، ٣٤.

(٦) كانت بدرب الخضيري، مقابل جامع الأقمر. (المقريزي: الخطط ١/ ٤٥٨).

(٧) ابن الجوزي: المنتظم ٧/ ٢٤٦، ٢٤٧، الذهبي: العبر ٢/ ١٩٦، ابن كثير: البداية ٤٣٧/١١، السيوطي: حسن المحاضرة ٢/ ٢٨٢.

(٨) المقريزي: اتعاظ ٢/ ٨٨.

والغيلة حتى على الوزراء وأعيان الدولة يخرج عليهم من يقتلهم ويجرحهم»[(١)].

والظاهر بالله بن الحاكم كان -حسب رأى ابن إياس- أشد قسوة وتنكيلا من والده، ويذكر أنه من مساوئه الشنيعة أنه فى (سنة ٤٢٣هـ/ ١٠٣١م)، أصدر أمرا فى القاهرة ومصر بجميع الجوارى، وأن يزين بأحسن الملابس، ويحضروا بهن إلى قصره، ففعل الناس ذلك، واجتمع لديه ما يزيد على ألفين وستمائة وستين جارية، فأمر بحبسهن ستة أشهر، ثم أضرم فيهن النار، «ولم يقع لأبيه مثل هذه الواقعة، مع وجود ظلمه وجوره فى الناس»[(٢)]. وهذه رواية -والله أعلم- يغلب عليها المبالغة، وربما أن الأمر لا يتعدى عدد محدود من جوارى قصره أخطأن فعاقبهن هذا العقاب.

هذه نماذج لبعض حوادث القتل التى أقدم عليها بعض الخلفاء الفاطميين، وواضح أن جلها كان لأسباب واضحة، فقتل المعز للشيخ أبى بكر النابلسى لنا أن نتصور رئيس دولة- فى بداية تأسيسها وإرساء قواعدها- يستوضح مدى قبول الناس له ولحاشيته، فتكون إجابة من سأله أنه لو كان يملك من القوة التى تمكنه من قتاله ما تأخر لحظة، بل ويقدم قتاله- على الرغم من أنهما على ملة واحدة- على قتال أعداء الملة، فكم تحمل هذه الإجابة من الكره له ولمن معه؟ وكيف سيكون حال هذا الرئيس؟ بالطبع مصيره واضح ومعروف ففعل المعز المألوف!

أما بالنسبة للحاكم، فالحقيقة أنه جاوز الحد بالفعل فى القتل وأسرف فيه، وكان بعضه لأسباب أوضحتها المصادر، كقتله لقائده برجوان الذى استأثر بالسلطة وأصبح الحاكم معه لا يملك شيئا، بل وأساء الأدب جدا مع مولاه لدرجة أن يضع قدميه فى وجهه تكبرا عليه، وفوق هذا أهمل النظر فيما كلف به من أعمال بسبب إقباله على شهواته ولذاته معظم الليل. والقائد الثانى الحسين بن جوهر الذى كاتب سرا أبا ركوة الثائر على الحاكم وعلى الفاطميين وهددهم فى عقر دراهم حتى وصل حدود الجيزة، وهزم لهم ثلاثة جيوش، فكيف يأمن الحاكم للحسين بعد هذا؟ وقاضيه عبد العزيز بن

---

(١) المقريزي: اتعاظ ٢/ ١٢٠، ١٢١. (٢) بدائع ح ١ ق ١/ ٢١٤.

النعمان الذى ثبت لديه امتداد يده إلى أموال اليتامى، رغم الراتب الضخم الذى كان يحصل عليه.

وبعض حوادث القتل الأخرى فى عهد الحاكم لم توضح المصادر سببها، وهذه أكثر منها الحاكم وكان يقتل فى المرة الواحدة عددا كبيرا، وحاول بعض المؤرخين أن يجدوا لها تعليلا، فابن تغرى بردى يرى أن سببها كان اشتغال الحاكم بالتنجيم وأنه كان يخدم زحل وطالعه المريخ وهو إله الحرب، فلهذا كان شرها إلى سفك الدماء(١). وابن العماد الحنبلى يرجعها إلى أنه كان حاد المزاج لا يملك نفسه عند الغضب(٢). وقيل لأنه كان غِليظ الطبع قاسى القلب(٣). وهذه تفسيرات ينقصها الدقة، وإقامة الحجة والدليل.

وأرى -والله أعلم- أن سبب كثرة القتل الجماعى فى عهد الحاكم والذى أباد به عددا كبيرا، أنه كان من النوع الحازم جدا، وكان يحرص على تنفيذ ما يأمر به حرفيا حرصا على هيبته وهيبة دولته، فكان يقتل كل من يخرج على قراراته، كما هو الحال فى محذورات النساء السابقة (سنة ٤٠٢هـ/ سنة ١٠١١م) بعدها يذكر ابن العماد الحنبلى(٤): «وقتل عدة نسوة خالفن أمره، وغرق جماعة من العجائز». وكان أيضا قد نهى عن بيع الملوخية والسمك الذى لا قشر له والفقاع-ماء الشعير- والعنب- وتتبع الناس فى ذلك وشدد فيه، وكل من باع شيئا من ذلك أمر بالقبض عليه وضربه وشهر به ثم قتله، فقتل فى سبيل هذا عددا كبيرا(٥).

والتفسير الآخر لكثرة القتل الجماعى فى عهد الحاكم، أنه كان نوعا من القتل السياسى سببه خشية الحاكم على ملكه خاصة ممن يتوقع منهم الشر، والملك- كما يرى د/ فخرى الدين -يضحى فى سبيله بكل غال. فسفك الحاكم للدماء لم يكن للتلذذ بإراقتها، ولكنها خطة سياسية يصفى بها الدولة ممن يعكر صفوها عليه ويوقع الرعب فى قلبه ويبنى الهيبة فى النفوس(٦).

---

(١) النجوم ٤/ ١٧٧.
(٢) شذرات ٣/ ١٩٤.
(٣) ابن القلانسي: ذيل ص٨٠.
(٤) شذرات ٣/ ١٧٣.
(٥) ابن خلكان: وفيات ٤/ ٣٧٩، اليافعي: مرآة ٣/ ٢٦، المقريزي: الخطط ٢/ ٢٨٦، ابن العماد الحنبلي: شذرات ٣/ ١٩٣.
(٦) مصر في ظلال الحكم الإسلامي ص ٥٦.

ويبين لنا المقريزى سبب انتهاج الحاكم لأسلوب القتل السياسى، أن عهد والده العزيز كان فيه تسيب وعفو كبير عن الناس أدى بهم إلى ارتكاب مخالفات متعددة وتجرأ على الدولة، وظنوا أن ذلك يستمر فى عهد الحاكم، ولكنه تجرد لهم وأهلك كل متمرد[1]، ليستقيموا له. وسبب آخر للقتل السياسى أن الحاكم كان قد عرف فى عهد أبيه العزيز بعدد ممن يطعنون فى الدولة ويسيئون المقالة فيها، فلما تولى الخلافة انقض عليهم وانتقم منهم أشد الإنتقام[2]. ولهذا نلاحظ أن كثرة القتل فى عهد الحاكم كانت فى بدايات حكمه- غالبا (سنة ٣٩٠- ٤٠٤هـ)، وسبب ثالث لهذا النوع من القتل السياسى، أنه نمى إلى علمه أن عدة نفر اجتمعوا فى متنزه لهم (سنة ٣٩٣هـ/ ١٠٠٢م) وأكلوا وشربوا وقالوا: «لابد لنا من خليفة»، ووقع اختيارهم على عبد الأعلى بن هاشم بن المنصور[3] فاستدعاهم وقتلهم جميعا[4] قبل أن يقوموا بمحاولتهم قلب نظام الحكم.

ويعقب د/ عنان على حوادث القتل السياسى هذه بقوله: «كان الإرهاب -(هكذا)- فى نظر الحاكم وسيلة للحكم، وكان القتل المنظم دعامة هذا الإرهاب الشامل. وكانت هذه السياسة الدموية تحيط عرش الحاكم بسياج منيع من الرهبة، وتخمد الأطماع المتوثبة فى مهدها، وتنذر الزعماء ورجال الدولة بالخضوع المطلق لهذا الفتى الجرئ. ولقد كان القتل دائما وسيلة الطغاة إلى تأييد سلطانهم، وكان الحاكم طاغية- (هكذا)- قوى النفس والشكيمة».

ثم يتساءل: «فهل نعجب إذا رأينا طاغية من طغاة العصور الوسطى مثل مثل الحاكم يلجأ إلى هذه الوسائل الدموية حرصا على سلطانه من مطامع زعيم أو وزير قوى، ويتذرع بها ليفرض هيبته على الكافة وليبث إلى نفوسهم الروع والهيبة؟»[5] وكان لهذه السياسة أكبر الأثر فى توطيد سلطة الحاكم والقضاء على عناصر الثورة[6]، نعم كان لها أثرها لكن لفترة محدودة، ولم

(١) اتعاظ ٢/ ١٢٢. (٢) نفس المصدر السابق.

٣) لم أعثر له علي ترجمة، ولعله كان أحد المشهورين في هذا الوقت.

(٤) المقريزي: اتعاظ ٢/ ٤٧. (٥) الحاكم بأمر الله ص٥٨.

(٦) د. سرور: الدولة الفاطمية ص٩٣.

تمنع من اغتياله (سنة ٤١١هـ/ ١٠٢٠م)، لأن توطيد أركان الملك والسلطان لا يكون بسفك الدماء، وإنما بالعدل.

ونخلص مما سبق أن القتل عند الفاطميين كان أكثره فى عهد الحاكم للأسباب التى أوضحناها، وحدث قتل جماعى مرة واحدة فى عهد ابنه الظاهر بقتله للجوارى مع استبعاد للعدد الذى قتله- ما يزيد عن ألفين وستمائة وستين جارية- وما عدا ذلك كان القتل حوادث فردية لا يخلو منها مجتمع فيه تعدد جنسيات- مغاربة وأترك وسودانيين وأرمن- وديانات- إسلام ومسيحية ويهودية، والمسلمون سنة وشيعة- مختلفة كالمجتمع الفاطمى. وذكرت المصادر أن بعض الخلفاء الفاطميين كان فيهم حلم ويحبون العفو، كالمعز لدين الله[١]، وابنه العزيز الذى كان يصفح كثيرا ويكره سفك الدماء[٢]، بدليل عفوه عن القائد «أفتكين» الذى حاول الإستقلال ببلاد الشام (سنة ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م) لما قبض عليه، ووصله بالخلع والعطايا[٣]. فاتهام العباسيين للفاطميين بسفك الدماء ينطبق على الحاكم بأمر الله فقط. وليس سياسة عامة كما يرى د/ عويس[٤].

الفاطميون وسب الصحابة والسلف:

ومما جاء فى محاضر العباسيين عن الفاطميين أنهم: «وسبوا الأنبياء، ولعنوا السلف»[٥].

بالنسبة لسب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، يذكر البغدادى عن الباطنية الإمامية -غلاة الشيعة- أنهم يزعمون أن الأنبياء قوم أحبوا الزعامة فساسوا العامة بالنواميس والحيل طلبا للزعامة بدعوى النبوة والإمامة[٦]. لكن بعض كبار رجال الفقه الشيعى فى العصر الحديث يذكر أن موقف الإمامية من

---

(١) الذهبي: دول الإسلام ١/ ٢٢٦، اليافعي: مرآة ٢/ ٣٨٤.

(٢) ابن الأثير: الكامل ٧/ ٤٧٧، أبو الفداء: المختصر ٢/ ١٣١، المقريزي: اتعاظ ١/ ٢٩٢، ابن تغري بردي: النجوم ٤/ ١١٣.

(٣) ابن القلانسي: ذيل ص١٦- ٢٠، ابن خلدون: العبر ٤/ ٦٢، ٦٣، المقريزي: اتعاظ ١/ ٢٤٤.

(٤) قضية نسب الفاطميين ص٣١- ٣٤.

(٥) ابن الجوزي: المنتظم ٧/ ٢٥٥، الذهبي: تاريخ الإسلام ٢٢/١١، اليافعي: مرآة ٣/ ٥٤، ابن كثير: البداية ١١/ ٤٤١، ابن تغري بردي: النجوم ٤/ ٢٣٠، السيوطي: حسن المحاضرة ٢/ ٢٨٣، ابن العماد الحنبلي: شذرات ٣/ ١٦٢.

(٦) الفرق بين الفرق ص٢٧٩، ٢٨٠.

الأنبياء، أنهم يعتقدون بعصمتهم جميعا ويقول: «نؤمن على الإجمال بأن جميع الأنبياء والمرسلين على حق، كما نؤمن بعصمتهم وطهارتهم، وأما إنكار نبوتهم أو سبهم أو الإستهزاء بهم فهو من الكفر والزندقة. لأن ذلك يستلزم إنكار نبينا الذى أخبر عنهم وصدقهم»(١).

وعليه أرى أنه ربما المراد بجملة «سبوا الأنبياء» سبوا الخلفاء لأن الفاطميين من الشيعة الإمامية الذين يقولون بإمامة على بن أبى طالب- رضى الله عنه- بعد رسول الله ﷺ بالوصاية- وهذا زعم منهم- وعليها يعتمدون فى البراءة من أبى بكر وعمر وعثمان- رضى الله عنهم-، وبعض الصحابة(٢)، فيسبونهم ويلعنونهم لأنهم اغتصبوا حق على -رضى الله عنه- فى الخلافة، أو اتخذوا منه موقفا معاديا.

وابن تغرى فى هذا يتهم كل الخلفاء الفاطميين بالسب للصحابة والسلف، ويقول: «فإنه معلوم من كون خلفاء بنى عبيد كانوا يظهرون الرفض وسب السلف، وكذلك أعوانهم وعمالهم»(٣). اتهام خطير وجرم كبير نهى عنه رسول الله ﷺ، فعن أبى سعيد الخدرى- رضى الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تسبوا أصحابى فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصفيه)(٤). لذا يلزم الرجوع إلى المصادر وتحقيق هذه المسألة.

فى البداية يطالعنا ابن عذارى أن أول الخلفاء الفاطميين- عبيد الله المهدى- كان يظهر التشيع، ويسب أصحاب النبى ﷺ(٥).

والمعز لدين الله -أول خلفائهم فى مصر- يذكر ابن إياس أنه كان يميل إلى مذهب الرفض، ويسب الصحابة يوم الجمعة على المنابر(٦). وبعض المصادر ذكرت أنه كان متشيعا فقط، دون ذكر للسب(٧). وبعض المصادر ذكرت أنه كان متشيعا ينقش على الجدران: «خير الناس بعد رسول الله ﷺ

---

(١) المظفر (محمد رضا) عقائد الإمامية- مطبوعات النجاح- القاهرة- ط(٢) سنة ١٣٨١هـ- ص١٤، ١٥.

(٢) ابن خلدون: العبر ٤/ ٣٥.

(٣) النجوم ٤/ ١٤٢.

(٤) البخاري: الصحيح ٢/ ٢٩٢.

(٥) البيان ١/ ١٥٩.

(٦) بدائع ح ١ ق/ ١٨٩.

(٧) اليافعي: مرآة ٢/ ٣٨٣.

أمير المؤمنين على بن أبى طالب»[1]. فلم يذكر السبب الصريح إلا ابن إياس.

والعزيز بن المعز يذكر ابن عذارى أنه حدث فى أيامه سب الصحابة -رضى الله عنهم[2].

وأما الحاكم بن العزيز فذكرت المصادر أنه سب ولعن فترة، كما فى (سنة ٣٩٥هـ/ ١٠٠٤م) ففيها أمر بسب أبى بكر وعمر -رضى الله عنهما[3]- وبعض الصحابة كطلحة والزبير، وأم المؤمنين عائشة ومعاوية وعمرو ابن العاص- رضى الله عنهم أجمعين[4]. وأمر بكتابة ذلك على أبواب المساجد والجوامع[5]، وفى الشوارع والطرقات، والأسواق والحوانيت، وعلى المقابر[6]. ولونه بالأصباغ والذهب[7]، ليكون واضحا. وكتب إلى العمال سجلات بذلك[8]، يدعوهم فيها لسب الصحابة.

وكان سبب مبالغة الحاكم فى السب للصحابة فى هذه السنة (٣٩٥هـ)- الثورة التى قام بها أبو ركوة الأموى- وهى ثورة سنية- واستولى على برقة[9]، وهزم ثلاثة جيوش للحاكم، وقدم للاستيلاء على مصر ووصل بالفعل إلى حدود الجيزة، ولكنه هزم فى نهاية الأمر وقتل (سنة ٣٩٧هـ)[10].

وبعد القضاء على هذه الثورة تراجع الحاكم عن سب الشيخين والصحابة- رضى الله عنهم- خاصة وقد ثبت لديه أن القضاء عليها كان

---

(١) المقريزي: الخطط ٢/ ٣٤١. (٢) البيان: ١/ ٢٨٥.

(٣) المقريزي: اتعاظ ٢/ ٥٣. (٤) ابن تغري بردي: النجوم ٤/ ١٧٧.

(٥) الذهبي: دول الإسلام ١/ ٢٤٥، اليافعي: مرآة ٣/ ٢٥، ابن إياس: بدائع ح١ ق١/ ٢٠٠، ابن العماد الحنبلي: شذرات ٣/ ١٩٣.

(٦) ابن الأثير: الكامل ٨/ ١٢٩، ابن خلكان: وفيات ٤/ ٣٧٩، المقريزي: اتعاظ ٢/ ٥٤.

(٧) المقريزي: اتعاظ ٢/ ٥٤. (٨) الذهبي: تاريخ الإسلام ١١/ ١٦١.

(٩) برقة: صقع كبير يشتمل علي مدن وقري، بين الإسكندرية وإفريقية، واسم مدينتها أنطابلس- أي الخمس مدن- (ياقوت الحموي: معجم البلدان ٣٨٨، ٣٨٩، ابن عبد الحق: مراصد ١/ ١٨٦، ١٨٧).

(١٠) انظر هذه الثورة بالتفصيل في: أبو الفداء: المختصر ٢/ ١٨٣، ابن عذاري: البيان ١/ ٢٥٧، ٢٥٨، ابن كثير: البداية ١١/ ٤٣٠، ٤٣١، ابن خلدون: العبر ٤/ ٦٩، ٧٠، المقريزي: اتعاظ ٢/ ٦٠- ٦٦.

بواسطة أهل الفسطاط- أهل السنة- الذين كانوا يعادون قيام ثورة يقودها البدو، وكاعتراف بمؤازرتهم له ألغى سب الصحابة[١]. وقيل ألغاه بسبب سخط السنيين عليه، وخشيته من تفاقم الأمر[٢]. والأول الراجح، لأن الحاكم كان أحيانا يظهر ميله إلى أهل السنة، ويترك لهم حرية أداء شعائرهم حسب مذهبهم.

وعليه فقد أمر بمحو السب من على أبواب المساجد (سنة ٣٩٧هـ/ ١٠٠٦م)[٣]، وأوكل صاحب الشرطة أن يلزم كل صاحب دار أو دكان بمحو ما كتب على جدرانه وحانوته[٤]. كما أمر بضرب وتشهير من يسب الصحابة أو يخوض فيهم[٥]. وضرب بالفعل رجل وشهر ونودى عليه: «هذا جزاء من سب أبا بكر وعمر»[٦]- رضى الله عنهما-.

وفى شهر رمضان (سنة ٣٩٩هـ/ ١٠٠٨م)، أصدر مرسوما جاء فيه: «.. لا يسب أحد من السلف»[٧]. وفى السنة التالية (سنة ٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م)، لما بنى دار العلم وأسكنها العلماء والفقهاء، أمر أن يقرأ بها فضائل الصحابة[٨]. وفى (سنة ٤٠٣هـ/ ١٠١٢م)، كان يتفقد بعض الأماكن فوجد لوحا مكتوبا عليه سب بعض الصحابة والسلف، فأنكره ووقف حتى قلع، وأمر بتتبع الألواح التى فيها شئ من ذلك فقلعت كلها ومحيت[٩].

وهكذا يتضح أن الحاكم فى مسألة سب الصحابة والسلف كان يأمر بها في وقت- كما فى (سنة ٣٩٥هـ)، وينهى عنها ويتشدد فى النهى فى وقت آخر- كما فى (سنة ٣٩٧، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠٣هـ)- مما جعل ابن خلدون يصفه بأنه: «وأما مذهبه فى الرافضة فمعروف، ولقد كان مضطربا فيه مع ذلك»[١٠].

---

(١) د. سيد: الدولة الفاطمية ص١٠١. (٢) د. الخربوطلي: مصر العربية ص٢٢١.

(٣) المقريزي: اتعاظ ٢/ ٦٩، ابن تغري بردي: النجوم ٤/ ١٧٧، ابن إياس: بدائع ج١ ق١/ ٢٠٠.

(٤) المقريزي: اتعاظ ٢/ ٦٩.

(٥) ابن الأثير: الكامل ٨/ ١٢٩، ابن خلكان: وفيات ٤/٣٧٩.

(٦) المقريزي: اتعاظ ٢/ ٩٨. (٧) ابن خلدون: العبر ٤/ ٧٢، المقريزي: اتعاظ ٢/ ٧٨.

(٨) ابن تغري بردي: النجوم ٤/ ٢٢٢، السيوطي: حسن المحاضرة ٢/ ٢٨٢.

(٩) المقريزي: اتعاظ ٢/ ٩٨. (١٠) العبر: ٤/ ٧٢.

وأما الظاهر بن الحاكم فلم تشر المصادر التى اطلعت عليها إلى بيان موقفه فى هذا الأمر، وأما ابنه المستنصر، والذى صدر فى عهده المحضر العباسى الثانى (سنة ٤٤٤هـ/ سنة ١٠٥٢م)، فابن تغرى بردى يذكر عنه: «وكان فى دولته الرفض والسب فاشيا مجهرا..»[١]. وابن عذارى يذكر: أنه كان كجده الحاكم مرة يظهر سب الصحابة، ومرة يكف عنه[٢]. ويرى د/ سرور أن السب فى عهد المستنصر كان فى الفترة الأخيرة من حكمه لما تقلد بدر الجمالى[٣] الوزارة بعد (سنة ٤٦٧هـ/ ١٠٧٤م)- وكان مغاليا فى التشيع- فأعاد بدر عبارات تتضمن سب ولعن الصحابة على الجدران[٤]. وأما المستعلى الذى صدر فى عهده محضر العباسيين الثالث (سنة ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م)، فلم تشر المصادر إلى سبه وذكرت فقط أنه كان مغاليا فى التشيع[٥].

هذا ما ورد فى المصادر التاريخية عن سب ولعن الفاطميين للخلفاء وبعض الصحابة والسلف، وهذا ثبت بالفعل عند بعض الخلفاء الفاطميين- كالعزيز والحاكم والمستنصر- نظرا لعقيدتهم فى مسألة الإمامة، وأن عليا- رضى الله عنه- هو الوصى وأحق الناس بالخلافة بعد رسول الله ﷺ، وعليه فقد اغتصب حقه أبو بكر وعمر وعثمان -رضى الله عنهم- فطعنوا عليهم. وكذلك بعض الصحابة الذين كان لهم موقف من على كمعاوية والصراع بينهما فى صفين (سنة ٣٦هـ)، ومسألة التحكيم وما ترتب عليها من مقتل على (سنة ٤٠هـ)، وهكذا فى بعض الصحابة الذين كان لهم موقف مباشر أو غير مباشر من العلويين، تناولوهم بالسب والشتم.

والمحصلة أن ثلاثة من الخلفاء الفاطميين ذكرت المصادر صراحة سبهم للخلفاء وبعض الصحابة، وهم العزيز بالله وابنه الحاكم وحفيده المستنصر، ورجع عنها الحاكم (سنة ٣٩٧هـ)، والمستنصر كان يأمر بها فى وقت ثم

---

(١) النجوم ٥/ ٣. (٢) البيان ١/ ٢٨٧.

(٣) بدر بن عبد الله الجمالي، أبو النجم. أمير الجيوش المصرية، ووالد الملك الأفضل. أصله من أرمينية اشتراه جمال الدولة ابن عمار غلاما فتربي عنده ونسب إليه. وتقدم في الخدمة حتي ولي دمشق للمستنصر (سنة ٤٥٥هـ)، ثم استدعاه إلي مصر للإستعانة به. توفي (سنة ٤٨٧هـ). (ابن الأثير: الكامل ٨/ ٤٩٦، ٤٩٧، ابن كثير: البداية ١٢/ ٦٣٩).

(٤) الدولة الفاطمية ص٨٤. (٥) ابن تغري بردي: النجوم ٥/ ١٥٣.

يرجع عنها فى وقت آخر، ولم يكن مستمرا فيها. أما باقى الخلفاء الفاطميين فتذكر المصادر أنهم كانوا مغالين في التشيع والرفض، دون ذكر السب صراحة. ولكن يبقى فى النهاية أن مسألة سب الخلفاء وبعض الصحابة من المآخذ الكبيرة على الفاطميين.

الفاطميون وإدعاء الألوهية:

وختم العباسيون محاضرهم بأن الفاطميين: «ادعوا الربوبية»(١).

وبالرجوع إلى المصادر التاريخية يتضح أن الفاطميين لم يقوموا بهذا إلا ما اتهم به الحاكم بأمر الله وما عداه مظاهر استنتج منها العباسيون- والمتحاملون من المؤرخين- هذا الإدعاء، كالمعز لدين الله مثلا، فإنه لما دخل القاهرة (سنة ٣٦٢هـ)، احتجب فى قصره، وكان يتناول الأطعمة المسمنة ويضع الدهون التى تنقى البشرة وتحسن اللون، وأرسل عيونه ينقلون إليه أخبار الناس، ثم ظهر بعد فترة- تقريبا بضعة شهور- وقد لبس الحرير الأخضر، وجعل على وجهه اليواقيت والجواهر تلمع كالكواكب، وزعم أنه كان غائبا فى السماء وأن الله رفعه إليه، وتوهم أن الله اطلعه على تلك الغيوب، فامتلأت قلوب العامة والجهلة منه رعبا وخوفا(٢). فأشيع عنه أن يدعى علم الغيب الذى هو لله وحده. ﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو﴾(٣).

وأما الحاكم فقد انتشرت فى عهده -(سنة ٣٨٦- ٤١١هـ)- مسألة التأليه، وأخذت أكثر من مظهر، فقد ادعى علم الغيب- كجده المعز لدين الله- ويذكر الذهبي أنها كانت عامة عند الخلفاء الفاطميين، ويقول: «إنهم ادعوا المغيبات، وأخبارهم فى ذلك مشهورة»(٤). فكان الحاكم يرسل الجواسيس والعيون من الرجال والنساء فى كل مكان ويدخلون دور كبار رجل الدولة ويراقبون تحركاتهم، ثم يخبرهم بها فى اليوم التالى ليعلمهم أنه واقف

---

(١) انظر: ابن الجوزي: المنتظم ٧/ ٢٥٥، أبو الفداء: المختصر ٢/ ١٤٣، الذهبي: العبر ٢/ ٢٠٠، اليافعي: مرآة ٣/ ٤، ابن كثير: البداية ١١/ ٤٤١، القلقشندي: مآثر ٢/ ٢٥٧، المقريزي: اتعاظ ١/٤٤، ابن تغري بردي: النجوم ٤/ ٢٣٠، السيوطي: حسن المحاضرة ٢/ ٢٨٣، ابن العماد الحنبلي: شذرات ٣/ ١٦٢.

(٢) المقريزي: اتعاظ: ١/ ٢٣١، ابن تغري بردي: النجوم ٤/ ٧٤.

(٣) الأنعام: ٥٩.

(٤) تاريخ الإسلام ١٠/ ٤٥٧.

على كل تصرفاتهم[١]. فلما تزايد هذا الأمر منه- ادعاء علم الغيب- كتب له بعض الناس ورقة ووضعوها على المنبر، وفيها:

بالجور والظلم قد رضينا وليس بالكفر والحماقة

إن كنت أوتيت علما بين لنا كاتب البطاقة

فلما قرأها كف عن ذلك[٢].

ومن مظاهر الألوهية فى عهد الحاكم أيضا، أنه أمر الناس (سنة ٣٩٦هـ/ ١٠٠٥) أنه إذا ذكره الخطيب على المنبر يقف المصلون على الأقدام صفوفا تعظيما لذكره واحتراما لاسمه فى جميع البلاد الخاضعة له. وأمر أهل مصر على وجه الخصوص أنهم إذا قاموا خروا ساجدين، حتى أنه يسجد بسجودهم من فى الأسواق من الرعاع[٣]. ويذكر ابن العماد الحنبلى أن الحاكم بعد أن أمر بذلك رجع عنه بعد فترة، بقوله: «ثم لم يرضه ذلك»[٤] كعادته يأمر بالشئ ثم ينهى عنه.

وبعض المصادر تذكر أن الحاكم ادعى الألوهية صراحة، وجعل له رجلا أسماه «المهدى»[٥] يدعو الناس إلى عبادته[٦]. وكان الجهلة والمغالون فيه إذا رأوه بعدها يقولون: «يا واحد يا أحد يا محى يا مميت»[٧].

وكان الذى زين للحاكم هذا التصرف-الأهوج- بعض الفرس الذين قدموا إليه (سنة ٤٠٥هـ/ ١٠١٤م)، ونسبوا إليه بعض صفات الألوهية، ومن هؤلاء حسن بن حيدرة الأخرم[٨]، الذى حاول نشر هذه الدعوة -تأليه

(١) ابن إياس: بدائع ح ١ ق ١/ ٢٠٨، ابن العمد الحنبلي: شذرات ٣/ ١٩٤، القرماني: أخبار الدول ٢/ ٣٢٦.

(٢) ابن تغري بردي: النجوم ٤/ ١١٦، ابن إياس: بدائع ح ١ ق ١/ ٢٠٨، القرماني: أخبار الدول ٢/ ٣٢٦.

(٣) ابن الجوزي: المنتظم ٧/ ٢٣٠، ٢٣١، الذهبي: دول الإسلام ١/ ٢٣٧، ابن كثير: البداية ١١/ ٤٢٩، السيوطي: حسن المحاضرة ١/ ٦٠١، ٦٠٢.

(٤) شذرات ٣/ ١٩٤.

(٥) كان يدعي: حمزة بن أحمد. (المقريزي: اتعاظ ٢/ ١١٣).

(٦) ابن عذاري: البيان ١/ ٢٨٦، القرماني: أخبار الدول ٢/ ٢٣٦.

(٧) ابن الجوزي: المنتظم ٧/ ٢٩٨، الذهبي: تاريخ الإسلام ١١/ ١٤٤، المقريزي: اتعاظ: ٢/ ١١٨، السيوطي: حسن المحاضرة ١/ ٦٠٢.

(٨) لم أعثر له علي ترجمة.

الحاكم- فى مسجد عمرو بن العاص، فثار به العلماء والناس وقتلوه. ومحمد ابن إسماعيل الدرزى[١]، وكاد أن يفتك به العلماء والناس أيضا ولكن الحاكم أخفاه وهربه إلى الشام فنشر بها دعوته، ومازال الدروز فيها إلى اليوم[٢]. مما يستنتج منه أنها وجدت تشجيعا من الحاكم.

وعارض المصريون بكل طبقاتهم هذه الدعوة، وعارضها أيضا الشيعة مثل أحمد بن حميد الدين الكرمانى[٣] الذى وضع رسالته المعروفة: «بالرسالة الواعظة فى الرد على الأخرم الفرغانى» يدحض فيها فكرة تأليه الحاكم ويفندها ويثبت عقيدة الإسماعيلية فى الله الذى لا إله إلا هو[٤]. لذا لم يكن لهذه الدعوة أثر يذكر، وإن كان بعض الجهلاء والمرتزقة وبعض الذميين المنافقين قد تظاهروا بقبولها اجتناء لنفع أو اتقاء لنقمة[٥].

وقيل إن ادعاء الحاكم الألوهية كان محاولة قط لم تخرج إلى حيز التنفيذ منه شخصيا، ويذكر بعض المؤرخين فى هذا: «ويقال-(هكذا دون جزم)- أنه- (الحاكم)- أراد أن يدعى الألوهية كفرعون وشرع فى ذلك، فخوفه خواصه بخروج الناس- (وحتى الشيعة)- عليه وزوال دولته، فانتهى»[٦].

ولا يستبعد د/ مصباح على الحاكم- بحكم تطرفه- أن يدعى الألوهية، وإنما الذى يستبعده أن يجهر بها الحاكم، لأنه يعلم أنها ستقابل من المسلمين بالثورة الجامحة، مؤكدا أن الشعوب قد تتغاضى عن هفوات الملوك وتصرفاتهم الإدارية أو السياسية أو غيرها، ولكنها لا تتغاضى عن العبث

---

(١) محمد بن إسماعيل الدرزي، أبو عبد الله، أحد أصحاب الدغوة لتاليه الحاكم، وإليه تنسب طائفة الدروز، وهو فارسي، قدم مصر، ودخل في خدمة الحاكم، وزين له القول بالحلول والتناسخ، كانت نهايته (سنة ٤١١ هـ)، (ابن تغري بردي: النجوم / ١٨٤).

(٢) المقريزي: اتعاظ ٢/ ١١٣، ابن تغري بردي: النجوم ٤/ ١٨٣، ١٨٤، ابن العماد الحنبلي: شذرات ١٩٤/٣، القرماني: أخبار الدول ٢/ ٢٣٩.

(٣) أحمد بن عبد الله الكرماني، حميد الدين، من دعاة الإسماعيلية وكتابهم، وكان داعي الدعاة للحاكم، والمسئول عن الدعوة في المشرق في عهده، وله ثلاث عشرة رسالة، العاشرة منها «الواعظة» في الرد علي الفرعاني في تأليه الحاكم. توفي بعد (سنة ٤١٢هـ). (الزركلي: الأعلام ١/ ١٥٦).

(٤) د. سيد: الدولة الفاطمية ص١١٢.

(٥) د. عنان: الحاكم بأمر الله ص١١٦.

(٦) الذهبي: تاريخ الإسلام ١١/ ١٦٢، اليافعي: مرآة ٢٦/٣، ابن تغري بردي: النجوم ٤/ ١٨٤، ابن العماد الحنلي: شذرات ٣/ ١٩٣.

بالعقائد التى هى أصول الدين[١].

والبعض يرى أنها كانت نوعا من جنون العظمة، ولم يكن الحاكم مؤمنا بفكرة التأليه، وإنما اعتبرها وسيلة لاحترام رعاياه له وحرصهم على تنفيذ أوامره، وأن يحيط نفسه بهالة من التقديس والجلال[٢]. ويؤكد هذا ابن تغرى بردى بقوله: «وكان قصد الحاكم الإنقياد إلى الدرزى المذكور فيطيعونه»[٣].

ونرجح الرأى الثانى بأنها كانت محاولة فقط لم تخرج إلى حيز التنفيذ يخالطها بعض جنون العظمة لأنه- كما قال ابن خلدون-: «ولا يقولها ذو عقل، ولو صدر من الحاكم بعض ذلك لقتل لوقته»[٤]. فضلا عن أنه لم يصلنا- كما ذكر البعض- نص واحد يشير إلى أن الحاكم نفسه قال: أنه هو الإله[٥]، وقالها غيره، من الأفاقين من الفرس الذين وفدوا إليه.

وعلى العموم فقد وجد في تاريخ الحاكم ما يدل على ثبات عقيدته فى الله وحده، وينفى عنه دعوى الألوهية ومظاهرها- كالسجود والقيام له عند ذكر اسمه، وادعاؤه علم الغيب- وإليك بعضها: فقد نهى (سنة ٤٠٢هـ/ ١٠١١م) عن تقبيل الأرض بين يديه[٦]، ومنع من تقبيل ركابه ويديه عند السلام عليه فى المواكب، لأن هذا من خلاق أهل الكفر: «فإن الإنحناء إلى الأرض لمخلوق من صنيع الروم»[٧]. كما منع من مخاطبته في المكاتبات «بسيدنا ومولانا»، ولا يخاطب إلا بأمير المؤمنين فقط[٨]. تحرزا لأن المولى هو الله وحده. وكذلك من الصلاة عليه فى خطب الجمعة، كما يصلى على النبى ﷺ، وجعل مكانها: سلام الله وتحياته على أمير المؤمنين[٩].

---

(١) مصر في ظلال الخلفاء ص٣٣٥.

(٢) د. الخربوطلي: مصر العربية ص١٥٢، د. سرور: الدولة الفاطمية ص٩٨.

(٣) النجوم ٤/ ١٨٤.		(٤) العبر ٤/ ٧٢.

(٥) د. عبد الرازق: مصر الإسلامية ص١٨٢.

(٦) ابن خلكان: وفيات ٤/ ٣٨٠، الذهبي: دول الإسلام ١/ ٢٤٥، ابن تغري بردي: النجوم ٤/ ١٧٨، السيوطي: حسن المحاضرة ٢/ ٢٨٣.

(٧) المقريزي: اتعاظ ٢/ ٩٦، الخطط ٢/ ٢٨٨.

(٨) المقريزي: اتعاظ ٢/ ٢٩، ابن تغري بردي: النجوم ٤/ ٢٢٣، السيوطي: حسن المحاضرة ٢/ ٢٨٣.

(٩) ابن خلكان: وفيات ٤/ ٣٨٠، الذهبي: تاريخ الإسلام ١١/ ١٦٢، المقريزي: الخطط ٢/ ٢٨٨.

وتذهب المصادر أبعد من هذا وتذكر: أن الحاكم كان يوما فى مجلسه العام ومعه أعيان دولته، فقرأ بعض الحاضرين قوله تعالى: **﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما﴾**(١). وكان القارئ فى أثناء ذلك يشير إلى الحاكم. فلما فرغ من القراءة قرأ شخص آخر- يعرف بابن المشجر، -وكان رجلا صالحا- : **﴿يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب. ما قدروا الله حق قدره إن الله لقوى عزيز﴾**(٢). فلما انتهت قراءته تغير وجه الحاكم، ثم أمر لابن المشجر بمائة دينار، ولم يعط الأفاق شيئا(٣). دليل قوى على إبعاد الحاكم عن نفسه أى صورة يشارك فيها رسول الله ﷺ- كما فى الآية الأولى-، فما بالنا بمشاركته لله فى صفاته وأفعاله؟، بل ومنح الذى قال الحق، ولم يعط الأفاق المداهن شيئا.

ونختم ما ورد فى المصادر من الأدلة التى تبعد عن الحاكم دعوى الألوهية بهذا الشعر الذى قاله لأمين أمنائه حسين بن الوزان(٤)، لما كثرت إنعامات الحاكم وراجعه فيها، فقد كتب إليه:

أصبحت لا أرجو ولا أتقى ... إلا إلهى وله الفضل

ثم قال: «المال مال الله عزوجل، والخلق عباد الله، ونحن أمناؤه فى الأرض، أطلق أرزاق الناس ولا تقطعها، والسلام»(٥). كلام واضح وصريح من الحاكم أن المال والخلق ملك لله وحده، والبشر- ومنهم الحاكم- أمناء فقط على ما استودعهم الله عزوجل، كلام لا يصدر من مدع ألوهية، وإنما يصدر ممن هو أقرب إلى الزهد والورع.

---

(١) النساء: ٦٥. (٢) الحج: ٧٣، ٧٤.

(٣) ابن خلكان: وفيات ٤/ ٣٨١، ابن تغري بردي: النجوم ٤/ ١٨٠.

(٤) الحسين بن طاهر الوزان، أبو عبد الله، الملقب بأمين الأمناء، وزير، من أهل مصر، كان متولي بيت المال في أوائل خلافة الحاكم بأمر الله، وخلع عليه بالوزارة (سنة ٤٠٣هـ)، ثم تغير عليه وقتله (سنة ٤٠٥هـ). (الزركلي: الأعلام ٢/ ٢٣٩، ٢٤٠).

(٥) المقريزي: اتعاظ ٢/ ٩٧، الخطط ٢/ ٢٨٨.

ونخلص مما سبق أن الحاكم لم يدع الألوهية، وكانت محاولة فقط بواسطة بعض الفرس الذين درجوا على تقديس ملوكهم، فاستحسنها الحاكم كنوع من إظهار مكانته وإحاطة نفسه بسياج من الهيبة والأبهة، فينصاع الناس لحكمه طواعية، وما ورد من مظاهر التقديس له، كالسجود والقيام عند ذكر اسمه، فقد رجع عنها كلها (سنة ٤٠٢هـ/ ١٠١١م).

والذى يؤخذ على الحاكم في هذا الصدد أنه رغم شدته مع المخالفين، فقد ترك أصحاب هذه الدعوة سائرين في دعوتهم دون أن ينالهم بأذى، وكان موقفه سلبيا في هذه المسألة تاركا للرأى العام البت فيها. ولعل هذا راجع- كما يرى د. العبادى- إلى أنه كان يميل إلى حرية الفكر والرأى، وكان يشجع المناقشات الحرة فى العلم والدين وخلافه، وقد أنشأ لهذا الغرض دارا للمناظرات والندوات العلمية عرفت بدار الحكمة. فلعل سياسته السلبية مع أصحاب هذه البدعة كانت ترجع إلى الإتجاه الفكرى الحر[(١)].

وأما بقية الخلفاء الفاطميين- غير المعز والحاكم- فلم تذكر المصادر شيئا عنهم فى مسألة دعوى الألوهية، ويبدو -والله أعلم- أن العباسيين اتهموهم بسبب ما كان يحيط به الفاطميون أنفسهم من مظاهر الإجلال والتقديس فى حفلات تنصيبهم ومجالسهم ومواكبهم واحتفالاتهم الدينية، اعتمادا على نظرية الإمامة التى ترفعهم إلى منزلة أعلى من منزلة البشر[(٢)]. يقول المظفر: «ونعتقد أن الإمام كالنبى يجب أن يكون معصوما من جميع الرذائل والفواحش ما ظهر منها وما بطن، من سن الطفولة إلى الموت، عمدا وسهوا، كما يجب أن يكون معصوما من السهو والخطأ والنسيان، لأن الأئمة حفظة الشرع والقوامون عليه حالهم فى ذلك حال النبى»[(٣)] -هكذا- وبالتالى غالى الناس فيهم، حتى أن محمد بن هانئ الأندلسى[(٤)] قال للمعز

---

(١) في التاريخ العباسي والفاطمي ص ٢٩٠، ٢٩١.

(٢) د. الخربوطلي: مصر العربية ص ٢١٠، د. العبادي: في التاريخ العباسي والفاطمي ص٢٦٣، ٢٦٤، د. أيوب: التاريخ الفاطمي الإجتماعي ص١٣٢.

(٣) عقائد الإمامية ص٥١.

(٤) محمد بن هانئ بن محمد بن سعدون الأزدي الأندلسي، أبو القاسم، قيل يتصل نسبه بالمهلب ابن أبي صفرة. وهو من أشعر المغاربة، وفي شعره نزعة إسماعيلية بارزة. واتصل بالمعز لدين الله، وأقام عنده بالقيروان مدة. قتل ببرقة (سنة ٣٦٢هـ)، (اليافعي: مرآة ٢/ ٣٧٥، ابن تغري بردي: النجوم ٤/ ٦٧).

لدين الله يوما- ونعوذ بالله من قوله-:

ما شئت لا ما شاءت الأقدار   فاحكم فأنت الواحد القهار(١)

وبسبب غلوه هذا قتل غيلة ببرقة وهو قادم مع المعز إلى مصر (سنة ٣٦٢هـ/ ٩٧٢م)(٢).

وأصدر الظاهر بالله- ابن الحاكم- مرسوما (سنة ٤١٤هـ/ ١٠٢٣م)، أكد فيه هذ المعنى- أن الناس هم الذين غالوا فيهم- وفى نفس الوقت يبرئ والده الحاكم من دعوى الألوهية، ومما جاء فيه: «وذهبت طائفة من النصيرية(٣) إلى الغلو فى أبينا أمير المؤمنين على ابن أبى طالب- رضوان الله عليه- غلت وادعت فيه ما ادعت النصارى فى المسيح. ونجمت من هؤلاء الكفرة- (هكذا)- فرقة سخيفة العقول ضالة بجهلها عن سواء السبيل، فغلوا فينا غلوا كبيرا، وقالوا فى آبائنا وأجدادنا منكرا من القول وزورا، ونسبونا بغلوهم إلى الأشنع، وجهلهم المستفظع، إلى ما لا يليق بنا ذكره. وإنا لنبرأ إلى الله تعالى من هؤلاء الجهلة الكفار الضلال..»(٤).

وعلى الجملة لم يدع الفاطميون عامة الألوهية، والأمر لا يخرج عن عدة مظاهر- كالفخامة فى مواكبهم ومجالسهم، وتقبيل الأرض بين أيديهم، وادعاء علم الغيب- قصدوا بها رفع منزلتهم لينصاع الناس طواعية لحكمهم، وأما الحاكم وما أشيع عنه فى هذه المسألة فكانت محاولة لم تخرج إلى حيز التنفيذ منه شخصيا قال بها اثنان من الفرس وقتل أحدهما عند أول تصريح بها- وهو الحسن بن حيدرة الأخرم- والآخر كاد أن يفتك به أيضا لما صرح بها، ولكن الحاكم هربه إلى بلاد الشام- وهو محمد بن إسماعيل الدرزى- كما كان يخالطها بعض من جنون العظمة الذى عرف به الحاكم، ووقف منها العامة والخاصة من أهل السنة والشيعة موقفا حازما، فلم يكن لها أى

---

(١) أبو الفداء: المختصر ٢/ ١١٢، المقريزي: اتعاظ ١/ ٩٧، السيوطي: حسن المحاضرة ١/ ٥٩٩.

(٢) ابن الأثير: الكامل ٧/ ٣٣١.

(٣) النصيرية: من غلاة الشيعة، الذين يقولون: بأن ظهور الروحاني بالجسد الجسماني أمر لا ينكره عاقل، ويرون أنه لم يكن بعد رسول الله ﷺ شخص أفضل من علي -رضي الله عنه- وبعده أولاده المخصوصون بتأييد إلهي من عند الله تعالي، فيما يتعلق بباطن الأسرار. فيميلون إلي تقرير جزء إلهي في البشر. (الشهرستاني: الملل والنحل ١/ ١٦٨، ١٦٩).

(٤) ابن تغري بردي: النجوم ٤/ ٢٤٩.

أثر، وعليه فقد أخطأ العباسيون فى هذا الطعن- ادعاء الألوهية- على الفاطميين، لأنه لا يعقل أن يعمل الفاطميون على تصديع أركان دولتهم بإثارة الناس عليهم فى الداخل، وإشعال حرب إعلامية عليهم من الخارج.

أثر المحاضر:

وفى النهاية نطرح سؤالا عن أثر هذه المحاضر كحرب دعاية شنها العباسيون على الفاطميين؟

المصادر تشير إلى نجاح هذا الأسلوب الدعائى إلى حد ما بعد المحضر الأول (سنة ٤٠٢هـ/ ١٠١١م)، وكان له أثره على الخليفة الفاطمى الحاكم- الذى صدر فى عهده- يقول ابن تغرى بردى[١]: «وهان فى أعين الناس- (أى الحاكم)- لكتابة هؤلاء الأعلام فى المحضر». وضاعت هيبة الدولة، وبدأ الناس يجترئون عليها[٢]، مما دفع الحاكم إلى أن يذكر نسبه فى كل جمعة وهو يخطب على المنبر[٣]، ليؤكد صحته للناس.

وعلى العكس فشل هذا الأسلوب بعد المحضر الثانى (سنة ٤٤٤هـ/ ١٠٥٢م)، ولم يكن له أى أثر على الخليفة المستنصر- الذى صدر فى عهده- وفى هذا يقول د. ماجد: «مما يبين أن دعوى العباسيين لم تعد تجد لها صدى بين رعايا الفاطميين، ربما إدراكا لتلفيقها وزيفها»[٤]. ومع هذا حاول العباسيون الإعتماد على هذا الأسلوب مرة ثالثة (سنة ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م)، ولكنهم فشلوا أيضا.

وتبقى كلمة: وهى أن هناك عداءً بين العباسيين والفاطميين، لأسباب أوضحناها فى بداية البحث[٥]، ومن الصعوبة بمكان فى ظل هذا العداء أن يصدر العباسيون حكما عادلا على الفاطميين، فقد طعنوا فيهم فى عقيدتهم ونسبهم إلى آل البيت وأخلاقهم، وأغفلوا كثيرا من إيجابياتهم فى الزراعة، والصناعة، والعمارة، والجيش، والأسطول، وغيرها. وهذا ليس من العدل- ذكر السلبيات دون الإيجابيات- بسبب العداء والخصومة، والله عزوجل يقول: **﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾**[٦]، وقال أيضا: **﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا﴾**[٧]- والله أعلم-.

---

(١) النجوم ٤/ ٢٣١.

(٢) د. عبد الرازق: مصر الإسلامية ص١٨٣.

(٣) ابن إياس: بدائع ح ١ ق١/ ٢٠٨.

(٤) ظهور خلافة الفاطميين ص١٦٨.

(٥) انظر ص ٢-٦ من البحث.

(٦) التوبة: ١١٩.

(٧) الأحزاب: ٧٠.

الخاتمة

الحمد لله الذى بفضله تتم النعم، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله خير البشر، وبعد: فنخلص من هذا البحث إلى عدة نتائج، وهى:

أولا: كشف البحث عن لون جديد من ألوان الصراع العباسى الفاطمى، وهو حرب الدعاية التى استخدمها العباسيون للتشهير بالفاطميين فى «محاضر مجالسهم» وشككوا فيها فى نسبهم وعقيدتهم وأخلاقهم. وفى المقابل لجأ الفاطميون إلى استخدام الشيعة فى العراق كعامل ضغط على العباسيين، فقاموا بعد ثورات (سنة ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٣هـ)، وغيرها، فى بغداد أقضت مضاجع العباسيين، وأثارت الفوضى والإضطراب فى بعض أحياء بغداد وشوارعها.

ثانيا: أن ما جاء فى محاضر العباسيين من طعن وتشهير قصد به بدرجة كبيرة عهد وشخص الحاكم بأمر الله- (سنة ٣٨٦- ٤١١هـ)، الذى ثارت حوله بعض الشبهات، وكثرت فى عهده المتناقضات، ولكن العباسيين عمموا الحكم على كل الخلفاء الفاطميين.

ثالثا: أن نسب الفاطميين إلى آل البيت تبقى فيه نسبة شك -حوالى ٢٠٪-، كما أثار العباسيون، بسبب التقية التى كانوا يلجأون إليها أمام اضطهاد العباسيين وبطشهم بهم، واختلاف أسماء الأئمة والدعاة من مكان إلى مكان، ومن زمان إلى زمان، لذا لم يتأكد نسبهم كالعباسيين والأمويين فى الأندلس، على الرغم من تشابه الظروف فى قيام هذه الدول الثلاثة.

رابعا: يؤخذ على العباسيين فى محاولتهم التشهير بالفاطميين أنهم لجأوا إلى هذا الأسلوب متأخرين جدا- بعد حوالى مائة وخمس سنوات من قيام الدولة الفاطمية (سنة ٢٩٧هـ)، وكان المحضر الأول (سنة ٤٠٢هـ)- فما الذى أسكتهم طوال هذه الفترة وهم يعلمون أن الفاطميين أدعياء فى النسب، وبمثل هذه العقيدة والأخلاق الفاسدة؟ كما يؤخذ عليهم الجرأة فى الحكم على الفاطميين باتهامهم بالكفر والزندقة، وأنهم أحلوا ما حرم الله وحرموا ما أحل الله- (كالخمر والزنا)- وهى تهم

تحتاج إلى أدلة قوية وصحيحة لنحكم عليهم هذا الحكم- الخروج عن الملة- ولم توجد هذه الأدلة فى تاريخ الفاطميين، وإنما كانوا يبنون المساجد، ويقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة، ويحجون، ويجاهدون الروم أعداء الملة، أما الباطن فحكمه لله عزوجل.

خامسا: أن اتهام الفاطميين- فى محاضر العباسيين- بأنهم يعطلون حدود الإسلام ولا يعملون بها غير صحيح، وأكد البحث أن الفاطميين كانوا يقيمون حدود الإسلام سواء فى جرائم الحدود أو التعازير (فى الخمر، والزنا، والسرقة، والردة، وغيرها)- ولكن وفق المذهب الشيعى الإسماعيلى الذى يختلف مع مذهب أهل السنة فى بعض الفروع.

سادسا: أن الفاطمين لم يجيزوا الزنا ولا الخمر- كما اتهمهم العباسيون- وإنما وقفوا منهما موقفا حازما واتخذوا فى سبيل ذلك عدة إجراءات صارمة، بمنع الإختلاط بين الرجال والنساء، وإغلاق أماكن الفسق والفتنة، وقطع كثير من أشجار العنب، ومنع تصنيع واستيراد الزبيب للقضاء على الخمر. وإن وجدت بعض حالات التهتك فى عصرهم فكان غالبها من أهل الذمة الذين كانوا يرتكبون كثيرا من المخالفات فى أعيادهم المتعددة، وكان يشاركهم بعض الخلفاء الفاطميين كالظاهر بالله فقط، أو يتركونهم وشأنهم.

سابعا: أثبت البحث أن الفاطميين لم يسرفوا فى سفك الدماء، ولم يحدث تجاوز فيها إلا فى عهد الحاكم بأمر الله (سنة ٣٨٦هـ - ٤١١ هـ)- لأسباب سياسية وأمنية بحتة رآها وسيلة لتثبيت دعائم حكمه، وما عدا ذلك كان حوادث فردية لا يخلوا منها مجتمع متعدد الجنسيات والديانات كالمجتمع الفاطمى.

ثامنا: أنه ثبت بالفعل سب بعض الخلفاء الفاطميين- (كالعزيز والحاكم والمستنصر)-، للخلفاء الراشدين وبعض الصحابة -رضى الله عنهم أجمعين- بسبب عقيدتهم فى مسألة الإمامة وأن عليا- رضى الله عنه- هو الوصى بعد رسول الله ﷺ، وهى إحدى المآخذ على الفاطميين. ولكن تبين من خلال الدراسة رجوع الحاكم عنه (سنة

٣٩٧ هـ)، ومحا كل مظاهره سواء بالقول أو الكتابة، وحفيده المستنصر كان يأمر به فى وقت ثم ينهى عنه فى وقت آخر، وأما باقى الخلفاء الفاطميين فلم تشر المصادر إلى سبهم صراحة، وتذكر عنهم فقط أنهم كانوا يبالغون فى التشيع.

تاسعا: أن الفاطميين لم يدعوا الألوهية، والأمر لا يتعدى عدة مظاهر– كتقبيل الأرض بين أيديهم، وتقبيل ركابهم، وادعاء بعضهم علم الغيب بواسطة الجاسوسية، وإظهار الفخامة والعظمة المبالغ فيها فى مجالسهم ومواكبهم– قصدوا بها رفع منزلتهم ليكون الناس أكثر طواعية لحكمهم. وأما الحاكم بأمر الله الذى أشيع عنه هذا الإدعاء، فكانت محاولة فيها شئ من جنون العظمة ولم تخرج إلى حيز التنفيذ منه شخصيا، ولم يرد عنه أنه صرح بها بنفسه، وعند أول تصريح بها من الفارسى الأخرم قتل لوقته وكاد أن يفتك بخلفه الدرزى لما حاول هو الآخر إعلانها، وقاوم هذه الدعوة أهل السنة والشيعة على السواء، ولم يكن لها أى أثر إلا عند بعض الأفاقين من أهل الذمة وبعض الجهلة.

ملحــق

نص المحضر الأول (سنة ٤٠٢ هـ/ ١٠١١م)

كتب هذا المحضر ببغداد -في شهر ربيع الأول- ونصه:

«هذا ما شهد به الشهود أن معد بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن سعيد منتسب إلى ديصان بن سعيد الذى ينسب إليه الديصانية، وأن هذا الناجم بمصر هو منصور بن نزار المتلقب بالحاكم -حكم الله عليه بالبوار والدمار- ابن معد بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن سعيد- لا أسعده الله وأن من تقدمه من سلفه الأرجاس الأنجاس- عليهم لعنة الله ولعنه اللاعنين- أدعياء خوارج لا نسب لهم فى ولد على بن أبى طالب- رضى الله عنه-، وأن ما ادعوه من الإنتساب إليه زور وباطل، وأن هذا الناجم فى مصر هو وسلفه كفار فساق زنادقة ملحدون، معطلون للإسلام جاحدون، أباحوا الفروج، وأحلوا الخمور، وسفكوا الدماء، وسبوا الأنبياء، ولعنوا السلف، وادعوا الربوبية»(١).

---

(١) انظر هذا المحضر في: ابن الجوزي: المنتظم ٧/ ٢٢٥، أبو الفداء: المختصر ٢/ ١٤٢، ١٤٣، الذهبي: تاريخ الإسلام ١١/ ٢٢، اليافعي: مرآة الجنان ٣، ٤، ابن كثير: البداية ١١/ ٤٤١، القلقشندي: مآثر الأناقة ٢/ ٢٥٧، المقريزي: اتعاظ ١/ ٤٣، ٤٤، ابن تغري: النجوم ٤/ ٢٢٩، ٢٣٠، السيوطي: حسن المحاضرة ٢/ ٢٨٢، ٢٨٣، ابن العماد الحنبلي: شذرات ٣/ ١٦٢.

المصادر والمراجع

ابن الأثير: (أبو الحسن على بن أبى الكرم) ت سنة ٦٣٠هـ:

(١) الكامل فى التاريخ -دار الكتب العلمية- بيروت ط(١) سنة ١٩٨٧م.

ابن إياس (محمد بن أحمد) ت سنة ٩١١هـ:

(٢) بدائع الزهور فى وقائع الدهور- تحقيق: محمد مصطفى -الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٢م.

أيوب (إبراهيم): دكتور:

(٣) التاريخ الفاطمى الإجتماعى- الشركة العالمية للكتاب- بيروت ط(١) سنة ١٩٩٧م.

(٤) التاريخ الفاطمى السياسى- الشركة العالمية للكتاب- بيروت- ط(١) سنة ١٩٩٧م.

البخارى (محمد بن إسماعيل) ت سنة ٢٥٦هـ:

(٥) الصحيح- دار إحياء الكتب العربية- بدون.

البغدادى: (عبد القاهر بن طاهر) ت سنة ٤٢٩هـ:

(٦) الفرق بين الفرق -مطبعة المعارف- مصر سنة ١٩٢٤م.

البندارى (الفتح بن على بن محمد) ت سنة ٦٤٣هـ:

(٧) تاريخ دولة آل سلجوق- شركة طبع الكتب الحديثة- مصر ١٩٠٠م.

ابن تغرى بردى (جمال الدين أبو المحاسن) ت سنة ٨٧٤هـ:

(٨) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة -دار الكتب المصرية -ط(١) سنة ١٩٣٣م.

ابن الجوزى (أبو الفرج عبد الرحمن) ت سنة ٥٩٧هـ.

(٩) المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم- دائرة المعارف العثمانية- حيدر آباد- الدكن- ط(١) سنة ١٣٥٨هـ.

حسن (حسن على): دكتور:

(١٠) دراسات فى التاريخ العباسى -مكتبة الشباب -القاهرة سنة ١٩٩٠م.

الخربوطلى (على حسنى) دكتور:

(١١) مصر العربية الإسلامية- الأنجلو المصرية سنة ١٩٦٣م.

ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) ت سنة ٨٠٨هـ:

(١٢) العبر وديوان المبتدأ والخبر- دار الكتب العلمية- بيروت ط(١) سنة ١٩٩٢م.

ابن خلكان (أبو العباس أحمد بن محمد) ت سنة ٦٨١هـ:

(١٣) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان- تحقيق: محمد محى الدين- مكتبة النهضة المصرية -ط(١) سنة ١٩٤٨م.

ابن دقمان (إبراهيم بن محمد بن أيدمر) ت سنة ٨٠٩هـ:

(١٤) الجوهر الثمين فى سير الملوك والسلاطين- تحقيق: محمد كمال- عالم الكتب- بيروت- ط(١) سنة ١٩٨٥م.

الذهبى (محمد بن أحمد) ت سنة ٧٤٨هـ:

(١٥) تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام- دار الغد- مصر- ط(١) سنة ١٩٩٦م.

(١٦) دول الإسلام -إدارة إحياء التراث الإسلامى- قطر سنة ١٩٨٨م.

(١٧) العبر فى خبر من غبر- تحقيق: محمد السعيد- دار الكتب العلمية- بيروت- بدون.

الزركلى (خير الدين):

(١٨) الأعلام -دار العلم للملايين- بيروت- ط(٩) سنة ١٩٩٠م.

ابن الساعى (على بن أنجب):

(١٩) أخبار الخلفاء -المطبعة الأميرية- بولاق- مصر سنة ١٣٠٩هـ.

سرور (محمد جمال الدين) دكتور:

(٢٠) الدولة الفاطمية فى مصر سياستها الداخلية ومظاهر الحضارة- دار الفكر العربى- سنة ١٩٧٩م.

(٢١) النفوذ الفاطمى فى جزيرة العرب- دار الفكر العربى- ط(٤) سنة ١٩٦٤م.

سيد (أيمن فؤاد) دكتور:

(٢٢) الدولة الفاطمية فى مصر -تفسير جديد، الدار المصرية اللبنانية، ط(١) سنة ١٩٩٢م.

السيد سابق:

(٢٣) فقه السنة- الفتح للإعلام العربى- ط (١) سنة ٢٠٠٠م.

السيوطى (جلال الدين عبد الرحمن)ت سنة ٩١١ هـ:

(٢٤) تاريخ الخلفاء -المكتبة التجارية- مصر -ط(٤) سنة ١٩٦٩م.

(٢٥) حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة- تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم- دار إحياء الكتب العربية- مصر- ط(١) سنة ١٩٦٧م.

شعوط إبراهيم على): دكتور:

(٢٦) أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ -مطبعة خطاب سنة ١٤٠٣هـ.

الشهرستانى (محمد بن عبد الكريم) ت سنة ٥٤٩هـ:

(٢٧) الملل والمحل- الأنجلو المصرية -بدون.

ابن طباطبا (محمد بن على) ت سنة ٧٠٩هـ:

(٢٨) الفخرى فى الآداب السلطانية والولايات الدينية- دار صادر-بيروت- بدون.

العبادى (أحمد مختار) دكتور:

(٢٩) فى التاريخ العباسى والفاطمى- مؤسسة شباب الجامعة- الإسكندرية- بدون.

ابن عبد الحق (صفى الدين عبد المؤمن) ت سنة ٧٣٩هـ:

(٣٠) مراصد الإطلاع على الأسماء الأمكنة والبقاع- تحقيق: على محمد البجاوى- دار إحياء الكتب العربية- ط(١) سنة ١٩٤٥م.

عبد الرازق (أحمد) دكتور:

(٣١) مصر الإسلامية- مكتبة سعيد رأفت- عين شمس- سنة ١٩٨١م.

ابن عذارى (أبو عبد الله محمد المراكشى) توفى أواخر القرن السابع الهجرى:
(٣٢) البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب- تحقيق: ج. س. كولان، ليفى بروفنسال- دار الثقافة- بيروت- ط(٣) سنة ١٩٨٣م.
ابن العماد الحنبلى (أبو الفلاح عبد الحى) ت سنة ١٠٨٩هـ:
(٣٣) شذرات الذهب فى أخبار من ذهب- دار الفكر -بدون.
عنان (محمد عبد الله) دكتور:
(٣٤) الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية- دار النشر الحديث- مصر سنة ١٩٣٧م.
عويس (عبد الحليم): دكتور:
(٣٥) قضية نسب الفاطميين أمام منهج النقد التاريخى- دار الصحوة- مصر -ط(١) سنة ١٩٨٥م.
فخر الدين (محمد): دكتور:
(٣٦) مصر فى ظلال الحكم الإسلامى- مطبعة الصاوى- مصر- بدون.
أبو الفداء (عماد الدين إسماعيل) ت سنة ٧٣٢هـ:
(٣٧) المختصر فى أخبار البشر -مكتبة المتنبى- القاهرة- بدون.
القرمانى (أحمد بن يوسف) ت سنة ١٠٠٩هـ:
(٣٨) أخبار الدول وآثار الأول فى التاريخ- تحقيق: د. أحمد حطيط، د. فهمى سعد- عالم الكتب- بيروت- ط(١) سنة ١٩٩٢م.
ابن القلانسى (أبو يعلى حمزة) ت ٥٥٥ هـ:
(٣٩) ذيل تاريخ دمشق- مطبعة الآباء اليسوعيين- بيروت - ١٩٠٨م.
القلقشندى (أحمد بن عبد الله) ت ٨٢١هـ:
(٤٠) مآثر الأناقة فى معالم الخلافة- تحقيق: عبد الستار فراج، عالم الكتب، بيروت، بدون.
آل كاشف (محمد الحسين):
(٤١) أصل الشيعة وأصولها -بغداد سنة ١٩٤٤م.
ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل) ت سنة ٧٧٤هـ:
(٤٢) البداية والنهاية -دار الغد- مصر- ط(١) سنة ١٩٩١م.

الكندى (أبو عمر محمد بن يوسف) ت سنة ٣٥٠هـ:
(٤٣) الولاة والقضاة- مؤسسة قرطبة- مصر- بدون.
ماجد (عبد المنعم) دكتور:
(٤٤) ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها فى مصر- دار المعارف- مصر سنة ١٩٦٨م.
الماوردى (على بن محمد بن حبيب) ت سنة ٤٥٠هـ:
(٤٥) الأحكام السلطانية والولايات الدينية- دار الفكر- مصر- ط(١) سنة ١٩٨٣م.
المسبحى (محمد بن عبيد الله بن أحمد) ت سنة ٤٢٠هـ:
(٤٦) أخبار مصر- تحقيق: وليم- ج- ميلورد- الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠م.
مصباح (أحمد مجاهد) دكتور:
(٤٧) مصر فى ظلال الخلفاء- دار الطباعة المحمدية- القاهرة-ط(٢) سنة ١٩٧١م.
المظفر (محمد رضا):
(٤٨) عقائد الإمامية- مطبوعات النجاح- مصر- ط(٢) سنة ١٣٨١هـ.
المقريزى (تقى الدين أحمد بن على) ت سنة ٨٤٥هـ:
(٤٩) اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا- تحقيق: د. جمال الدين الشيال، د. محمد حلمى أحمد- المجلس الأعلى للشئون الإسلامية- مصر سنة ١٩٩٦م.
(٥٠) المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار- الخطط المقريزية- دار صادر- بيروت- بدون.
ابن منظور (محمد بن مكرم) ت سنة ٧١١هـ:
(٥١) لسان العرب - دار المعارف مصر -بدون.
اليافعى (أبو محمد عبد الله بن أسعد) ت سنة ٧٦٨هـ:
(٥٢) مرآة الجنان وعبرة اليقظان- دار الكتاب الإسلامى- مصر- ط(٣) سنة ١٩٩٣م.
ياقوت الحموى (أبو عبد الله) ت سنة ٦٢٦هـ:
(٥٣) معجم البلدان -دار صادر -بيروت- بدون.

القســم الخامس

قسم أصول اللغة

١- اختيار الكلمة في التعبير القرآني

د/ رشاد محمد سالم

اختيار الكلمة

في التعبير القرآني

دكتور/ رشاد محمد سالم

أستاذ فقه اللغة المشارك

بجامعتى الأزهر والشارقة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون﴾

(سورة فلت ٣)

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أفصح العرب أجمعين، سيدنا محمد وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.. وبعد:

فإن القرآن الكريم لا جدال فى أنه كتاب العربية الأكبر، ومعجزتها البيانية الخالدة، ومثلها العالى الذى يجب أن يتصل به كل عربى أراد أن يكسب ذوقها، ويدرك حسها ومزاجها، ويستشف أسرارها فى البيان، وخصائصها فى التعبير والأداء.

إن تدبر آيات القرآن الكريم والاستمتاع بلفتاته ولطائفه نعمة من الله المنعم الكريم، نعمة لا يعرفها إلا من ذاقها، نعمة ترفع العمر وتباركه وتزكيه.

وإن القرآن الكريم لهو أنفس ما توجه له النظرات، وتنفق فيه الأوقات، وتعد حوله البحوث والدراسات، فتلاوته عبادة، وحفظه عبادة، والنظر فيه عبادة، وتدبره عبادة، وتفسيره عبادة، والكلام عنه عبادة، وتقديم خصائصه ودلالاته ولطائفه عبادة، ودعوة الناس إليه عبادة، والحياة فى ظلاله عبادة، وتطبيق توجيهاته عبادة، والحركة به فى الواقع عبادة، ومواجهة الجاهلية وجهادها به عبادة، وكل ما يتصل به عبادة لله سبحانه وتعالى.

إن فى القرآن الكريم كنوزاً ضخمة من الإشارات واللفتات واللطائف والإيحاءات، والمعانى والحقائق والدلالات[١]، فمن يعرف القرآن الكريم ويتذوقه

(١) انظر: لطائف قرآنية، د. صلاح الخالدي، ص٥-٦. ط٢ دار القلم، دمشق ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م

لا يعدل عنه بديلاً، ومن يعرف القرآن الكريم يعز عليه أن يضيع بعض وقته فى سماع هذا الغثاء الذى يذلع علينا باسم الفن.

من هنا يقبل العلماء على القرآن الكريم، ويستمتعون بما يفتح به الله عليهم من تلك اللطائف والمعانى والحقائق، فلم يحظ كتاب فى الأرض كلها بمثل ما حظى به القرآن الكريم من اهتمام المفسرين والمؤلفين والدارسين والعلماء، فألفت حوله الآلاف المؤلفة من الكتب والدراسات.

وما نعرضه من تحليل لغوى أو فهم دلالى، إنما هو من أثر ما قدمه نا العلماء من علوم، وما صاغوه من قواعد لغوية ثابتة، وإن ما نقوله اليوم بالقياس إلى ما قدمه علماؤنا السابقون من هذه الأسفار الخالدة يشبه من يوقد شمعة جديدة فى قصر ساطع بالأضواء واللآلى من قبل(١).

ولما كان هذا القرآن العظيم قد نزل بلغة العرب وجرى مجاريهم فى فهم الخطاب- كان لابد لمن يتصدى لتفسير القرآن الكرى تفسيراً دقيقاً من الاعتماد على العربية وفهم أساليبها والنفاذ إلى خصائص التعبير فيها، وتحديد مدلولات ألفاظها، وتحرى الدقة فى تحديد مدلولات الألفاظ هو الخطوة الأولى فى فهم المعانى وتفسير النصوص.

ومن هنا ندرك دقة تعبير العلماء المتقدمين عن العلوم العربية بتسميتهم لها (علوم الآلة) فهى حقا الأداة والآلة لدراسة النصوص وفهمها. واللغة العربية قد عرفت بكثرة المفردات وتنوع الدلالات وسعة التعبير، مع فصاحة اللسان ووضوح البيان.

وإذا كانت العربية قد امتازت بوفرة كلماتها فى المعنى الواحد، فليس معنى ذلك أن هذه الكلمات كلها تدل على هذا المعنى الواحد من دون فروق يلاحظها المتكلم أو السامع، بل بين هذه الألفاظ فروق دقيقة فى الدلالة وتفاوت يلاحظ فى المعنى، يدرك ذلك من علم من اللغة علماً أورثه ذوقاً فيها، وملكة فى معرفة أصولها وقواعدها، وسبر هذه الكلمات واستخراج ما بينها من فروق وخصائص(٢).

ولما بين الألفاظ من فروق دقيقة فى دلالتها يتأنق أسلوب القرآن الكريم فى اختيار ألفاظه، ويستخدم كلاً حيث يؤدى معناه فى دقة فائقة، تكاد بها تؤمن بأن هذا المكان كأنما خلقت له تلك الكلمة بعينها، ولذلك لا تجد فى

---

(١) انظر: شواهد في الإعجاز القرآني، د. عودة أبو عودة، ص١٩. ط١، دار عمار، الأردن ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

(٢) انظر: ابن القيم وحسه البلاغي في تفسير القرآن، د. عبد الفتاح لاشين، ص١٢٧)، "ومع القرآن الكريم في إعجازه اللغوي". د. رشاد سالم ص٨٣.

القرآن الكريم ترادفاً، بل فيه كل كلمة تحمل إليك معنى جديداً.

ولما بين الكلمات من فروق ولما يبعثه بعضها فى النفس من إيحاءات خاصة دعا القرآن الكريم ألا يستخدم لفظ مكان آخر فقال: **﴿قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان فى قلوبكم﴾**(1). فهو لا يرى التهاون فى استعمال اللفظ، ولكنه يرى التدقيق فيه ليدل على الحقيقة من غير لبس ولا تمويه، ولما كانت كلمة «راعنا» لها معنى فى العبرية مذمومة، نهى المؤمنين عن مخاطبة الرسول عليه الصلاة والسلام بها، فقال: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا﴾**(2). فالقرآن الكريم شديد الدقة فيما يختار من لفظ يؤدى به المعنى(3).

الدقة فى التعبير والحيطة فى استعمال الكلمة -إذن- مطلب قرآنى حرص عليه ونبه المؤمنين إليه، حتى لا تضل المعانى بين الأفهام، ويضيع المقصود من خلال الاحتمالات.

فاللفظ القرآنى لا يقوم مقامه سواه فى أداء معناه، والحرف لا يسد مسده غيره، والجملة لا تتحرك من مكانها دون أن يختل نظام الكلام أو يفسد السياق، بل إن الحركة والنبرة تأخذ كل منهما مكانها فى نظم باهر وإبداع ساحر.

ولما كان تحديد دلالات الألفاظ تحديداً دقيقاً يعتبر الخطوة الأولى والأهم فى فهم المعانى وتفسيرها، فإن ذلك يتوقف على معرفة الفروق الدقيقة بين الألفاظ التى يظن فيها الترادف، وهو ما توخيته فى بحثى هذا، مؤكداً الدقة المتناهية فى اختيار الكلمة القرآنية، مبرزاً دورها فى نظم قرآنى معجز، تكون كل كلمة فيه مقصودة للفظها ومعناها، لتؤدى دلالتها وإيحاءاتها التى اقتضتها حكمة الله عزوجل.

وقد تمثل ذلك فى النقاط الآتية:

- بلسان عربى مبين.
- اختيار الكلمة القرآنية وأثره.
- نماذج تطبيقية.
- خاتمة موجزة توحى بما انتهيت إليه.

والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات

---

(1) سورة الحجرات: ١٤. (2) سورة البقرة: ١٠٤.

(3) انظر: من بلاغة القرآن، د. أحمد بدوي، ص٥٧، ط٣، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ١٣٧٠-١٩٥٠م.

بلسان عربي مبين

القرآن الكريم معجزة النبى ﷺ، وطبيعة إعجازه من جنس ما مهر به بلغاء العرب وفصحاؤهم، ولما كان القرآن الكريم كتاب الأبد فقد جعل إعجازه البياني يتسع لما يستجد من نظرات العقل البشرى، وهذا الإعجاز لم يكن مقصوداً لذاته، وإنما كان لشد باصرة الإنسان وبصيرته، ليعى وجوده بالقول الفصل الذى حمل سمة البيان، قال تعالى: **﴿هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين﴾**[1].

وقد أراد الله سبحانه وتعالى أن يتحمل العرب شرف الرسالة، فبلغها بلسان عربى مبين إلى نبيه العرب بالأمين **﴿نزل به الروح الأمين. على قلبك لتكون من المنذرين. بلسان عربى مبين﴾**[2]، وحجة إنزاله بلسان عربى مبين من وجهين:

الأول: أنه لو كان إنزاله بلسان أعجمى لتجافى العرب عنه أصلاً، ولقالوا: ما نصنع به لأننا لا نفهمه، فيتعذر الإنذار به.

الثاني: أن تنزيله بالعربية التى هى لسان محمد ﷺ ولسان قومه- تنزيل له على قلب محمد ﷺ لأنه يفهمه، ويفهمه قومه، ولو كان أعجمياً لكان نازلاً على سمعه دون قلبه، لأنه يسمع أجراس حروف لا يفهم معانيها ولا يعيها، والمعنى: إنا أنزلنا هذا القرآن على رجل عربى بلسان عربى مبين، فسمعوا به وفهموه وعرفوا فصاحته، وأنه معجز لا يعارض بكلام مثله[3].

فبلاغة القرآن الكريم- كما يقول الخطابي[4]- لا تجتمع لأحد من البشر، ولا يجوز أن تأتى عليها قدرته، وإن كان أفصح الناس، وأعرفهم بطرق الكلام وأساليب البيان.

كان طبعياً أن يتنزل القرآن الكريم بلغة قريش على الرسول ﷺ تأليفاً للعرب، وتحقيقاً لإعجاز القرآن الكريم حين يسقط فى أيديهم أن يأتوا بمثه أو بسورة منه.

---

(١) سورة آل عمران: ١٣٨. (٢) سورة الشعراء: ١٩٣- ١٩٥.

(٣) انظر: تفسير الكشاف للزمخشري، ٣/ ١٢٨، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.

(٤) انظر: بيان إعجاز القرآن للخطابي (ضمن ثلاث رسائل) ص٦٠، دار المعارف، مصر.

وإذا كان العرب تتفاوت لهجاتهم في المعنى الواحد بوجه من وجوه التفاوت، فالقرآن الكريم الذى أوحى الله به لرسوله ﷺ يكمل له معنى الإعجاز إذا كان مستجمعاً بحروفه وأوجه قراءته للخالص منها، وذلك مما ييسر عليهم القراءة والحفظ والفهم، وهذه حكمة بالغة فى سياسة أولئك الجفاة وتألفهم وضم نشرهم.

فلو لم يكن القرآن الكريم بلغة قريش ما اجتمع العرب له البتة، ولو كانت بلاغته مما يحى ويميت- على حد قول مصطفى صادق الرافعى[1]- ثم كانوا لا يعدون فى اعتبارهم إياه أنه ضرب من تلك الضروب التى كانت لهم من خوارق العادات كالسحر والكهانة وما إليهما، وهو الذى افترته قريش، ليصرفوا به وجوه العرب ويميلوا رؤوسهم عن الإصغاء إلى النبى ﷺ، فقالوا: ساحر، وكاهن، وشاعر، ومجنون، وتقوّلوا من أمثال ذلك يبتغون به أن يحدثوا فى قلوب الناس لهذا الأمر خفة الشأن، وأن يهونوا عليهم منه بما هوّنته العادة، وهم كانوا أعلم بعادات القوم وما يبلغ بهم، حين قعدوا يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً.

ولو أن القرآن الكريم نزل بغير ما كان يألفه النبى ﷺ من اللغة القرشية وما اتصل بها لكان مغمزاً فيه، إذ لا تستقيم لهم المقابلة- حينئذ- بين القرآن الكريم وأساليبه، وبين ما يأثرونه من كلام النبى ﷺ فيهون ذلك على قريش، ثم على العرب، فيجدون لكل قبيلة مذهباً من القول فيه، فتنشق الكلمة، ثم يصير الأمر من العصبية والمشاحنة والبغضاء إلى حال لا يلتئم عليه أبداً.

ولو أن شاعراً من شعرائهم ظهر فيهم بدين خيالى وأقامهم عليه لكان من الرجاء والاحتمال أن يستجيبوا له دون صاحب القرآن الذى ينزل عليه بلغة غير لغة قبيلته.

لقد ائتلفت لغة القرآن الكريم على وجه يستطيع العرب أن يقرؤوه بلهجاتهم، وإن اختلفت وتنوعت، ثم بقى مع ذلك على فصاحته وخلوصه.

يقول الرافعى[2]: وتلك سياسة لغوسة استدرج بها العرب إلى الإجماع

---

(١) انظر: تاريخ آداب العرب للرافعي، ٢/ ٦٢، ط٤، دار الكتاب العربي، ١٩٧٤م، بيروت، وبحث د. عبد الحميد أب سكين (مع القراءات القرآنية).

(٢) السابق نفسه.

على منطق واحد، ليكونوا جماعة واحدة كما وقع ذلك من بعد.

فجرت لغة القرآن على أحرف مختلفات في منطق الكلام كتحقيق الهمز وتخفيفه، والمد والقصر، والفتح والإمالة وما بينهما، والإظهار والإدغام، ونحو ذلك، فكان أهل كل لحن يقرؤونه بلحنهم[1].

إن طبيعة الإعجاز القرآنى طبيعة خاصة لا تعرف النتائج النهائية، فلو عرف البشر كل أسرار الإعجاز لفات التحدى بالقرآن الكريم، وهكذا يظل الأسلوب القرآنى المعجز منبعاً للجمال الباهر والفن الذى يفوت على أبد الناس وأكملهم، مادام متلواً آناء الليل وأطراف النهار، داعياً الناس دعوة مستمرة إلى الدرس والتنقيب والكشف.

قد اعتنى العلماء بمسألة الإعجاز، وجهدوا فى أن يكشفوا وجوهها، لأنها تثبت عقيدة الإسلام فى القلوب، وترد سهام الطاعنين فى أصل المعجزة، ومن هنا فضل الباقلانى البحث فى الإعجاز على غيره من العلوم، قال: «وقد كان يجوز أن يقع ممن عمل الكتب النافعة فى معانى القرآن، وتكلم فى فوائده من أهل الصنعة العربية وغيرهم من أهل صناعة الكلام، أن يبسطوا القول فى الإبانة عن وجه معجزته، والدلالة على مكانه، فهو أحق بكثير مما صنفوا فيه من القول فى الجزء والطفرة ودقيق الكلام فى الأعراض، وكثير من بديع الإعراب وغامض النحو، فالحاجة إلى هذا أمس والاشتغال به أوجب»[2].

والباقلانى يريد بأهل صناعة العربية من سبقه من العلماء كالفراء (٢٠٨هـ) وأبى عبيدة (٢١٠هـ) والأخفش (٢١٥هـ) والزجاج (٣١١هـ) وأبى جعفر النحاس (٣٣٨هـ) وغيرهم ممن ألف فى معانى القرآن وإعرابه.

ويريد بأهل صناعة الكلام علماء الكلام كالجاحظ (٢٥٥هـ) الذى قال فيه: وقد صنف الجاحظ فى نظم القرآن كتاباً لم يزد فيه على ما قاله المتكلمون قبله، ولم يكشف عما يلتبس فى أكثر هذا المعنى[3].

---

(١) انظر: القراءات القرآنية وصلتها باللهجات العربية، د. رشاد سالم، ص٣١- ٣٢، ط١، دار المنار، مصر، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.

(٢) انظر: إعجاز القرآن للباقلاني، ص٥، تحقيق السيد صقر، دار المعارف، مصر، ١٣٧٤هـ- ١٩٥٤م. والأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، د. محمد كريم الكواز، ص٢٠، ط١، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ليبيا، ١٩٩٧م.

(٣) انظر: إعجاز القرآن للباقلاني، ص٧.

ولا ريب أن إتقان اللغة، وترقى وسائل أدائها وتنوعها، إنما هو انعكاس لما فى نظرة الأجيال التى عكفت على هذه اللغة، وصقلتها فصقلتهم، وهذبتها فهذبتهم، وأحكمتها فأحكمتهم، وأودعوها دقائق نفوسهم، فكانت فى اكتمال بيانها صورة لاكتمال سلائفهم(١).

لقد صادف الإسلام حين ظهوره لغة مثالية مصطفاه جديرة بأن تكون أداة التعبير عند خاصة العرب لا عامتهم، فزاد من شمول تلك الوحدة وقوى من أثرها بنزول قرآنه بلسان عربى مبين، هو ذلك اللسان المثالى المصطفى.

وقد وصفهم الرافعي بقوله: كالعرب أصحاب الفطرة اللغوية، والحس البيانى، الذين صرفوا اللغة، وشققوا أبيتها، وهذبوا حواشيها(٢)، وجمعوا أطرافها، واستنبطوا محاسنها(٣).

ولا يخفى أثر القرآن الكريم فى تهذيب اللغة من الحوشية، والسير بها إلى السهولة والمتانة ووضوح المقصد، والوصول إلى الغرض من أقرب مسالكه وأحكم أساليبه، لأن كثرة ترديد المسلمين لآياته على ألسنتهم فى صلاتهم وعباداتهم، وطول درسهم له وتفهمهم إياه، واستنباط أحكام دينهم وشريعتهم، والتأدب بعباراته وأمثاله، وإيجازه ومجازه وتشبيهه- أكسبهم إرهافاً فى الذوق وسمواً فى الحاسة الفنية وميلاً إلى محاكاة أساليبه وإيثار ألفاظه(٤).

لقد صفى القرآن الكريم هذه اللغة، وأشاع فى الاستعمال أصفى ألفاظها جرساً، وأدقها تعبيراً وأحلاها نغماً، وأورد كل لفظة فى مكانها المناسب ببراعة فائقة، والتزم الدقة فى مراعاة دلالة الألفاظ وإيرادها مواردها بطريقة تعجز عنها الخلائق.

---

(١) انظر: الإعجاز البلاغي، د. محمد أبو موسي، ص١٥، ط١، مكتبة وهبة، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٤م.
(٢) انظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعي، هامش ص٢٢٥، ط١، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٤م.
(٣) انظر: مع القرآن الكريم في إعجازه اللغوي، د. رشاد سالم، ص٤٤.
(٤) لعلها «حوشيها».

اختيار الكلمة القرآنية وأثرها

الكلمة أصل الدقة فى التعبير، والوضوح فى المعنى، والصدق فى الدلالة؛ لأن الكلمة إذا تمكنت فى موضوعها الأصلى دلت على المعنى كله، فإذا حشرت حشراً أو قسرت قسراً دلت على بعض المعنى، أو ألجأت إلى غيره.

وفى اختيار الكلمة الخاصة بالمعنى إبداع، والكلمة فى الجملة كالقطعة فى الآلة، إذا وضعت فى موضعها على الصورة اللازمة والنظام المطلوب تحركت الآلة، وإلا ظلت جامدة(١).

وللكلمات أرواح- كما قال «موباسان»- فإذا استطعت أن تجد الكلمة التى لا غنى عنها، ولا عوض منها، ثم وضعتها فى الموضع الذى أعد لها، وهندس عليها، ونفخت فيها الروح التى تعيد لها الحياة، وترسل عليها الضوء، ضمنت الدقة والقوة والصدق والطبيعة والوضوح، وأمنت الترادف والتقريب والاعتساف(٢).

ولا عجب أن نجد العرب فى عصورهم الأولى يجهدون أنفسهم فى اختيار هذه الكلمة والبحث عنها وانتقائها، مجندين لها ما منحوه من طاقات العقل، ودفقات الشعور، وجميل الأحاسيس، فلقد كانوا فى جاهليتهم يدركون ما للكلمة من شأن، أو ما تحدثه من أثر سلبى، فيقبلونها أو يردونها نتيجة معرفة وذوق.

ومن ذلك ما يروى عن حسان بن ثابت حينما أنشد:

لنا الجفنات الغُر يلمعن فى الضحى وأسيافنا يقطرن من نجده دما

فقيل له: لو قلت: (يسطعن فى الدجى)، ولو قلت: (يجرين) لكان أولى(٣).

ويُعلمنا النبى ﷺ مكانة الكلمة وأصالتها فيقول: «لا يقولن أحدكم

---

(١) انظر: إعجاز القرآن الكريم، د. فضل حسن عباس، وسناء فضل عباس، ص١٦٢، ط. دار الفرقان، ١٩٩١م.

(٢) انظر: مقدمة دفاع عن البلاغة للأستاذ أحمد حسن الزيات، مطبعة النهضة، ١٩٦٧م.

(٣) انظر: تاريخ آداب العرب للرافعي، ط٢، ١٣٧٣هـ- ١٩٥٣م.

خبُثت نفسى ولكن ليقل: لَقِست»[1].

والمتبع لآداب العرب ومساجلاتهم فى أسواقهم يجد كثيراً من ذلك، والحق أن الذوق السليم يجد فرقاً شاسعاً بين الكلمة الجيدة وغيرها من الكلمات الممجوجة.

وإذا كان هذا فى كلام الناس، فهو فى كلام الله المتناهى فى البلاغة أكثر وضوحاً وأشد ظهوراً.

يقول الإمام ابن عطية رحمه الله تعالى:

«وكتاب الله لو نزعت منه لفظة، ثم أدير لسان العرب على لفظة غيرها لم يوجد، ونحن يتبين لنا البراعة فى أكثره، ويخفى علينا وجهها فى مواضع لقصورنا عن مرتبة العرب- يومئذ- فى سلامة الذوق وجودة القريحة»[2].

وما قاله ابن عطية كلام حرى بالتقدير، جدير بالدراسة، ذلك أن المفردات القرآنية لها خصائص ومميزات: جمال وقعها، واتساقها الكامل مع المعنى، واتساع دلالتها لما لا تتسع له عادة دلالات الكلمات الأخرى.

فالمفردات القرآنية -إذن- مفردات مختارة منتقاة. ولا أدل على ذلك من أننا حين ننظر فى المعاجم اللغوية نجدها زاخرة بالألفاظ الكثيرة، ولكل مادة اشتقاقاتها الكثيرة المتعددة، وهى من حيث الفصاحة والخفة ليست سواء أولاً، وقد تدار الكلمات الكثيرة على معنى واحد ثانياً، أما كتاب الله فيخص كل لفظ بمعنى لا يتعداه[3].

لقد اختيرت ألفاظ القرآن اختياراً يتجلى فيه وجه الإعجاز، فمنذ نزل القرآن الكريم إلى اليوم مرت قرون وقرون، وأتت أجيال وأجيال، كل جيل يفهم ما يناسب تفكيره، ويلائم ذوقه، ويوائم معارفه، وتأتى أجيال أخرى تفهم من هذه الألفاظ بعينها غير ما فهمته الأجيال الأولى.

قال الراغب فى مفرداته:

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) انظر: فكرة إعجاز القرآن منذ البعثة المحمدية حتي عصرنا الحاضر، نعيم الحمصي، ص٩٥، ط٢، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠.

(٣) انظر: إعجاز القرآن الكريم، د. فضل حسن عباس، وسناء فضل، ص١٦٦.

فألفاظ القرآن هي لب كلام العرب وزبدته، وواسطته وكرائمه، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامها وحكمهم، وإليها مفزع حذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم، وما عداها وعدا الألفاظ المتفرعات عنها والمشتقات منها هو بالإضافة إليها كالقشور والنوى بالإضافة إلى أطايب الثمرة، وكالحثالة والتبن بالإضافة إلى لبوب الحنطة»[1].

انظر إلى قوله تعالى في وصف كل من الليل والصبح: ﴿والليل إذا عسعس. والصبح إذا تنفس﴾[2]، ألا تشم رائحة المعنى قوية من كل من هاتين الكلمتين: عسعس، وتنفس؟

ألا تشعر أن الكلمة تبعث في خيالك صورة المعنى محسوساً مجسماً دون حاجة للرجوع إلى معاجم اللغة؟

وهل تستطيع أن تصور إقبال ظلام الليل، وتمدده في الآفاق المترامية بكلمة أدق من عسعس؟ أو هل تستطيع أن تصور انفلت الضحى من مخبأ الليل وسجنه بكلمة أروع من تنفس؟

بل هل تجد في المعاجم أدق من هاتين الملمتين في التعبير عن هذين المعنيين؟[3].

إن الكلمة القرآنية منتقاة بدقة متناهية، وموضوعة في سبك رائع قوي يظهر معه استواء كل كلمة في محلها اللائق بها، بما لا يجعل أي كلمة أخرى من الألفاظ المقاربة لها في المعنى تقوم مقامها، وتؤدي كامل معناها بصوره وظلاله، وبروعته وجماله.

ونحن حين نفسر المفردات القرآنية بكلمات أخرى لا تقوم بأكثر من تقريب المعنى، ليكون في متناول فهم من ندت عنه معاني هذه الكلمات لسبب أو لآخر، فالتفسير إنما هو من باب التقريب لا التحديد الدقيق.

بل إن حركات الكلمات لها إيحاءاتها ومدلولاتها الخاصة بها بما لا تؤديه ذات الكلمة حين تتغير حركاتها وسكناتها، فالنظر إلى لفظة «يذبحون»

---

(١) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، ص٦، المقدمة، مكتبة الأنجلو المصرية، بإشراف د. محمد خلف الله.

(٢) سورة التكوير: ١٧- ١٨.

(٣) انظر من روائع القرآن، د. محمد سعيد البوطي، ص١٤٢، ط٢، مكتبة الفارابي، دمشق، ١٩٧٠م.

في قوله تعالى: ﴿وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم﴾[1] يوحي بأكثر من معنى، فهي تصور ما حدث أولاً، وتوحي بكثرته ثانياً، وتدل على نوعه ثالثاً إضافة إلى ما تشير إليه من استسلام الذبيح وانقياده من غير أن يملك حولاً، أو يكون له طول يدفع به هذا العذاب عنه.

وفي هذا تصوير لحالة اليهود السيئة، ووضعهم الذليل بين يدي فرعون، ومن ثم يفهم كم كانت نعمة الله عليهم ببعث موسى إليهم لإنقاذهم من سوء العذاب وربقة الذل!

وبعض هذه المعاني لا تدل عليه هذه اللفظة من غير تشديد (يذبحون)، فضلاً أن تؤديها أو تسد مسدها كلمة أخرى كيقتلون[2].

وتنكير كلمة «حياة» في قوله تعالى: ﴿ولتجدنهم أحرص الناس على حياة﴾[3]. يعبر تعبيراً دقيقاً عن حرص هؤلاء الناس على مطلق حياة يعيشونها، مهما كانت حقيرة القدر ضئيلة القيمة.

وعندما أضيفت هذه الكلمة إلى ياء المتكلم في قوله تعالى: ﴿وجيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى. يقول ياليتني قدمت لحياتي﴾[4]، عبرت أدق تعبير عن شعور الإنسان يومئذ، وقد أدرك في جلاء ووضوح أن تلك الحياة لم تكن إلا وهماً باطلاً، وسراباً خداعاً، أما الحياة الحقة فهي تلك التي بعد البعث، لأنها دائمة لا انقطاع لها، فلا جرم أن سماها حياته، وندم على أنه لم يقدم عملاً صالحاً ينفعه في تلك الحياة.

واستمع إلى قوله تعالى: ﴿إنا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريراً. فوقاهم

---

(١) سورة البقرة: ٤٩.

(٢) الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن الكريم، د. محمد الشايع، ص ١٧٣- ١٧٤، ط١، مكتبة العبيكان، الرياض ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م. وانظر: التعبير الفني في القرآن، د. بكري شيخ أمين، ص١٨٨. ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٤م. وإعجاز القرآن البياني بين النظرية والتطبيق، د. حفني محمد شرف، ص٢٢٣، مطابع الأهرام التجارية، سنة ١٣٩٠هـ. وفكرة النظم بين وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، د. فتحي أحمد عامر، ص١٣٤، القاهرة، ١٣٩٥هـ.

(٣) سورة البقرة: ٩٦. (٤) سورة الفجر: ٢٣- ٢٤.

الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا﴾[1].

تجد كلمة «العبوس» قد استعملت أدق استعمال لبيان نظرة الكافرين إلي ذلك اليوم، فإنهم يجدونه عابساً مكفهراً، وما أشد اسوداده، فيه يفقدون الأمل والرجاء.

وكلمة «قمطريراً» يثقل طائها مشعرة بثقل هذا اليوم.

وفى كلمتى «النضرة والسرور» تعبير دقيق عن المظهر الحسى لهؤلاء المؤمنين، وما يبدو على وجوههم من الإشراق، وعما يملأ قلوبهم من البهجة[2].

ونقرأ قوله سبحانه: ﴿عتل بعد ذلك زنيم﴾[3]، فنجد البلاغة فى أرفع منازلها، ولا نجد لفظاً يمثل الجفوة والغلظة ووحشة الطباع مثل هذه اللفظة.

ونتأمل قوله تعالى: ﴿فأصبح فى المدينة خائفاً يترقب﴾[4]، فنجد كل لفظ فى التعبير قد رسم صورة مذعور يلتفت فى كل جانب خوفاً وطلباً لموضع الأمن.

وهكذا نجد ألفاظ القرآن الكريم تمثل المعنى تمثيلاً دقيقاً رائعاً كاملاً غير منقوص.

ومن يطالع أسفار الدارسين القدامى يجد أن هذه المادة وفيرة، وذلك لأسباب عدة منها:

- أنهم ناضلوا بإخلاص جاهدين للرد على الملاحدة الذين يدعون التناقض فى القرآن الكريم، والخطل فى استعمال مفرداته.
- يضاف إلي هذه الغاية الدينية الخالصة محبتهم العميقة لأسلوب كتاب دنياهم وأخراهم، فمنه استلهموا أسس حياتهم، وأرسوا قواعد مجدهم، وهذا مما حدا بهم إلى إبراز جماليات دقة الاختيار فى الكتاب المعجز.
- وفرة الثروة اللغوية، فأكثرهم لغوى متمعن، كما يظهر فى مناقشاتهم، ومنهم من كان ذا مكانة كبيرة فى اللغة كالزمخشرى والسيوطى.

---

(1) سورة الإنسان: ١٠- ١١.
(2) من بلاغة القرآن، د. أحمد بدوي، ص٥٨.
(3) سورة القلم: ١٣.
(4) سورة القصص: ١٨.

- قرب عهدهم بزمن الفصاحة، لذلك وجد المحدثون الكفاية فى كتب أسلافهم ووقفات المحدثين على قلتها تتسم بالغنى والعمق[1].

إن لاختيار الألفاظ فى القرآن الكريم جوانب متعددة، من حيث الدلالة على المعنى دلالة فائقة الوضوح، فقد تعبر الكلمة بجرسها عن المعنى، وقد يراعى فى اختيارها مشاكلة الفواصل، وقد تندرج ضمن فن بلاغى يزيد المعنى وضوحاً، إلا أن ذلك وغيره ينبع من أصل كبير، وهو الدقة المتناهية فى الاختار، لأن أسلوب القرآن الكريم يتأنق فى اختيار ألفاظه تأنقاً فائقاً، يلحظ فيه الفروق الدقيقة بين معانى الكلمات، فيستعمل منها ما يؤدى المعنى فى دقة فائقة، تشعر قارئه كأن هذا المكان إنما خلقت له تلك الكلمة بعينها، وأن كلمة أخرى لا تستطيع توقية المعنى الذى وفت به أختها، فكل لفظة وضعت لتؤدى نصيبها من المعنى أقوى أداء(٢).

ذلك أن الأصل فى الكلام هو الإبانة عن الأغراض التى فى النفوس، وإذا كان كذلك وجب أن يتخير من اللفظ ما كان أقرب إلى الدلالة على المراد، وأوضح فى الإبانة عن المعنى المطلوب، ولم يكن مستكره المطلع على الأذن، ولا مستنكر المورد على النفس[3].

لقد نزل القرآن الكريم بلسان عربى مبين، وهذا يعنى أنه اختيار من بين إمكانات لغوية كثيرة، أتاحتها ثروة العربية وغناها، ثم إنا إذا فصلنا بين اختيار متكلم من البشر، واختيار خالق كل شئ، تبين لنا وجه مفارقة الأسلوب القرآنى للأسلوب البشرى، من حيث إن طبيعة الإنسان مهما كانت ثقافته، ومهما اتسعت معارفه تجعله لا يستطيع أن يطوع ألفاظ اللغة لكل ما يتصوره، من دقائق المعانى ولطائف الأخيلة، فهو كثيراً ما يضطر إلى النزول عن بساط خياله المحلق، لحاقاً بكلمة هى دون خياله الخصيب.

بيد أن القرآن الكريم لا يعجزه إطلاقاً أن تكون الكلمة دوماً فى مستوى المعنى المراد، على أدق وجه، وفى أكمل صورة، وهذا سر إعجازه وآية من آيات بلاغته وروعته[4].

---

(١) انظر: جماليات المفردة القرآنية، ص٢٩٥، د. أحمد ياسوف، دار المكتبي، دمشق، ط٢، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.

(٢) انظر: من بلاغة القرآن، د. أحمد بدوي، ص٥٧، وانظر: الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن، الكواز، ص٢٧١.

(٣) انظر: إعجاز القرآن للباقلاني، ص١١٧.

(٤) انظر: مباحث في إعجاز القرآن، د. أحمد جمال العمري، ١٩٨٠، مكتب الشباب، مصر ص١٥٤.

ولهذا قيل: إن كلام الله جل ثناؤه أعلى وأرفع من أن يضاهى أو يقابل أو يعارض به كلام، وكيف لا يكون ذلك كذلك وهو كلام العلى الأعلى خالق كل لغة ولسان[1].

سبب ذلك كما هو معروف أن عنصر الاختيار فى الأسلوب القرآنى متصل بقدرته سبحانه وتعالى، وأما على مستوى الناس فمهمة اللغة التعبير عما يدور بخلدهم، ويجول بخواطرهم، وهم يستعينون باللغة على ذلك، ولكن قدراتهم تتفاوت فى مدى نجاحها فى مهمة التعبير عن المعنى الذى يختلج فى النفوس، من حيث اختيار الألفاظ الملائمة إذ إن فى الألفاظ الخفة والثقل، وفى الحروف التلاؤم والتنافر، ومن الكلمات ما يكرهه السمع ويمجه الطبع، ومنها ما هو جميل الوقع على الأذن، حسن الأثر فى النفس، مع ما امتازت به العربية من كثرة الألفاظ والأساليب حتى قيل: «إن لسان العرب أوسع الألسنة مذهباً وأكثرها ألفاظاً، ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبى»[2].

هذا من جانب، وقد يعبر- من جانب آخر- عن المعنى الواحد بألفاظ بعضها أحسن من بعض، أو قد يعبر عنه بأفصح ما يلائم الألفاظ بعضها من بعض، ولابد فى هذا من استحضار معانى الجمل، واستحضار جميع ما يلائمها من الألفاظ، ثم استعمال أمسها رحماً بالمعنى، وأفصحها فى الدلالة عليه، وهذا أمر متعذر على البشر فى أكثر الأحوال، وهو عنيد حاصل فى علم الإله، ولذلك كان القرآن أفصح الحديث وأحسنه[3].

إن رصد الدقة فى اختيار الألفاظ فى القرآن الكريم، ومقارنتها بما عند الناس، يظهر لنا جانباً من مفارقة الأسلوب القرآنى لأساليب البشر، وخرقه لعادتهم فى التعبير عن المعانى.

قال الجاحظ: «وقد يستخف الناس ألفاظاً فيستعملونها وغيرها أحق بذلك منها، ألا ترى أن الله تبارك وتعالى لم يذكر فى القرآن «الجوع» إلا فى موضع العقاب، أو فى موضع الفقر المدقع، والعجز الظاهر، والناس لا يذكرون

---

(١) انظر: الصاحبي لابن فارس، ص٤١، تحقيق مصطفي الشويحي، ١٣٨٢هـ، مؤسسة بدران، بيروت.

(٢) انظر: الرسالة للإمام الشافعي تحقيق أحمد محمد شاكر، ط١، ١٣٥٨هـ- ١٩٤٠، مطبعة مصططفي الحلبي، مصر، ص٤١.

(٣) انظر: الإشارة إلي الإيجاز في بعض أنواع المجاز للعز بن عبد السلام، ص٢٥٧، مطابع الفكر، دمشق.

السغب، ويذكرون الجوع في حال القدرة والسلامة، وكذلك ذكر المطر، لأنك لا تجد القرآن يلفظ به إلا في موضع الانتقام، والعامة وأكثر الخاصة لا يفصلون بين المطر وذكر الغيث.. والجارى على أفواه العامة غير ذلك لا ينتقون من الألفاظ ما هو أحق بالذكر وأولى بالاستعمال»(١).

وتتجسد عظمة الاختيار القرآني ودقته في كونه عمود بلاغة القرآن، بحيث إذا أبدل اللفظ بغيره تبدل المعنى المقصود، أو ذهب الرونق الذى يكون معه سقوط البلاغي كما قال الخطابى(٢).

وهذه ملاحظة قديمة تقف اليوم في صفوف الدراسات الأسلوبية الحديثة، فهي مبنية على الاهتمام بالفروق الدقيقة بين الكلمات، حيث تصلح الكلمة لمعنى لا تصلح له أخواتها(٣).

ولابد أن نقرر هنا أن عدم التحديد المنضبط لمفهوم الكلمة القرآنية قد حرم الناس من فوائد كثيرة، وحال بينهم وبين إدراك متكامل لمدلول الكلمة القرآنية، وسد أمامهم أبواب الوعى الدقيق لكثير من الآيات الكريمة.

ونعترف أن كثيراً من كتب التفسير والمعاجم اللغوية كانت سبباً في ذلك كله، حيث التقت هذه الكتب والمعاجم على أن تعطى المعنى القريب للكلمة القرآنية فتشتبه المعانى وتختلط بعضها ببعض(٤).

وإذا كان بعض العلماء يعد الترادف من خصائص اللغة ومفاخرها فإن كثيرين وقفوا من الترادف موقف السلبية والإنكار.

ولا يعنينا تفصيل هذه القضية -هنا- والذى نطمئن إليه- وقد اطمأن إليه كثيرون قبلنا- أن لا ترادف في كتاب الله تبارك وتعالى، والكلمات التى ظنها بعض الناس مترادفة عندما ننعم النظر فيها نجد أن لكل معناها الدقيق.

وفيما سيطرحه البحث من نماذج في الصفحات الآتية ما يؤكد ذلك، وينمي وعينا اللغوى بتفرد القرآن وتأنقه في اختيار كلماته، وتميزه في دقة التعبير وملاءمة المعنى.

---

(١) انظر: البيان والتبيين ١/ ٢٠، تحقيق عبد السلام هارون، ١٣٦٧هـ- ١٩٤٨، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة.

(٢) انظر: بيان إعجاز القرآن للخطابي، ص٢٦ (ضمن رسائل) تحقيق محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر.

(٣) انظر: الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن، الكواز، ص٢٧٩.

(٤) انظر: إعجاز القرآن الكريم، د. فضل عباس، وثناء فضل، ص١٧١.

الحمد - الشكر

بدأ الله عزوجل كتابه الكريم بقوله: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ وقد جاء ذكر «الحمد» بتصاريفه المختلفة فى القرآن الكريم ثمان وستين مرة[١] وورد «الشكر» بمختلف صوره خمساً وسبعين مرة، منها قوله تعالى: ﴿فاذكرونى أذكركم واشكروا لى ولا تكفرون﴾[٢]، وقوله سبحانه: ﴿وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابى لشديد﴾[٣].

وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن الكلمتين معناهما واحد، لكن المحققين ذهبوا إلى غير هذا المذهب: فالحمد هو الثناء على الجميل من نعمة أو غيرها مع المحبة والإجلال، والحمد: أن تذكر محاسن الغير، سواء أكان ذلك الثناء على صفة من صفاته الذاتية كالعلم والصبر والرحمة والشجاعة، أم على عطائه وتفضله على الآخرين. والألف واللام فيه لاستغراق جنس المحامد.

ولا يكون الحمد إلا للحى العاقل، وهذا من أشهر ما فرق بينه وبين المدح، فإنك قد تمدح جماداً، وقد تمدح حيواناً، ولكن لا تحمده، جاء فى تفسير الرازى[٤]: «إن المدح قد يحصل للحى ولغير الحى، ألا ترى أن من رأى لؤلؤة فى غاية الحسن، أو ياقوتة فى غاية الحسن فإنه قد يمدحها، ويستحيل أن يحمدها، فثبت أن المدح أعم من الحمد».

كما أن الحمد لا يكون إلا بعد الإحسان، فإن الحمد يكون لما هو حاصل من المحاسن فى الصفات أو الفعل، فلا يحمد من ليس فى صفاته ما يستحق الحمد، ولا يحمد من لم يفعل جميلاً، أما المدح فقد يكون قبل ذلك، وقد يكون بعده، فقد تمدح إنساناً ولم يفعل شيئاً من المحاسن والجميل، ولذا كان المدح منهياً عنه بخلاف الحمد فإنه مأمور به، قال ﷺ: «احثوا التراب فى وجوه المداحين» فى حين قال: «من لم يحمد الناس لم يحمد

---

(١) راجع الإحصاء في «معجم ألفاظ القرآن الكريم، مجمع اللغة، ١/ ٢٩٧، ٦٤٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ومعجم الألفاظ والأعلام القرآنية، محمد إسماعيل إبراهيم، ١/ ١٤٥. ط٢، دار الفكر العربي، ١٩٦٨م.

(٢) سورة البقرة ١٥٢. (٣) سورة إبراهيم ٧.

(٤) انظر: التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) ١/ ٢١٨، ط١، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨١م.

الله»، وبذا علمنا من قوله سبحانه ﴿الحمد لله﴾ أن الله حي له الصفات الحسنى والفعل الجميل، فحمدناه على صفاته وعلى فعله وإنعامه، ولو قال: (المدح له) لم يفد شيئاً من ذلك[1].

والشكر عبارة عن معروف يقابل النعمة، سواء أكان بالقول أم الفعل أم الاعتقاد.

وعرف الراغب الأصفهاني[2] الشكر بأنه تصور النعمة وإظهارها. ويؤيد هذا أصل مادة الكلمة واشتقاقها في اللغة، فقد قيل: إن الشكر مقلوب عن الكشر، وهو الكشف، وضده الكفر، وهو نسيان النعمة وسترها.

وفي أساس البلاغة للزمخشري[3]: «كاشرته وشاكرته: أريته أني شاكر له».

والشكر في اللغة مأخوذ من شكرت الإبل تشكر: إذا أصابت مرعى فسمنت عليه، وظهر عليها أثر ذلك.

ومنه يقال: دابة شكور: مظهرة بسمنها إسداء صاحبها إليها، حيث يكفيها قليل العلف وتسمن عليه[4].

وفرقوا بين الحمد والشكر فقالوا:

– إن الحمد يعم ما إذا وصل ذلك الإنعام إليك أو إلى غيرك، وأما الشكر فهو مختص بالإنعام الواصل إليك، فأنت تشكر الشخص إذا أوصل إليك نعمة، وتحمده على إنعامه لك أو لغيرك[5].

ومن جهة أخرى فإن الشكر لا يكون إلا على نعمة، ولا يكون على الصفات الذاتية، فإنك لا تشكر الشخص على علمه أو على قدرته، وقد تحمده على ذلك.

---

(١) انظر: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، للدكتور فاضل السامرائي، ص١٢، ط١، دار عمار، الأردن، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

(٢) مفردات الراغب الأصفهاني، ص٣٨٩.

(٣) انظر: أساس البلاغة للزمخشري، مطابع دار الشعب، مصر ١٩٦٠.

(٤) انظر: الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن الكريم، د. محمد بن عبد الرحمن للشايع، ص٢١٩، ط١، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.

(٥) انظر: السابق نفسه، وتفسير الرازي، ١/ ٢١٩.

جاء في لسان العرب: «والحمد والشكر متقاربان، والحمد أعمهما، لأنك تحمد الإنسان على صفاته الذاتية وعلى عطائه، ولا تشكره على صفاته»[١]، فكان اختيار الحمد أولى من الشكر لأنه أعم، فإنك تثنى عليه بنعمه الواصلة إليك وإلى الخلق أجمعين، وتثنى عليه بصفاته الحسنى الذاتية، وإن لم يتعلق شئ منها بك. «أما الشكر لله فهو ثناء بسبب إنعام وصل إليك، ولاشك أن الأول أفضل، لأن التقدير كأن العبد يقول: سواء أعطيتنى أو لم تعطنى فإنعامك واصل إلى كل العالمين، وأنت مستحق للحمد والتعظيم»[٢].

- إن الحمد ضده الذم، وضد الشكر الكفر، يقول سبحانه: ﴿قال هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربى غنى كريم﴾[٣].

وكما هو معروف: بضدها تتميز الأشياء وتتضح الفروق[٤].

- إن الحمد يكون على المحبوب والمكروه، ولا يحمد على المكروه سوى لله عزوجل، فعن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت: ان النبى ﷺ إذا أتاه الأمر يسره قال: «الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات»، وإذا أتاه الأمر يكرهه قال: «الحمد لله على كل حال»[٥].

بخلاف الشكر إذ لا يكون إلا على المحبوب، لأنه يقابل المعروف والنعم، وهى أشياء محبوبة مرغوبة[٦].

- إن الحمد أعم من أن يكون مقابل نعمة فقط، بل يكون الحمد ابتداء بمعنى الثناء، فأنت تقول: حمدت فلاناً إذا أثنيت عليه فى أخلاقه وخصاله ومذاهبه وصفاته، وإن لم يسبق إليك منه معروف.. أما الشكر فلا يكون إلا مقابل نعمة ومعروف، فهو يجرى مجرى قضاء الدين، إذ هو رد

---

(١) انظر: لسان العرب (حمد)، ٤/١٣٣، تقديم العلايلي، وتصنيف يوسف خياط، دار لسان العرب، بيوت.

(٢) انظر: التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، للفخر الرازي، ١/ ٢١٨، ٢١٩.

(٣) سورة النمل ٤٠.

(٤) انظر: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للخطابي والرماني والجرجاني، ص٣٠.

(٥) أخرجه الحاكم في مستدركه وصححه ١/ ٤٩٩.

(٦) انظر: الفروق اللغوية للشايع، ص٢٢٠.

للجميل واعتراف به ونشر له، ولهذا قيل: الشكر على ما توجبه النعمة، والحمد على ما توجبه الحكمة[1].

يقول الراغب الأصفهاني: «الحمد هو الثناء بالفضيلة، والشكر مقابلة النعمة قولاً وعملاً، ولما كانت النعمة لا تخرج من كونها فضيلة صار الحمد منطوياً على معنى الشكر، فكل شكر حمد، وليس كل حمد شكراً». ويقول مكى بن أبى طالب: «الحمد أعم من الشكر وأمدح»[2].

وقد جاء الشكر مقترناً بالنعمة فى أكثر من آية، منها قوله تعالى: ﴿وقال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى ..﴾[3]. وقوله سبحانه: ﴿ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن الله غنى حميد﴾[4]، وأكرم بالحكمة من نعمة.

- ما جاء من تعاطفهما فى أكثر من حديث وأثر، جرياً على أن الأصل فى العطف المغايرة، وإلا لما كان للجمع بينهما معنى ولا فائدة، فعن أبى أمامة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «عرض علىّ ربى عزوجل ليجعل لى بطحاء مكة ذهباً، فقلت: لا يارب، ولكن أشبع يوماً وأجوع يوماً -أو نحو ذلك- فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك، وإذا شبعت حمدتك وشكرتك». وفى رواية الترمذى: «.. وإذا شبعت شكرتك وحمدتك»[5]، وفى حديث آخر: «فكبرت الله وحمدت وشكرت»[6].

---

(١) انظر: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص٣٠، والفروق في اللغة لأبي هلال العسكري، ص٤٠، ط٢، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٧م. وزاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي، ١/ ١١، ط٢، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، ١٣٨٤هـ.

(٢) انظر: الفروق اللغوية، للشايع، ص٢٢٣.

(٣) سورة النمل ١٩.

(٤) سورة لقمان: ١٢.

(٥) أخرجه الترمذي في سننه، باب الزهد، الحديث ٢٣٤٨، ج٧، ص٩٤. وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ٥/ ٢٥٤.

(٦) أخرجه الإمام أحمد في المسند، ١/ ٣١١. وانظر: الفروق اللغوية للشايع، ص٢١٦.

الكمال - التمام

هناك فرق دقيق بين الكمال والتمام يدق على بعضهم إدراكه، فاللفظان وإن كانا يتفقان معجمياً في الدلالة على معني واحد هو: إزالة النقص، فإنهما يفترقان بعد ذلك، إذ يختص الإتمام– كما ذكر بعض المفسرين– بالدلالة على إزالة نقصان الأصل، والإكمال بالدلالة على إزالة نقصان العوارض بعد تمام الأصل.

ولهذا كان قوله تعالى: **﴿فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدى فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة﴾**(1) أحسن وأبلغ من «تلك عشرة تامة» لأن التمام في العدد قد علم بإضافة الثلاثة إلى السبعة، لكن بقى احتمال نقص فى الأوصاف، وهو ما نفاه وصفها بالكمال، ولهذا يقال: «رجل كامل» إذا كان جامعاً للمناقب وخصال الخير، فهو متكامل الأوصاف.

بينما يقال: «رجل تام» إذا كان غير ناقص الطول، فـ «تم» تشعر بحصول نقص قبل التمام، و«كمل» لا تشعر بذلك(2).

ومما يشعر بوجود الفرق بينهما أنهما جاءا متعاطفين فى قوله تعالى: **﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا﴾**(3).

والقاعدة تقول: إن العطف يقتضى المغايرة، تغليباً للتأسيس على التأكيد.

يقول أبو هلال العسكرى: (الكمال) اسم لاجتماع أبعاض الموصوف به.. و(التمام) اسم للجزء والبعض الذى يتم به الموصوف بأنه تام. ولهذا قال

---

(1) سورة البقرة: ١٩٦.

(2) انظر: الفروق اللغوية، للشايع، ص ٢٦، والبرهان الكاشف عن إعجاز القرآن، ٩١، ٩٢، تحقيق د. خديجة الحديثي ود. أحمد مطلوب، ط١، ١٣٩٤، مطبعة العاني، بغداد. والبرهان في علوم القرآن للزركشي، ٤/ ٨٤، ٨٥، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، ١٩٥٧م. والإتقان في علوم القرآن للسيوطي، ١/ ١٩٥، ط٣، المكتبة الثقافية، بيروت، ١٣٧٠هـ.

(3) سورة المائدة: ٣.

أصحاب النظم: القافية تمام البيت، ولا يقال كمال البيت، ويقولون: البيت بكماله أى باجتماعه، والبيت بتمامه أى بقافيته. ويقال: هذا تمام حقك للبعض الذى يتم به الحق، ولا يقال: كمال حقك(١).

وعلى أساس هذا الفارق -والله أعلم- أوثرت لفظة «الإكمال» مع الدين، وذلك للدلالة على أن أصل هذا الدين بمعنى الإسلام أو عقيدة التوحيد هو أساس ثابت لا يحتمل زيادة أو نقصاً فى كل الأديان والشرائع السماوية **﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾**(٢).

ذكر ابن عباس والسدى فى تفسير المراد بإكمال الدين من أنه: «اليوم أكملت لكم حدودى وفرائضى وحلالى وحرامى بتنزيل ما أنزلت، وبيان ما بينت لكم، فلا زيادة فى ذلك ولا نقصان فيه بالنسخ بعد هذا اليوم»(٣).

ولعل مما يؤيد هذا الرأى أن سورة المائدة التى نزلت فيها تلك الآية الكريمة قد جاءت حافلة بتشريع الأحكام فى التحليل والتحريم والغسل والطهارة والسرقة والقصاص والخمر وما إلى ذلك من أحكام، هذا فضلاً عن أن الآية التى نحن بصددها قد صدرت بالنص على بعض ألوان التحريم **﴿حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير..﴾**.

ولعل مما يؤيده -أيضا- تخصيص الإكمال بالمخاطبين من المسلمين، ثم إضافة الدين إلى الضمير العائد عليهم ﴿لكم دينكم﴾، ففى هذا وذاك دليل على أن متعلق الإكمال ليس هو أصل الدين الثابت فى كل الشرائع السماوية، بل هو ما قررته تلك الشريعة الخاتمة من أصول التشريع والأحكام التى لا تقبل زيادة ولا نسخاً.

أما العدول عن لفظ الإكمال إلى لفظ الإتمام فى الآية الكريمة فذلك لأن متعلق الإتمام هو النعمة التى ظفر بها المسلمون تدريجياً، حتى أوفت على غايتها عند نزول تلك الآية التى ذكر المفسرون أنها قد نزلت يوم عرفة فى

---

(١) انظر: الفروق في اللغة، لأبي هلال العسكري، ص٢٥٨، والفروق اللغوية للشايع، ص٢٦٠.

(٢) سورة آل عمران: ١٩.

(٣) انظر: روح المعاني للألوسي، ٦/ ٦٠، دار إحياء التراث العربي، بيروت. وتفسير البيضاوي، ٢/ ١٣٥، مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع، بيروت. والكشاف للزمخشري، ١/ ٣٢٣، وتفسير أبو السعود، ٣/٧، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

حجة الوداع والنبى ﷺ بعرفات[1].

ونحن بذلك نرجح الرأى القائل فى تفسير النعمة بأنها نعمة ظهور الدين، ونصر المسلمين على أعدائهم، وأن تمامها كان بفتح مكة ودخولهم لها آمنين ظاهرين.

ولعل مما يدعم هذا الرأى قوله سبحانه قبل ذلك فى الآية ذاتها، مخبراً عما آل إليه الأمر الكفار من قهر وإذلال: **﴿اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون﴾**.

وبناء على ذلك نقول: إن فى العدول عن لفظ الإكمال إلى لفظ الإتمام فى ﴿وأتممت عليكم نعمتى﴾ لفتاً للمسلمين إلى تذكر فضل الله سبحانه فى هذا النصر المظفر الذى نالوه بعد أن كان مجرد أمنيات تجول فى خواطرهم وتتطلع إلى تحققها نفوسهم[2].

(١) انظر: أسباب النزول للسيوطي، ١٢٦/ ١٢٧. وبصائر ذوي التمييز للفيروز آبادي. ١/ ١٧٨، تحقيق محمد علي النجار والطحاوي، ط. المجلس الأعلي للشؤون الإسلامية، القاهرة ١٩٦٣م.

(٢) انظر: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية ص١٦١، د. حسن طبل، دار الفكر العربي، القاهرة ١٤١٨هـ- ١٩٩٨.

الأكل - الافتراس

فى سورة يوسف التى وصفها الله عزوجل بأحسن القصص، قال الله تعالى فى مشهد من مشاهد هذه القصة الخالدة: ﴿قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين﴾(1).

والذى يلفت النظر فى هذه الآية الكريمة أن الله عزوجل قال: ﴿فأكله﴾ ولم يقل «فافترسه»، والشأن فى هذه السباع أن تفترس، ونحن نقول: سباع مفترسة ولا نقول: سباع آكلة.

والوصف الذى يناسب السباع من أسود ونمور وذئاب وفهود وضباع أنها مفترسة.

على حين نقول: خراف تأكل الحشيش، وكذا الأبقار والإبل.

جاء فى لسان العرب: فرس الشئ فرساً: دقه وكسره، وافترس الدابة أخذها فدق عنقها، والأصل فى الفرس (بسكون الراء) دق العنق، ثم كثر حتى جعل كل قتل فرساً وافترسه صاده، ومثل ذلك ورد فى «القاموس المحيط» من المعاجم.

فالافتراس إذن القتل بقصد الأكل، ولكنه ليس الأكل التام الذى لا يبقى من الفريسة أى أثر.

أما الأكل فهو مضغ الطعام وبلعه، يقال: أكلته النار أفنته.

فاللغة -إذن- تفرق بين دلالة الأكل والافتراس، فإذا حملنا هذ الفرق فى الدلالة ونظرنا فى قصة يوسف عليه السلام علمنا أى إعجاز هذا الذى تصنعه آيات القرآن الكريم.

إن إخوة يوسف أضمروا أن يلقوا يوسف فى غيابة الجب، ليلتقطه بعض السيارة ويذهبوا به بعيداً عنهم وعن أبيهم حتى يخلو لهم وجه أبيهم، وهذا لا يتسنى لهم إلا إذا تخلصوا من يوسف نهائياً، ولذلك اختلقوا قصة أكل الذئب له، ولكى لا يبقى منه أى أثر يدل على فعلتهم قالوا لأبيهم: ﴿أكله الذئب﴾ وأتى على جميع أجزائه وأعضائه، فلم يترك مفصلاً ولا عظماً. ولو

(1) سورة يوسف: 17.

قالوا: افترسه الذئب، أى قتله ونهشه وأكل شيئاً من جسده، لطالبهم أبوهم بجثته.

ولذلك كشف الله عزوجل حقيقتهم، وبيّن بكلمة واحدة الخطة الخبيثة التى رسموها وحديث النفس الذى بيتوه، ولذلك قال: ﴿فأكله الذئب﴾، لكى يبين أنهم لا يريدون أن يبقى منه أى أثر، ولكى يبرهنوا على ذلك جاءوا على قميصه بدم كذب، وليتهم لم يفعلوا، لأن هذا الفعل كان أصدق شاهد على كذبهم.

ويروى أن يعقوب عليه السلام عندما شاهد القميص المضمخ بالدم قال: «ما ألطف هذا الذئب، يأكل ابنى دون أن يمزق قميصه!» وفى الآية الكريمة وصف لدخائل نفوسهم، إذ تقول على لسانهم: ﴿وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين﴾، فما الذى دعاهم إلى هذا القول؟ دعاهم إلى هذا القول يقينهم بأنهم كاذبون وخوفهم من أن يكشف أبوهم حقيقة كيدهم.

وهذا يشبه ما نقوله الآن: «كاد المريب أن يقول خذونى»[(١)].

وهكذا تتجسد عظمة الاختيار القرآنى ودقته فى كونه عمود بلاغة القرآن، بحيث إذا أبدل اللفظ بغيره تبدل المعنى المقصود، أو ذهب الرونق الذى يكون معه سقوط البلاغة كما قال الخطابى[(٢)].

---

(١) انظر: شواهد في الإعجاز القرآني، د. عودة أبو عودة، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، دار عمار، الأردن، ص١٣٣، ١٣٤.

(٢) انظر: إعجاز القرآن الكريم (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، ص٢٦.

الحياة - الحيوان

فى قول الحق تبارك وتعالى فى سورة العنكبوت: ﴿وما هذه الحياة الدنيا إلا لعب ولهو وإن الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون﴾[1].

الحياة والحيوان بمعنى واحد، إذ إن كلا منهما هى مصدر للفعل (حى)، غير أن فى الثانية من المبالغة فى أداء هذا المعنى ما ليس فى الأولى، كما أنها تدل على المراد دلالة لا تصلح لها كلمة أخرى، إذ أن المراد وصف حياة الدار الآخرة بأن ليس فيها إلا حياة مستمرة دائمة خالدة لا موت فيها، فكأنها فى ذاتها حياة، وهذا ما لا تقوم به دلالة كلمة «حياة»، فجاءت كلمة «الحيوان» وفى بنائها زيادة معنى ليس فى بناء الحياة، وهو -كما يقرر بعض المفسرين- ما فى بناء (فعلان) بفتح العين من معنى الحركة والاضطراب كالنزوان والنغصان واللهبان وما أشبه ذلك، والحياة حركة كما أن الموت سكون، فمجيئه على بناء دال على معنى الحركة مبالغة فى معنى الحياة، ولذلك اختيرت على «الحياة» فى هذا الموضع المقتضى للمبالغة»[2]، أى أن هذه الدار من حق الحياة فيها أن تدوم ولا تنقطع، ومن حقها أن يدوم نعيمها بلا بؤس، وأن يتصل بلا مشقة[3].

وقد بين الفخر الرازى وجه الملاءمة بين صيغة الحيوان والحياة الأخروية فقال: «إن هذه الحياة لما كانت فيها الزيادة والنمو كما قال تعالى: ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾[4].

وكانت هى محل الإدراك التام الحق، كما قال تعالى: ﴿يوم تبلى السرائر﴾[5]، أطلق عليها الاسم المستعمل فى النامى المدرك.

فى التحول إلى صيغة «الحيوان» مع الدار الآخرة-إذن- مبالغة فى تحقيق معنى الحياة فى تلك الدار، والإشعار بأنها هى الجديرة بأن تسمى

---

(١) سورة العنكبوت: ٦٤.

(٢) انظر: التفسير الكبير الرازي ١/ ٢١٨، ٢١٩.

(٣) انظر: الكشاف للزمخشري ٣/ ٢١١، ٢١٢، وانظر: الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، د. محمد كريم الكواز، ص٢٧٥.

(٤) سورة يونس: ٢٦.

(٥) سورة الطارق: ٩.

حياة، وقد حفلت الآية الكريمة بما يدعم هذا التحول، ويعمق دلالته على سمو الحياة الأخروية بالقياس إلى الحياة الأولى، نتأمل ذلك فيما يأتى:

- بينما بولغ فى إثبات معانى اللهو واللعب للحياة الأولى بأسلوب القصر (ما - إلا) بولغ فى المقابل فى إثبات معنى الحياة للدار الآخرة بـ «إن والام»، وتعريف طرفى جملة الخبر (لهى الحيوان).
- بينما وردت صيغة الحياة مقيدة بالوصف (الدنيا)، وردت صيغة الحيوان مطلقة بلا وصف، وذلك للإشعار بأن الحياة الأخروية فى تساميها أبعد من أن يحيط بها وصف.
- بينما وقعت صيغة الحياة مبتدأ أخبر عنه باللهو واللعب، وقعت صيغة الحيوان فى جملة الإخبار عن الدار الآخرة، فكأن هذه الدار ليست مجرد وعاء أو مسرح للحياة الأخروية، بل إنها ذاتها حياة.

السنة - العام

فى قوله تعالى فى سورة العنكبوت: ﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً فأخذهم الطوفان وهم ظالمون﴾[1]، جاء تمييز المستثنى بلفظ «العام» لا بلفظ «السنة» الوارد فى تمييز المستثنى منه، وكل من اللفظين يدل على معنى الحول، فما سر المخالفة بينهما فى الآية الكريمة؟

ذكر بعض المفسرين[2] أن السر هو تحاشى تكرار لفظ (السنة)، لأن تكرير اللفظ الواحد فى الكلام الواحد حقيق بالاجتناب فى البلاغة إلا لغرض ينتحيه المتكلم من تفخيم أو تهويل أو تنويه أو نحو ذلك.

وهذا الرأى لا يكفى، إذ لو كان الغرض تجنب تكرار لفظ (السنة) لقيل «فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين»، بحذف تمييز المستثنى استغناء بذكره فى المستثنى منه[3].

والحق أن العدول عن لفظة (السنة)، إلى لفظة (العام) فى تلك الآية، أو إيثار إحداهما دون الأخرى فى غيرها من الآيات مرده إلى خصوصية كل منهما فى الدلالة على معنى الحول، حيث تختص (السنة) -كما تقول المعاجم[4]- بالحول الذى يكون فيه الجدب أو الشدة، ويختص (العام) بما فيه الخصب والرخاء، ولهذا أوثرت لفظة (السنة) فى قوله ﷺ: «اللهم أعنى على مضر بالسنة»، وقوله فى حديث الدعاء على قريش: «اللهم أعنى عليهم بسنين كسنى يوسف».

وأوثرت لفظة (العام) فى قوله سبحانه: ﴿ثم يأتى من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون﴾[5].

ولعل مما يدعم هذه التفرقة بين الفظتين كذلك إيثار لفظ (العام) فى بيان مدة الفصال حيث براءة الطفولة والبعد عن معاناة الحياة فى قوله سبحانه:

---

(١) سورة العنكبوت: ١٤.

(٢) انظر: الكشاف للزمخشري ٣/ ١٨٦. وتفسير أبو السعود ٧/ ٣٣. والبحر المحيط لأبي حيان ٧/ ١٤٥، ط٢ دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٣. وتفسير البيضاوي ٤/ ١٢٦.

(٣) انظر: بصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي ٣/ ٢٦٩.

(٤) انظر: لسان العرب لابن منظور. والقاموس المحيط للفيروزآبادي. والمفردات للراغب الأصفهاني ٣٤٥، ٣٥٤.

(٥) سورة يوسف: ٤٩.

﴿حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين﴾[1].

وإيثار لفظ «سنين» فى إخباره سبحانه عن عقاب آل فرعون: ﴿ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات﴾[2]. وفى قوله عزوجل على لسان يوسف عليه السلام فى بيان مدة الكدح والمجاهدة فى الزرع: ﴿قال تزرعون سبع سنين دأبا﴾[3]، ثم إيثار لفظة (سنة) فى ذكر مقدار يوم القيامة، حيث الإحساس بشدة هذا اليوم وضراوة وطأته على النفوس فى مثل قوله سبحانه: ﴿وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾[4].

فى ضوء هذه التفرقة بين السنة والعام، تكون نكتة المخالفة بينهما فى الآية الكريمة هى الإيحاء بأن نوحاً عليه السلام قد قاسى ما قاسى من قومه فى تلك الحقبة الطويلة التى استغرقتها دعوته إياهم، والتى بلغت تسعمائة وخمسين سنة، أما المدة المستثناه فهى التى جاءه فى صدرها الغوث والفرج بإهلاكهم غرقاً ونجاته ومن معه من المؤمنين[5].

وفى ذلك إبراز للبون الشاسع بين مدة ابتلاء نوح عليه السلام بقومه، ومدة رخائه بعد هلاكهم، وهو بذلك يؤدى دوره فى تسليه نبينا ﷺ وتثبيت قلبه فى مواجهة ما كان يلقاه من عنت الكفار والمشركين[6].

وهناك فرق آخر وهو أن (السنة) تستعمل أكثر ما تستعمل فى السنة الشمسية، بينما يستعمل (العام) للقمرية، ونحن نعلم أن بينهما أحد عشر يوماً تقريباً.

ومن هنا فلا عجب أن تدهشنا روعة التعبير القرآنى فى اختيار الكلمات، حيث ذكرت «السنة» فيما قضاه نوح عليه السلام، وذكرت كلمة «العام» بجانب المدة التى استثنيت من ذلك، وفى هذا تصوير لما عاناه عليه الصلاة والسلام من شدة فى الأمر، ومقارعة لأعداء الله، وطول أمد، وإذا تدبرنا كتاب الله تعالى فإننا لن نجد أى كلمة منه تشبه غيرها، فضلاً عن أن تسد مسدها[7].

---

(١) سورة لقمان: ١٤. (٢) سورة الأعراف: ١٣٠.

(٣) سورة يوسف: ٤٧. (٤) سورة الحج: ٤٧.

(٥) انظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي ٣/ ٣٨٦. وروح المعاني للألوسي ٢٠/ ١٤٣.

(٦) انظر: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، د. حسن طبل، ص١٥٩، ١٦٠. ط دار الفكر، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م. القاهرة.

(٧) انظر: إعجاز القرآن الكريم، د. فضل عباس، وسناء فضل عباس، ص١٧٩، ط. دار الفرقان، الأردن.

الخشية- الخوف

لا يكاد كثير من الناس يفرق بين الخشية والخوف، مع أن بينهما أكثر من فرق، منها:

- الخشية أعلى مرتبة من الخوف، وهى أشد الخوف، فإنها مأخوذة من قول العرب: شجرة خشية إذا كانت يابسة، وذلك فوات بالكلية، فهى ميتة.

والخوف مأخوذ من قولهم: ناقة خوفاء، إذا كانت مريضة بها داء، وهذا نقص وضعف وليس بفوات. ولذا خصت الخشية بالله فى كثير من الآيات: **﴿ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب﴾**(١).

- الخشية خوف مشوب بتعظيم المخشى، صادر عن علم ويقين صادق ومعرفة بعظمته حتى وإن كان الخاشى قوياً(٢)، ولذلك خص العلماء بالخشية فى قوله تعالى: **﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾**(٣). وفى الحديث قوله ﷺ: «فوالله لأنا أعلمهم بالله وأشدهم له خشية»(٤).

وخشية الله منزلة رفيعة يختص بإدراكها فئة معينة من الناس، هم العلماء وأولوا العقول والألباب من المؤمنين والمتبعين للذكر، ومن الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه(٥).

والخوف يكون غالباً من ضعف الخائف وإن كان المخوف أمراً يسيراً وشيئاً هيناً، كما قد يكون عن تسلط بالقهر والإرهاب، قال تعالى: **﴿يا موسى لا تخف إنى لا يخاف لدى المرسلون﴾**(٦).

قيل: أى لا يكن عندك من ضعف نفسك ما تخاف منه من فرعون(٧)،

---

(١) سورة الرعد: ٢١.

(٢) انظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي ٤/ ٧٨. ومفردات الراغب ص٢١٣. والبرهان من الكاشف للزملكاني ص٩١، والكليات لأبي البقاء ص٣١٧.

(٤) سورة فاطر: ٢٨.

(٤) انظر صحيح مسلم بشرح النووي ١٥. ١٠٦. وأخرجه أحمد في مسنده ٦/ ٤٥، ١٨١.

(٥) انظر: الفروق اللغوية لشايع ٢٦٧.

(٦) سورة النمل: ١٠.

(٧) انظر: البرهان للزركشي ٤/ ٧٨. والإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، د. بنت الشاطئ ص٢٠٩، ط دار المعارف بمصر.

وضد الخوف الأمن، قال تعالى: ﴿وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً﴾[1].

ويدل لذلك أن «الخاء والشين والياء» في تقاليبها تدل على العظمة نحو «شيخ» للسيد الكبير، و«خيش» لما غلظ من الثياب. ولذا وردت الخشية غالباً في حق الله تعالى: ﴿وإن منها لما يهبط من خشية الله﴾[2].

وهذا الوجه هو الذى اقتصر عليه الراغب الأصفهانى حيث قال: «الخشية خوف يشوبه تعظيم، وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه».

- الخشية هى الخوف فى محل الأمل، قال السيد رشيد رضا: «فإن كان بين الخوف والخشية فرق فالأقرب عندى أن تكون الخشية هى الخوف فى محل الأمل، ومن دقق النظر فى الآيات التى ورد فيها حرف الخشية يجد هذا المعنى فيها.

ولعل أصل الخشية مادة خشت النخلة تخشو، إذا جاء ثمرها دقلاً (رديئاً) وهى مما يرجى منها الجيد.

وقول ربنا سبحانه وتعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾، يشهد لما قاله صاحب المنار، ومن أحق من العلماء بهذا الخوف وبذلك الأمل، ولا يتنافى مع ما قاله الراغب من أن الخشية خوف يشوبه التعظيم، والعلماء حقيقون بهذا التعظيم حريصون عليه.

كذلك قوله سبحانه: ﴿فلا تخشوهم واخشونى﴾[3]. وقوله عزوجل: ﴿أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين﴾[4].

- ومما يدل على الفرق بين لفظتى «الخشية» و «الخوف» أنهما جاءا متعاطفين، والأصل أن العطف يقتضى المغايرة قال تعالى: ﴿والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب﴾[5]. وقال سبحانه: ﴿فاضرب لهم طريقاً فى البحر يبساً لا تخاف دركاً ولا تخشى﴾[6]. وقال عزوجل: ﴿وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم﴾[7].

(١) سورة النور: ٥٥.
(٢) سورة البقرة: ٧٤.
(٣) سورة البقرة: ١٥٠.
(٤) سورة التوبة: ١٣.
(٥) سورة الرعد: ٢١.
(٦) سورة طه: ٧٧.
(٧) سورة النساء: ٩.

وَمما يلاحظ في البيان القرآني المعجز النهي عن الخوف والحزن معاً، والنفي لهما جميعاً في سبعة عشر موضعاً من القرآن الكريم منها قوله سبحانه: **﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا﴾**(١)، وقوله سبحانه: **﴿فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين﴾**(٢)- وهو ما لم يرد ذكره مع الخشية- مما يوحي باختلاف الخشية عن الخوف وقيام فروق دقيقة بينهما، يشير إليها الاستعمال القرآني الكريم لهما، فكأن الخوف قرين الحزن، وأن مشاعرهما تختلط في أغلب الأحيان، فكأنك لم تخف إلا حين رأيت بوادر ما تكره وقوعه، وتخاف ضرره وتحزنك آثاره، فكأن الخوف لا يدفع الضرر(٣). وكما يقول أبو البقاء: «فالخوف علته المتوقع، والحزن علته الواقع»(٤).

أما إذا خشيت فإنك غالباً تتقي مصير ما تخشى: **﴿ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون﴾**(٥).

---

(١) سورة فصلت: ٣٠. (٢) سورة القصص: ٧.

(٣) انظر: الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن الكريم، د. محمد بن عبد الرحمن الشايع، ص٢٦٧- ٢٧٠.

(٤) انظر: الكليات لأبي البقاء الحسني، ص٣١٧، مطبعة العامرة، ١٢٧٨هـ.

(٥) سورة النور: ٥٢.

القعود- الجلوس

من أسرار العربية أن «القاف والعين والدال» تدل على اللبث والثبات، فمنها لفظة (قعد) التى تستعمل لما فيه لبث وطول مكث. ومنها (العقد) الذى يستعمل لعقدة النكاح، و(العقيدة) وهى قضايا ثابتة. ومن هذا المفهوم جاءت تسمية المرأة الكبيرة فى السن التى قعدت عن الحيض والتزوج (قاعد) وجمعها (قواعد)و لأنها غالباً تكون قعيدة البيت لا تبرحه ولا تتحول عنه، قال تعالى: **﴿والقواعد من النساء اللاتى لا يرجون نكاحا﴾**(١).

وفى معنى اللبث والبقاء يقول تعالى: **﴿فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون﴾**(٢).

أما «الجيم واللام والسين» فعلى العكس من ذلك، ففيها الحركة، ومنه «السجل» للشئ المتحرك الذى لا يبقى عند صاحبه. ومن هنا يقال: جليس الملك، ولا يقال: قعيده، إذ إن من حسن أدب الجليس عدم المكث الطويل مراعاة وتقديراً لمختلف الأحوال، بينما الجلوس يدل على سرعة التحول والتغير، قال تعالى: **﴿وإذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس فافسحوا يفسح الله لكم﴾**(٣) فلفظة «المجالس» هنا أنسب وأدق من لفظة «المقاعد»(٤).

والمتأمل لآى القرآن الكريم واستعمال هاتين الكلمتين يدرك روعة العربية من جهة وإعجاز الكتاب الخالد من جهة ثانية، فالقعود إنما يستعمل لما فيه لبث وطول مكث أما الجلوس فيستعمل فيما ليس كذلك، ولهذا يقال: قواعد البيت، ولا يقال: جوالسه. قال تعالى: **﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل﴾**(٥).

أما فى قوله تعالى عن مصير المتقين فى الآخرة **﴿إن المتقين فى جنات ونهر فى مقعد صدق عند مليك مقتدر﴾**(٦)، فهو يدل على إكرام الله للمتقين، فطول الجلوس والإقامة فى هذا المقام من أكبر النعم للمؤمنين، ولهذا كانت لفظة (مقعد) فى الآية أصدق وأدق وأبلغ من «مجلس».

---

(١) سورة النور: ٦٠.
(٢) سورة المائدة: ٢٤.
(٣) سورة المجادلة: ١١.
(٤) انظر: الفروق اللغوية للشايع، ص٢٨٨.
(٤) سورة البقرة: ٢٧.
(٥) سورة القمر: ٥٤- ٥٥.

وملحظ اختصاص القعود باللبث وطول المكث دون الجلوس ليس من باب المبالغة أو المغالاة والشطط، بل إنه ليجعلنا نتفهم بلاغة القرآن الكريم في قوله تعالى: **﴿إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد. ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾**[1].

فمنها نفهم أن الملكين ملازمان للإنسان ملازمة دائمة، يراقبانه ويكتبان عنه كل ما يتلفظ به، وأنهما ليسا جليسين يلمان بالإنسان على عجل، ثم يدعانه وشأنه، إضافة إلى ما في لفظة ﴿قعيد﴾ من معنى الترصد والترقب، وبهذه الملازمة والحرص يكون إحصاء ما على الإنسان وما له في غاية الكمال والشمول.

- فرق آخر أن في «قعد» معنى ليس في «جلس» ألا ترى أنا نقول: قام ثم قعد، وأخذه المقيم والمقعد، وقعدت المرأة عن الحيض، ثم تقول: كان مضجعاً فجلس، فيكون القعود عن قيام، والجلوس عن حالة هي دون الجلوس. لأن الجلس المرتفع، والجلوس ارتفاع عما هو دونه[2].
- فأصل الجلس: الارتفاع في الشئ[3]، وجلس في أصلها أن يقصد بمقعده جلساً من الأرض، جاء في المصباح المنير: «الجلوس غير القعود، فإن الجلوس هو الانتقال من سفل إلى علو، والقعود هو الانتقال من علو إلى سفل، فعلى الأول يقال لمن هو نائم أو ساجد: اجلس، وعلى الثاني: يقال لمن هو قائم: اقعد»[4].

يؤيد هذا المفهوم ما جاء في حديث النبي ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر (ثلاثاً) ؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، ثم جلس وكان متكئاً فقال: ألا وقول الزور، فمازال يكررها حتى قلنا: ليته

(١) سورة ق: ١٧- ١٨.

(٢) انظر: الصاحبي لابن فارس، ص٩٦، تحقيق مصطفي الشويمي، مؤسسة بدران للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٤م. والمزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي، ١/ ٤٠٤، شرح جاد المولي وآخرين، ط٤، عيسي الحلبي، مصر.

(٣) انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس، ١/ ٤٧٣، تحقيق عبد السلام هارون، ط١، دار إحياء الكتب العربي، عيسي الحلبي، القاهرة ١٣٦٦هـ.

(٤) انظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للفيومي، ١/ ١٢٨، المطبعة الأميرية، دا الكتب العلمية، بيروت ١٣٩٨هـ. وانظر : الكليات لأبي البقاء، ص٥٢٦.

سكت»[1].

يقول ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: «يقال: جلس الرجل جلوساً، وذلك يكون عن نوم واضطجاع، وإذا كان قائماً كانت الحال التي تخالفها القعود، يقال: قام وقعد»[2].

وبهذا تتضح دقة الراغب الأصفهاني في تعريفه للقعود بالمقابلة، حيث يقول: «القعود يقابل به القيام»[3]، وقد جاء تقابلهما في القرآن الكريم في أكثر من آية، قال تعالى: ﴿فاذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم﴾[4]، وقال سبحانه: ﴿والذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم﴾[5]، وقال عزوجل: ﴿وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً﴾[6].

وحديث نافع عن عبد الله قال: «كان النبي ﷺ يخطب خطبتين يقعد بينهما»[7]. ويمكن أن نفهم أن الخطبة في حال القيام من قوله (يقعد بينهما)، إذ القعود لا يكون إلا عن قيام، وهذه إحدى فوائد الفروق بين الألفاظ، وتحري الدقة في تحديد معانيها.

(١) أخرجه البخاري، فتح الباري، ٥/ ٥٦١.
(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة، ١/ ٤٧٣.
(٣) انظر: مفردات الراغب، ص٦١٧.
(٤) سورة النساء: ١٠٣.
(٥) سورة آل عمران: ١٩١.
(٦) سورة يونس: ١٢.
(٧) أخرجه البخاري، فتح الباري، ٢/ ٤٠٦.

البحر - اليم

فى قول الله تبارك وتعالى فى سورة طه: **﴿ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادى فاضرب لهم طريقاً فى البحر يبساً لا تخاف دركاً ولا تخشى. فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم﴾**[١].

عدول عن لفظة «البحر» إلى لفظة «اليم»، ومعلوم أن المراد بالبحر فى الآية الأولى هو بعينه المراد باليم فى الثانية، فما هو -إذن- وجه المخالفة بينهما فى هذا السياق؟

تقول معاجم اللغة فى مادة (ب، ح، ر): أصل البحر كل مكان واسع جامع للماء الكثير، والعرب تسمى كل نهر واسع بحراً، وسموا كل متوسع فى شئ بحراً، فقالوا: فرس بحر باعتبار سعة جريه، وقال عليه الصلاة والسلام فى فرس ركبه: وجدته بحراً. وللمتوسع فى علمه بحراً، والتبحر فى العلم التوسع، وبملحظ من هذه السعة قيل: بحرت كذا أى أوسعته سعة البحر تشبيهاً به، والبحر عند العرب -أيضا- الشق، ومنه بحرت البعير، أى شققت أذنه شقاً واسعاً.

وتقول فى مادة (ى -م -م): اليم البحر، وزاد الليث: الذى لا يدرك قعره ولا شطاه وقيل: اليم هو لجة البحر، ويممه: قصده، وتيممته برمحى: قصدته، واليمامة: القصد، ويم (بالضم) فهو ميموم: طرح فى البحر، ويم الساحل يماً إذا غلبه البحر وغطاه فطما عليه[٢].

وفى ضوء ذلك نستطيع القول بأن لفظتى البحر واليم وإن دلتا على معنى واحد فإن لكل منهما مساربها الدلالية أو دائرتها الإيحائية الخاصة التى تتمايز بها من الأخرى، فبينما ترد الأولى بملحظ من معنى السعة أو الشق، ترد الثانية بملحظ من الدلالة على الطرح أو القصد أو القهر.

ومن ثم -والله أعلم بمراده- كان إيثار الأولى مع نعمة الإنجاء، ثم

---

(١) سورة طه: ٧٧- ٧٨.

(٢) انظر في المادتين: لسان العرب والقاموس المحيط وتاج العروس ٣/ ٢٧، والمفردات ٣٧.

العدول عنها إلى الثانية مع نقمة الإغراق، إذ بهذا وذاك تبرز ملامح المعجزة التى تحققت لموسى عليه السلام فى هذا الموقف، أعنى معجزة المفارقة بين مصيرين متناقضين فى مكان مائى واحد، ينفسح لفريق وينشق لهم طريقاً مطمئناً يدرجون عليه آمنين، وينغلق على فريق آخر فيتعمدهم دون الأولين بالهلع، ويطرحهم فى لجته الهائجة جثثاً هامدة.

ولعل مما يجلى هذا التمايز بين اللفظتين أن نشير إلى أن لفظة «البحر» قد وردت فى ثلاثة وثلاثين موطناً من القرآن الكريم، وبتأمل سياقاتها فى تلك المواطن نجد أنها تدور- فى الأغلب الأعم- حول تذكير الإنسان بما أسبغه المولى سبحانه عليه من نعم.

من ذلك قوله تعالى: ﴿**ألم تر أن الفلك تجرى فى البحر بنعمة الله**﴾[١]. وقوله سبحانه: ﴿**أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم وللسيارة**﴾[٢]، وقوله عزوجل: ﴿**هو الذى يسيركم فى البر والبحر**﴾[٣]، وقوله سبحانه: ﴿**وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم**﴾[٤].

أما لفظة «اليم»، فقد وردت ثمانى مرات فى القرآن الكريم، كلها فى سياق قصة موسى عليه السلام، كان اليم فى خمس منها أداة نقمة ووسيلة هلاك، كما هو فى الآية التى نحن بصددها، وأيضا قوله سبحانه فى آل فرعون: ﴿**فانتقمنا منهم فأغرقناهم فى اليم**﴾[٥]، وقوله تعالى عن فرعون: ﴿**فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم**﴾[٦]. وقول سبحانه فى خطاب السامرى: ﴿**وانظر إلى إلهك الذى ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه فى اليم نسفا**﴾[٧]. أما الثلاث الأخرى فقد وردت فى خطاب أم موسى عليه السلام فى موطنين هما قوله تبارك وتعالى: ﴿**أن اقذفيه فى التابوت فاقذفيه فى اليم فليلقه اليم بالساحل**﴾[٨]. وقوله سبحانه: ﴿.. **فإذا خفت عليه فألقيه فى اليم**

(١) سورة لقمان: ٣١. (٢) سورة المائدة: ٩٦.
(٣) سورة يونس: ٢٢. (٤) سورة البقرة: ٥٠.
(٥) سورة الأعراف: ١٣٦. (٦) سورة القصص: ٤٠، والذاريات: ٤٠.
(٧) سورة طه: ٩٧. (٨) سورة طه: ٣٩.

ولا تخافى ولا تحزنى﴾[1].

فالشأن فيما ذكر بلفظ «اليم» أن يكون وسيلة إهلاك، ومن ثم فإن فى إيثار هذا اللفظ فى الآيتين إبرازاً لوجه المعجزة التى اختص الله بها نبيه موسى عليه السلام، حيث شاءت إرادته عزوجل أن يغدو اليم المهلك فى العادة له عليه السلام خاصة وسيلة نجاة، كما شاءت أن تكون النار التى من شأنها الإحراق برداً وسلاماً على إبراهيم عليه السلام.

بقى أن نشير إلى أن كلاً من لفظتى البحر واليم فى القرآن الكريم قد تواردت– معجمياً– مع قائمة من الألفاظ التى لم تتوارد معها الأخرى، فبينما تواردت البحر مع ألفاظ من مواد: (الإنجاء، الصيد، التكريم، المتاع، الاهتداء، التسخير، النعمة) تواردت اليم مع ألفاظ من مواد: (الانتقام، القذف، الإلقاء، النسف، النبذ)، وفى هذا التمايز الجلى بين القائمتين ما يدعم القول بأن هاتين اللفظتين وإن دلتا على معنى واحد فإن لكل منهما ظلالها الإيحائية الخاصة التى جعلتها أكثر من الأخرى ملاءمة لموقعها من سياق الآية الكريمة[2].

---

(١) انظر: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، د. حسن طبل، ص١٦٦، ١٦٧.

(٢) سورة القصص: ٧.

النصيب - الكِفل

قال تعالى في سورة النساء: ﴿**من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وكان الله على كل شيء مقيتا**﴾[1].

الآية الكريمة -كما ترى- قد آثرت لفظة «النصيب» مع الشفاعة الحسنة، ثم عدلت عنها إلى لفظة «الكفل» مع الشفاعة السيئة، مع أن الكفل -معجمياً[2]- هو النصيب، فما السر في ذلك؟

بداية نود أن نشير إلى أن هذا العدول ليس لمجرد التفنن -كما ذكر بعض المفسرين- وإنما هو لأن لفظة «الكفل» لها من الظلال الدلالية والإيحاءات السياقية الخاصة ما تفترق بها عن لفظة «النصيب»، وما تجعلها أكثر منها مواءمة للدلالة على مردود الشفاعة السيئة.

- فالكفل -كما ذكر الفخر الرازي[3]- اسم للنصيب الذي يكون عليه اعتماد الناس، وإنما يقال: كفل البعير، لأنك حميت ظهر البعير عن الآفة، وحمى الراكب بدنه بذلك الكساء عن ارتماس ظهر البعير فيتأذى به.. فإذا ثبت هذا فنقول: قوله: ﴿**ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها**﴾، أي يحصل له منها نصيب يكون ذلك النصيب ذخيرة له في معاشه ومعاده، والمقصود حصول ضد ذلك.. والغرض منه التنبيه على أن الشفاعة المؤدية إلى سقوط الحق وقوة الباطل تكون عظيمة العقاب عند الله تعالى.

وفي بيان المراد بكل من الشفاعتين ذكر المفسرون أن الحسنة منهما هي ما يراعى بها حق المسلم فيجلب بها إليه نفع، أو يدفع عنه ضر ابتغاء لوجه الله تعالى، وأن السيئة ما كانت بخلاف ذلك[4].

- والكفل -كما ذكر الراغب- مشتق من الكَفَل (بمعنى عجز الدابة) الذي

---

(١) سورة النساء: ٨٥.

(٢) انظر: لسان العرب لابن منظور، والقاموس المحيط للفيروزآبادي.

(٣) انظر: التفسير الكبير للرازي، ١/ ٢١٢.

(٤) انظر: الكشاف ١/٢٨٦. وتفسير البيضاوي ٢/ ١٤، وتفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) ٥/ ٢٩٥، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٦٧م. وتفسير أبو السعود ٢/٢١.

أصبح لكونه مركباً ينبو براكبه متعارفاً في كل شدة كالسيساء، وهو العظم الناتئ من ظهر الحمار، يقال: لأحملنك على الكفل وعلى السيساء، وبملحظ من هذا الأصل الاشتقاقي يقول الراغب في بيان وجه العدول عن النصيب إلى الكفل في الآية:

إن المعنى هو: من ينضم إلى غيره معيناً له في فعلة حسنة يكون له منها نصيب، ومن ينضم إلى غيره معيناً له في فعلة سيئة يناله منها شدة[1].

ولفظة «الكفل» كما تدل -معجمياً- على معنى «النصيب» تدل كذلك على معان أخرى تنعكس ظلالها -ضرورة- على دلالتها في الآية الكريمة، وتوحي ببعض أسرار العدول إليها:

- فمن معاني الكفل: المثل المساوى: وبملحظ من هذا المعنى ذكر بعض المفسرين أن في العدول إليها في الآية إشعاراً بالمماثلة بين الفعل ورد الفعل في الشفاعة السيئة، فاختيار النصيب أولاً لأن جزاء الحسنة يضاعف، والكفل ثانياً أن من جاء بالسيئة لا يجزى إلا مثلها، ففي الآية إشارة لطيفة إلى لطف الله بعباده[2].

- ومن تلك المعاني -أيضاً- الكفيل أو الضامن، وفي ضوء هذا المعنى رتب غير واحد من المفسرين القول بأن في العدول إلى تلك اللفظة مع الشفاعة السيئة دلالة على حتمية عود المردود السيئ على صاحب تلك الشفاعة، وإشعاراً بأنه إذ يقدم على إقحام نفسه في تلك الشفاعة يتكفل بجرائرها.

بهذه الظلال والإيحاءات -إذن- كان للفظة «الكفل» مجالها الدلالي الخاص الذي تتمايز به من لفظة «النصيب»، وتتواءم دونها بمقتضاه مع الشفاعة السيئة، وهذا التمايز هو ما أومأ إليه أبو حيان عند تفسيره للمغايرة بين اللفظتين في الآية الكريمة، وذلك حين قال:

«إن الكفل أكثر ما يستعمل في الشر، وهو ما يتجلى بوضوح في المواطن القرآنية التي وردت فيها لفظة النصيب، إذ أنها لم ترد في الأعم الأغلب من هذه المواطن إلا مقترنة بالخير أو بما يرجى منه خير[4].

(١) انظر: المفردات ٤٣٦. وبصائر ذوي التمييز ٤/ ٣٦٧.
(٢) انظر: روح المعاني للألوسي ٥/ ٩٨.
(٣) انظر: البحر المحيط ٣/ ٣٠٩.
(٤) انظر: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، د. حسن طبل، ص١٦٤،١٦٥.

الحلف - القسم

لم يفرق الناس قديماً وحديثاً بين الحلف والقسم فى كلامهم، فقد استخدم الأدباء كلمتى «حلف وأقسم» وفق ما يسبق إلى ألسنتهم أو يوافق أوزانهم.

هذا زهير بن أبى سلمى يقول:

فأقسمت بالبيت الذى طاف حوله ... رجال بنوه من قريش وجُرهم

وهذا النابغة الذبيانى يقول فى موقف الاعتذار للملك، وهو موقف يحرص المرء أن يبدو فيه صادقاً كل الصدق:

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة ... وليس وراء الله للمرء مذهب(١)

وقد فرق أبو هلال بين الحلف والقسم فقال: القسم أبلغ من الحلف، لأن معنى قولنا: أقسم بالله أنه صار ذا قسم بالله، والقسم النصيب، والمراد أن الذى أقسم عليه من المال وغيره قد أحرزه ودفع عنه الخصم بالله.

والحلف من قولك سيف حليف، أى قاطع ماض، فإذا قلت: حلف بالله فكأنك قلت: قطع المخاصمة بالله.

فالأول أبلغ، لأنه يتضمن الآخر مع دفع الخصم، ففيه معنيان، وقولنا «حلف» يفيد معنى واحداً، وهو قطع المخاصمة فقط(٢).

وقد اسقرأت الدكتورة بنت الشاطئ(٣)- رحمها الله- مواضع لفظ «الحلف» فى القرآن الكريم فوجدت أنه يقوم مقام الحنث باليمين، فحيثما استخدم الحلف دل على الحنث والكذب وعدم الوفاء باليمين، كقوله تعالى: **﴿وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم إنهم لكاذبون﴾**(٤) وقوله سبحانه: **﴿يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم﴾**(٥). وقوله سبحانه: **﴿وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون﴾**(٦). وقوله تعالى: **﴿ويحلفون على الكذب وهم**

---

(١) انظر: ديوان النابغة الذبياني، تحقيق الطاهر بن عاشور، ص٥٥.

(٢) انظر: الفروق في اللغة، ص٤٧.

(٣) انظر: الترادف في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، محمد نور الدين المنجد، ص١٧٤.

(٤) سورة التوبة: ٤٢. (٥) سورة التوبة: ٧٤.

(٦) سورة التوبة: ١٠٧.

يعلمون﴾[1] . وقوله تعالى: ﴿ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم﴾[2] ، فكأنه قال: إذا حنثتم بأيمانكم.

وبهذا يكون للحلف خصوصية ينفرد بها، وهي اشتماله على الحنث باليمين، فلا يقال إلا إذا أريد الكذب وأضمر عدم الوفاء بمقتضى اليمين.

وربما تكون دلالة هذا الفعل واضحة أشد ما يكون الوضوح في قوله عزوجل: ﴿ولا تطع كل حلاف مهين﴾[3].

أما القسم فتفسره المعاجم بالحلف دون أن تذكر فرقاً بينهما، وحين نعيد النظر في القاموس نجده يقول: «والقسم: العطاء والرأى.. وأن يقع فى قلبك الشئ فتظنه، ثم يقوى ذلك الظن فيصير حقيقة»[4]، فكأن القسم في بعض اشتقاقاته اللغوية أقوى فى الظن وأقرب إلى الحق، وأبعد عن الاحتمال والشك، كما هى الحال فى الحلف.

فــالقـــسم -إذن- يكون على الشئ الواضح والحق البين، والأيمان الصادقة، ولهذا جاء القسم فى القرآن فى الأيمان الصادقة، وجاء موصوفاً بالعظمة فى قوله تعالى: ﴿وإنه لقسم لو تعلمون عظيم﴾[5].

وقد كان أصحاب الجنة صادقين فى قسمهم، وجادين فى تنفيذ نيتهم فى صرم جنتهم ﴿إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين ولا يستثنون﴾[6]. فهم لا يعيشون تردداً ولا تحيراً.

إنها دون ريب صورة صادقة تبين النفسيات المريضة التى تتعاهد بكل حرص وتصميم على أن يقطفوا ثمار جنتهم فى الصباح الباكر قبل أن يداهمهم الفقراء والمساكين.

واستقراء البيان القرآنى فى استعمال القسم يدلنا على أنه يعتبر بحال المقسم عند عقد اليمين، فيخص القسم بمن كان صادقاً عند عقده لليمين حتى ولو خالف ذلك الحق، وجانب الصدق فى واقع الأمر، وإنما كان ذلك

---

(١) سورة المجادلة: ١٤. (٢) سورة المائدة: ٨٩.

(٣) سورة القلم: ١٠.

(٤) انظر: القاموس المحيط للفيروزآبادي ٤/ ١٦٤، دار الفكر، لبنان.

(٥) سورة الواقعة: ٧٦. (٦) سورة القلم: ١٧.

هو اعتقاده الجازم، ونظرته المخلصة الصادقة فى نظر نفسه، أو على الأقل إيهام المقسم له بذلك.

ومن هنا يمكن أن نفهم إشارة القرآن الكريم المتكررة إلى الجهد المبذول عند عقد اليمين من قبل بعض الكفار والمشركين، مما يوحى بصدقهم فى قسمهم، وإخلاصهم في اعتقادهم وإن لم يكن لهم الحق، فقد ذكر الله سبحانه وتعالى إقسامهم بالله جهد أيمانهم فى أكثر من موضع منها:

قال تعالى: **﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم﴾**(١). وقال سبحانه: **﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت﴾**(٢).

فلعله لولا غاية اجتهادهم فى هذه الأيمان لما ارتقت من الحلف إلى القسم، لإيحاء اجتهادهم غاية الجهد بهذه الأيمان بصدقهم فيها، وإن تبين فيما بعد أن الأمر بخلاف ذلك.

وكما تقول بنت الشاطئ(٣): صنع القرآن يلفت إلى فرق دقيق بينهما، فإن لم نقل إن القسم لليمين الصادقة- حقيقة أو وهماً- والحلف لليمين الكاذبة على إطلاقها- فلا أقل من أين يكون بين دلالتهما الفرق بين العام والخاص، فيكون القسم لمطلق اليمين بعامة، ويختص الحلف بالحنث فى اليمين على ما اطرد استعماله فى البيان القرآنى، وهذا فرق كبير واضح(٤).

---

(١) سورة المائدة: ٥٣. (٢) سورة النحل: ٣٨.

(٣) انظر: الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، د. بنت الشاطئ، ص٢٠٧.

(٤) انظر: الفروق اللغوية للشايع، ص٢٤٣.

إبليس - الشيطان

ورد ذكر «إبليس» فى إحدى عشرة آية من آيات القرآن الكريم، وورد ذكر «الشيطان» فى ثمان وستين آية، ويظن كثير من الناس للوهلة الأولى أنهما بمعنى واحد، وأنهما لمخلوق واحد، وليس الأمر كذلك، فكلمة «إبليس» علم على مخلوق خلقه الله عزوجل من النار وقام بعمله ما شاء الله أن يقوم، ثم نازع ربه الكبرياء والعظمة، فاستكبر عن طاعته وعصى ربه، فطرده من رحمته ومن وظيفته، فهبط إلى الأرض يتهدد ويتوعد بإغواء بنى آدم، وسيظل كذلك إلى أن تقوم الساعة، ويبعث الله عزوجل الخلق، ليقرأ كل منهم كتابه، ويعرف مسيره ومصيره.

وأما الشيطان فهو صفة قد يتصف بها إبليس، وقد يتصف بها غيره من الجن أو من الإنس، فكثير من الناس نراهم ويروننا، نعاملهم ويعاملوننا، هم فى ظاهرهم من الإنس، ولكنهم فى حقيقة تصرفاتهم وأفكارهم ومكائدهم وأخلاقهم يكونون من مردة الشياطين الذين قد يعجز عن مكائدهم وحبائلهم إبليس نفسه.

ويوضح ذلك أن كلمة «إبليس» -التى يرى بعضهم أنها يونانية الأصل- عربية الاشتقاق، فهى من أبلس الرجل إذا انقطع ولم تكن له حجة، وأبلس الرجل: قطع به، وأبلس -أيضا- سكت، وأبلس من رحمة الله: يئس منها وندم. وقد استخدم العرب هذه المعانى فى شعرهم ونثرهم، فقالوا ناقة مبلاس: إذا كانت لا ترغو من الخوف، وفلان أبلس: إذا سكت من شدة الخوف.

وقد استخدم القرآن الكريم هذه المعانى اللغوية لكلمة «أبلس» قال تعالى: **﴿ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون﴾**(١).

وإذا قرأت الآيات التى ورد فيها ذكر «إبليس» تجد أن هذه هى صفاته، فهو مطرود من رحمة الله وهو يائس منها، وقد قطع به وأهبط إلى الأرض، وقامت عليه الحجة، قال تعالى: **﴿قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى أستكبرت أم كنت من العالين. قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته**

(١) سورة الروم: ١٢.

من طين. قال فاخرج منها فإنك رجيم. وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين﴾[1].

أما كلمة «شيطان» فهي -أيضاً- عربية الاشتقاق والدلالة، لم يخالف عن ذلك أحد، إنما اختلفوا في أصل اشتقاقها، فبعضهم قال: إنها من الفعل «شطن» بمعنى بعد عن الحق، من شطنه، يشطنه، شطناً، إذا خالفه عن وجهته ونيته، وشطنت الدار: بعدت، وتشيطن الرجل: إذا صار كالشيطان وفعل فعله. قال النابغة:

نأت بسعاد عنك نوى شطون ... فبانت والفؤاد بها رهين

وعلى هذا تكون كلمة «شيطان» على وزن «فيعال» لأن النون فيه أصلية. وآخرون قالوا: إنها من الفعل «شاط» بمعنى أحترق من الغضب من شاط، يشيط، وتشيط إذا لفحته النار فأحترق أو هلك وعلى هذا تكون على وزن «فعلان» والنون فيه زائدة.

والاشتقاق الأول «شطن» أقرب إلى وصف أعمال الشيطان التي تهدف إلى إبعاد الناس عن عمل الخير وإتباع الحق.

الشيطان -إذن- صفة يمكن أن يتصف بها أي امرئ يعمل عمله، وقد وصف الله عزوجل بها إبليس حتى التصقت به، فصار الناس يظنون أنها خاصة به، ولكن آيات القرآن الكريم بينت أن إبليس غير الشيطان، وأن الشيطان صفة لإبليس.

تأمل قوله تعالى: **﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين. وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين. فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كان فيه..﴾**[2].

لعلك تلاحظ أن جملة **﴿فأزلهما الشيطان عنها﴾** توحي بصفات إبليس، أي أزلهما إبليس بكيده وتزيينه ووسوسته.

وهناك -أيضاً- شياطين من الإنس لا يقلون عن شياطين الجن خبثاً وكفراً وفساداً. قال تعالى: **﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً﴾**[3].

﴿رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون﴾[4].

---

(١) سورة ص: ٧٥- ٧٨. (٢) سورة البقرة: ٣٤- ٣٦.
(٣) سورة الأنعام: ١١٢. (٤) انظر: شواهد في الإعجاز القرآني، د. أبو عودة، ص٢٢٧.

الشح - البخل

يرى الراغب الأصفهانى أن الشح: بخل مع حرص، وذلك فيما كان عادة[1].

وأن البخل: إمساك المقتنيات عما لا يحق حبسها عنه، ويقابله الجود... وهو ضربان: بخل بمقتنيات نفسه، وبخل بمقتنيات غيره، وهو أكثرهما ذماً[2]، واستدل لهذا بقوله تعالى: ﴿**الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل**﴾[3].

وقيل: إن البخل هو نفس المنع، والشح هو الحالة النفسية التى تقتضى ذلك المنع. ويرى النيسابورى: أن الشح هو المنع الذاتى الذى تقتضيه الحالة النفسية، ولهذا أضيف إلى النفس. والبخل: المنع مطلقاً من غير اعتبار صيرورته غريزة وملكه[4].

ومن الفرق بين اللفظتين: أن الشح أعم، فهو يكون بالمال وغيره، ولذلك يقال: هو شحيح بمودتك، أى حريص على دوامها وبقائها وضنين بها، ولا يقال فى ذلك: هو بخيل بمودتك، فالبخل فى المال خاصة.

وحين نلتمس بيان ذلك فى القرآن الكريم نجد ما يلفت النظر ويستوقف الفكر من العلاقة البينة بين الشح والنفس الإنسانية، بما يدل على أن الشح جبلة وطبيعة فى النفس، حاضر لها لا غيب عنها، فهو غريزة فيها، حتى قيل: الشح فى نفس الإنسان ليس بمذموم، لأنه طبيعة خلقها الله فى النفس كالشهوة والحرص، وذلك من باب الابتلاء والأختبار، إنما المذموم أن يستولى سلطانه على القلب فيطاع[5]، فعلى الإنسان مجاهدة نفسه لئلا تغلبه هذه الخصلة فتحمله على ما لا يحمد فعله.

ولعل دليل ذلك البين: إضافة الشح إلى النفس فى ثلاث آيات من القرآن الكريم من بين خمس آيات جاء بها ذكر الشح، أشحة، قال تعالى: ﴿**والصلح خير وأحضرت الأنفس الشح**﴾[6]. وقال سبحانه: ﴿**ولا يجدون فى**

---

(١) انظر: المفردات ص٣٧٥.
(٢) السابق، ص٤٩.
(٣) سورة الحديد: ٢٤، والنساء: ٣٧.
(٤) انظر: تفسير النيسابوري، طبع بهامش الطبري، ج٢٨، ص٤٢.
(٥) انظر: فروق اللغات نور لجزائري، ص٥٣، تحقيق أسد الله، مطبعة النجف، ١٣٨٠هـ. ومعترك الأقران للسيوطي ٣/ ٣٢٥.
(٦) سورة النساء: ١٢٨.

صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾[1]. وقال عزوجل: ﴿فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيراً لأنفسكم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾[2].

ومن صريح الأدلة وأوضحها على الفرق البين بين الشح والبخل وأثر ذلك في النفس، وأن البخل إنما هو أحد ثمار الشح المرة، لأن الشح يأمر بالبخل- ما جاء في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الظلم ظلمات يوم القيامة..» إلى أن قال: «وإياكم والشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم، أمرهم بالقطيعة فقطعوا، وأمرهم بالبخل فبخلوا، وأمرهم بالفجور ففجروا»[3].

فالشح -إذن- ليس هو البخل، وإنما البخل ثمرته، بل أحد ثماره، وإن من فلاح الإنسان وصلاحه، ومن فضل الله عليه أن يوق شح نفسه ﴿ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾، إذ هو حالة نفسية تنتاب الإنسان وتحز نى نفسه حين إرادة الإنفاق فضلاً عن الإيثار.

يمتن الله على من يقيه شح نفسه من أن تغلبه فتمنعه من البذل والعطاء، أو تحمله على الاستزادة بالظلم والاعتداء، فالشح مرض نفسي.

أما البخل فلم يضف إلى النفس ولم ينسب إليها، فكأنه صفة مذمومة من الممكن الاحتراز منه بسهولة أكبر[4].

وفي القرآن الكريم بيان عن حال الذين يبخلون ولا يكتفون بأن يبخلوا عن أنفسهم، فيأمروا غيرهم بالبخل، قال تعالى: ﴿الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله﴾[5].

ولا يخفى أن الشح والبخل خصلتان مذمومتان تعوذ منهما رسول الله ﷺ في أكثر من حديث، فعن عمر بن ميمون قال: حدثني أصحاب محمد ﷺ بأن رسول الله ﷺ كان يتعوذ من الشح والجبن وفتنة الصدر وعذاب القبر[6]، اللهم قنا الشح وجنبا البخل.

---

(١) سورة الحشر: ٩. (٢) سورة التغابن: ١٦.
(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ٢/ ١٦٠، ١٩٥.
(٤) انظر: الفروق اللغوية للشايع، ص٢٥٥.
(٥) سورة النساء: ٣٧. (٦) أخرجه النسائي، ٨/ ٢٦٧.

أتي - جاء

لعل ملتمساً للفرق بين اللفظين يجده في الجانب الموسيقى فى نطق اللفظين، ومواقع استخدامهما، وفى ذلك إشارة إلى خفة «أتى» وسرعتها فى النطق، وثقل المد فى «جاء»، بيد أن هذا الفارق لا يكاد يذكر أمام دقة المعنى المراد من كل منهما فى مواضعهما المختلفة.

يقول أحد الباحثين[1]: والذى نستشفه من استقراء الآيات الكريمة التى ورد فيها أحد اللفظين أو كلاهما أن بين اللفظين فوارق عميقة فى الدلالة، خلاصتها أن الإتيان تحيط به ثلة من معانى الغموض والشك والجهل وعدم القصد، أما المجئ فتحيط به معانى العلم واليقين وتحقق الوقوع والقصد، يتجلى ذلك فيما يأتى:

- فى حوار موسى وفرعون قال تعالى على لسان فرعون: **﴿قال إن كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من الصادقين﴾**[2]، فالمجئ فى الآية ذكر فى حق موسى عليه السلام، وما من شك فى أنه كان مستيقناً من تلك الآية، أما الإتيان بها فكان طلباً من فرعون على وجه التحدى، وذلك يدل على شك فى نفس فرعون، ولذلك أعقبها بقوله: **﴿إن كنت من الصادقين﴾**.
- فى كلام قوم عاد قال تعالى: **﴿قالوا أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين﴾**[3]. فهود عليه السلام قد جاء حقاً ليأفكهم عن آلهتهم، وهم على علم بهذا، فعبروا عن ذلك بالمجئ، فى حين أنهم كانوا فى جهل وشك من حقيقة وعده وإيعاده، فطلبوا الإتيان بما جهلوا به من الوعيد برهاناً على صدقه على وجه التحدى-أيضاً- ولذلك أعقبوا قولهم بـ: **﴿إن كنت من الصادقين﴾**.
- فى شأن مريم قال تعالى: **﴿فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئاً فريا﴾**[4]. فإتيانها كان يحوطه غموض تجاه موقفهم، وشك فى عاقبة أمرها معهم، ولذلك تمنت الموت قبل هذا. فى حين أن قولهم: **﴿جئت شيئا فريا﴾**، كان من وجهة نظرهم تعبيراً عن حقيقة، ولم يداخلهم شك

---

(١) الأستاذ: محمد نور الدين المنجد في كتابه (الترادف في القرآن الكريم، ص١٤٦.

(٢) سورة الأعراف: ١٠٦.

(٣) سورة الأحقاف: ٢٢.

(٤) سورة مريم: ٢٧.

في صحة اعتقادهم، فعبروا عنه بالمجئ، وأنكروا عليها ذلك لطيب معدنها وصلاح أبويها.

- في قوله تعالى: ﴿ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا﴾(١)، فالمقابلة في الآية بين الإتيان بمثل والمجئ بالحق، ومقابلة المثل بالحق تشي بأن المثل باطل وضلال أصله الجهل، في حين أن الحق علم يقيني صادر عن عالم الغيب والشهادة، وعلى ذلك كان أهل التفسير.

يقول أبو حيان: «ولا يأتونك بمثل» بسؤال عجيب من سؤالاتهم الباطلة كأنه مثل في البطلان إلا أتيناك نحن بالجواب الحق الذى لا محيد عنه، وبما هو أحسن معنى ومؤدى من سؤالهم»(٢).

وقيل: ولا يأتونك بشبهة في إبطال أمرك إلا جئناك بالحق الذى يدحض شبهة أهل الجهل.

فقد اقترن الإتيان بالجهل والباطل في جانب الكفار، واقترن المجئ بالحق واليقين في جانب الله تعالى.

- قال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿يا أبت إنى قد جاءنى من العلم ما لم يأتيك فاتبعنى أهدك صراطاً سويا﴾(٣).

فالسياق في هذه الآية واضح الدلالة على إثبات علم إبراهيم ويقينه مما جاءه، مقابل جهل أبيه في حقيقة ما يعبد، وغموض العاقبة التى تنتظره، فهو في ضلال وجهل، ولذا كان طلب إبراهيم ﴿فاتبعنى أهدك﴾.

- قال تعالى على لسان قوم موسى: ﴿قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا﴾(٤).

فالسياق يدل على أن إتيان موسى كان غيباً لا يعلمه إلا الله، ويعين على ذلك قولهم ﴿من قبل﴾ في حين أن مجيئه عليه السلام صارا حقاً مشهوداً، ويدل على ذلك قولهم ﴿من بعد﴾.

---

(١) سورة الفرقان: ٣٣.
(٢) انظر البحر المحيط، ج٦ ص٤٩٧.
(٣) سورة مريم: ٤٣.
(٤) سورة الأعراف: ١٢٩.

- كلمة «أتى» تستند غالباً إلى المعانى والأزمان، بينما كلمة «جاء» تستند إلى الجواهر والأعيان، والمتتبع للآيات القرآنية يجد ذلك واضحاً كل الوضوح، قال تعالى: ﴿ولمن جاء به حمل بعير﴾[1]. أى بصواع الملك، وقال: ﴿وجاءوا على قميصه بدم كذب﴾[2]، ﴿وجئ يومئذ بجهنم﴾[3].
وقال سبحانه: ﴿أتى أمر الله فلا تستعجلوه﴾[4]. ﴿أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً﴾[5].

وقد اجتمعت الكلمتان فى قوله تعالى فى سياق قصة لوط عليه السلام: ﴿قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون. وأتيناك بالحق وإنا لصادقون﴾[6].

فالذى جاءوا به العذاب وهو أمر مشاهد، والذى أتى به الحق.

وقد ذهب الراغب الأصفهانى إلى أن الإتيان إنما هو المجئ بسهولة، فهو أخص من مطلق المجئ والله تعالى أعلم.

---

(١) سورة يوسف: ٧٢.
(٢) سورة يوسف: ١٨.
(٣) سورة الفجر: ٢٣.
(٤) سورة النحل: ١.
(٥) سورة يونس: ٢٤.
(٦) سورة الحجر: ٦٣- ٦٤.

الريح - الرياح

يقول السيوطى فى الإتقان[1]: أخرج ابن أبى حاتم وغيره عن أبىّ بن كعب قال: كل شئ فى القرآن من الرياح فهو رحمة، وكل شئ فيه من الريح فهو عذاب، ولهذا ورد فى الحديث: «اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً»، وذكر فى حكمة ذلك: أن رياح الرحمة مختلفة الصفات والماهيات والمنافع، وإذا هاجت منها ريح أثير لها من مقابلها ما يكسر سورتها، فينشأ من بينهما ريح لطيفة تنفع الحيوان والنبات، فكانت فى الرحمة رياحاً، وأما فى العذاب فإنها تأتى من وجه واحد، ولا معارض لها ولا دافع، ولهذا وصفها الله بالعقيم فقال: ﴿وفى عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم﴾[2]، أى تعقم ما مرت به.

لم يأت لفظ «الرياح» -إذن- فى القرآن إلا فى مقام الخير والنعمة والرحمة[3]، قال تعالى: ﴿وهو الذى يرسل الرياح بشراً بين يدى رحمته﴾[4]. ﴿وأرسلنا الرياح لواقح﴾[5]. ﴿ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته﴾[6].

وورد لفظ الريح فى القرآن فى مقام العذاب والتخويف، يقول الراغب الأصفهانى[7]: «وعامة المواضيع التى ذكر الله تعالى فيها إرسال «الريح» بلفظ الواحد فعبارة عن العذاب، قال تعالى: ﴿مثل ما ينفقون فى هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته..﴾[8]. ﴿أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى فيرسل عليكم قاصفاً من الريح فيغرقكم بما كفرتم﴾[9]. ﴿وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية﴾[10].

وهذه القاعدة مطردة إلا فى مواضع يسيرة لحكمة، منها قوله سبحانه:

---

(١) انظر: الإتقان في علوم القرآن ١/ ٦١٤. (٢) سورة الذاريات: ٤١.

(٣) انظر: فقه اللغة وسر العربية للثعالبي، ص٣٥٢، تحقيق مصطفي السقا وآخرين، ط٢، الحلبي بمصر، ١٣٧٣هـ- ١٩٥٤م.

(٤) سورة الأعراف: ٥٧. (٥) سورة الحجر: ٢٢.

(٦) سورة الروم: ٤٦. (٧) انظر: مفردات الراغب، مادة (روح).

(٨) سورة آل عمران: ١١٧. (٩) سورة الإسراء: ٦٩.

(١٠) سورة الحاقة: ٦.

﴿هو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتهم ريح عاصف﴾[1]. فذكر ريح الرحمة بلفظ الإفراد لوجهين:

أحدهما: لفظى، وهو المقابلة، فإنه ذكر ما يقابلها ريح العذاب **﴿جاءتها ريح عاصف﴾**، وهى لا تكون إلا مفردة.

الثانى: معنوى، وهو أن تمام الرحمة هناك إنما تحصل بوحدة الريح لا باختلافها، فإن السفينة لا تسير إلا بريح واحدة من وجه واحد، فإن اختلفت عليها الرياح وتصادمت كانت سبب الهلاك والغرق، والمطلوب هنا ريح واحدة، ولهذا أكد هذا المعنى بوصفها بالطيب، دفعاً لتوهم أن تكون عاصفة، بل هى ريح يفرح بطيبها، وعلى ذلك -أيضا- جرى قوله تعالى: **﴿إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره﴾**[2]. وهذا أورده ابن المنير فى كتابه على الزمخشرى، قال: الريح رحمة ونعمة، لأن سكونها عذاب وشدة على أصحاب السفن[3].

ولعل السبب فى ذلك أن ريح الشر تهب مدمرة عاصفة، لا تهدأ، ولا تدع الناس يهدؤون، فهى لاستمرارها ريح واحدة، لا يشعر الناس فيها بتحول ولا تغير، ولا يحسون بهدوء يلم بها، فهى متصلة فى عصفها وشدة تحطيمها، وذلك مصدر الرهبة منها والفزع.

أما الرياح التى تحمل الخير فتهب حيناً وتهدأ حيناً لتسمح للسحب أن تمطر، فهى متقطعة تهب فى هدوء، ويشعر المرء فيها بفترات سكون، وأنها رياح متتابعة، ففى تعبير القرآن تصوير للإحساس النفسى[4].

---

(١) سورة يونس: ٢٢.

(٢) سورة الشوري: ٣٣.

(٣) انظر: البرهان للزركشي ٤/ ١٢.

(٤) انظر: من بلاغة القرآن، د. أحمد بدوي، ط٣، ١٣٧٠هـ- ١٩٥٠م، مكتبة نهضة مصر، القاهرة. والمشاهد في القرآن الكريم، د. حامد صادق قنيبي، ط١، ١٩٨٤م، مكتبة المنارة، الأردن.

ميت - ميْت

وردت كلمة «ميت» بالتشديد للمفرد اثنتى عشرة مرة، وورد جمعها مرفوعاً «ميتون» مرتين، وورد مجروراً مرة واحدة **﴿بميتين﴾**.

بينما وردت كلمة «ميت» بالتسكين خمس مرات، وكانت الكلمة منصوبة فى المرات كلها، وذكرت كلمة «الميتة» ست مرات.

فما سر هذا التفاوت فى التعبير؟ وما الفرق بين الكلمتين (ميت – ميّت)؟

– الميت بالتشديد: هو الحى الذى فيه الروح، والميت بالتخفيف: هو الذى خرجت روحه منه.

– الميت بالتشديد: مخلوق حى، مازال يعيش حياته، وينتظر أجله، ومجئ ملك الموت إليه ليقبض روحه، أى إنه ميت مع وقف التنفيذ! ولا يدرى متى يبدأ التنفيذ؟

ولدى النظر فى سياق الآيات التى استخدمت كلمة «ميت» نرى هذا المعنى واضحاً.

من الأمثلة على ذلك قوله تعالى يخاطب رسوله ﷺ: **﴿إنك ميت وإنهم ميتون. ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون﴾**[1].

تخاطب الآية أحياء، تخاطب الرسول ﷺ وتخبره أنه سيموت **﴿إنك ميت﴾** وأن خصومه الكفار سيموتون **﴿وإنهم ميتون﴾**.

إذن –كل حى ميت حال حياته، أى إنه حى ينتظر قدوم الموت وحلول الأجل.

أما الميت بالتسكين فهو المخلوق الذى مات فعلاً، بأن خرجت روحه، وأصبح جثة هامدة، وقد أطلق فى القرآن على ما يأتى:

– البلد الميت: الذى لا حياة فيه، فيحييه الله بالمطر، قال تعالى: **﴿والذى نزل من السماء ماء بقدر فأنشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون﴾**[2].

– الأرض الميتة التى لا نبات فيها فيحييها الله بالمطر، قال تعالى: **﴿وآية لهم**

---

(١) سورة الزمر: ٣٠- ٣١. (٢) سورة الزخرف: ١١.

الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون﴾(١).

- البهيمة الميتة التي خرجت روحها من دون ذبح شرعي، ولذلك حرمها الله علينا، قال تعالى: **﴿حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به﴾**(٢).

- الميت: هو الإنسان الذي مات وخرجت روحه، وقد شبه الله -عزوجل- الذي يغتاب أخاه بمن يأكل لحم ذلك الإنسان الميت، قال تعالى: **﴿ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا﴾**(٣).

فالميت -إذن- هو الحي الذي ينتظر الموت، والميْت هو الذي مات فعلاً وخرجت روحه من جسده.. وإن صياغة الكلمتين وحركاتهما توحي بهذا الفرق بينهما:

فالميت ياؤه مشددة، ولعلها إشارة إلى إقبال الإنسان الحي على حياته الدنيا، وانهماكه فيها، وحرصه عليها بكل ما أوتي من قوة وشدة.

أما الميت الذي خرجت روحه، فياؤه ساكنة غير متحركة، ولعلها إشارة إلى سكون هذا الإنسان بعد خروج روحه، وتوقفه عن الحركة.

يقول الشاعر:

وتسألني تفسير ميت وميّت **فدونك ذا التفسير إن كنت تعقل**
فمن كان ذا روح فذلك ميّت **وما الميت إلا من إلى القبر يُحمل**(٥)

---

(١) سورة يس: ٣٣. (٢) سورة المائد: ٣.
(٣) سورة الحجرات: ١٢.
(٤) انظر: لطائف قرآنية للخالدي، ص٦٣، ٦٦.

الفعل - العمل

فى كتابه معترك الأقران[1] يقول السيوطى موضحاِ الفرق بين الفعل والعمل:

إن لفظ «عمل» يستعمل لما يمتد زمانه، وأما لفظة «الفعل» فعلى العكس من ذلك، فهو لما يكون دفعة واحدة.

والاستعمال القرآنى يؤيد هذا الفرق، والآيات الكريمة تشهد له خير شهادة، قال تعالى: ﴿**وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات**﴾[2]، حيث كان المقصود المثابرة عليها لا الإتيان بها مرة واحدة. وقال سبحانه: ﴿**يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب...**﴾[3]، حيث كان فعلهم بزمان.

أما استعمال لفظة «الفعل» فليس لها زمان مستمر، وإنما احدث دفعة واحد، قال تعالى: ﴿**ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل**﴾[4]، ﴿**ألم تر كيف فعل ربك بعاد**﴾[5]، ﴿**وتبين لكم كيف فعلنا بهم**﴾[6]، فإنها إهلاكات وقعت من غير بطء، وقوله سبحانه: ﴿**والذين هم للزكاة فاعلون**﴾[7]، أى يأتون بها على سرعة من غير توان فى دفع حاجة الفقير.

وقوله تعالى: ﴿**يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون**﴾[8]، حيث يأتون بما يؤمرون فى طرفة عين، فينقلون المدن بأسرع من أن يقوم القائم من مكانه.

ومن خير الشواهد اليت توضح الفرق بين الفعل والعمل ما قصه الله علينا من نبأ موسى وفرعون، قال تعالى: ﴿**وفعلت فعلتك التى فعلت وأنت من الكافرين. قال فعلتها إذن وأنا من الضالين**﴾[9].

والفعلة -هنا- هى قتل موسى عليه السلام للقبطى، وقد كان دفعة واحدة لا تدرج فيه من جهة، كما أنه من جهة أخرى كان أمراً غير مقصود

---

(١) انظر: معترك الأقران للسيوطي، ٣/ ٦٠٤، تحقيق البجاوي، طبعة دار الفكر العربي.

(٢) سورة البقرة: ٢٥.
(٣) سورة سبأ: ١٣.

(٤) سورة الفيل: ١.
(٤) سورة الفجر: ٦.

(٦) سورة إبراهيم: ٤٥.
(٧) سورة المؤمنون: ٤.

(٨) سورة النحل: ٥٠.
(٩) سورة الشعراء: ١٩- ٢٠.

ولا مراد لموسى عليه السلام، فكل الذى حدث منه وكز القبطى، والوكز عادة لا يقتل، لذلك سماه القرآن فعلاً[١].

ومن ينعم النظر فى آى القرآن يجد من ذلك ما يثلج الصدر.

وهذا الفرق هو الذى اقتصر عليه السيوطى رحمه الله تعالى.

وهناك فرق آخر لا يقل عنه دقة وروعة، وهو ما ذكره الراغب رحمه الله تعالى حيث قال: العمل كل فعل يكون من الحيوان بقصد، فهو أخص من الفعل؛ لأن الفعل ينسب إلى الحيوانات التى يقع منها فعل بغير قصد، وقد ينسب إلى الجمادات[٢].

والمتأمل فى الذكر الحكيم يجد ما يطمئن به قلبه، وتطيب به نفسه، قال تعالى: **﴿ألم تر أن الله يسبح له من فى السموات والأرض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون﴾**[٣]. وقال تعالى: **﴿قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون﴾**[٤].

وقال سبحانه: **﴿وإن عليكم لحافظين. كراما كاتبين. يعلمون ما تفعلون﴾**[٥].

أما الآية الأولى والثانية فأمرهما ظاهر، فالفعل أسند إلى الحيوان من طير وغيره فى الآية الأولى، وإلى الجماد فى الآية الثانية.

وأما الآية الثالثة فإنه يلوح لنا منها سر رائع، فتعالى الله وجل المنزل حيث لم يقل: يعلمون ما تعلمون، لا من أجل غرض لفظى فحسب، وهو ما بين الفعلين (يعلمون وتعملون) من تقارب وتشابه فى الأحرف، وإنما لما هو أعمق من ذلك وأدق، وهو أن هؤلاء الملائكة لا يعلمون ما تقصدون إليه من عمل فقط، وإنما يعلمون ما وراء ذلك من خلجات النفوس وطرفة العين، والخواطر والهواجس، وكذا ما لا يقصده المرء، فما أبدع الجمال القرآنى، وما أجمل بديع كلماته[٦].

---

(١) انظر: البرهان للزركشي، ٤/ ٧٣.
(٢) انظر: المفردات، ص٣٤٨.
(٣) سورة النور: ٤١.
(٤) سورة الأنبياء: ٦٢- ٦٣.
(٥) سورة الانفطار: ١٠- ١٢.
(٦) تنظر: إعجاز القرآن الكريم، د. فضل عباس، وسناء فضل، ص١٧٤، ١٧٥.

الخضوع - الخشوع

- الخضوع في اللغة يدور حول معاني التطامن والتواضع والانقياد والطاعة والسكون، ومظهره الخارجي خضوع الأعناق وتطامنها، ولهذا نسب الخضوع إليها في قوله تعالى: **﴿إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين﴾**(١).

ولهذا يقال: اختضع الصقر: طأمن رأسه للانقضاض، وخضعت الإبل في سيرها إذا جدت، لأنها حينئذ تكون قد طأمنت أعناقها.

قال جرير:

ولقد ذكرتك والمطي خواضع وكأنهن قطا فلاة مجهل(٢)

كما يدل الخضوع على الميل فيقال: خضعت الشمس للمغيب، إذا مالت إليه.

والخضوع غالباً ما يكون عن ذل أدى إلى هذه الاستكانة والانقياد، فأخضعه الفقر: أذله، ويقال: أخضعتني إليك الحاجة، وأخضع الرجل بالقول: ألان كلامه للمرأة، وفي الحديث أن النبي ﷺ نهى أن يخضع الرجل لغير امرأته. أي يلين لها القول بما يطمعها منه، وقال تعالى: **﴿فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض﴾**(٣).

ولم يرد الخضوع في القرآن الكريم في غير الآيتين السابقتين، فالخضوع غالباً ما يكون عن ذل من الخاضع، سواء أكان بطبعه أم لخوفه أم لضعفه.

- والخشوع قريب من الخضوع، جاء في اللسان: قيل: الخشوع قريب من الخضوع، إلا أن الخضوع في البدن وهو الإقرار بالاستخذاء، والخشوع في البدن والصوت والبصر، كقوله تعالى: **﴿خاشعة أبصارهم﴾**(٤). وقوله سبحانه: **﴿وخشعت الأصوات للرحمن﴾**(٥).

قال ابن الأثير: والخشوع في الصوت والبصر كالخضوع في البدن(٦)، يقال: خشع في صلاته، ودعائه إذا أقبل بقلبه على ذلك، وظهر أثره على

(١) سورة الشعراء: ٤.

(٢) انظر: ديوان جرير، ٢/ ٩٣٩، شرح محمد ب حبيب، تحقيق د. نعمان محمد طه، دار المعارف، مصر.

(٣) سورة الأحزاب: ٣٢. (٤) سورة المعارج: ٤٤. (٥) سورة طه: ١٠٨.

(٦) انظر: لسان العرب، ١/ ٨٣٥.

جوارحه، فغض بصره، وخفت صوته، وسكنت نفسه، إذ أصل الخشوع في القلب كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: الخشوع في القلب. وقال قتادة: الخشوع في القلب، وهو الخوف وغض البصر في الصلاة، فالخشوع مصدره القلب، لكن تظهر آثاره على الجوارح[(١)].

ولعل الخشوع مأخوذ من قولهم: خشعت الأرض إذا سكنت واطمأنت، قال تعالى: **﴿ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت﴾**[(٢)]. فاهتزازها وربوها الذى هو ارتفاعها مزيل لخشوعها[(٣)].

وفي المصباح: الخضوع قريب من الخشوع، إلا أن الخشوع أكثر ما يستعمل في الصوت، والخضوع في الأعناق[(٤)].

الخشوع -إذن- سكون القلب وتضرعه، بحيث تظهر آثار ذلك على الجوارح الظاهرة، فتخفت الأصوات وتنكسر الأبصار، وقد تذرف الدموع.

والخضوع جزء من الخشوع لاختصاصه بالبدن، قال تعالى: **﴿ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً﴾**[(٥)]. وقال سبحانه: **﴿وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همساً﴾**[(٦)]. وقال عزوجل: **﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق﴾**[(٧)]. وقال تعالى: **﴿خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة﴾**[(٨)].

وتلفت الدكتورة بنت الشاطئ[(٩)] -رحمها الله- نظرنا إلى أن خشوع المؤمنين لله في الدنيا، وخشوع الكفار والمجرمين والظالمين في الآخرة، وسره البياني -فيما ترى- هو أن خشوع الكفار في الآخرة لا يكون إلا بعد أن يأتي اليوم الذى يوعدون، فيخشعوا خوفاً ورهبة وذلة.

قال تعالى: **﴿وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل﴾**[(١٠)].

أما المؤمنون فيخشعون في الدنيا عن صدق وإيمان وتقوى وخشية لله تعالى، قال سبحانه: **﴿إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين﴾**[(١٠)].

---

(١) انظر: الفروق اللغوية، للشايع، ص٢٥٠. (٢) سورة فصلت: ٣٩.
(٣) انظر: أساس البلاغة للزمخشري، ص٢٣٢، ومفردات الراغب، ص٢١٣، وبصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي ٢/ ٥٢١.
(٤) انظر: المصباح المنير، للفيومي ١/ ٢٠٧. (٥) سورة الإسراء: ١٠٩.
(٦) سورة طه: ١٠٨. (٧) سورة الحديد: ١٦. (٨) سورة القلم: ٤٣.
(٩) انظر: الإعجاز البياني للقرآن، ص٢١١. وانظر الفروق اللغوية للشايع، ص٢٥٤
(١٠) سورة الشوري: ٤٥. (١٠) سورة الأنبياء: ٩٠.

عباد - عبيد

وردت كلمة «عباد» حوالى مائة مرة فى القرآن الكريم، وهى فى معظم هذه المرات وصف بها المسلمون المطيعون لله، حيث وصفوا بها وأطلقت عليهم أكثر من تسعين مرة، منها: قوله تعالى: ﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا﴾[1]. وقوله سبحانه: ﴿إن عبادى ليس لك عليهم سلطان﴾[2]. وقوله عزوجل: ﴿فبشر عباد. الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه﴾[3].

ولهذا لا نخطئ إذا قلنا: إن غالب كلمة «عباد» فى القرآن الكريم يراد بها المسلمون العابدون لله، وهذه الألف الممدودة «عباد» توحى بالعزة والمنعة والأنفة والرفعة، وكأنها مرفوعة الرأس منصوبة القامة باستمرار، ولهذا أطلق عليها بعض الباحثين[4]: ألف العزة، وهذه العزة والأنفة والرفعة نلحظها فى حياة العباد المؤمنين المطيعين لله تعالى، فالعباد المؤمنون يعيشون حياتهم فى الدنيا بعزة ورفعة واستعلاء، يحاربون الظلم، وينفرون من الذل، قاماتهم عزيزة منتصبة لا يحنونها إلا لله، ورؤوسهم مرتفعة عزيزة لا يخفضونها إلا لله.

ويواجه العبد المؤمن كل قوى الجاهلية بعزة العقيدة واستعلاء الإيمان، إنه مهما جرى له لا يحنى هاكته إلا لله، ومهما هدد أو أوذى وضيق عليه وعذب لا يطأطئ رأسه إلا لله.

وإذا كانت ألف «العباد» ألف العزة، فإن ياء «العبيد» هى ياء الذلة، وإذا كان غالب استعمال «عباد» فى القرآن الكريم للمؤمنين، فإن كلمة «عبيد» فى القرآن الكريم وردت وصفاً للكفار والعصاة، قال تعالى عن كفر اليهود: ﴿لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق. ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد﴾[5].

---

(١) سورة الفرقان: ٦٣.
(٢) سورة الحجر: ٤٢.
(٣) سورة الزمر: ١٧- ١٨.
(٤) انظر: د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، لطائف قرآنية، ص٥٨.
(٥) سورة آل عمران: ١٨٨- ١٨٢.

وعن عذاب الكفار عند الاحتضار يقول الله تعالى: ﴿ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق. ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد﴾[1].

إن التعبير عن الكفار بكلمة «عبيد» يوحي بالذلة الملازمة للكفار، فهم أذلاء جبناء ضعفاء مهانون، لا يريدون العزة والرفعة، ولا يشعرون بالكرامة والأنفة، تجدهم أحرص الناس على حياة، وتراهم يذلون أمام المتسلطين الظالمين، لأن المهم عندهم هو أن يتكرم عليهم ذلك المتسلط الظالم بالحياة.. أي حياة!!

الكفار أذلاء.. أذلاء في حياتهم وفي أشخاصهم وفي مواقفهم، ولأن كلمة «عبيد» وردت في القرآن الكريم وصفاً لهؤلاء الكفار الأذلاء جاءت بالياء التي تشير إلى الذلة في حياتهم.

إن الياء هنا هي ياء الذلة الملازمة لهم، بل إن صياغة الكلمة تحي بالذلة، لأن الياء جاءت وسط الكلمة منبطحة ملقاة بذلة، وصدق الله العظيم: ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾[2].

---

(١) سورة الأنفال: ٥١-٥٢.

(٢) انظر: لطائف قرآنية للخالدي، ص٦٢.

العمي - العمه

معلوم أن «العمى» هو فقدان البصر، وقد استعمل فى القرآن الكريم بمعنى فقد البصر كما فى قوله تعالى: ﴿عبس وتولى أن جاءه الأعمى﴾[1]، وهو الصحابى الجليل عبد الله بن أم مكتوم رضى الله عنه.

وكثيراً ما وردت كلمة «العمى» واشتقاقاتها فى القرآن الكريم بمعنى فقدان البصيرة، أو عمى القلب، كما فى مثل قوله تعالى: ﴿أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كما هو أعمى إنما يتذكر أولوا الألباب﴾[2].

وكقوله تعالى: ﴿ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا﴾[3]. ولهذا قال تعالى: ﴿فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور﴾[4].

أما «العمَه» فقد وردت منها صيغة الفعل المضارع «يعمهون» سبع مرات ومعظم المرات مسبوقة بالطغيان ﴿فى طغيلنهم يعمهون﴾.

ومعنى «العمه»-كما يقول الراغب الأصفهانى فى مفرداته[5]- هو: «التردد فى الأمر من التحير»، والتردد والتحير يصيب القلب والعقل والفكر والتصور، ولهذا لا نخطئ إذا قلنا: إن العمه هو عمى القلب، وتكمن فيه الخطورة البالغة على صاحبه، لأن الإنسان يمكنه أن يعيش مع العمه وفقدان البصر، وقد يكون الأعمى صالحاً فيفوز بالجنة فى الآخرة.

أما إذا أصيب الإنسان بالعمه، وعمى قلبه وفقد بصيرته، ووقع فى التردد والحيرة والضلال فهذا هو الضلال والخسران المبين[6].

(١) سورة عبس: ١- ٢.
(٢) سورة الرعد: ١٩.
(٣) سورة الإسراء: ٧٢.
(٤) سورة الحج: ٤٦.
(٥) انظر: مفردات الراغب، ص٣٤٨.
(٦) انظر: لطائف قرآنية، د. صلاح الخالدي، ص٩٥، ٩٦.

التلاوة- القراءة

التلاوة والقراءة لفظان متقاربان فى المعنى، بينهما فروق دقيقة، وذلك أن التلاوة غالباً ما تستعمل فى مواقف الإجلال والاحترام والتعظيم، إضافة إلى أنها أحياناً تعنى القراءة بتنغيم معين، ولهذا يغلب استعمالها عند الإشارة إلى قراءة القرآن الكريم، بل خص بها -صاحب الكليات- قراءة القرآن الكريم بقوله: التلاوة هى قراءة القرآن متتابعة كالدراسة، والأوراد الموظفة(١).

ثم إن أصل التلاوة فى اللغة مأخوذ من إتباع الشئ الشئ، يقال: تلاه إذا تبعه، قال تعالى: ﴿**والشمس وضحاها. والقمر إذا تلاها**﴾(٢).

-ومن ثم تكون التلاوة فى الكلمات الكثيرة حيث يتبع بعضها بعضاً، وبذلك يتحقق معنى التلو، وهذا لا يكون فى الكلمة الواحد، فتقول: قرآت الكلمة، ولا تقول: تلوتها، لأنه لا يصح فيها معنى التلو، إذ لا تابع لها مادامت كلمة واحدة(٣)، والتلاوة فى الغالب تختص باتباع كتب الله المنزلة، تارة بالقراءة لها وتارة بالارتسام لما فيها من أمر ونهى وترغيب وترهيب ونحو ذلك.

وبهذا تكون التلاوة أخص من القراءة، فكل تلاوة قراءة، وليس كل قراءة تلاوة، فالقراءة أعم.

فقوله تعالى: ﴿**وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم**﴾(٤) هذا فى القراءة.

وقوله سبحانه: ﴿**الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته**﴾(٥)، المراد بالتلاوة هنا الاتباع له بالعلم والعمل، ولهذا لا يفى بمعنى الآية تفسير التلاوة هنا بالقراءة، لأن المعنى ليس يقرؤونه حق قراءته.

وكذلك قوله تعالى: ﴿**إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة..**﴾(٦).

وفى الغالب لا يقال: تلوت رسالتك -مثلاً- وإنما يقال: قرأتها.

يقول أبو هلال فى الفروق: الفرق بين القراءة والتلاوة: أن التلاوة لا تكون إلا لكلمتين فصاعداً، والقراءة تكون للكلمة الواحدة، يقال: قرأ فلان اسمه، ولا يقال: تلا اسمه. وذلك أن أصل التلاوة: اتباع الشئ الشئ، يقال: تلاه إذا تبعه، فتكون التلاوة فى الكلمات يتبع بعضها بعضا، ولا تكون فى الكلمة الواحدة، إذ لا يصح فيه التلو(٧).

---

(١) انظر: الكليات لأبي البقاء، ص٢٢٦. (٢) سورة الشمس: ١-٢.
(٣) انظر: الفروق في اللغة لأبي هلال، ص٥٤، ومفردات الراغب، ص١٠٠.
(٤) سورة سبأ: ٤٣. (٥) سورة البقرة: ١٢١. (٦) سورة: فاطر: ٢٩.
(٧) انظر: الفروق اللغوية للشايع، ص٥٤.

تستطع - تسطع

إذا نظرنا فى سورة الكهف، وفى قصة موسى مع الخضر–عليهما السلام– فسوف نقف على لطيفة من لطائف القرآن الكريم.

عندما قابل موسى الخضر–عليهما السلام– وعرض عليه أن يتبعه ليتعلم منه أخبره الخضر أنه لا يستطيع أن يصبر معه، لأنه سيفاجأ بأشياء وأحداث لن يصبر عليها.

ووعده موسى أن يصبر، وأن يطيع الخضر، ولا يعصى له أمراً، وطلب منه الخضر أن لا يعترض على أى شئ يراه، وأن لا يسأله عنه.

واتفقا وانطلقا، وخرق الخضر السفينة، واعترض موسى عليه، وذكّره الخضر بعهده فاعتذر موسى له، وبين له أنه كان ناسياً.

وانطلقا، وقتل الخضر غلاماً، واعترض موسى عليه، وذكّره الخضر بعهده، وتعهد موسى وجعله فى حل من الرحلة معه إن سأله.

وانطلقا، وذهبا إلى قرية أهلها بخلاء، فوجدا فيها جداراً على وشك السقوط، فقام إليه الخضر وأصلحه، واعترض موسى، وأشار له بأخذ أجرة من أهل القرية البخلاء، وافترق موسى والخضر، وقبل افتراقهما، قال له الخضر: **﴿هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا﴾**[1]، وبيّن له حقيقة الأحداث الثلاثة: خرق السفينة، وقتل الغلام، وبناء الجدار، وختم بيانه بقوله: **﴿ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا﴾**[2].

ونلاحظ أن التاء موجودة فى الفعل «تستطع» فى الآية الأولى، بينما هذه التاء محذوفة فى المرة الثانية: **﴿ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا﴾**.

ووجود التاء فى الفعل «تستطع» أمر لا يحتاج إلى تعليل، لأنه على الأصل، فالماضى «استطاع» والمضارع «تستطيع». لكن الذى يحتاج إلى تعليل هو حذف التاء من الفعل «تسطع».

إن حذفها فى المرة الثانية للتخفيف، ولهذا أسماها بعض الباحثين[3]

---

(١) سورة الكهف: ٧٨. (٢) سورة الكهف: ٨٢.

(٣) انظر: لطائف قرآنية، د. صلاح الخالدي، ص٥٢.

«تاء الخفة» . أما إثباتها فلتناسب الثقل النفسى، كيف؟

لقد شاهد موسى- عليه السلام- من الخضر ثلاثة أفعال، وهى غريبة، وغير مقبولة فى الظاهر وتدعو إلى الإنكار والاعتراض، فكيف يخرق الخضر سفينة صالحة؟ وكيف يقتل غلاماً صغيراً؟ ولماذا بى الجدار لقوم بخلاء من دون أجر؟

وقع موسى فى حيرة فى تأويل وتعليل الأحداث، وكأنه صار فى هم نفسى وشعورى ثقيل، ولاحظ السياق ذلك الهم النفسى الثقيل فأثبت التاء مع الفعل أول مرة، ليتفق ذلك مع الثقل النفسى الذى يعيشه موسى عليه السلام، ولذلك قال له الخضر: **﴿سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا﴾**.

وبعد ما علل الخضر لموسى-عليهما السلام- حقيقة الأحداث عرف موسى وجه الصواب فى تصرف الخضر، لقد خرق السفينة لتنجو من مصادرة الملك الظالم، وقتل الغلام ليستريح أبواه الصالحان من كفره، وبنى الجدار ليغطى كنزا لغلامين يتيمين تحته.

عرف موسى أن الخضر على حق وصواب فى تصرفاته الثلاثة، وبذلك زال الهم الذى سيطر عليه، والثقل النفسى الذى عاشه.

ولاحظ السياق زوال ذلك الثقل النفسى، فحذفت التاء من الفعل «تسطع» لتشارك التخفيف النفسى عند موسى بخفة فى حروف الفعل، والله أعلم[١].

---

(١) انظر: السابق، ص٥٤.

اسطاعوا - استطاعوا

ورد في قصة ذى القرنين في سورة الكهف أنه لما سار رحلته الثالثة نحو الشمال ووصل بين السدين، وشكا إليه القوم هناك غارات يأجوج ومأجوج- بنى لهم سداً منيعاً، وبذلك حماهم الله من يأجوج ومأجوج.

﴿حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوماً لا يكادون يفقهون قولاً. قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سدا. قال ما مكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما. آتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله ناراً قال آتوني أفرغ عليه قطرا. فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا﴾(1).

لقد «صهر» ذو القرنين الحديد، ثم صب فوقه النحاس المذاب، فتخلل النحاس الحديد، وبنى من ذلك السد، فجاء سداً قوياً منيعاً متيناً، ليس فيه نتوءات يتمكن يأجوج ومأجوج من استخدامها في التسلق، وليس بناؤه ضعيفاً يقدر يأجوج ومأجوج على نقضه.

وعبر القرآن الكريم عن عجزهم عن تسلق الجدار والظهور فوقه بقوله: **﴿فما اسطاعوا أن يظهروه﴾** بحذف التاء من الفعل.

بينما عبر عن عجزهم عن نقضه بقوله: **﴿وما استطاعوا له نقبا﴾**، بإثبات التاء في الفعل! فلماذا حذفت التاء في المرة الأولى؟ وأثبتت في المرة الثانية؟

إن حذف حرف من كلمة قرآنية، أو إثباته، أو تغيير حركته -أمر مقصود، لحكمة باهرة، ويتفق هذا مع السياق الذى ورد فيه، والجو الذى يشيعه، والمعنى الذى يقرره، وهذه ملاحظة مطردة في أسلوب القرآن الكريم.

وهنا حذف «التاء» من فعل «اسطاعوا» يتفق مع المعنى الذى تقرره الجملة **﴿فما اسطاعوا أن يظهروه﴾**، أى ما اسطاع أفراد يأجوج ومأجوج تسلق جدار السد العالي الأملس الذى بنى من الحديد والنحاس، وكيف يتسلقونه وهو خال من النتوءات والمقابض التي يمسكون بها؟!

إن تسلق جدار السد يحتاج إلى خفة ورشاقة ومهارة، وكلما كان الشخص أكثر رشاقة ومهارة وخفة كان أقدر على التسلق، بينما تقل قدرته

(1) سورة الكهف: ٩٣- ٩٧.

على التسلق، وتضعف وتتلاشى إذا كان ثقيل الوزن كثير الشحم.

فلأن التسلق يتطلب هذه الخفة، جاء الفعل «اسطاعوا» مشاركا فى هذه الخفة، متخففاً من أحد حروفه، كما يتخفف المتسلق من بعض أحماله!!

فكان حذفها للخفة والتخفيف.

أما إثبات هذه التاء فى الفعل «استطاعوا» فهو يتفق مع المعنى الذى تقرره جملة: ﴿وما استطاعوا له نقبا﴾.

إن نقب جدار السد يحتاج إلي جهد وكد، ويتحمل الإنسان فى ذلك كثيراً من المشقة والثقل النفسى والأدوات المادية التى ينقض بها الجدار، كما أنه يأخذ منه وقتاً طويلاً، يمر عليه ثقيلاً!

فلهذه الأثقال المادية الزمانية والمكانية والنفسية التى تقررها الجملة، جاء الفعل «استطاعوا» مشاركاً فيها بتثقيل إيقاعه وتركيبه عن طريق زيادة حروفه.

ولذلك جاءت «التاء» فى الفعل «استطاعوا» للتثقيل[1].

يقول صاحب ملاك التأويل: «فجئ أولاً بالفعل مخففاً عند إرادة نفى قدرتهم على الظهور على السد والصعود فوقه، ثم جئ بأصل الفعل مستوفى الحروف عند نفى قدرتهم على نقبه وخرقه، ولاشك أن الظهور أيسر من النقب، والنقب أشد عليهم وأثقل، فجئ بالفعل مخففاً مع الأخف، وجئ به تاماً مستوفى مع الأثقل، فتناسب، ولو قدر بالعكس لما تناسب، وأيضاً فإن الثانى فى محل التأكيد لنفى قدرتهم على الاستيلاء على السد وتمكنهم منه، فناسب بذلك الإطالة»[2].

ونخلص إلى «أنه لما كان صعود السد الذى هو سبيكة من قطع الحديد والنحاس أيسر من نقبه وأخف عملاً خفف الفعل للعمل الخفيف فحذف التاء، فقال: ﴿فما اسطاعوا أن يظهروه﴾.. وطول الفعل فجاء بأطول بناء له للعمل الثقيل الطويل، فقال: ﴿وما استطاعوا له نقبا﴾، **فحذف التاء فى الصعود وجاء بها فى النقب**»[3].

---

(١) انظر: لطائف قرآنية للخالدي، ص٥٦.

(٢) انظر: ملاك التأويل لابن الزبير الغرناطي، تحقيق سعيد الفلاح، ٧٩١/٢، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

(٣) انظر: التعبير القرآني، د. فاضل السامرائي، ص٧٥، ط١، دار عمار، الأردن، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.

الكُره - الكَره

الكُره: بضم الكاف، والكره: بفتح الكاف، كلمتان متقاربتان في البناء وتركيب الحروف وشكل الحركات، ومتقاربتان -أيضا- في المعنى، لكن بينهما فروق، نستخرجها من النظر في السياق القرآني الذي وردتا فيه.

وردت كلمة «الكُره» بضم الكاف ثلاث مرات:

الأولى: في تكليف القتال الشاق، قال تعالى: ﴿**كُتب عليكم القتال وهو كُره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم**﴾[1].

إن تكليف القتال شاق على النفس، ولهذا تراه صعباً شاقاً ثقيلاً، وقد تكرهه بعض النفوس وبخاصة ضعاف الإيمان، وقد تتثاقل عنه وتتباطأ نفوس، وقد تتخلى عنه وتتركه نفوس.

ولكن النفس المؤمنة تنفر إليه وتقوم به وتمارسه، أي إنها تطلبه وتريده رغم مشقته وصعوبته، ولها وصف بأنه «كره» بضم الكاف، أي إنه ثقيل وشاق، لكنه مطلوب مراد من قبل المجاهدين الصادقين، لما يترتب عليه من آثار ونتائج وثمار وإيجابيات في الدنيا والآخرة.

الثانية والثالثة: وردتا في الحديث عن حمل المرأة ووضعها، قال تعالى: ﴿**ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا**﴾[2].

إن حمل المرأة بجنينها شاق صعب متعب مرهق، يضعف جسمها، ويؤثر في أعصابها ونفسيتها، وقد يصيبها بالأمراض، وقد يودى بحياتها، وقل مثل هذا في آلام المخاض وأوجاع الطلق، ومشقة الوضع الذي تعاني منه المرأة ما تعاني.

لكن ألا ترغب المرة في الحمل والإنجاب؟ ألا تحبه وتريده وتطلبه وتسعى إليه؟ ألا تلتذ به وتستعذبه وتشتاق إليه؟ وإذا مضى عليها شهور أو سنوات من دون حمل ألا تبذل جهدها في ذلك وتذهب لأمهر الأطباء؟

وهي عندما تضع تصرح أنها إن قامت سالمة لن تحمل أبداً، ثم تنسى

(١) سورة البقرة: ٢١٦. (٢) سورة الأحقاف: ١٥.

هذه الآلام والأوجاع بعد نفاسها، وتطلب الحمل وتريده!!

سبحان من جعل الحمل والإنجاب حاجة فطرية فى كل امرأة سليمة سوية، لتستمر الحياة!

لهذا عبر القرآن عن حملها ووضعها بأنه «كره» أى فيه مشقة وصعوبة وثقل، فيه آلام وأوجاع وأخطار، لكنه مع ذلك مرغوب عند المرأة ومطلوب ومراد.

لقد أطلق القرآن الكريم كلمة «الكُره» وصفاً على الأمر الذى فيه مشقة وصعوبة، فيه ألم ومعاناة لكنه مطلوب من قبل صاحبه ومرغوب عنده، أى إن صعوبته مقرونة بالإرادة والرغبة، بل باللذة والشوق!

أما كلمة «الكره» بفتح الكاف، فقد وردت فى القرآن الكريم خمس مرات، منها قوله تعالى: **﴿ولله يسجد من فى السموات والأرض طوعاً وكرهاً وظلالهم بالغدو والآصال﴾**[1]. وقوله سبحانه: **﴿أنفقوا طوعاً أو كرهاً لن يتقبل منكم إنكم كنتم قوماً فاسقين﴾**[2]. وقوله عزوجل: **﴿يا أيها آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها﴾**[3].

نلاحظ في الآية الأولى ورود كلمة «كره» بمعنى الإكراه والإجبار والقسر، وذلك لأن الأمر والتكليف جاء من الخارج.

الكافر يسجد لله مكرهاً مجبراً- رغم أنفه- والمراد بالسجود -هنا- الخضوع، وهو يتناول الجانب اللاإرادى من كيانه-مثل أجهزة جسمه ونواميس حياته- لهذا اعتبر سجوده وخضوعه «كرها» بفتح الماف، وليس هكذا سجود المؤمن وخضوعه لله، ولهذا وصفه القرآن الكريم بأنه ﴿طوعا﴾ وجعله مقابلاً ومضاداً لاستسلام الكافر وخضوعه الجبرى لله تعالى.

والآية الثانية تشير إلى أن إنفاق المنافقين رغم أنوفهم إنفاق بسبب القسر والإجبار والإكراه، وذلك لأنهم يريدون به التمويه على المسلمين، ولهذا وصف إنفاقهم بأنه «كره» بفتح الكاف.

والآية الثالثة تشير إلى ما كان فى الجاهلية، إذ كان الإنسان يرث زوجة

---

(١) سورة الرعد: ١٥. (٢) سورة التوبة: ٥٣.
(٣) سورة النساء: ١٩.

أبيه بأن يضع ثوبه عليها فتكون له من جملة الموروثات، وطبعاً ترفض المرأة هذا التصرف وتكرهه، لأنه إجبار وقسر لها، ولهذا سماه القرآن «كرها» بفتح الكاف، ونهى المؤمنين عن هذا التصرف الجاهلي البشع وحرمه عليهم.

إذن «الكره» بالضم: الأمر الشاق الصعب لكنه مرغوب ومطلوب.

و«الكره» بالفتح: الأمر المكروه المفروض الذى يأتى من الخارج ويحمل طابع الإكراه والجبر والقسر[1].

يقول الراغب الأصفهانى فى التفريق بينهما:

الكَره: المشقة التى تنال الإنسان من خارج، فيما يحمل عليه بإكراه.

والكُره: ما يناله من ذاته وهو يعافه، وذلك على ضربين:

أحدهما: ما يعاف من حيث الطبع.

والثانى: ما يعاف من حيث العقل أو الشرع.

ولهذا يصح أن يقول الإنسان فى الشئ الواحد: إنى أريده وأكرهه، بمعنى: إنى أريده من حيث الطبع، وأكرهه من حيث العقل أو الشرع، أو أريده من حيث العقل أو الشرع، وأكرهه من حيث الطبع»[2].

---

(١) انظر: لطائف قرآنية للخالدي، ص٨٢- ٨٦.

(٢) انظر: المفردات في غريب القرآن، ص٤٢٩.

الجسم - الجسد

الجسم والجسد كلمتان متقاربتان في الحروف وفي المعنى، وتطلقان على بدن الإنسان، لكن ما الفرق بينهما في القرآن الكريم؟ ومتى يسمى بدن الإنسان جسماً؟ ومتى يسمى جسداً؟

وردت كلمة الجسم مرتين في القرآن الكريم بمعنى: البدن فيه حياة.

قال تعالى عن طالوت مبيناً مؤهلاته ليكون ملكاً على بنى إسرائيل: **﴿إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم﴾**(١).

وقال تعالى عن اهتمام المنافقين بأجسامهم على حساب قلوبهم، واهتمامهم بالصورة والشكل على حساب الجوهر والمضمون: **﴿وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة﴾**(٢).

ونلاحظ من الآيتين أنهما تتحدثان عن الأحياء فطالوت ملك حى، والمنافقون أحياء يتكلمون، وأطلقت كلمة أجسام على الأبدان فى هذه الحالة.

أما كلمة «جسد» فقد وردت أربع مرات فى القرآن الكريم: وردت مرتين فى وصف العجل (التمثال) الذى صنعه السامرى من الذهب لبنى إسرائيل، ودعاهم إلى عبادته، مستغلاً غيبة موسى عليه السلام.

قال تعالى: **﴿واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلاً جسداً له خوار﴾**(٣).

وقال سبحانه: **﴿فأخرج لهم عجلاً جسداً له خوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسى﴾**(٤).

وأطلقت كلمة الجسد على ابن سليمان عليه السلام، الذى ولد ميتاً مشوهاً، قال تعالى: **﴿ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب﴾**(٥).

---

(١) سورة البقرة: ٢٤٧. (٢) سورة المنافقون: ٤.
(٣) سورة الأعراف: ٤٨. (٤) سورة طه: ٨٨.
(٥) سورة ص: ٣٤.

والمرة الرابعة التى وردت فيها كلمة «جسد»: فى بيان أن الأنبياء كانوا رجالاً أحياء ذوى أجسام متحركة، ولم يكونوا أجساداً هامدة، قال تعالى: **﴿وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً نوحى إليهم، فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون. وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين﴾**[١].

من هذا نعلم أن كلمة «جسد» فى السياق القرآنى وردت صفة للجماد وللميت الذى لا روح فيه، ونفيت عن النبى الحى المتحرك.

وبهذا نعرف الفرق بين الجسم والجسد فى القرآن.

فالجسم يطلق على البدن الذى فيه حياة وروح وحركة.

والجسد يطلق على التمثال الجامد، وبدن الإنسان بعد وفاته وخروج روحه[٢].

---

(١) سورة ص: ٣٤. (٢) سورة الأنبياء: ٧- ٨.

(٣) انظر: لطائف قرآنية للخالدي، ص٨٨.

الشرعة - المنهاج

قال تعالى: ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم﴾[1].

يذهب فريق من الناس إلى أن لفظتي الشرعة والمنهاج كلمتان بمعنى واحد، وأن المراد بهما «الدين» وجاء التكرير هنا لمجرد التأكيد.

جاء في تفسير النيسابوري قوله: «وهما عبارتان عن معبر واحد هو الدين،. والتكرير للتأكيد»[2].

ونقل ابن الجوزي أنهما بمعنى واحد، وإنما نسق أحدهما على الآخر لاختلاف اللفظين[3].

ويذهب بعض العلماء إلى أن بين اللفظتين فرقاً دقيقاً، وقد غلط ابن تيمية من قال: إن شرعة ومنهاجاً معناهما واحد، مؤكداً أن مثل هذا لا يجيء في القرآن ولا في فصيح الكلام[4].

جاء بطرق كثيرة مختلفة عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا﴾ أنه قال: سنة وسبيلاً[5]، وروى عنه: سبيلاً وسنة، واختاره ابن كثير[6].

وفي مسائل ابن الأزرق أنه سأل ابن عباس عن قوله تعالى: ﴿شرعة ومنهاجاً﴾، فأجابه: الشرعة: الدين، والمنهاج: الطريق، واستشهد على ذلك بقول أبي سفيان الحارث بن عبد المطلب:

لقد نطق المأمون بالصدق والهدى ... وبين للإسلام ديناً ومنهجاً[7]

---

(١) سورة المائدة: ٤٨.

(٢) انظر: تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري، طبع في حاشية تفسير الطبري، ٦/ ١٥٦، دار الفكر، بيروت، ١٣٨٩هـ.

(٣) انظر: زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، ٢/ ٣٧٢.

(٤) انظر: الإيمان لابن تيمية، ص١٦٩، ط٢، ١٣٩٢هـ، المكتب الإسلامي للطبع والنشر.

(٥) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (جامع البيان عن تأويل القرآن)، ٦/ ١٧٤، طبعة دار المعارف بمصر، وطبعة دار الفكر بيروت، ١٣٩٨هـ.

(٦) انظر: تفسير ابن كثير، ٦٦/٢، دار إحياء الكتب العربية، عيسى الحلبي، مصر.

(٧) انظر: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، ١ ١٢٠.

وتعقب بنت الشاطئ على هذا بأن تفسير الشرعة بالدين قريب، مع فرق دقيق بينهما تعطيه دلالة الدين أصلاً على الطاعة والانقياد، ودلالة الشرعة على الطريق الواضح، وهى فى أصل اللغة من شريعة الماء بما تعطى من رى ونجاة، والمنهاج ليس كذلك مجرد طريق، ولكنه الطريق المعبد المأمون[1].

وقيل فى الفرق بين اللفظتين: إن الشرعة: الطريق الذى ربما كان واضحاً، وربما كان غى ذلك، والمنهاج: الطريق الذى لا يكون إلا واضحاً، ذكره ابن الأنبارى[2].

واشتقاق الشرعة، إما من شرع بمعنى بيّن وأوضح، من قولهم: شرعت الإهاب إذا شققته وسلخته، أو من شرع فى الشئ إذا دخل فيه[3].

والشرعة فى اللغة تطلق على مورد الناس للاستقاء، سميت بذلك لوضوحها وظهورها وتقول اللغة أيضاً: الناس فى هذا شرع واحد، أى سواء، ومنه سمى الشارع حيث المرور فيه حق مشترك للجميع على حد سواء[4].

ومن خلال ما تقدم نجد أن المعنى اللغوى للكلمة يدور حول الوضوح والظهور، كما يدور على السهولة واليسر، مع المساواة فى إتاحة الأمر للجميع على حد سواء، من غير تفضيل لأحد على آخر.

يقول الراغب الأصفهانى: «فالشرع: نهج الطريق الواضح، وهو فى أصله مصدر من قولهم: شرعت له طريقاً، ثم جعل اسماً للطريق النهج واستعير ذلك للطريقة الإلهية».

فأصبح يدل على ما شرع الله لعباده من أحكام الدين وسنه لهم وافترضه عليهم، وجعلهم فى حكمه سواسية، لا فضل لأحدهم على الآخر.

وقوله تعالى: **﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾**[5].

---

(١) انظر: الإعجاز البياني ومسائل نافع بن الأزرق، ص٢٨٠.
(٢) انظر: زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي، ٢/ ٣٧٢.
(٣) انظر: القاموس المحيط للفيروزآبادي، ٣/ ٤٤.
(٤) السابق، ٣/ ٤٤. (٥) سورة الشوري: ١٣.

إشارة إلى وحدة شرائع الله ودياناته إلى الأمم في أصولها من معرفة الله وتوحيده وإقامة دينه وما إلى ذلك.

وأما النهج فهو: الطريق الواضح، والمنهج والمنهاج مثله، ونهج الطريق ينهج نهوجاً وضح واستبان، قال ابن جرير الطبرى: «المنهاج أصله: الطريق البين الواضح، ثم يستعمل في كل شئ كان بيناً واضحاً سهلاً، فمعنى الكلام: لكل قوم منكم جعلنا طريقاً إلى الحق يؤمه، وسبيلاً واضحاً يعمل له»[1].

فمدار الشريعة على الظهور والسهولة واليسر من غير صعوبة أو مشقة مع التساوى في إتاحة الفرصة.

ومدار المنهاج على الوضوح -والاستبانة من غير غموض أو التواء أو إبهام[2].

---

(١) انظر: تفسير ابن جرير الطبري ١٠/ ٣٨٤.

(٢) انظر: الفروق اللغوية للشايع، ص٢٤٤، ٢٤٨.

السبيل - الطريق

يعتقد بعض الناس بترادفهما ودلالة أحدهما على كامل معنى آخر، غير أن البيان القرآنى فضل استعمال لفظة «السبيل» على لفظة «الطريق» فى بيانه المعجز، يتضح ذلك من إحصاء استعماله لكل لفظة منهما فى بيانه، فقد جاء استعمال لفظة السبيل فى أسلوب القرآن الكريم- بمختلف تصاريفه- فى نحو مائة وأربعة وسبعين موضعاً[1].

وكان استعمال لفظة «الطريق» بتصاريفها فى نحو أربعة عشر موضعاً فقط.

وحين نلتمس دواعى هذا التفضيل الذى لم يأت جزافاً أو عبثاً نجد أن مدار لفظة «السبيل» على اليسر والسهولة والوضوح، إضافة إلى أن تتبع استعمالها يشير إلى أنها أغلب وقوعاً فى الخير.

بينما لا يكاد اسم الطريق يراد به الخير إلا مقترناً بوصف أو إضافة تخلصه لذلك وتدل عليه[2]، كما فى قوله تعالى ﴿**يهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم**﴾[3].

كما يغلب استعمال الطريق حين يكون الخطاب فى مجال العتاب والتهديد للكفار والمنافقين ونحوهم، كما فى قوله تعالى: ﴿**إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقاً. إلا طريق جهنم**﴾[4].

وقوله سبحانه: ﴿**وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقاً**﴾[5].

والطريق يطلق على كل ما يطرقه طارق معتاداً كان أو غير معتاد.

أما السبيل فإنها تطلق على الطريق الذى فيه سهولة، فهى فى المعنى الحسى أخص من الطريق، إذ هى تطلق على ما هو معتاد السلوك من الطريق.

ولفظة السبيل تقع على أوسع مما تقع عليه لفظة الطريق، فيعبر بالسبيل

---

(١) راجع: معجم ألفاظ القرآن الكريم، مجمع اللغة العربية، ١/ ٥٤٦، ٧٣٩. ومعجم الألفاظ والأعلام القرآنية، محمد إسماعيل إبراهيم ١/ ٢٥٦.

(٢) انظر: القاموس المحيط ٣/ ٣٩٢، ومفردات الراغب ص٣٢٦. والبرهان للزركشي ٤/ ٨٠.

(٣) سورة الأحقاف: ٣٠.

(٤) سورة النساء: ١٦٨- ١٦٩.

(٥) سورة الجن: ١٦.

عن المحجة، قال تعالى: ﴿**قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة**﴾(١).

ويقال: فلان ما عليه من سبيل، أى من حجة. ولا يقال: ما عليه من طريق. قال تعالى: ﴿**ما على المحسنين من سبيل**﴾(٢). وقال سبحانه: ﴿**إنما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء**﴾(٣).

كما يلاحظ فى البيان القرآنى اختصاص لفظة «السبيل» بإضافتها إلى الله فى كثير من الآيات، وهذا خلاف للفظة «الطريق» فلم تضف إليه سبحانه أبداً، قال تعالى: ﴿**ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات**﴾(٤). وقال: ﴿**..وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله**﴾(٥).

وورود السبيل فى القرآن الكريم بمعنى الطريق الحسى قليل كما فى قوله تعالى: ﴿**وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم وأنهارا وسبلاً**﴾(٦). وقال ﴿**ولا جنباً إلا عابرى سبيل**﴾(٧).

وفى هذا إشارة إلى السرعة فى المرور، وهو ما يتحقق بسهولة الطريق.

لكن يكثر فى القرآن الكريم استعمال السبيل بمعناه المعنوى، كما فى قوله تعالى: ﴿**ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل**﴾(٨).. إلى غير ذلك من الآيات.

فدلالة لفظة «السبيل» على اليسر والسهولة والوضوح، وكونها أغلب وقوعاً فى الخير وفى الحديث مع المسلمين أو عنهم.

واختلاف اللفظتين فى بعض مجالات الاستعمال، بحيث تصلح إحداهما دون الأخرى، واختصاص لفظة السبيل بإضافتها إلى الله سبحانه، وكثرة استعمالها فى القرآن الكريم دون لفظة «الطريق» - كل ذلك يدل على وجود فروق بينهما(٩).

---

(١) سورة يوسف: ١٠٨. (٢) سورة التوبة: ٩١. (٣) سورة التوبة: ٩٣.
(٤) سورة البقرة: ١٥٤. (٥) سورة: التوبة: ٦٠. (٦) سورة النحل: ١٥.
(٧) سورة النساء: ٤٣. (٨) سورة البقرة: ١٠٨.
(٩) انظر: الفروق اللغوية للشايع، ص٢٦٣- ٢٦٦.

اليأس - القنوط

اليأس قيل هو: القنوط، وهو ضد الرجاء[1]، وقيل: هو انتفاء الطمع، وانقطاع الرجاء من الشيء[2].

واليأس قد يكون قبل الأمل، وقد يكون بعده، قال تعالى: **﴿حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين﴾**[3] .. وقال سبحانه مبيناً حالة إخوة يوسف حين انقطع بهم الأمل فى محاولتهم العودة بأخيهم إلى أبيهم: **﴿فلما استيئسوا منه خلصوا نجيا﴾**[4].

ومما يلفت النظر فى استعمال القرآن الكريم إسناده اليأس إلى الكفار فى أكثر من آية ورد بها ذكر اليأس، قال تعالى: **﴿اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون﴾**[5]. وقال تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور﴾**[6]. وقال سبحانه: **﴿ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾**[7].

أما قوله تعالى: **﴿أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا﴾**[8]. فقد فسرت بمعنى العلم.

قال أبو البقاء فى الكليات[9]: كل يأس فى القرآن فهو قنوط إلا التى فى سورة الرعد فإنها بمعنى العلم.

ويقول الراغب الأصفهانى: **﴿أفلم ييأس الذين آمنوا﴾** قيل معناه: أفلم يعلموا، ثم قال: «ولم يرد فى كلامهم أن اليأس موضوع للعلم، وإنما قصد أن يأس الذين آمنوا من ذلك يقتضى أن يحصل بعد العلم بانتفاء ذلك[10].

---

(١) انظر: لان العرب، ٣/ ٢٠٠١. والقاموس المحيط ٢/ ٢٦٠.
(٢) انظر: مفردات الراغب، ص٨٥٠. والكليات لأبي البقاء، ص٧١٣.
(٣) سورة يوسف: ١١٠. (٤) سورة يوسف: ٨٠.
(٥) سورة المائدة: ٣. (٦) سورة الممتحنة: ١٣.
(٧) سورة يوسف: ٨٧. (٨) سورة الرعد: ٣١.
(٩) انظر: الكليات لأبي البقاء، ص٧٠٦.
(١٠) انظر: المفردات، ص٨٥١.

وأما القنوط فقيل: هو اليأس، وقيل: إنه أشد اليأس[1]، وعرفه الراغب بأنه: اليأس من الخير[2]، فهو -إذن- أخص من مطلق اليأس.

وعرفه صاحب المصباح المنير[3] بأنه الإياس من رحمة الله تعالي.

وتخصيص القنوط بالإياس من الرحمة يشهد له أكثر من آية جاء بها ذكر «القنوط»، قال تعالى: **﴿قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم﴾**[4].

وقال سبحانه: **﴿قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين. قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون﴾**[5].

وقال سبحانه: **﴿وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته﴾**[6].

وهذه نسبة كبيرة إذا علمنا أن القنوط ورد فى القرآن الكريم ست كرات.

فالقنوط أخص من اليأس، سواء أكان تعريفه أنه أشد اليأس وأبلغه، أم أنه اليأس من الخير، أم اليأس من رحمه الله وهى جزء من الخير.

وقيل: إن اليأس من صفة القلب، والقنوط ظهور آثار هذا اليأس على الوجه والأحوال الظاهرة، فيتضاءل وينكسر وينقطع رجاؤه من فضل الله ورحمته[7].

ونخلص إلى أن سياق الآيات وتخصيص إسناد اليأس إلى الكفار يوحى بأن اليأس أعم من القنوط، كما يوحى بأن اليأس أشد من القنوط.

وسياق آيات القنوط يشير إلى تخصيصه بالإياس من الرحمة[8].

---

(١) انظر: لسان العرب، ٣/ ١٣٢. والفروق في اللغة، لأبي هلال، ص٢٤٠.

(٢) انظر: المفردات، ص٦٢٤.

(٣) انظر المصباح المنير: ٢/ ٦٢٥.

(٤) سورة الزمر: ٥٣.

(٥) سورة الحجر: ٥٥- ٥٦.

(٦) سورة الشوري: ٢٨.

(٧) انظر: تفسير الكشاف للزمخشري، ٣/ ٤٥٧. وتفسير الرازي، ٢٧/ ١٣٧.

(٨) انظر: الفروق اللغوية للشايع ص٢٧٣.

الشك - الريب

يفسر الريب فى القرآن الكريم بالشك، حتى قال الزركشي فى البرهان: كل شئ فى القرآن من ريب فهو شك، غير حرف واحد، وهو قوله تعالى: **﴿أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون﴾**(١)، فإنه يعنى حوادث الدهر(٢).

وقد جاء تفسير الريب بالشك عن كثير من السلف، لكنه لا يلزم منه اعتقاد ترادفهما ترادفاً تاماً، لأن ذلك التفسير إنما هو تقريب للمعنى لا تحقيق دقيق له، ومن أوضح الشواهد على ذلك مجئ الريب وصفاً للشك فى ست آيات من القرآن الكريم، منها قوله تعالى: **﴿قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجواً قبل هذا أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا وإننا لفى شك مما تدعونا إليه مريب﴾**(٣).. وقوله سبحانه: **﴿وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل إنهم كانوا فى شك مريب﴾**(٤).

فمجئ الريب وصفاً للشك، من غير عكس- حيث لم يجئ الشك وصفاً للريب- دليل على ما بين اللفظين من فرق، وأنهما غير مترادفين ترادفاً تاماً كما هو ظن فريق من الناس، فلم يتبادلا فى كل سياق، ولأن الشئ لا يوصف بنفسه.

وهذا يعنى أن الشك إنما هو تقريب لمعنى الريب، لكن يبقى لكل لفظة دلالتها المتميزة التى تختص بها دون الأخرى.

فلفظة الريب يبدو انطواؤها على معان شعورية، تعود إلى قلق النفس واضطرابها، والشك ليس هو التفسير الوحيد للريب والريبة، وإنما تأتى بمعنى القلق والتهمة والحاجة والظن.

يقول ابن الأثير: الريب هو بمعنى الشك، وقيل: هو الشك مع التهمة، يقال: رابنى الشئ وأرابنى بمعنى شككنى، وقيل: أرابنى فى كذا أى شككنى وأوهمنى الريبة فيه، فإذا أستيقنته قلت: رابنى بغير ألف(٥).

وفرق أبو هلال العسكرى بين الشك والارتياب بأن الارتياب شك مع تهمة، والشاهد أنك تقول: إنى شاك اليوم فى المطر، ولا يجوز أن تقول: إنى مرتاب بفلان، إلا إذا شككت فى أمره واتهمته، ولهذا تعرف الريبة بأنها

---

(١) سورة الطور: ٣٠. (٢) انظر: البرهان للزركشي، ١/ ١٠٧.

(٣) سورة هود: ٦٢. (٤) سورة سبأ: ٥٤.

(٦) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، ٢/ ٢٨٦، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

الخصلة من المكروه تظن بالإنسان فيشك معها في صلاحه[(١)].

ويؤيد نور الدين الجزائرى تفسير الريب بأنه الشك مع التهمة، مستدلاً على ذلك بقوله تعالى: ﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه﴾[(٢)]، وأن المشركين مع شكهم فى القرآن كانوا يتهمون النبى ﷺ -ظلماً وزوراً- بأنه هو الذى افتراه، وأعانه عليه قوم آخرون[(٣)].

فالريب: شك وزيادة ظن سوء، والشك المريب: هو الشك الموقع فى الحيرة والاضطراب والقلق.

وهذا يعنى أن الريب أبلغ من الشك وأشد تمكناً فى النفس من مجرد التردد بين شيئين، وذلك لما فى الارتياب من اتهام وميل إلى ترجيح أحد الطرفين.

أما الشك فيعرفه الراغب الأصفهانى بأنه: اعتدال النقيضين عند الإنسان وتساويهما، وهذا ينتج عن عدم وجود أمارة مرجحة أصلاً لأحد الطرفين، أو وجود أمارتين متساويتين[(٤)].

يقال: شك فى الشئ: تردد فيه، ولم يصل فيه إلى اليقين، فهو شاك، قال الله تعالى: ﴿فإن كنت فى شك مما أنزلنا إليك﴾[(٥)]، أى إن كنت غير مستيقن.

الشك يدل فى معانيه على التداخل، وهذا يعنى أن اللفظة تحمل معانى الالتباس والاستغلاق، وهذا ما يؤدى إلى عدم استبانة الصواب ووضوح الحق فى نظر الشاك، وهذه الحالة تفضى به إلى القلق والاضطراب فيحرم الطمأنينة والارتياح، وهذا هو الارتياب، فالشك- إذن- سبب الارتياب.

يقول صاحب الكليات: «فالشك سبب الريب، كأنه شك أولاً فأوقعه ذلك الشك فى الريب، فالشك مبدأ الريب، كما أن العلم مبدأ اليقين»[(٦)].
ومن هنا نفهم مجئ الشك موصوفاً بالريب فى القرآن الكريم.

وننتهى إلى أن الريبة ليست هى الشك، وإنما هى نتيجته وحصيلته وأن تفسير الريب بالشك مع التهمة أقرب وأصوب، إذ إن حقيقة الريبة قلق النفس واضطرابها، والشك تردد يفضى إلى تلك الحالة، وبهذا يصبح تفسير الريب بالشك إنما هو تقريب للمعنى لا تحقيق دقيق له[(٧)].

---

(١) انظر: الفروق في اللغة، لأبي هلال، ص٩٢.
(٢) سورة البقرة: ٢.
(٣) انظر: فروق اللغات، نور الدين الجزائري، ص١١٠.
(٤) انظر: المفردات، ص٣٣٨.
(٥) سورة يونس: ٩٤.
(٦) أنظر: الكليات لأبي البقاء ص٣٨٦.
(٧) أنظر: الفروق اللغوية للشايع ص٢٢٧.

نكر - منكر

كلمتان متقاربتان وردتا فى القرآن الكريم، مادتهما الأصلية واحدة، وهما: النكر والمنكر، وأصلهما «نكر».. فهل هناك فرق بين الكلمتين؟

قال الإمام الراغب الأصفهاني عن «نكر»: الإنكار ضد العرفان، يقال: أنكرت كذا، ونكرت. وأصله: أن يرد على القلب ما لا يتصوره.. وقد يستعمل ذلك فيما ينكر باللسان.

والمنكر: كل فعل تحكم العقول الصحيحة بقبحه، أو تتوقف فى استقباحه واستحسانه العقول، فتحكم بقبحه الشريعة.

والنكر: الدهاء، والأمر الصعب الذى لا يعرف..»[1].

لقد وردت كلمة «نُكراً» فى القرآن الكريم ثلاث مرات، وكلمة «نُكر» مرة واحدة، وكلمة «منكر» ست عشرة مرة، نتأمل منها ما يأتى:

لما سار موسى مع الخضر عليهما السلام أقدم الخضر على قتل غلام صغير: **﴿حتى إذا لقيا غلاما فقتله قال أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا﴾**[2].

لقد أنكر موسى على الخضر قتله للغلام، واعتبر فعله يدعو للنكر والإنكار، ولهذا أنكر موسى عليه فعله ﴿لقد جئت شيئا نكرا﴾.

لكن الخضر كان على صواب فى قتله الغلام، ولذا قال لموسى فيما بعد: **﴿وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغياناً وكفرا. فأردنا أن يبدلهما ربهما خيراً منه زكاة وأقرب رحما﴾**[3].

فالفعل «قتل الغلام» فى ظاهره خطأ يدعو للإنكار، ولكنه فى حقيقته صحيح وصواب، ولهذا وصفه بأنه «نكر» وليس «منكرا».

أما كلمة «منكر» فإنها تعنى: الأمر الشائن، والتصرف القبيح، والفعل المحرم، والشئ الباطل، قال تعالى: **﴿وإنهم ليقولون منكراً من القول وزورا﴾**[4].

أى يقولون قولاً خاطئاً منكراً محرماً.

---

(١) انظر: المفردات، ص٥٠٥.
(٢) سورة الكهف: ٧٤.
(٣) سورة الكهف: ٨٠- ٨١.
(٤) سورة المجادلة: ٢.

وقد أوجب الله على المسلمين إنكار المنكر في أكثر من آية نكتفي منها بقوله تعالى: ﴿**ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون**﴾[1].

القرآن -إذن- فرق بين النكر والمنكر.

فالنكر: هو الأمر الذى قد يستغربه الإنسان وينكره، لأنه يظنه خطأ، مع أنه فى حقيقته صدق وصواب.

أما المنكر: فهو الأمر الذى ينكره الشرع ويرفضه ويحرمه ويدعونا إلى محاربته وإنكاره، لأنه باطل وخطأ، ولو رضى به بعض الناس وقبله.

فكل «نكر» صواب فى ميزان الله، وإن أنكره بعض الناس!

وكل «منكر» خطأ فى ميزان الله، وإن قبله بعض الناس!

والمعتبر فى القبول والإنكار ليس أعراف الناس أو تشريعاتهم أو مناهجهم -فقد يقبلون باطلاً، وقد ينكرون حقاً- ولكنه ميزان الله وشريعته سبحانه.. لأن الله عليم حكيم ﴿**قل أأنتم أعلم أم الله**﴾[2].

---

(١) سورة آل عمران: ١٠٤.

(٢) انظر: لطائف قرآنية، د. صلاح للخالدي، ص٧٢.

إن - إذا

من اللطائف العجيبة فى القرآن الكريم استخدام «إن»، و«إذا» وهما أداتان من أدوات الشرط.

ويعرف النحاة «إن» الشرطية بقولهم: إنها حرف جازم يجزم فعلين، الأول فعل الشرط، والثانى جواب الشرط وجزاؤه، وهى فى نظرهم أم الباب، أى الأداة الرئيسة فى أدوات الشرط.

ويقولون عن «إذا»: إنها ظرف لما يُستقبل من الزمان- وأحياناً للماضى بوجود قرينة- يتضمن معنى الشرط ولا يجزم، خافض لشرطه منصوب بجوابه.

ولم يفرق الناس فى أحاديثهم وكتاباتهم شعراً ونثراً، قديماً وحديثاً بين دلالة «إن» و «إذا»، فهم يستعملون كلاً منهما، إحداهما مكان الأخرى، وفق ما يسبق إلى ألسنتهم، أو تقتضيه أحكام الضرورة الشعرية أو الصنعة الأدبية.

انظر إلى بيت المتنبى:

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

فهو لم يضع «إذا» فى بداية الشطر الأول، و«إن» فى الشطر الثانى إلا لضرورة الوزن، ولو كان الأمر عكس ذلك لانكسر البيت واختل الوزن.

وليس الأمر كذلك فى القرآن الكريم، لأن الله عزوجل يستخدم كل كلمة وكل جملة فى القرآن الكريم فى مكانها، وفى السياق الذى ترد فيه، وفى التركيب المحدد لها.

فى القرآن الكريم يتحد لفظ الكلمة ومعناها، وتركيب الجملة ودلالتها فى نظم قرآنى معجز، تكون كل كلمة فيه مقصودة للفظها ومعناها، لتؤدى دلالتها وإيحاءاتها التى اقتضتها حكمة الله عزوجل.

واستعمال «إن» و«إذا» فى القرآن الكريم يؤكد هذه الحقيقة، ذلك أن «إن» ترد فى القرآن الكريم عندما يكون الأمر محتملاً للشك بعيداً عن اليقين.

وترد «إذا» عندما يكون الأمر مؤكداً لا تشك فى حصوله.

اقرأ الآيات الكريمة الآتية:

قال تعالى: ﴿فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام﴾[1].

وقال تعالى: ﴿حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون﴾[2].

وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله﴾(الجمعة:٩). وأترك القارئ الكريم يتبين مدى اليقين فى هذه الآيات[3].

أما «إن» فإنها لمواضع الشك، تأمل قوله تعالى: ﴿فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة﴾[4].

وقوله سبحانه: ﴿قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾[5].

وقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾[6].

وقوله سبحانه فى سورة الشورى: ﴿وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة فرح بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور﴾[7].

تذوق.. كيف أتى فى تعليق الرحمة المحققة إصابتها من الله تعالى بـ«إذا»، لأن «إذا» تدخل على المتيقن من الأمور: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾[8]، وأتى فى إصابة السيئة بـ«إن» التى لا تدخل فى التركيب إلا على أمر مشكوك فيه، فإن ما يعفو الله عنه أكثر.

وقوله تعالى فى سورة الإسراء: ﴿وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه وإذا مسه الشر كان يئوساً﴾[9].

كيف أتى -هنا- بـ«إذا» المشعرة بتحقيق الوقوع المستلزم لليأس، فإن اليأس إنما حصل عند تحقيق مس الشر له، فكان الإتيان بـ«إذا» ههنا أدل على المعنى المقصود من «إن».

ومثل هذه الأسرار فى القرآن الكريم لا يرقى إليها إلا بموهبة من الله، وفهم يؤتيه عبداً فى كتابه[10].

---

(١) سورة البقرة: ١٨٩. (٢) سورة الأنعام: ٦١.
(٣) انظر: شواهد في الإعجاز القرآني، د. عودة، ص٢١٩.
(٤) سورة النساء: ٣. (٥) سورة البقرة: ١١١. (٦) سورة الحجرات: ٦.
(٧) سورة الشوري: ٤٨. (٨) سورة النصر: ١ (٩) سورة الإسراء: ٨٣.
(١٠) انظر: ابن القيم وحسه البلاغي في تفسير القرآن، د. عبد الفتاح لاشين، ص٥٦.

وختاما

فقد تبين لنا من تحليل مجموعة من الألفاظ القرآنية اختصاص كل لفظ بدلالة أو أكثر من الدلالات الهامشية التى يمتاز بها من الألفاظ الأخرى التى تشاركه فى المعنى العام.

ولا غرو فى ذلك فهو البيان الأعلى الذى خلف وراءه ألسنة الأعراب فى عصر الفصاحة عاجزة متلجلجة، وتحدى من بعدهم الإنس والجن–وإن تظاهرا– أن يأتوا بآيات من مثله ولو مفتريات، فما استطاعوا إلى ذلك سبيلا.

ولا ريب أن ما وجدناه من فروق بين ألفاظ تقاربت دلالاتها فى آيات الكتاب المبين– يعد واحداً من أسرار فصاحته وإعجازه، فكان أن امتاز من البيان البشرى بدقة ألفاظ وتوافق معان، ترتد أبصار البلغاء كليلة دون الطموح إليها[1].

إن مرد بلاغة القرآن الكريم ترجع فى جانب كبير منها إلى الدقة المتناهية فى اختيار ألفاظه من حيث مطابقة اللفظ للمعنى، ومدى القدرة الفائقة على تسخير اللفظ لتجلية المعنى، وعرضه فى المظهر المطلوب، والمكان المناسب.

وإن الكلمة القرآنية تمتاز إلى جانب الإيقاع الخاص فى السمع باتساقها الغريب مع المعنى حتى إن القارئ يحس بإطلالة المعنى المطلوب أو كأن فيها إشراقا تتألق فيه صورة المعنى أمام ذهنه وبصره. ولاشك فى صلاح كل كلمات القرآن الكريم للتمثيل على الدقة المتناهية فى أختيار الألفاظ وحسبنا ما قدمنا دليلا واضحا على الدقة فى الدلالة على المعنى وحسن أنتقاء اللفظ، واستعمال ما هو أحق بالمعنى وأولى بالإستعمال فقد يشترك لفظات فى معنى واحد ولكن أحدهما أدق من الآخر فى الدلالة، وأدخل فى المعنى، وأقدر على التعبير عنه من اللفظ الآخر، وقد تغيب هذه الفروق الدقيقة بين

---

(١) انظر:الترادف في القرآن الكريم، محمد نور الدين المنجد، ص٢٢٤.

الألفاظ عن عامة الناس وبعض خاصتها، ولكن أسلوب القرآن الكريم يراعيها بدقة فلا تغيب عنه هذه الفروق.

ويبقى القرآن الكريم محفوظاً بحفظ الله، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، قائماً يتحدى الناس جميعاً أن يأتوا بمثله، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، وهذا التحدى لا يكون إلا باللغة، وبالبناء اللغوى المعجز، وبالأداء البيانى العالى الذى هدفه التشريع أولاً، ويفيض منه على مر العصور ظواهر بلاغية وأدبية تبهر الألباب والعقول، وتتشكل فى كل عصر بما يلائم ذلك العصر من أشكال الحياة المتنوعة، ومفردات المعرفة المتجددة، ذلك أن نظم القرآن الكريم واختياره للكلمات فى سياقها وللحركات تنظم التراكيب اللغوية، وللدلالات المعجمية المرتبطة بالسياق الاجتماعى، كل ذلك هو إعجاز القرآن الكريم.

إن إعجاز القرآن الكريم فى الإشعاع وفى الإيحاء وفى الظلال وفى المعانى التى تفيض من آياته فى كل زمن، ومن العجيب أنها دائمة صادقة كل الصدق، كاملة تمام الكمال، ذلك أن كل عصر يأخذ منها بطرف، بل إن كل عصر يتوصل إلى ما يكتب له أن يتوصل إليه وعندما تقوم الساعة يكون الناس جميعاً خاضعين لقول الله عزوجل: **﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾**(١)، ومؤمنين بقوله سبحانه: **﴿قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا﴾**(٢).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

---

(١) سورة الكهف: ٨٥.

(٢) سورة الكهف: ١٠٩.. وانظر: شواهد في الإعجاز القرآني، د. أبو عودة، ص٤٩.

المراجع

(١) الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى، ط٣، ١٣٧٠هـ، المكتبة الثقافية، بيروت.

(٢) أساس البلاغة للزمخشرى، مطابع دار الشعب، ١٩٦٠م، مصر.

(٣) أسلوب الالتفات فى البلاغة العربية، د. حسن طبل، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.

(٤) الأسلوب فى الإعجاز البلاغى للقرآن الكريم، د. محمد كريم الكواز، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ط١، ١٩٩٧م.

(٥) الإعجاز البلاغى، د. محمد أبو موسى، ط١، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٤م.

(٦) الإعجاز البيانى للقرآن ومسائل ابن الأزرق، د. بنت الشاطئ، ط دار المعارف بمصر.

(٧) إعجاز القرآن للباقلانى، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، ١٩٦٣م، وط ١٩٥٤م.

(٨) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعى، ط٤، دار الكتاب العربى، بيروت، ١٩٧٤م.

(٩) إعجاز القرآن البيانى بين النظرية والتطبيق، د. حفنى محمد شرف، مطابع الأهرام، القاهرة.

(١٠) إعجاز القرآن الكريم، د. فضل حسن عباس، وسناء فضل عباس، ط دار الفرقان، ١٩٩١م.

(١١) الإيمان لابن تيمية، ط٢، ١٣٩٢هـ، المكتب الإسلامى للطبع والنشر.

(١٢) البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط٢، ١٩٨٣م.

(١٣) البرهان فى علوم القرآن للزركشى، ط٢، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، ١٩٥٧م.

(١٤) البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن للزملكانى، ط١، تحقيق د. خديجة الحديثى، ود. أحمد مطلوب، مطبعة العانى، بغداد، ١٣٩٤هـ، ١٩٧٤م.

(١٥) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادى، تحقيق

محمد على النجار، والطحاوى، ط المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٩٦٣م.
(١٦) الترادف فى القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، محمد نور الدين المنجد، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.
(١٧) التعبير الفنى فى القرآن، د. بكرى شيخ أمين، ط٢، دار الشروق.
(١٨) التعبير القرآنى، د. فاضل صالح السامرائى، دار عمار، الأردن، ط١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.
(١٩) تفسير أبى السعود، دار إحياء التراث العربى، بيروت.
(٢٠) تفسير البيضاوى (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع، بيروت.
(٢١) تفسير ابن جرير الطبرى، ط دا المعارف بمصر، وط. دار الفكر، بيروت ١٣٩٨هـ.
(٢٢) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابورى (بهامش تفسير الطبرى)، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ.
(٢٣) تفسير ابن كثير، دار إحياء الكتب العربية، الحلبى، مصر.
(٢٤) تاريخ آداب العرب للرافعى، ط٤، دار الكتاب العربى، بيروت، ١٩٧٤م، وط٢، ١٣٧٣- ١٩٥٣م.
(٢٥) ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن للرمانى والخطابى والجرجانى دار المعارف بمصر.
(٢٦) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى، دار إحياء التراث العربى، بيروت، ١٩٦٧م.
(٢٧) جماليات المفردة القرآنية، د. أحمد ياسوف، دار المكتبى، دمشق، ط٢، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.
(٢٨) ديوان جرير شرح محمد بن حبيب، تحقيق د. نعمان محمد أمين طه، دار المعارف بمصر.
(٢٩) ديوان النابغة الذبيانى، جمع وتحقيق الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، نشر الشركة التونسية للتوزيع، تونس.
(٣٠) روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى، الألوسى، دار إحياء التراث العربى، بيروت.
(٣١) زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى، ط١، ١٣٨٤هـ، المكتب

الإسلامي للطباعة والنشر.
(٣٢) شواهد في الإعجاز القرآني (دراسة لغوية دلالية)، د. عودة أبو عودة، دار عمار، الأردن، ط١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.
(٣٣) الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، ابن فارس، تحقيق مصطفى الشويمي، ط ١٩٦٤م، مؤسسة بدران للطباعة والنشر، بيروت.
(٣٤) الفروق في اللغة، أبو هلال العسكري، ط١، ١٩٧٧م، دار الآفاق الجديدة، بيروت.
(٣٥) فروق اللغات، نور الدين الجزائري، تحقيق أسد الله، مطبعة النجف، ١٣٨٠هـ، دار الكتب العلمية بالنجف.
(٣٦) الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن الكريم، د. محمد بن عبد الرحمن بن صالح الشايع، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.
(٣٧) فقه اللغة وسر العربية للثعالبي، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، ط٢، الحلبي بمصر، ١٣٧٣هـ، ١٩٥٤م.
(٣٨) فكرة إعجاز القرآن منذ البعثة المحمدية حتى عصرنا الحاضر، نعيم الحمصي، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م.
(٣٩) فكرة النظم بين وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، د. فتحي أحمد عامر، القاهرة، ١٣٩٥هـ.
(٤٠) القراءات القرآنية وصلتها باللهجات العربية، د. رشاد سالم، ط١، دار المنار، مصر، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.
(٤١) القاموس المحيط للفيروزآبادي، دار الفكر، لبنان.
(٤٢) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل للزمخشري، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.
(٤٣) الكليات لأبي البقاء الحسيني، مطبعة العامرة، ١٢٨٧هـ.
(٤٤) لسان العرب، لابن منظور، تقديم العلايلي، وتصنيف يوسف خياط، دار لسان العرب، بيروت.
(٤٥) لطائف قرآنية، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم، دمشق، ط٢، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

(٤٦) لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، د. فاضل صالح السامرائي، دار عمار، الأردن، ط١ ، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.
(٤٧) مباحث في إعجاز القرآن، د. أحمد جمال العمري، ١٩٨٠م، مكتبة الشباب، مصر.
(٤٨) المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي، شرح جاد المولى، والبجاوى وآخرين، ط٤ ، عيسى الحلبي، مصر.
(٣٩) المشاهد في القرآن الكريم، د. حامد صادق قنيبي، ط١ ، ١٩٨٤م، مكتبة المنار، الأردن.
(٥٠) المصباح المنير للفيومي، المطبعة الأميرية الكبرى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨هـ.
(٥١) معترك الأقران في إعجاز القرآن للسيوطي، تحقيق البجاوى، طبع دار الفكر العربي.
(٥٢) معجم ألفاظ القرآن الكريم (وضع مجمع اللغة العربية)، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب.
(٥٣) معم الألفاظ والأعلام القرآنية، محمد إسماعيل إبراهيم، ط٢ ، دار الفكر العربي، ١٩٦٨م.
(٥٤) معجم مقاييس اللغة لابن فارس، تحقيق عبد السلام هارون، ط١ ، القاهرة، ١٣٦٦هـ، دار إحياء الكتب العربية، عيسى الحلبي.
(٥٥) مع القرآن الكريم في إعجازه اللغوي، د. رشاد سالم، مطابع الشهامة، الشارقة، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.
(٥٦) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، مكتبة الأنجلو المصرية، بإشراف خلف الله.
(٥٧) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) للفخر الرازي، ط١ ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨١م.
(٥٨) ملاك التأويل لابن الزبير الغرناطي، تحقيق سعيد الفلاح، ط١ ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.
(٥٩) من بلاغة القرآن، د. أحمد بدوى، ط٣، ١٣٧٠هـ، ١٩٥٠م، مكتبة نهضة مصر، القاهرة.
(٦٠) من روائع القرآن، د. محمد سعيد البوطي، ط٢ ، مكتبة الفارابي، دمشق، ١٩٨٠م.
(٦١) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

القسم السادس

قسم الصحافة

١- المشكلات التعليمية والتدريسية في قسم الصحافة والإعلام

د/شعبان أبو اليزيد شمس

٢- الغناء التليفزيوني في ضوء دراسة الغزالي لكتابه

أدب السماع الواجد

د/عرفه أحمد عامر

٣- الصحافة الإلكترونية

د/ جواد راغب الدلو

المشكلات التعليمية والتدريبية في قسم الصحافة والإعلام جامعة الازهر

«دراسة استطلاعية مقارنة بين الطلاب وأعضاء هيئة التدريس»

د/ شعبان أبو اليزيد شمس
رئيس قسم الصحافة والإعلام

أولاً: مشكلة البحث ومنهجه

مقدمة

ليس بجديد القول إن كل تغيير مجتمعى، لابد أن يصاحبه تغيير تربوى وتعليمى، إلا أن الأمر، نتيجة للنقلة النوعية الحادة الناجمة عن تكنولوجيا المعلومات، لا يمكن وصفه بأقل من كونه ثورة شاملة فى علاقة التعليم والتربية بالمجتمع. وهناك من يرى أن النقلة المجتمعية التى ستحدثها تكنولوجيا المعلومات، ما هى فى جوهرها إلا نقلة تعليمية تربوية فى المقام الأول، فعندما تتوارى أهمية الموارد الطبيعية والمادية وتبرز المعرفة كأهم مصادر القوة الاجتماعية تصبح عملية تنمية الموارد البشرية –التى تنتج هذه المعرفة وتوظفها –هى العامل الحاسم فى تحديد قدر المجتمعات، وهكذا تداخلت التنمية والتربية إلى حد يصل إلى شبه الترادف، وأصبح الاستثمار فى مجال التربية والتعليم هو أكثر الاستثمارات عائدا، بعد أن تبوأت «صناعة البشر» قمة الهرم بصفتها أهم صناعات عصر المعلومات على الإطلاق. لقد أدرك الجميع أن مصير الأمم هو رهن بإبداع بشرها ومدى «تحديه واستجابته» لمشاكل التغيير ومطالبه»[١].

وتجاوبا مع الطرح العلمى للعلاقة بين التعليم والإنتاجية تناولت العديد من الدراسات المتخصصة الواقع التعليمى فى مصر بأبعاده المختلفة ومكوناته من معلمين ومناهج دراسية وطلاب ووسائل تعليمية وغيرها، تبين أن «التفكير الخطى هو السائد حتى الآن فى تدريس المقررات الدراسية بالجامعات حيث تقدم مفاهيم أو موضوعات أى مقرر منفصلة عن بعضها البعض بحيث تؤدى فى النهاية إلى ركام معرفى هائل غير مترابط يهدف إلى مساعدة الطالب على إجتياز امتحانات تقتصر فقط على قياس الجانب المعرفى. أما الاتجاه المنظومى

فى التدريس والذى يتم من خلال منظومات يتضح فيها إرتباط المفاهيم والموضوعات بعضها البعض من خلال منظومة متكاملة مما يجعل الطالب قادرا على ربط ما سبق دراسته مع ما سوف يدرسه فى أى مرحلة من مراحل الدراسة من خلال خطة محددة وواضحة لإعداده فى منهج معين أو تخصص بعينه»[٢] فهو نادر الوجود.

وإذا طبقنا هذه النتائج على مجال الإعلام فى جانبه الأكاديمى نجد أن تعليم الإعلام يعانى فى عدد كبير من أقسامه فى جامعاتنا من مشكلات تعليمية وتدريبية يمكن إجمالها فيما يلى:

١- وجود مشكلات تعليمية تتمثل فى وجود هوة بين المحتوى الدارسى للمناهج وبين الممارسات العملية فى سوق العمل.

٢- المناهج التعليمية لا تعكس قضايا المجتمع الملحة، وعدم مسايرتها للأساليب العلمية فى تنمية التفكير والإبتكار.

٣- ندرة الوسائل التعليمية التى تحتمها متطلبات دراسة الإعلام.

٤- ضعف أساليب تقويم الطالب من اختبارات وغيرها لا تقيس كفاءة الطالب الحقيقية.

٥- عدم وجود تنسيق وتعاون بين التعليم والتدريب داخل أقسام الإعلام.

٦- ندرة المدربين الأكفاء، بالإضافة إلى عدم انتظام المدربين الحاليين مع الطلاب فى هذا المجال.

٧- وجود مشكلات تعليمية واقتصادية واجتماعية يعانى منها أعضاء هيئة التدريس فى أقسام الإعلام.

٨- وجود خلل فى العلاقة العلمية والاجتماعية بين الأستاذ والطالب.

٩- الاعتماد الكلى على مجموع درجات الطالب المتقدم للدراسات الإعلامية، دون الاعتماد على استعداداته للتوافق مع هذه الدراسات.

تحديد المشكلة البحثية:

يعد قسم الصحافة والإعلام بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر من أقدم الأقسام العلمية فى الجامعات المصرية، حيث أنشئ عام ١٩٧٥م بهدف إعداد

دراسين فى مجال الإعلام بفروعه الثلاثة الصحافة والنشر، والإذاعة والتليفزيون، والعلاقات العامة والإعلان يجمعون بين الدراسة الأكاديمية فى هذا التخصص الهام وبين دراسة العلوم الشرعية واللغة العربية بهدف إعداد إعلامى جاد يعكس وسطية الإسلام التى تمسك بها الأزهر جامعا وجامعة لعدة قرون.

والباحث من خلال معايشته لهذا القسم منذ بداياته الأولى يلاحظ وجود العديد من المشاكل التعليمية والتدريبية التى تحول دون إعداد جيد لخريج متميز ينتسب لهذه الجامعة العريقة. وهذه الدراسة تحاول تشخيص تلك المشكلات من خلال التعرف على آراء الطلاب وأعضاء هيئة التدريس للوصول إلى نتائج تطرح رؤية مستقبلية للدراسة فى هذا القسم.

الدراسات السابقة:

تعد هذه أول دراسة علمية تجرى على قسم الصحافة والإعلام جامعة الأزهر للتعرف على المشكلات التعليمية والتدريبية فيه، أما عن الدراسات التى أجريت على تدريس الإعلام بصفة عامة، والتى استعان بها الباحث فى أدبيات الدراسة فهى:

١- دراسة نبيل حداد «نحو أسس للقبول لطلبة أقسام الإعلام العربية» جامعة اليرموك- إربد- الأردن(٣).

٢- دراسة محمد أحمد الغنام «التعليم والإعلام من أجل تربية أفضل للمواطن العربى»(٤).

٣- دراسة عصام سليمان موسى، «لغة الاتصال الجماهيرى وكتبه، مشكلة عربية فى الاتصال»(٥).

٤- الدراسات الإعلامية فى العالم العربى، وهى ندوة. عقدتها جامعة الرياض عام ١٩٧٨م(٦).

٥- دراسة محمود شريف، إعداد طلاب الإعلام (التدريس النظرى)، مشاكل وحلول(٧).

٦- دراسة سنان سعيد «الدراسات والمناهج الإعلامية، كلية الآداب جامعة بغداد- العراق(٨).

٧- دراسة محمد محمد فهمى أمين وآخرون، عن مواظبة طلاب مرحلة البكالوريس فى حضور الدروس النظرية والعملية بكلية طب بنين الأزهر-قسم الصحة العامة وطب المجتمع- وهى دراسة تناقش ظاهرة تغيب الطلاب وأسبابها من جميع الجوانب[٩]. وهى تتفق من حيث الأهداف والمحتوى مع هذه الدراسة بالإضافة إلى عدد من المراجع العملية التى تناولت فى ثناياها هذه القضية.

تساؤلات الدراسة:

تسعى هذه الدراسة إلى الرد على التساؤلات الرئيسية التالية:

أ- تساؤلات خاصة بالمشكلات التعليمية:

١ - هل تواكب الدراسة النظرية فى القسم سوق العمل بالنسبة للخريجيين؟

٢- هل تؤهل المناهج الحالية خريجا مميزا فى مجال الإعلام؟

٣- هل تعكس الكتب الدراسية المناهج المقررة فى القسم؟

٤- ما سلبيات وإيجابيات اشتراك أكثر من أستاذ فى تدريس المادة الواحدة؟

٥- هل المواد غير النخصصية فى القسم تشكل عبئا على طالب الإعلام؟

٦- كيف نوظف المواد غير التخصصية لخدمة تخصص الإعلام؟

٧- هل يشكل غياب طلاب القسم عن المحاضرات ظاهرة؟

٨- ما أسباب ظاهرة تغيب الطلاب عن المحاضرات؟

٩- ما أساليب تقويم أداء الطلاب؟

١٠- هل الاختبارات الحالية تقيس فعلا مستوى الطالب؟

١١- هل توجد أسئلة فى الاختبارات تميز بين الطالب المواظب وغير المواظب؟

ب- تساؤلات خاصة بالمشكلات التدريبية:

١ - هل يوجد برنامج محدد وواضح للتدريب فى القسم؟

٢- ما مدى التوافق بين التدريب العملى والدراسة النظرية؟

٣- ما مدى متابعة إدارة القسم لعملية التدريب؟

٤- هل غياب الطلاب عن التدريب يشكل ظاهرة؟
٥- ما الأسباب الحقيقية وراء تغيب الطلاب عن التدريب؟
٦- ما أشكال التدريب المتبعة فى القسم؟
٧- ما مدى كفاءة المدربين فى القسم؟

نوع البحث ومنهجه:

أ- ينتمى هذا البحث إلى ما يسمى بالبحوث الوصفية التى تركز على وصف طبيعة وسمات وخصائص مجتمع معين أو موقف أو جماعة أو فرد وتكرارات حدوث الظاهرات المختلفة(١٠) وهى بحوث تستهدف فى جانب كبير منها إلى توفير معلومات وبيانات عن العوامل والمتغيرات المؤثرة فى الإعلام والاتصال بالجماهير، والكشف عن الدور الاجتماعى والتعليمى والتربوى للإعلام، وهى أيضا نوع من البحوث والدراسات التى تستهدف التعرف على المتغيرات البيئية والمجتمعية والاقتصادية والسياسية العامة التى تؤثر فى النشاط الإعلامى والعلاقات التركيبية بين هذه العوامل والمتغيرات من جهة والسياسات الإعلامية والاتصالية وأساليب وطرائق تنفيذها من جهة أخرى(١١).

ب- كما ينتمى هذا البحث خاصة فى الجزء الميدانى منه إلى البحوث الاستطلاعية من خلال منهج المسح بالعينة، والطابع الاستطلاعى للبحث تحتمه عادة ندرة أو عدم توفر بحوث سابقة كثيرة يمكن الاعتماد عليها، لذلك فقد استخدم الباحث استمارة الاستقصاء للتعرف على رأى الطلاب وأعضاء هيئة التدريس فى المشكلات التعليمية والتدريبية التى تواجه مرحلة الليسانس بكل تفاصيلها كما تعكسها أدبيات الدراسة والجزء الميدانى.

عينة الدراسة:

اختار الباحث عينة بلغ عددها (١٨٠) طالب تمثل السنوات الثلاث: السنة الثانية (صحافة وإعلام)- السنة الثالثة بشعبها الثلاث. السنة الرابعة بشعبها الثلاث (صحافة ونشر، وإذاعة وتليفزيون، علاقات عامة وإعلان) بنسبة ٥٥٪ من إجمالى عدد الطلاب وتم استبعاد السنة الأولى لحداثة عهد الطلاب بالدراسة وقلة عدد المواد المتخصصة فى الإعلام فى الفصل الدراسى الأول مما

يجعل ردودهم على تساؤلات الدراسة غير موضوعية.

ويبلغ تمثيل كل سنة من سنوات الدراسة (٦٠) طالب. وقد بلغ عدد عينة أعضاء هيئة التدريس (١٥) عضو هيئة تدريس من القائمين على رأس العمل فى الشعب الثلاث.

ادوات جمع البيانات:

استخدم الباحث لدراسته عدة أدوات لجمع البيانات هى:

١- **الاستبيان:** للتعرف على آراء الطلاب وأعضاء هيئة التدريس فى القسم فى المشكلات التعليمية والتدريبية التى تواجه قسم الصحافة والإعلام حيث بدأ الباحث بطرح عدد من الأسئلة المفتوحة على (٣٠) طالب فى السنوات الثلاث أى بنسبة ١٧ ٪ من العينة الكلية لمعرفة تلك المشكلات ثم بلورتها فى النهاية، فى صورة عبارات تمثل محاور الدراسة المختلفة على طريقة «ليكرت» الخماسية التدريج، وفيها يتم استطلاع رأى المبحوث ودرجة موافقته على تلك العبارات من خلال خمس درجات للموافقة:

موافق جدا	٥
موافق	٤
موافق إلى حد ما	٣
غير موافق	٢
غير موافق على الإطلاق	١

٢- كما استخدم الباحث أداة الملاحظة من خلال متابعته المستمرة لسير العملية التعليمية والتدريبية فى قسم الصحافة والإعلام والربط بين بعض الظواهر كتغيب الطلاب وأسبابه، وحديث الطلاب عنها، وغيرها من القضايا التى سهلت عملية تصميم أداة جمع البيانات.

٣- كما أجرى الباحث عدداً من المقابلات مع الأستاذ الدكتور/ رئيس القسم السابق الذى عايش تجربة قسم الصحافة منذ بداياته للتعرف على رأيه وتشخيصه لتلك المشكلات فى فترة ليست بالقصيرة فى عمر القسم، وأيضا أجريت مقابلات مع عدد كبير من الطلاب فى القسم بسنواته

المختلفة، وأيضا أعضاء هيئة التدريس، مع التأكيد للطلاب بأن الاستبيان هو لغرض الدراسة فقط ولخدمتهم تعليميا وتدريبيا.

البعد الزمني للدراسة:

أجريت هذه الدراسة خلال شهور أكتوبر ونوفمبر وديسمبر ٢٠٠١م خلال الفصل الدراسى الأول للعام الجامعى ٢٠٠١/ ٢٠٠٢م.

تقسيم الدراسة:

تم تقسيم هذه الدراسة إلى عدة محاور كالآتى:

أولا: مشكلة البحث ومنهجه وتشمل: مدخل إلى مشكلة الدراسة، وتحديد المشكلة البحثية، والدراسات السابقة، وتساؤلات الدراسة، ونوع البحث ومنهجه، ثم عينة الدراسة، وأدوات جمع البيانات.

ثانيا: أدبيات الدراسة: وتشمل: أهمية التعليم للمجال الإعلامي، والمشكلات التعليمية فى دراسة الإعلام، والمشكلات التدريبية فى أقسام الإعلام وكلياته، ثم المشكلات التى تواجه أعضاء هيئة التدريس، وأيضا المناهج الدراسية ومشكلاتها، والكتب الدراسية وعلاقتها بالمناهج.

ثالثا: نتائج الدراسة الميدانية ومناقشتها.

أدبيات الدراسة

أولا": أهمية التعليم للمجال الإعلامي:

إن تطور الإعلام والاتصال وظهور وسائل الاتصال الجديدة وتطور تقنياتها وتوسع استخدامها، واتباع أساليب متطورة وحديثة فى مخاطبة الجماهير، وتنوع وتعقد العمل داخل الأجهزة الإعلامية، وتطور فنون السينما والراديو والتليفزيون، إلى جانب متغيرات العصر فى الميادين كافة، جعل معاهد إعداد الكوادر الإعلامية والتأهيل الصحفى تراجع مناهجها وخططها وتعيد النظر فيها على نحو يتفق مع ظروف ومتطلبات المرحلة الراهنة.

ولم تعد الموهبة والثقافة العامة كافية للأداء الجيد وتحقيق النجاح فى الممارسة والتطبيق فى العمل الصحفى أو الإعلامى بأنواعه، وانتهى عهد الصحافة التى كان يتولاها ويمارس العمل فيها الموهوبون من أدباء وشعراء

وحدهم فى أوربا وغيرها من مناطق العالم. وانتهت صحافة المبادرات الفردية وتحولت الصحيفة وما يناظرها من وسائل إعلامية من مشروع صغير يتبناه وينظمه ويديره شخص أو بصفة أشخاص إلى مؤسسة يعمل فيها المئات وأحيانا الألوف، وفق تخطيط وبحساب من أجل هدف مرسوم هو مخاطبة الملايين من الناس. ولذلك كان من الأوجب على الإعلامى أن يفهم الإدارة والاقتصاد إلى جانب السياسة والفلسفة والتاريخ، ويعرف اللغات والقانون والجغرافيا السياسية، ويقف على اتجاهات الرأى العام والمذاهب الاقتصادية والاجتماعية مع إلمامه بفنون الإعلام وأساليب ممارسته بشكل عام(١٢)، ويمتلك القدرة على فهم فن الحياة، وليس مجرد الإطلاع على الأمور المتصلة بالحياة فى جوانبها المختلفة(١٣).

وتبعا لكل ذلك برزت أهمية إعداد وتأهيل الكوادر الإعلامية كضرورة تمليها ظروف ومتطلبات التطور والثورة الهائلة فى مجال الاتصال الجماهيرى وهذا ما يقوم به قطاع «التعليم» الممول الرئيسى للإعلام والمتمثل فى كليات ومعاهد وأقسام الإعلام المختلفة فى مصر والدول العربية.

ويوجد بين التعليم والإعلام فى كل دولة عربية وخاصة مصر خيوط أو خطوط اتصال وتعاون كثيرة، لا ينظمها فى معظم الأحوال دستور مكتوب أو لقاءات مشتركة لهذا الغرض بين القائمين عليهما والمشتغلين بهما. ولعل أهم هذه الخيوط وأكثرها «بداهة» ما يقدمه نظام التعليم لنظام الإعلام من طاقة عاملة متعلمة (فنية وإدارية) تقوم بتوجيهه وتشغيله، ومن جمهور متعلم «يستقبله» و «يستفيد» منه ويروح له، وربما يعود فيقدم هو له- أى لنظام الإعلام- «تغذية راجعة» ينمى بها قدرته ويصحح مساره على هذا الأساس، فإنه بقدر ما يكون نظام التعليم جيداً «كفيا» تكون جودة نظام الإعلام وكفايته «إرسالاً» و «استقبالا» و «تغذية راجعة». وإذا حق «للتربويين» أن يطالبوا «الإعلاميين» بشئ يسهم فى حسن تربية المواطن وتحرير ثقافة الوطن، فإن عليهم -أى على التربويين فى نفس الوقت، إن لم يكن قبله، أن ينظروا فى «النظام الأب» وهو التعليم ويتأكدوا من أنه يقدم للإعلام «العامل الأكفأ» و«المستفيد الأمثل»(١٤).

ويأتى ذلك فى إطار ارتباط تحليل النظم التعليمية والتربوية بالانتاجية

التعليمية ارتباطا وثيقا، ذلك أنه «إذا قلنا أن المدخلات التعليمية تشمل خدمات الذين يعملون فى التعليم ومن بينهم الطلاب والتجهيزات التى يعملون عليها فإن المخرجات يمكن التعبير عنها بشكل عام بتخريج إنسان صالح تتوافر لديه معارف ومعلومات وقيم واتجاهات ومهارات وعادات سوية. أما ما يقومون بعمله فهو عملية الإنتاج، فإذا فهمنا أن مدخلات التعليم يمكن أن تقاس وترتبط بالمخرجات فحينئذ يمكن أن يطلق على مقارنة العلاقة بين المدخلات والمخرجات إسم «إنتاجية التعليم»، والنسبة تتغير حين تتغير عملية الإنتاج أو حين تتغير المدخلات أو حين تتغير الخرجات»(١٥).

وإنتاجية التعليم فى مجال الإعلام تتمثل مدخلاتها من خلال الكليات والمعاهد المتخصصة وكذا الأقسام العلمية التى تبعتها، وبنظرة تاريخية على هذه المؤسسات نجد أن مصر كانت سباقة فى إنشاء المؤسسات التعليمية المتخصصة فى مجال الإعلام، حيث «بدأت تجارب التأهيل الصحفى بإنشاء أول قسم للصحافة فى الجامعة الأمريكية فى القاهرة عام ١٩٣٥م، ثم بعد ذلك معهد الصحافة، وكانت مدة الدراسة فى المعهد والتى اقتصرت على الدراسات العليا فقط سنتين بعد الدراسة الجامعية، زيدت إلى ثلاث سنوات عام ١٩٤٨م، وفى عام ١٩٥٤ أنشئ فى كلية الآداب بجامعة القاهرة قسم للتحرير والترجمة والصحافة وكان يقبل فيه خريجو الثانوية، وتحول إلى قسم للصحافة التخصصية، وهى ثلاثة: قسم الصحافة والنشر، قسم الإذاعة والتليفزيون، قسم العلاقات العامة والإعلان، والدراسات العليا»، وفتح إلى جانب كلية الإعلام قسم للإعلام (الصحافة والإعلام) بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر بالقاهرة وذلك فى العام الجامعى ١٩٧٥/ ١٩٧٦(١٦) ثم بعد ذلك توالى افتتاح الأقسام العلمية مثل قسم الصحافة بسوهاج وقسم الإعلام بالزقازيق، وشعبة الإعلام بجامعة الإسكندرية ثم قسم الإعلام بحلوان وأقسام الإعلام التربوى فى العديد من الجامعات.

ثانياً: المشكلات التعليمية في دراسة الإعلام:

إن التطور السريع للإعلام فى السنوات الأخيرة، والاعتراف المتزايد بدوره وباستخداماته الحيوية فى مجال التنمية، لم يواكبه تقدم ملموس فى دراسات وبحوث الإعلام فى الكليات والمعاهد والأقسام المتخصصة -خاصة فى الدول

النامية- ومنها مصر وعلى الأخص من حيث النوعية، وهكذا وقعت الممارسة الإعلامية فى الخطأ الفادح الذى سبقتها إليه العديد من الممارسات الاقتصادية المختلفة والذى يتمثل فى عدم الاستخدام الأمثل للدراسات والبحوث قبل بداية المشروعات المختلفة فى دراسات الجدوى وخلال دورة حياة المشروع فى توفير تيار مستمر من المعلومات والبيانات المتكاملة التى تسهم فى ترشيد عملية اتخاذ القرارات المتعلقة بكافة جوانب إدارة المشروعات، ومع التطور السريع فى مجال الإعلام وارتياده آفاقا واسعة، وتطويعه للتقنيات والمستحدثات التكنولوجية واستيعابه لها، تزداد الهوة المعرفية بين ما يمكن للإعلام أن يؤديه فى المجالات المختلفة والأساليب والطرائق المثلى لهذا الأداء، وبين ما تتم ممارسته بالفعل من سياسات إعلامية تفتقر إلى السند العلمى الموضوعى السليم، وإذا ما أخذنا فى الاعتبار المتوالية الهندسية فى التطور الإعلامى، والمتوالية الحسابية فى «تطور دراسة وبحوث الإعلام» لأدركنا إلى أى مدى تزداد هذه الهوة المعرفية اتساعا فى مجال من أشد المجالات حاجة إلى الدراسة العلمية والبحوث المستمرة المتطورة الشاملة المتعمقة فى نفس الوقت(١٧).

وتشير بعض الدراسات أن «جامعاتنا العربية» من خلال كليات وأقسام الإعلام تعد الطلاب فى هذا التخصص من خلال برنامج تدريس نظرى، وتدريب عملى، وتدريب ميدانى، ثم تنفض يدها من هؤلاء الخريجين فور انتهاء دراستهم، ثم تفاجأ المؤسسات العاملة فى مجال الإعلام أن أعمالهم من وسائل إعلامية مختلفة تفتقر إلى الحد الأدنى للممارسات الإعلامية فنيا وتحريريا ولغويا، ويرى الباحث أن هذه الظاهرة تتجلى أكثر فى الأقسام الكثيرة التى افتتحت فى السنوات الأخيرة دون وجود كوادر مؤهلة وكافية للتدريس.

ولما كان إثراء ثقافة «المستقبل»، المستهدف من أهم وظائف الرسائل الإعلامية سواء التثقيفية المباشرة التى تغطى المجالات التربوية والمهنية والاجتماعية والسياسية والحرفية وغيرها، وغير المباشرة، التى تقوم بدورها التثقيفى فى ثنايا موادها الخفيفة وفقراتها.. ليتحقق دور الرسائل الإعلامية فى رفع مستوى ثقافة المتلقين ومعلوماتهم، فإن المتابع ليأسف لإدراكه الهوة الواسعة بين مرسل من أهم واجباته التثقيف ورسالة مثقلة بكل صنوف الأخطاء، ولإدراكه الهوة الواسعة بين واقع خبرات خريجى أقسام الإعلام

وبين الوضع المثالى الذى نطمح إليه[١٨].

فتدهور مستوى خريج الإعلام فى جامعاتنا العربية يحقق ضررا، ويحد من فاعلية تأثير إعلامنا الذى ينبغى أن نعتمد عليه فى تقديم رسائل هادفة، فلاشك أن سرعة إيقاع التقدم الدولى، تبرز حاجتنا إلى أنماط إعلامية تنموية جديدة، تنبع من حاجاتنا، وتتفاعل مع مكونات مجتمعاتنا، أنماط تستطيع أن تقوى إرادة التنمية فى جماهيرنا، وترعى تطور فعالياتها، ولإتساع مجال الإعلام تمتلئ أساليب إعداد طلاب الإعلام بالمشاكل، فهناك مشاكل فى برامج التدريب الميدانى، إضافة إلى مشاكل عدم تكامل كل برامج الإعداد هذه معا، لأن عملية إعداد هؤلاء الطلاب عملية دائرية، ينبغى أن تتكاتف فيها هذه البرامج وتتضافر[١٩].

ولا يقتصر هذا التدهور فى مستوى الخريجين على مجال الإعلام، ولكن من خلال الإطلاع على العديد من الدراسات نجد أن القضايا التعليمية وما تشمله من مشكلات بين واقع التدريس والواقع التطبيقى تكاد تتشابه، إن لم تتطابق.

ويمكن تلخيص المشكلات التعليمية لإعداد الطلاب فيما يلى[٢٠]:

١- غياب الجانب الثقافى فى الإعداد، حيث يتم التركيز على الجانب الأكاديمى بينما يغيب الجانب الثقافى بالرغم من أهميته فى تزويد الطالب بثقافه عامة، فتكون نتيجة ذلك عدم قدرة الخريج على مسايرة ومواجهة المتغيرات العلمية والتكنولوجية المتلاحقة والمتسارعة.

٢- عدم الاهنمام بتضمين المقررات الدراسية بعض قضايا المجتمع ومشكلاته ويرجع ذلك إلى شيخوخة المناهج الدراسية، والإرهاق الذهنى لأعضاء هيئة التدريس.

٣- الاعتماد على أسلوب المحاضرة التقليدى فى التدريس بوجه عام، وهو أسلوب تلقينى أدى إلى عدم الاهتمام بتنمية الأسلوب العلمى فى التفكير وغياب النزعة الابتكارية لدى الطالب وإضعاف مهارات الاتصال.

٤- عدم الاهتمام بإدخال تكنولوجيا التعليم فى التدريس مثل الأجهزة العلمية والتعليمية والبرامج التعليمية الحديثة التى تستخدم الأجهزة فى

عرضها أدى إلى عدم مسايرة المناهج للتقدم العلمى والتقنى الذى يتحقق فى العديد من المجالات.

٥- إعتماد أسلوب الامتحانات فى نهاية كل فصل دراسى لا يكفى لتقييمه حيث يتم التركيز فيه على قدرة الطالب على التحصيل وخاصة قياس حفظه للحقائق العلمية والمفروض أن يستخدم التقويم بمفهومه الشامل الذى يتضمن الامتحانات التى تشمل الأسئلة والامتحانات الدورية، والأداء العملى للطالب والنشاطات العلمية. وربما كان التساهل فى وضع وتصحيح الامتحانات فى درجة أدنى جداً من المستوى المطلوب.

ثالثا: المشكلات التدريبية:

بداية يعرف التدريب بأنه «ذلك النوع من التوجيه أو الإرشاد كما أنه الوسيلة للحصول على أكبر قدر ممكن من الكفاية والقدرة على نقل الأفكار والمعلومات الفنية والإدارية والممارسات الجديدة من المستوى النظرى إلى المستوى التطبيقى، ويبنى على أساس معين من الممارسات العملية وتحليل لعمل الفرد للتعرف على واجباته ومسؤولياته واحتياجات العمل وما يتطلبه من خبرات وقدرات ومهارات والمواقف والاحتياجات الإنسانية والاجتماعية ثم تصميم البرامج بحيث يحقق هذه الأهداف»(٢١).

وتقتضى النظرة التخطيطية ضرور إعداد المتخصصين فى مجال الإعلام إعدداً سليما على ضوء تقدير الاحتياجات البشرية لمختلف وسائل الإعلام وإدارات الصحافة والنشر والإعلام والعلاقات العامة والإعلان فى المؤسسات والشركات والهيئات الحكومية، وذلك عن طريق الدراسة النظرية والتدريب العملى.

ويلاحظ بعض الباحثيين أن خريجى كثير من كليات ومعاهد وأقسام الإعلام العربية، كثيراً ما يواجهون عالما جديدا عندما يتوجهون إلى المؤسسات الإعلامية والصحفية للعمل بعد تخرجهم فى معاهدهم، ويخفق البعض فى تطبيق ما درسه نظريا، ويعجز البعض الآخر عن العمل على النحو المطلوب، ولا مناص لمعاهد الإعلام العربية من توفير مستلزمات التطبيق العملى والتدريب لطلابها فيها، ولابد لها من تأمين التعاون فى مجال التدريب مع المؤسسات

الإعلامية والصحفية، فالتدريب فى الكليات والمعاهد والأقسام، حتى مع توفير مستلزماته (مختبر تصوير، مطبعة صغيرة، صحيف تدريبية، استوديو إذاعى....الخ) لا يكفى ولا يحقق كل شئ، وفى هذا الصدد نجد قلة من الكليات والمعاهد والأقسام العربية وفرت هذه المستلزمات أو بعضها، ونجد الأخرى عاجزة عن ذلك، ولعل السبب الرئيسى لذلك يعود إلى عدم توفر الإمكانات المادية الضرورية لتأمين هذه المستلزمات، أو لعدم التفهم الكافى لدى الجهات المسئولة عن هذه المعاهد لأهميتها وضرورة توفير ما تحتاج إليه وتريده.

وفى مجالات التدريب والتعاون بين هذه الكليات والمعاهد والأقسام وبين المؤسسات الإعلامية والصحفية نجد أن الأمر يختلف من بلد إلى آخر ومن معهد ومن قسم إلى غيره، ففى بعضها نلاحظ تعاونا وثيقا يكاد يكون أمراً مقررا وفى الأخرى خاضعا للعلاقات بين مسؤولى الأقسام والمعاهد والمسؤولين عن المؤسسات الصحفية والإعلامية، معتمدا على العلاقات الودية وحدها، ولا نجد أى تعاون ملموس من هذا القبيل، عمليا، فى معاهد أخرى[٢٢].

وتشير أيضا نتائج بعض الدراسات إلى أن أهم مشكلات التدريب الإعلامى فى مصر والدول العربية تتلخص فى الآتى[٢٣]:

١- حداثة العهد بالتدريب الإعلامى فى هذه الدول.

٢- عدم وجود تدريب إعلامى منظم فى عدد كبير من المعاهد المتخصصة.

٣- الاهتمام بالتدريب الإذاعى والتليفزيونى بدرجة أكبر من التدريب الصحفى.

٤- الخلط بين التدريب الإعلامى والتعليم الإعلامى.

٥- التدريب الإعلامى لا ينال من اهتمام معظم الدول العربية ما يناله التدريب فى المجالات الأخرى كالصناعة والزراعة وغيرها.

٦- ميل التدريب الإعلامى نحو التعميم على حساب التخصيص.

٧- التدريب الإعلامى يعنى بمجالات الانتاج والتنفيذ والجوانب الفنية على حساب التخطيط الإعلامى والإدارة والبحوث والإعلان والتوثيق الإعلامى.

٨- النقص الملحوظ فى الكليات والمعاهد والأقسام فى معينات التدريب ومعداته وإمكاناته.

٩- ندرة المدربين المتخصصين والقادرين على التعامل مع المستوى الطلابى.

ويدور محتوى التدريب بشكل عام فى الكليات والمعاهد والأقسام حول عدة محاور:

١ - تدريبات داخلية تعتمد على الاستديو الإذاعى أو صحيفة القسم.

٢- تدريبات خارجية تعتمد على مصاحبة المدرب إلى صحيفة عامة أو زيارة لمبنى الإذاعة أو مدينة الإنتاج الإعلامى أو مؤسسات كبرى فى التخصصات الثلاث صحافة ونشر، إذاعة وتليفزيون، علاقات عامة وإعلان.

٤- حضور الحلقات الدراسية والمؤتمرات والندوات ذات العلاقة بالدراسات الإعلامية.

٥- الرحلات العلمية السنوية لتكليف الطلاب بعمل استطلاعات للرأى العام فى بعض المناطق حول قضايا بعينها يقرها القسم المختص.

وعلى الرغم من تشابه كثير من المقررات الدراسية فى كليات الإعلام والأقسام العلمية فى مصر والعالم العربى مع المقررات فى الجامعات الأمريكية والأوربية فى مجال التعليم والتدريب إلا أن الدراسات الغربية تؤكد أن التطبيق العملى للتدريس والتدريب يختلف فى هذه الجامعات عن ما يتم لدينا حيث تعد هذه الكليات والأقسام فى أوربا والولايات المتحدة بمثابة وحدات إنتاجية تعكس الدراسة النظرية من جهة والتدريب من جهة أخرى، ففى جامعة (Southern Queensland) على سبيل المثال توجد وحدات لدراسات الاتصال وانتاج المواد الفيلمية ودراسات الإعلان والتسويق يمارس فيها الطلاب تطبيقاتهم العملى(٢٤).

وفى جامعة (Canter bury) بالإضافة إلى دراسة الإعلام يدرب الطلاب على ممارسة السياسة والربط بينهما وبين الدراسات الإعلامية، كما يتم تدريبهم فى مرحلة الليسانس على تحليل ومناقشة القضايا المطروحة فى الإعلام بتعمق شديد، وأيضا التركيز على القضايا البيئية وعلاقة وسائل

الإعلام وتأثيراتها على البيئة المحيطة[٢٥].

رابعا: مشكلات أعضاء هيئة التدريس:

إن معظم المشكلات الناتجة عن التدريس التقليدى تنشأ لكون عملية التدريس تتم ككل دون الاهتمام بالتفاصيل أو المفردات التعليمية، سواء فى المادة الدراسية أو فى مجتمع المتعلمين، الأمر الذى أدى إلى ضعف الأثر، وتأخر بعض الأفراد فى التحصيل الدراسى، وقد مهد الوضع إلى ظهور محاولات للاستفادة من الوسائل التى تعالج تلك المشكلات، وخاصة محاولات تطوير التعليم، والخروج بالمواقف التعليمية من العمومية إلى التفريد Indvidulization الذى يعتنى بكل طالب ككيان مستقل وسط الجماعة، كما يعتنى بكل مفردة تعليمية كمعلومة مميزة لها وقتها المخصص فى سياق الموقف التعليمى، وعليه فإن محاولات التطوير تهتم بكل مكون من مكونات العملية التعليمية إبتداء من مرحلة ما قبل التدريس إلى مرحلة التدريس ثم إلى مرحلة التقويم والمتابعة والتنقيح، وأيضا فإن للمعلم مهام جديدة فى ظل التطوير تتمثل فى تصميم الرسالة التعليمية وفق استراتيجية معينة قابلة للتنفيذ، فالمعلم أصبح مصمما ومبرمجا إضافة إلى كونه مدرسا[٢٦].

ولأهمية دور المعلم «عضو هيئة التدريس» كحلقة رئيسية في العملية التعليمية يرى البعض «أن من الممكن أن نحكم على مستوى أداء المعلم بشكل رئيسى من خلال نتائج عمله الكمية، كأن تكون نسبة نجاح طلابه فى الامتحان مرتفعة، وهنا لابد من التحذير من هذا المدخل النفعى لتقييم النشاط الإنسانى، فالفرد لا يتميز بما يفعله ويقوم به من أعمال وإنما فى كيفية القيام بهذه الأعمال. فنجاح المعلم يتجلى فى قدرته على تحقيق أحسن النتائج فى جميع الجوانب الكمية والكيفية لعمليات التعليم وذلك بمساعدة مختلف الوسائل التربوية والتعليمية من تقنيات وبرامج وخطط دراسية ونظم داخلية[٢٧].

وبهذا المعنى يتطلب النجاح فى مهنة التعليم الجامعى[٢٨]:

١- معلما يستطيع انجاز مهماته الاجتماعية والتعليمية ويسهم فى تطوير جانب الكيف فيها وينظم العمليات التعليمية باتجاهاتها الحديثة.

٢- معلما يتفهم بعمق مهماته تجاه مجتمعه عن طريق المواقف التعليمية وما ينشأ عنها من علاقات متبادلة بين المعلم والمتعلم وهى علاقات تتميز بالجوار والتفاعل والرعاية وتبادل الخبرة بحيث تتعدى نقل المعرفة من طرف إلى آخر لتؤدى إلى تنمية القدرات وممارسة قوى التعبير والتفكير وإطلاق قوى الإبداع وتهذيب الأخلاق وتطوير الشخصية.

٣- معلما يمتلك من القدرات والمهارات والمعلومات ما يجعل منه باحثا تربويا يسهم فى حل المشكلات التعليمية عن دراية ووعى.

٤- معلما يملك روح المبادرة والنزعة إلى التجريب والتجديد، يثق بنفسه فى تنظيم النشاط التعليمى والتربوى بحرية واختيار.

ولكن الواقع الحالى الذى يحيط بعضو هيئة التدريس يؤثر بلاشك على أدائه التعليمى ويجعله دائما مشغولاً بقضايا جانبيه تتعلق بحياته اليومية، وهذه القضايا والمشكلات تختلف من تخصص إلى آخر، وأحيانا تتفق فى بعضها فى جميع التخصصات.

ويمكن تلخيص المشكلات التى تعترض العملية التعليمية فى مجال الإعلام- من جانب أعضاء هيئة التدريس- فيما يلى:

١- يلاحظ أن أنماط النظام التعليمى السائدة حاليا تفتقر إلى المساندة التقنية الحديثة فى كثير من الأحيان مما يحد من ظهور إمكانات وطاقات عضو هيئة التدريس المبدعة وقدرته على الخلق والابتكار وتحقيق الأهداف المرجوة.

٢- ظاهرة تغيب بعض الأساتذة عن المحاضرات أو تأخرهم يؤثر على حضور الطلاب وجديتهم فى الدراسة.

٣- ضعف العلاقة الودية بين عضو هيئة التدريس والطالب، واقتصار العملية التعليمية على مجرد أداء للمحاضرات.

٤- قلة الدخل المالى الذى يعود على عضو هيئة التدريس فى مجال الإعلام نتيجة لقلة عدد الطلاب الملتحقين بتلك الأقسام مما يضطر عضو هيئة التدريس إلى قبول الانتدابات فى أكثر من كلية أو قسم.

٥- ضعف مستوى بعض أعضاء هيئة التدريس فى استخدام الحاسب الآلى

ومصادر تكنولوجيا المعلومات مما يقلل من فرصة الاحتكاك بالعالم الخارجي ومعرفة ما يستجد من أبحاث ومؤلفات.

٦- قلة المؤتمرات والندوات العلمية ذات العلاقة بتخصص الإعلام نتيجة لضعف المخصصات الحالية من ناحية، وقلة المساهمة العلمية لأعضاء هيئة التدريس فى مجال البحوث الجديدة فى هذا المجال.

٧- ضعف مستوى أعضاء هيئة التدريس فى إجادة اللغات الأجنبية مما يحد من معرفتهم عن الجديد فى دراسات الاتصال بفروعها المختلفة.

٨- قلة مشاركة أعضاء هيئة التدريس فى عملية اتخاذ القرارات التعليمية والبحثية والإدارية يؤثر بالسلب على أدائهم التعليمى.

خامسا: المناهج الدراسية:

حينما نراجع مناهج كليات ومعاهد وأقسام الإعلام فى العالم نجد أن للبعض توجها معينا فى الدراسة أو موادها، إلى جانب التخصص مع وجود تماثل من بعيد أو قريب فى المواد الدراسية، ويرتبط ذلك بطبيعة ظروف واحتياجات الدول، وبالنظام القائم والسياسات العامة والتعليمية بالدرجة الرئيسية.

فعلى سبيل المثال نجد أن معاهد الصحافة والإعلام فى فرنسا تعنى فى مناهجها بالمواد القانونية والاجتماعية على نحو بارز، فى حين تمثل العلاقات العامة والاتصال بالجماهير والإعلان والتسويق جل اهتمام الدراسات الأمريكية.

كما نجد ظاهرة التخصص تسود بعض المعاهد، فمدرسة الصحافة فى «ليل» مثلا، تعنى بدراسة الصحافة وحدها، كتخصص عام ورئيسى، فى حين يأخذ معهد ستراز بورغ بالتخصص فى فروع ثلاثة هى الصحافة والراديو والتليفزيون، ويميل معهد الصحافة فى جامعة باريس الثانية إلى البحوث والدراسات الإعلامية والاتصال أكثر من غيرها. أما الدراسات الإعلامية فى جامعة باريس الرابعة فتعنى بالعلاقات العامة والإعلام والدعاية، وهكذا[٢٩].

أما على المستوى العربى فإننا نجد أن غلبة أوجه الشبه على أوجه الاختلاف بين مناهج الكليات والمعاهد وأقسام الإعلام العربية من حيث

المسمى العلمى، مع وجود اختلاف فى أنماط واتجاهات هذه المناهج طبقا للسياسة العامة للدولة والمصادر الرئيسية المحددة لشتى المناهج بما فيها الإعلام ويقصد الباحث بذلك أن بعض الدول العربية من خلال معاهدها وكلياتها قد تعكس الدراسات الإعلامية فيها المضمون الإتصالى البحت بعيداً عن الربط بينه وبين المعتقدات والقيم السائدة، بينما تعكس مناهج كليات أخرى تلك المعتقدات والقيم وإن شابها أحيانا أخطاء فى التناول العلمى للربط بينها وبين تخصص الإعلام.

وجدير بالذكر فى هذا المجال القول بأن مناهج كليات ومعاهد وأقسام الإعلام فى مصر والوطن العربى، باستثناء معاهد المغرب العربى، استعانت بمناهج كلية الإعلام جامعة القاهرة، ويرجع ذلك إلى تاريخ هذه الكلية العلمى منذ أن كانت قسما للصحافة فى كلية الآداب وحتى الآن، فقد كان لأساتذتها فضل كبير فى تأهيل آلاف الطلاب فى مرحلتى البكالوريوس والدراسات العليا. كما أن مناهجها لعبت دوراً كبيرا فى قيام العديد من الأقسام العلمية المتخصصة ومنها قسم الصحافة والإعلام جامعة الأزهر.

موضوع الدراسة:

وقد تناولت بعض الدراسات المتخصصة فى مجال الإعلام «المناهج» التى تدرس فى الكليات والمعاهد بالنقد، حيث تطرح نتائج تلك الدراسات العديد من السلبيات، أهمها وجود فجوة بين مناهج الإعلام فى الجامعات وبين الممارسات العملية فى وسائل الإعلام أو المؤسسات أو المنشآت التى تمارس النشاط الإعلامى، وأيضا نجد أن هذه المناهج فى كثير منها اكتسبت من مناهج خارج الوطن العربى، وتعتمد على توجهات وأنماط قد لا تتوافق مع النسق القيمى للمجتمع، كما تركز بعض المناهج بكثافة على بعض التخصصات فى مجال الإعلام على حساب تخصصات أخرى نتيجة لعوامل مختلفة كتخصص الأساتذة(٣٠).

وتتجاهل المناهج الإعلامية مفردات أساسية فى صلبها، كقضايا التعبير فى التحرير الإعلامى، ويتسبب عدم إتقان الطالب لها فى ترحيب وسائل الإعلام بمن يتقنون المهارات التعبيرية مهما كانت تخصصاتهم.

كما لا تتواكب المناهج الدراسية مع التطورات السريعة في مجال الإعلام- وعلى سبيل المثال تتطور تقنيات الطباعة قافزة قفزات واسعة، لا تواكبها مناهج ومقررات الطباعة والإخراج الصحفى[٣١].

سادسا: الكتب الدراسية:

يعد الكتاب من العناصر الرئيسية فى العملية التعليمية بشكل عام وفى دراسة الإعلام بشكل خاص، فعن طريقه يتعرف الطالب على المحتوى العلمى للتخصص الذى يهدف إليه، كما يعكس الكتاب المنهج الدراسى الذى وضع للطالب إذا أحسن إعداده بما يتلاءم مع طبيعة الدراسة الأكاديمية وسوق العمل المرتقب بضوابطه ونظمه وتشريعاته المختلفة.

وموضوعية البحث تقتضينا أن نذكر بداية إيجابيات الكتب التى استخدمت فى مجال الإعلام الأكاديمى، فلا أحد ينكر أن هناك جيل من الرواد والأساتذة الذين وضعوا عددا كبيراً من المؤلفات فى فروع الإعلام المختلفة عالجوا من خلالها المدارس والنظريات الإعلامية الدولية والإقليمية المختلفة بالإضافة إلى تكنولوجيا الاتصال وأدواته.

إلا أن هناك انتقادات موجهة لكثير من الكتب المتداولة فى أقسام الإعلام المختلفة يمكن إيجازها فيما يلى[٣٢]:

١- بشكل عام، المكتبة الإعلامية العربية فقيرة فى كتب الاتصال الجماهيرى فلا يتوافر فيها إلا القليل الجيد رغم وجود عدد لا بأس به من الكتب التى تبحث فى ميدان الاتصال الجماهيرى والإعلام، كما تعانى المكتبة العربية على وجه الخصوص من نقص فى الكتب التى تبحث فى النظريات الإعلامية.

٢- تتصف بعض كتب الاتصال الجماهيرى المترجمة بعدم الدقة والركاكة فى ترجمة المحتوى الأصلى للكتاب، بالإضافة إلى عدم فهم المصطلح المترجم الذى يأتى سقيما من حيث المعنى العلمى.

٣- أن بعض الكتب التى تدرس ما هى إلا ملخصات لكتب سابقة سواء أكانت عربية أم أجنبية.

٤- كما أن بعض الكتب الموضوعة لا تقوم على فهم حقيقى لعملية الاتصال ونظرياته وكذلك وسائل الإعلام بأنواعها وأشكالها المختلفة،

ولذلك فهى لا تتحدث عن علم قائم بذاته له أصوله وقواعده، ومن هذه الكتب تلك المؤلفات التى تعتمد المنظور الإعلامى القديم، منظور الخمسينيات والستينيات، مع أن علم الاتصال قد شهد ثورته الحقيقية في السبيعينيات وما تلاها.

٥- يقوم على تأليف الكتب الإعلامية فى بعض الأحيان غير المختصين، فتمتلئ المكتبة أحيانا بنتاج متدن لا يمت للواقع بصلة.

٦- ويلاحظ الباحث أن ظاهرة تنتشر منذ فترة فى أقسام الإعلام المختلفة وهو ركون أعضاء هيئة التدريس إلى إعداد مذكرات تحتوى على مجموعة المحاضرات المكلف بها العضو، وبالنظر إلى هذه المذكرات يتبين أنها أعدت بشكل سريع ولا يؤدى فى النهاية إلى الأهداف التى وضعت للمنهج الدراسى. فهى تكرار لمعلومات قديمة من حيث تاريخها وتلخيص مخل لجهود باحثين وكتاب، كان من الممكن الاستعانة بها بدلا من هذا الإيجاز الذى لا يعد خريجا متمكنا فى مجال الإعلام.

مناقشة نتائج الدراسة

أولا: التعريف بقسم الصحافة والإعلام:

تعد كلية اللغة العربية فى جامعة الأزهر إحدى الدعامات الثلاث التى قامت عليها جامعة الأزهر منذ بدأت الدراسة فيها فى الثامن من ذى الحجة ١٣٥١هـ الموافق ٢٨/ ٣/ ١٩٣٣م، وهى كليات اللغة العربية والشريعة وأصول الدين.

وعلى الرغم من أن الهدف الرئيسى لهذه الكلية كان الحفاظ على اللغة العربية وتدريسها لأبناء الأمة العربية والإسلامية، إلا أنها أنشأت أقساماً أخرى تخدم بشكل مباشر أو غير مباشر لغة الضاد، فقد تم إنشاء معهد للغات والترجمة، واستمرت رعاية الكلية له حتى أصبح الآن كلية مستقلة هى: كلية اللغات والترجمة كما أنشأت شعبة التاريخ والحضارة عام ١٩٦١م لدراسة فروع علوم التاريخ والحضارة.

أما أحدث الأقسام العلمية فهو قسم الصحافة والإعلام الذى أنشأ عام ١٩٧٥م وتم تقسيمه إلى شعب ثلاث هى: الصحافة والنشر، الإذاعة

والتليفزيون، العلاقات العامة والإعلان، ويدرس الطلاب مقررات عامة فى الإعلام فى السنتين الأولى والثانية ثم يوزعون على التخصصات الثلاثة بدءا من العام الثالث.

كما يدرس الطالب بالإضافة إلى مواد الإعلام، مواداً تعد من متطلبات جامعة الأزهر مثل النحو والصرف، والتاريخ الإسلامى، وجغرافية العالم الإسلامى والفقه والتفسير، واستظهار القرآن الكريم.

ويشكل التدريب الميدانى حيزاً كبيراً فى مناهج القسم، حيث يتم تدريب الطلاب فى جميع سنوات الدراسة بواقع ٨ ساعات لكل من السنة الأولى والثانية، و٨ ساعات لكل شعبة فى كل من السنتين الثالثة والرابعة حيث يستعين القسم بمجموعة من المدربين فى تخصصات القسم الثلاثة لمصاحبة الطلاب فى الزيارات الميدانية للمؤسسات الإعلامية المختلفة.

ويشارك أعضاء هيئة التدريس ومعاونهم من المدرسين المساعدين والمعيدين فى عملية التدريب على النحو التالى:

أ- مدرس مساعد أو معيد لكل (١٥) طالبا.

ب- مشرف مساعد واحد من المؤسسة التى يتم بها التدريب لكل (١٥) طالب.

جـ- مدرس واحد لكل (٣٠) طالب.

د- مشرف واحد (أستاذ أو أستاذ مساعد) لكل ٦٠ طالب.

ثانيا: المشكلات التعليمية في الدراسة الميدانية:

خصص الباحث للمشكلات التعليمية عدة محاور رئيسية صيغت فى عدة عبارات تعبر عن واقع تلك المشكلات من خلال معايشة الباحث لها، وتتلخص هذه المحاور فى الدراسة الميدانية والتى عكستها استمارة الاستبيان على الوجه التالى:

أ- خصوصية العملية التعليمية فى مجال الإعلام:

والمقصود بذلك أن تدريس الإعلام فى كلياته ومعاهده المتخصصة يختلف عن باقى التخصصات التى تنتمى إليها بعض أقسامه فى كليات

الآداب واللغة العربية وغيرها، فقسم الصحافة والإعلام بكلية اللغة العربية يقع ضمن ستة أقسام أخرى، إلا أن الدراسة الاستطلاعية من خلال الجداول أرقام (١)، (٢)، (٣) تبين أن هذا التخصص يحتاج إلى أسلوب مختلف فى التدريس تفرضه طبيعة المحتوى العلمى للتخصص من ناحية، وسوق العمل الذى يحتاج إلى نوعية مختلفة من الخريجيين يجمعون بين الإطار الفكرى للتخصص وبين الممارسة العملية، ويبين الجدول رقم (١) والجدول رقم (٢) تفاصيل درجة الموافقة على العناصر السابقة، كما أن الجدول رقم (٣) يبين آراء الطلاب وآراء أعضاء هيئة التدريس فى القسم حول خصوصية العملية التعليمية فى مجال الإعلام بصفة عامة والقسم بصفة خاصة.

وتتمثل عناصر هذه الخصوصية فيما يأتى طبقا للجدول رقم (٣):

١- اتفقت آراء الطلاب مع آراء أعضاء هيئة التدريس فى أن تخصص الإعلام يحتاج إلى أسلوب مختلف فى التدريس عن باقى تخصصات الكلية مع وجود تباين إحصائى معنوى من خلال تطبيق اختبار Z $P < 0.05$ Probability of Chance حيث بلغت نسبة آراء الطلاب ١٠٠٪ وأعضاء هيئة التدريس ٨٦,٧٪.

كما أشار الجدول إلى اتفاق آراء الطلاب مع أعضاء هيئة التدريس فى باقى العناصر مع عدم وجود تباين إحصائى معنوى وهى:

- أن تخصص الإعلام عملى أكثر منه نظرى (٨٠,١٪) للطلاب، و (٨٠٪) لأعضاء هيئة التدريس.
- أنه يحتك بقضايا حياتية (٩٥,٦٪) للطلاب، (١٠٠٪) لأعضاء هيئة التدريس.
- أنه يحتاج إلى تدريب عملى أكثر (١٠٠٪) للطلاب وأعضاء هيئة التدريس.
- أنه يحتاج إلى حرفية عالية (٧٣,٣٪) للطلاب، (٨٠٪) لأعضاء هيئة التدريس.
- أنه يحتاج إلى تقنيات حديثة كالحاسب الآلى والكمبيوتر (٩٣,٤٪)، (٨٦,٧٪) لأعضاء هيئة التدريس.

جدول رقم (١) آراء طلاب القسم في خصوصية تدريس الإعلام

درجة الموافقة / خصوصية تدريس الإعلام	موافق جدا		موافق		موافق إلى حد ما		غير موافق		غير موافق على الإطلاق	
	ك	٪	ك	٪	ك	٪	ك	٪	ك	٪
تخصص الإعلام يحتاج إلى أسلوب مختلف فى التدريس عن باقى تخصصات الكلية:	١٠٣	٥٧,٢	٤٥	٢٥	٣٢	١٧,٨	–	–	–	–
– لأنه تخصص عملى أكثر منه نظرى	٦٤	٣٥,٦	٤٣	٢٣,٩	٣٧	٢٠,٦	٣٣	١٨,٣	٣	١,٧
– لأنه يحتك بقضايا حياتية	٨٧	٤٨,٣	٥٢	٢٨,٩	٣٣	١٨,٣	٦	٣,٣	٢	١,١
– لأنه يحتاج إلى تدريب عملى أكثر	٨٩	٤٩,٤	٥٦	٣١,١	٣٥	١٩,٤	–	–	–	–
– لأنه يحتاج إلى حرفية عالية	٥٣	٢٩,٤	٥٧	٣١,٧	٢٢	١٢,٢	٣١	١٧,٢	١٧	٩,٤
– لأنه يحتاج إلى تقنيات حديثة كالحاسب الآلى والكمبيوتر	٧٧	٤٢,٨	٧٣	٤٠,٦	١٨	١٠	–	٥	٣	–

جدول رقم (٢) آراء أعضاء هيئة التدريس في خصوصية تدريس الإعلام

درجة الموافقة / خصوصية تدريس الإعلام	موافق جدا		موافق		موافق إلى حد ما		غير موافق		غير موافق على الإطلاق	
	ك	٪	ك	٪	ك	٪	ك	٪	ك	٪
تخصص الإعلام يحتاج إلى أسلوب مختلف فى التدريس عن باقى تخصصات الكلية:	١	٦,٧	١٢	٨٠			٢	١٣,٣		
– لأنه تخصص عملى أكثر منه	–		١٢	٨٠		٦,٧	٣	٢٠		
نظرى			١	٦,٧	١	١٣,٣				
– لأنه يحتك بقضايا حياتية	١٣	٨٦,٧	٧	٤٦,٧	٢					
– لأنه يحتاج إلى تدريب عملى	٦	٤٠	٩	٦٠		٢٠	٣	٢٠		
أكثر		٢٠	١٠	٦٦,٧	٣		٢	١٣,٣		
– لأنه يحتاج إلى حرفية عالية	٣									
– لأنه يحتاج إلى تقنيات حديثة كالحاسب الآلى والكمبيوتر										

جدول رقم (٣) مقارنة آراء الطلاب بآراء أعضاء هيئة التدريس في خصوصية تدريس الإعلام

درجة الموافقة / خصوصية تدريس الإعلام	الطلاب ٪	أعضاء هيئة التدريس ٪	إختيار Z
تخصص الإعلام يحتاج إلى أسلوب مختلف فى التدريس عن باقى تخصصات الكلية:	١٠٠	٨٦,٧	٤,٩ * * وجود تباين إحصائى معنوى P 0.05
– لأنه تخصص عملى أكثر منه نظرى	٨٠,١	٨٠	,٠١٠
– لأنه يحتك بقضايا حياتية	٩٥,٦	١٠٠	,٨
– لأنه يحتاج إلى تدريب عملى أكثر	١٠٠	١٠٠	–
– لأنه يحتاج إلى حرفية عالية	٧٣,٣	٨٠	,٦
– لأنه يحتاج إلى تقنيات حديثة كالحاسب الآلى والكمبيوتر	٩٣,٤	٨٦,٧	١,٠

* وجود تباين إحصائى معنوى $0.05 < P$

ب- المقررات الدراسية:

يدرس الطالب فى قسم الصحافة والإعلام فى مرحلة الإجازة العالية (الليسانس) خلال السنوات الأربع (٦٤) مقرر دراسى يمكن تقسيمها فى رأى الباحث إلى ثلاث مجموعات:

١- مقررات تخصص الإعلام والتى تشمل الاتصال العام والصحافة والنشر والإذاعة والتليفزيون والعلاقات العامة والإعلان، والتدريبات العملية والترجمة الإعلامية والمواد الإعلامية باللغة الأجنبية، والتشريعات الإعلامية وتشكل نسبة هذه المقررات ٥٦,٣ ٪ من إجمالى عدد المقررات.

٢- مقررات ذات علاقة بتخصص الإعلام وتشمل العلوم السياسية، وعلم النفس الاجتماعى، والقانون الدولى، والإسلام والفكر العالمى المعاصر، والإحصاء، ومناهج البحث، والاقتصاد، واللغة الأوربية وتشكل نسبة ١٤,١ ٪.

٣- مقررات خاصة بمتطلبات جامعة الأزهر وتتميز بها عن باقى الجامعات مثل النحو والصرف، والتاريخ الإسلامى، وجغرافية العالم الإسلامى، والقرآن الكريم والفقه والتفسير، والأدب، والبلاغة، والحديث، وتشكل نسبة ٢٩,٦ ٪.

ويوضح الجدول رقم (٤)، والجدول رقم (٥) آراء طلاب القسم وأعضاء هيئة التدريس فى المقررات الدراسية التى يتلقاها الطالب منذ دخوله الكلية حتى تخرجه.

كما يوضح الجدول رقم (٦) مقارنة بين آراء الطلاب وأعضاء هيئة التدريس فى تلك المقررات على الوجه التالى:

١- انخفضت نسبة موافقة الطلاب حول الدراسة النظرية فى القسم ومواكبتها لسوق العمل، حيث بلغت تلك النسبة ٤٣,٣ ٪ ولم ترتفع كثيرا نسبة آراء الأعضاء حيث بلغت ٦٠ ٪ مع عدم وجود تباين إحصائى معنوى.

٢- كما انخفضت نسبة موافقة الطلاب على أن المقررات الدراسية الحالية تؤهل خريجا مميزا فى مجال الإعلام (٤٩,٤ ٪) طلاب، بينما ارتفعت بين أعضاء هيئة التدريس إلى ٦٦,٧ ٪، ويرجع ذلك فى رأى الباحث إلى

الكم الهائل من المقررات التي يتلقاها طالب الإعلام فى جامعة الأزهر بالمقارنة بزميله فى كليات وأقسام الإعلام الأخرى مما يشتت ذهنه بين مواد متخصصة وغير متخصصة، بالإضافة إلى أن النوع الثانى وهو المواد غير التخصصية لم يتم توظيفها لخدمة تخصص الإعلام حتى يصبح الخريج مميزا فى سوق العمل، وإنما يتلقى نفس المقررات التى يتلقاها طالب الشعبة العامة الذى يعد لوظيفة مختلفة.

٣- وبينما يرى الطلاب أن الكتب الدراسية لا تعكس محتوى المقررات الدراسية (٣٣,٩ ٪)، يرى الأساتذة عكس ذلك بنسبة موافقة ٨٦,٧ ٪ مع وجود تباين إحصائى معنوى (٤,١) ويرى الباحث من خلال ملاحظاته أن عضو هيئة التدريس بحكم مشاركته أو انفراده بوضع الكتاب الدراسى هو الأقرب إلى الصحة فى أنها لا تعكس المقرر الدراسى.

٤- ويتفق الطلاب مع أعضاء هيئة التدريس فى أن عدم وجود مفردات للمقررات الدراسية يؤدى إلى تكرار وتداخل المعلومات، وهذه من المشكلات الرئيسية التى يعانى منها الطرفان، حيث يفاجأ الطالب بتكرار المعلومات فى كثير من المقررات على مدار السنوات الأربع [٨٥ ٪ طلاب- ١٠٠ ٪ أعضاء هيئة تدريس].

٥- كما تتسم الكتب الدراسية الحالية بقدم المعلومات، وقد اتفقت آراء الطلاب (٨٤ ٪) مع آراء الأعضاء (٧٣,٣ ٪) حول ذلك، وتؤدى هذه الظاهرة إلى عدم مواكبة الأستاذ والطالب للتطورات العلمية والتقنية فى مجال التخصص مما يؤثر بالسلب على العملية التعليمية.

٦- وقد استحدثت الجامعة أسلوبا جديداً فى تدريس المقرر الواحد، وذلك بتكليف أكثر من عضو لتدريسه، ولم يلق اشتراك أكثر من عضو فى تدريس المقرر الواحد موافقة الطلاب والأساتذة حيث بلغت نسبة الموافقة بين الطلاب (٣٧.٨ ٪) وبين الأساتذة (٤٠ ٪) كما تبين وجود سلبيات لها (٨١,٦ ٪ طلاب)، (٨٦,٦ ٪ أعضاء).

٧- وقد تحددت سلبيات اشتراك أكثر من عضو فى المقرر الواحد فيما يلى:

أ- تكاليف مادية أكثر على الطالب (٩٦,٧ ٪ طلاب- ٨٦,٧ أعضاء).

ب- تضارب الرأى فى المحتوى العلمى للمقرر الواحد (٨١,١ ٪ طلاب - ٦٦,٧ ٪ أعضاء).

جـ- تكرار المعلومات من أستاذ لآخر (٧٥٪ طلاب- ١٠ ٪ أساتذة مع وجود تباين إحصائى معنوى (٢,٢).

د- تداخل المعلومات (٦٥,٦ ٪- ٩٣,٣ ٪) مع وجود تباين إحصائى معنوى (٢,٢).

هـ- تغيب عضو هيئة التدريس عن المحاضرة اعتماداً على زميله المشارك له فى نفس المقرر (٨٤ ٪ طلاب - ٨٠ ٪ أعضاء).

و- اتفقت آراء الطلاب (٩٠ ٪) مع آراء أعضاء هيئة التدريس (٧٣,٣ ٪) على وجود مقررات دراسية مكررة مع وجود تباين احصائى معنوى (٢,٠). وهذه من الملاحظات الهامة على الخطة الدراسية المنفذة حاليا حيث تتكرر عدة مقررات خلال السنوات الدراسية، على سبيل المثال، دراسات عملية فى العلاقات العامة للسنة الثالثة علاقات عامة، والعلاقات العامة فى المجال التطبيقى رابعة علاقات، والتدريبات العملية فى العلاقات العامة (ثالثة ورابعة علاقات).

ز- كما زادت نسبة الموافقة على تشابه بعض المقررات الدراسية (٩٠ ٪ طلاب - ١٠٠ ٪ أعضاء هيئة التدريس).

٨- ويرى ٨٣,٩ ٪ من الطلاب أن المواد غير التخصصية بوضعها الحالى تشكل عبئا على طالب قسم الصحافة والإعلام وقد أيد هذا الرأى ٨٦,٦ ٪ من أعضاء هيئة التدريس، ويرجع ذلك إلى أن القائمين على تدريس هذه المواد لا يخصصون محتوى علميا يخدم تخصص الإعلام، فعلى سبيل المثال يمكن توظيف النحو والصرف والأدب والبلاغة لخدمة الرسالة الإعلامية المسموعة والمرئية والمطبوعة وتقويم لسان الإعلامى ومساعدته على إجادة فن الإلقاء والخطابة فى جانبه اللغوى، بدلا من تعرضه لمحتوى علمى يعد مدرسا للغة العربية فقط.

وقد أيد (٨٩,٨ ٪) من الطلاب و (١٠ ٪) من الأعضاء إمكانية توظيف هذه المواد لخدمة التخصص.

جدول رقم (٤) آراء طلاب قسم الصحافة والإعلام في المقررات الدراسية وأساليب تدريسها

درجة الموافقة / المقررات الدراسية	موافق جدا		موافق		موافق إلى حد ما		غير موافق		غير موافق على الإطلاق	
	ك	٪	ك	٪	ك	٪	ك	٪	ك	٪
- الدراسة النظرية فى القسم تواكب سوق العمل	٢٣	١٢,٨	٣١	١٧,٢	٢٤	١٣,٣	٨٣	٤٦,١	١٩	١٠,٦
- المقررات الدراسية الحالية فى القسم تؤهل خريجا مميزا فى مجال الإعلام	١٧	٩,٤	٣٤	١٨,٩	٣٨	٢١,١	٧٨	٤٣,٣	١٣	٧,٢
- الكتب الدراسية تعكس المقررات الدراسية	٥	٢,٨	٩	٥	٤٧	٢٦,١	٩٧	٥٣,٩	٢٢	١٢,٢
- عدم وجود مفردات للمقررات الدراسية يؤدى إلى تكرار وتداخل المعلومات	٦٨	٣٧,٨	٥٨	٣٢,٢	٢٧	١٥	٢٢	١٢,٢	٥	٢,٨
- الكتب الدراسية الحالية تتسم بقدم المعلومات	٩١	٥٠,٦	٣٢	١٧,٨	٢٨	١٥,٦	١٩	١٠,٦	١٠	٥,٦
- اشتراك أكثر من عضو فى تدريس مقرر واحد يثرى العملية التعليمية فى القسم	٣٢	١٧,٨	٥	٢,٨	٣١	١٧,٢	٨٩	٤٩,٤	٢٣	١٢,٨
- هناك سلبيات لاشتراك أكثر من عضو فى تدريس مقرر واحد:	٨٧	٤٨,٣	٢٧	١٥	٣٣	١٨,٣	١٧	٩,٤	١٦	٨,٩
. تكاليف مادية أكثر على الطالب.	١٠٥	٥٨,٣	٥٩	٢٣,٨	١٠	٥,٦	٤	٢,٢	٢	١,١
• تضارب الرأى فى المحتوى العلمى	٤٢	٢٣,٣	٤٧	٢٦,١	٥٧	٣١,٧	٣١	١٧,٢	٣	١,٧
. تكرار المعلومات	٣٩	٢١,٧	٥٤	٣٠	٤٢	٢٣,٣	٤٣	٢٣,٩	٤	٢,٢
. تداخل المعلومات	٤٧	٢٦,١	٣٤	١٨,٩	٣٧	٢٠,٦	٣١	٢١,٧	٢٣	١٢,٨
. تغيب عضو هيئة التدريس	٨٩	٤٩,٤	٢٣	١٢,٨	٢٤	٢١,٨	٣٧	٢٠,٦	٧	٣,٩
- هناك مقررات دراسية مكررة	٩٧	٥٣,٩	٤٨	٢٦,٧	١٧	٩,٤	١٠	٥,٦	٨	٤,٤
- يوجد مقررات دراسية متشابهة	٩١	٥٠,٦	٤٩	٢٧,٢	٢٢	١٢,٢	١٣	٧,٢	٥	٢,٨
- المواد غير التخصصية بوضعها الحالى تشكل عبئا على طالب قسم الصحافة	١٠١	٥٦,١	٣٢	١٧,٨	١٨	١٠	٢١	١١,٧	٨	٤,٤
- المواد غير التخصصية تمكن توظيفها لخدمة تخصص الإعلام	١٠٧	٥٩,٤	٤٤	٢٤,٤	٦	٣,٣	١٩	١٠,٦	٤	٢,٢

جدول رقم (٥) آراء أعضاء هيئة التدريس في المقررات الدراسية وأساليب تدرسيها

درجة الموافقة / المقررات الدراسية	موافق جدا		موافق		موافق إلى حد ما		غير موافق		غير موافق على الإطلاق	
	ك	٪	ك	٪	ك	٪	ك	٪	ك	٪
– الدراسية النظرية فى القسم تواكب سوق العمل.					٩	٦٠	٦	٤٠		
– المقررات الدراسية الحالية فى القسم تؤهل خريجا مميزا فى مجال الإعلام			٩	٦٠	١	٦,٧	٤	٢٦,٧	١	٦,٧
– الكتب الدراسية تعكس المقررات الدراسية					١٣	٨٦,٧	٢	١٣,٣		
– عدم وجود مفردات للمقررات الدراسية يؤدى إلى تكرار وتداخل المعلومات.	٤	٢٦,٧	١١	٧٣,٣						
– الكتب الدراسية الحالية تتسم بقدم المعلومات	٢	١٣,٣	٩	٦٠	٤	٢٦,٧				
– اشتراك أكثر من عضو فى تدريس مقرر واحد يثرى العملية التعليمية في القسم					٦	٤٠	٩	٦٠		
– هناك سلبيات لاشتراك أكثر من عضو فى تدريس مقرر واحد:			٨	٥٣,٣	٥	٣٣,٣	٢	١٣,٣		
. تكاليف مادية أكثر على الطالب			٧	٤٦,٧	٦	٤٠	٢	١٣,٣		
. تضارب الرأى فى المحتوى العلمى			٣	٢٠	٧	٤٦,٧	٥	٣٣,٣		
. تكرار المعلومات			١٠	٦٦,٧	٥	٣٣,٣				
. تداخل المعلومات			١٤	٩٣,٣			١	٦,٧		
. تغيب عضو هيئة التدريس					١٢	٨٠	٣	٢٠		
– هناك مقررات دراسية مكررة			٥	٣٣,٣	٦	٤٠	٤	٢٦,٧		
– يوجد مقررات دراسية متشابهة	٣	٢٠	٥	٣٣,٣	٧	٤٦,٧				
– المواد غير التخصصية بوضعها الحالى تشكل عبئا على طالب قسم الصحافة			٨	٥٣,٣	٥	٣٣,٣	٣٣,٣	١٣,٣		
– المواد غير التخصصية يمكن توظيفها لخدمة تخصص الإعلام	١٥	١٠٠	–							

جدول رقم (٦) مقارنة آراء أعضاء هيئة التدريس بآراء الطلاب في المقررات الدراسية بقسم الصحافة والإعلام

	الطلاب ٪	أعضاء هيئة التدريس ٪	اختيار Z
- الدراسة النظرية فى القسم تواكب سوق العمل.	٤٣,٣	٦٠	١,٣
- المقررات الدراسية الحالية فى القسم تؤهل خريجا مميزا فى مجال الإعلام	٤٩,٤	٦٦,٧	١,٣
- الكتب الدراسية تعكس المقررات الدراسية	٣٣,٩	٨٦,٧	*٤,١
- عدم وجود مفردات للمقررات الدراسية يؤدى إلى تكرار وتداخل المعلومات.	٨٥	١٠٠	١,٦
- الكتب الدراسية الحالية تتسم بقدم المعلومات	٨٤	٧٣,٣	١,٦
- اشتراك أكثر من عضو فى تدريس مقرر واحد يثرى العملية التعليمية فى القسم	٣٧,٨	٤٠	,٢
- هناك سلبيات لاشتراك أكثر من عضو فى تدريس مقرر واحد:	٨١,٦	٨٦,٦	,٥
. تكاليف مادية أكثر على الطالب	٩٦,٧	٨٦,٧	١,٩
. تضارب الرأى فى المحتوى العلمى	٨١,١	٦٦,٧	١,٣
. تكرار المعلومات	٧٥	١٠٠	*٢,٢
. تداخل المعلومات	٦٥,٦	٩٣,٣	*٢,٢
. تغيب عضو هيئة التدريس	٨٤	٨٠	,٤
- هناك مقررات دراسية مكررة	٩٠	٧٣,٣	*٢,٠
- يوجد مقررات دراسية متشابهة	٩٠	١٠٠	١,٣
- المواد غير التخصصية بوضعها الحالى تشكل عبئا على طالب قسم الصحافة	٨٣,٩	٨٦,٦	,٣
- المواد غير التخصصية يمكن توظيفها لخدمة تخصص الإعلام	٨٩,٨	١٠٠	١,٥

* P < 0.05

جـ- ظاهرة تغيب الطلاب:

لوحظ خلال السنوات الأخيرة عدم انتظام الطلاب فى حضور المحاضرات فى قسم الصحافة والإعلام لدرجة أن ذلك أصبح يشكل ظاهرة تستحق الدراسة.

ويوضح الجدول رقم (٧) والجدول رقم (٨) أسباب هذه الظاهرة بشكل تفصيلى، بينما يبين الجدول رقم (٩) مقارنة إجمالية لآراء الطلاب تمثلت فى عدة عناصر هى:

١- اتفقت آراء الطلاب مع آراء أعضاء هيئة التدريس فى أن غياب الطلاب يشكل ظاهرة [٨٧,٢ ٪ طلاب- ٨٠ ٪ أعضاء] مع تحفظ ٤٠ ٪ من أعضاء هيئة التدريس، ٢١,٧ ٪ من الطلاب على أن هذه الظاهرة لا تقتصر على قسم الصحافة ولكنها تمتد إلى باقى الأقسام، وقد رصد الباحث هذه النسبة من التعليقات التى أبداها الطرفان على استمارة جمع البيانات.

٢- رأى (٦٣,٤١ ٪) من الطلاب، و (٤٦,٧ ٪) من أعضاء هيئة التدريس أن غياب الأساتذة عن المحاضرات وراء ظاهرة تغيب الطلاب، بينما رأى ٥٧,١ ٪ من الطلاب، و (٤٦,٧ ٪) من أعضاء هيئة التدريس أن تأخر الأساتذة عن مواعيد المحاضرات هو السبب فى تلك الظاهرة.

٣- وفيما يتعلق بنظام متابعة الطلاب فى الحضور والغياب والمتمثل فى تكليف إدارة الكلية للمعيدين والمدرسين المساعدين برصد غياب الطلاب ورفعه إلى الإدارة، رأى ٨٧ ٪ من الطلاب، و ١٠٠ ٪ من أعضاء هيئة التدريس، أنه لا يوجد نظام فعال للمتابعة ورأى (٩٣,٣ ٪ طلاب و ١٠٠ ٪ أعضاء) عدم وجود فاعلية ومصداقية للنظام الحالى فى متابعة الطلاب. ويرجع ذلك إلى تراكم خبرات الطالب مع هذا النظام فى عدم معاقبة الطالب غير المنتظم فى حضور المحاضرات مما يفقده مصداقيته فى السنوات التالية وعدم إكتراث الطالب بتلك المتابعة، على الرغم من اللائحة تنص على حضور الطالب ٧٥ ٪ من المحاضرات.

٤- ويرجع ٧٣,٨ ٪ من الطلاب، و٦٠ ٪ من الأعضاء سببا أساسيا لظاهرة تغيب الطلاب وهو عدم وجود تكليف من الأساتذة للطلاب بالبحوث

وغيرها من الأنشطة التطبيقية.

٥- وانخفضت نسبة موافقة الطلاب على أن سهولة المحتوى العلمى على الطالب تؤدى إلى استغنائه عن المحاضرة وبالتالى غيابه عنها وقد بلغت هذه النسبة من الطلاب (٣٧,٨ ٪) ومن الأعضاء (٦٠ ٪).

٦- كما انخفضت نسبة موافقة الطلاب والأعضاء فى أن عدم وجود علاقة ودية بين الأستاذ والطالب وراء ظاهرة الغياب وهذا يؤكد على متانة تلك العلاقة التى تعد من الركائز الأساسية فى العملية التعليمية (٢١,٧ ٪ طلاب- ٢٠ ٪ أعضاء).

٧- قد ارتفعت نسبة الموافقة من الطلاب إلى ٨٠ ٪ على أن عدم السماح للطالب بالمشاركة فى المحاضرة وإبداء الرأى فيما يطرح من معلومات وراء ظاهرة الغياب بينما ٦٠ ٪ من الأعضاء أيدوا ذلك.

ويرجع ذلك فى رأى الباحث إلى الأسلوب التقليدى فى التعليم وهو «التلقين» من طرف واحد دون وجود دور فاعل للطالب لإثراء المحاضرة أو التدريب، وهذا يحتاج إلى دورات تربوية للأعضاء للتعرف على الأساليب الحديثة فيه.

٨- أما بالنسبة للظروف الاقتصادية للطالب ودورها فى تغيبه عن المحاضرة فقد رأى ٥٦,١ ٪ من الطلاب أن هذه الظروف تحول دون حضورهم بينما رأى ٩٣,٣ ٪ من الأعضاء ذلك، وهنا يوجد تباين إحصائى معنوى (٢,٨) بين الرأيين.

٩- رأى ٤٠,٦ ٪ أن سهولة الاختبارات التى يضعها الأساتذة وراء ظاهرة الغياب بينما رأى ذلك ٦٠ ٪ من أعضاء هيئة التدريس.

١٠- يشكل غموض المستقبل بالنسبة لطالب الإعلام فى إيجاد فرصة عمل بعد تخرجه سببا رئيسا من أسباب غياب الطلاب عن المحاضرات وقد رأى ذلك ٨٧,٢ ٪ من الطلاب، و ٨٠ ٪ من أعضاء هيئة التدريس ويرجع ذلك إلى كثرة عدد أقسام الإعلام فى العقد الأخير فى الجامعات المصرية من ناحية وقلة وسائل الإعلام التى تستوعب آلاف الخريجين كل عام.

جدول رقم (٧) آراء طلاب قسم الصحافة والإعلام في ظاهرة تغيب الطلاب عن المحاضرات وأسبابها

درجة الموافقة / أسباب ظاهرة تغيب اللاب	موافق جدا		موافق		موافق إلى حد ما		غير موافق		غير موافق على الإطلاق	
	ك	٪	ك	٪	ك	٪	ك	٪	ك	٪
– غياب الطلاب عن المحاضرات بشكل ظاهرة فى قسم الصحافة والإعلام	٨٣	٤٦,١	٢٧	١٥	٤٧	٢٦,١	١٩	١٠,٦	٤	٢,٢
– هناك أسباب لظاهرة تغيب الطلاب:										
. غياب الأساتذة عن المحاضرات	٨٢	٤٥,٦	٢٠	١١,١١	١٢	٦,٧	٥٤	٣٠	١٢	٦,٧
. تأخر الأساتذة عن مواعيد المحاضرات	٧١	٣٩,٤	٢٤	١٣,٣	٨	٤,٤	٦٦	٣٦,٧	١١	٦,١
. عدم وجود نظام متابعة فعال لتنظيم الغياب والحضور	٨٧	٤٨,٣	٤٦	٢٥,٦	٣٨	٢١,١	٧	٣,٩	٢	١,١
. عدم وجود فاعلية ومصداقية لمتابعة الطلاب فى الحضور والغياب	١٠٣	٥٧,٢	٥٧	٣١,٧	٨	٤,٤	٢	١,١	١٠	٥,٦
. عدم وجود تكليف من الأساتذة للطلاب كالبحوث وغيرها	٧٦	٤٢,٢	٣٣	١٨,٣	٢٤	١٣,٣	٤٠	٢٢,٢	٧	٣,٩
. سهولة المحتوى على الطالب مما يؤدى إلى استغنائه عن المحاضرة	٢٢	١٢,٢	٧	٣,٩	٣٩	٢١,٧	٤٣	٢٣,٩	٦٩	٣٨,٣
. عدم وجود علاقة ودية بين الأستاذ والطالب	٩	٥	١٢	٦,٧	١٨	١٠	٨٢	٤٥,٦	٥٩	٣٢,٨
. عدم السماح للطالب بالمشاركة فى المحاضرة وإبداء الرأى فيما يطرح من معلومات	١٤	٧,٨	٣٣	١٨,٣	٩٧	٥٣,٩	٣٦	٢٠		
. الظروف الاقتصادية للطالب تحول دون حضوره المحاضرات	٥٤	٣٠	٣١	١٧,٢	١٦	٨,٩	٥٧	٣١,٧	٢٢	١٢,٢
. سهولة الاختبارات التى يضعها الأساتذة	٨	٤,٤	٤٦	٢٥,٦	١٩	١٠,٦	٧٦	٤٢,٢	٣١	١٧,٢
. غموض المستقبل لطالب الإعلام فى إيجاد فرصة عمل بعد التخرج	٧٨	٤٣,٣	٥١	٢٨,٣	٢٨	١٥,٦	١٥	٨,٣	٨	٤,٤

جدول رقم (٨) آراء أعضاء هية التدريس في ظاهرة تغيب الطلاب وأسبابها

درجة الموافقة / أسباب ظاهرة تغيب الطلاب	موافق جدا		موافق		موافق إلى حد ما		غير موافق		غير موافق على الإطلاق	
	ك	٪	ك	٪	ك	٪	ك	٪	ك	٪
- غياب الطلاب عن المحاضرات يشكل ظاهرة فى قسم الصحافة والإعلام			٩	٦٠	٣	٢٠	٣	٢٠		
- هناك أسباب لظاهرة تغيب الطلاب:										
. غياب الأساتذة عن المحاضرات					٧	٤٦,٧	٤	٢٦,٦	٤	٢٦,٦
. تأخر الأساتذة عن مواعيد المحاضرات					٧	٤٦,٧	٥	٣٣,٣	٣	٢٠
. عدم وجود نظام متابعة فعال لتنظيم الغياب والحضور	٦	٤٠	٨	٥٣,٣	١	٦,٧				
- عدم وجود فاعلية ومصداقية لمتابعة الطلاب فى الحضور والغياب	٧	٤٦,٧	٥	٣٣,٣	٣	٢٠				
- عدم وجود تكليف من الأساتذة لطلاب كالبحوث وغيرها			٥	٣٣,٣	٤	٢٦,٦	٦	٤٠		
- سهولة المحتوى العلمى على الطالب مما يؤدى إلى استغنائه عن المحاضرة			٦	٤٠	٣	٢٠	٣	٢٠	٣	٢٠
. عدم وجود علاقة ودية بين الأستاذ والطالب					٣	٢٠	١٢	٨٠		
. عدم السماح للطالب بالمشاركة فى المحاضرة وإبداء الرأى فيما يطرح من معلومات					٩	٦٠	٥	٣٣,٣	١	٦,٧
. الظروف الاقتصادية للطالب تحول دون حضوره المحاضرات			٨	٥٣,٣	٦	٤٠	١	٦,٧		
. سهولة الاختبارات التى يضعها الأساتذة			٣	٢٠	٦	٤٠	٥	٣٣,٣	١	٦,٧
. غموض المستقبل لطالب الإعلام فى إيجاد فرصة عمل بعد التخرج			٦	٤٠	٦	٤٠	٣	٢٠		

جدول رقم (٩) مقارنة آراء الطلاب بآراء أعضاء هيئة التدريس في ظاهرة تغيب الطلاب عن المحاضرات وأسبابها

أسباب تغيب الطلاب / درجة الموافقة	الطلاب %	أعضاء هيئة التدريس %	اختيار Z
- غياب الطلاب عن المحاضرات يشكل ظاهرة فى قسم الصحافة والإعلام	٨٧,٢	٨٠	,٨
- هناك أسباب لظاهرة تغيب الطلاب:			
. غياب الأساتذة عن المحاضرات	٦٣,٤١	٤٦,٧	١,٣
. تأخر الأساتذة عن مواعيد المحاضرات	٥٧,١	٤٦,٧	,٨
. عدم وجود نظام متابعة فعال لتنظيم الغياب والحضور	٨٧	١٠٠	,٩
- عدم وجود فاعلية ومصداقية لمتابعة الطلاب فى الحضور والغياب	٩٣,٣	١٠٠	١,٠
- عدم وجود تكليف من الأساتذة لطلاب كالبحوث وغيرها	٧٣,٨	٦٠	١,٢
- سهولة المحتوى العلمى على الطالب مما يؤدى إلى استغنائه عن المحاضرة	٣٧,٨	٦٠	١,٧
. عدم وجود علاقة ودية بين الأستاذ والطالب	٢١,٧	٢٠	,٢
. عدم السماح للطالب بالمشاركة فى المحاضرة وإبداء الرأى فيما يطرح من معلومات	٨٠	٦٠	١,٨
. الظروف الاقتصادية للطالب تحول دون حضوره المحاضرات	٥٦,١	٩٣,٣	٢,٨*
. سهولة الاختبارات التى يضعها الأساتذة	٤٠,٦	٦٠	١,٥
. غموض المستقبل لطالب الإعلام فى إيجاد فرصة عمل بعد التخرج	٨٧,٢	٨٠	,٨

* $P < 0.05$

د- الاختبارات كأداة لتقويم الطالب:

يوضح الجدول رقم (١٠)، والجدول رقم (١١) آراء الطلاب وآراء أعضاء هيئة التدريس فى الإختبارات التي تجرى كأداه لتقييم الطالب، بينما يبين الجدول رقم (١٢) مقارنة بين آراء الطلاب وآراء الأساتذة فى هذه القضية كالآتى:

١- اختلفت آراء الطلاب حول الاختبارات النهائية، وهل تقيس فعلا مستوى الطالب، حيث رأى ٥٤,٥ ٪ من الطلاب أنها تقيس فعلا مستواهم، بينما رأى ٨٠ ٪ من أعضاء التدريس ذلك مع وجود تباين إحصائى معنوى (٢) بينهما، ويرجع ذلك فى رأى الباحث إلى تعود الطالب على عدم المجازفة والإقدام على تجربة تقويمية جديدة كالاختبارات الدورية أو مشروعات التخرج وغيرها.

٢- رأى ١٣,٩ ٪ فقط وجود اختبارات دورية تساهم فى جذب الطلاب لتقييم مستواهم بينما رأى ذلك ٤٠ ٪ من أعضاء هيئة التدريس مع وجود تباين إحصائى معنوى (٢,٧)، وقد رأى ٤٠ ٪ أن الاختبارات الدورية تجذب الطالب إلى المحاضرات، بينما رأى ١٠٠ ٪ من الأعضاء ذلك مع وجود تباين إحصائى معنوى (٤,٥).

٣- رأى ٦٥ ٪ من الطلاب، و٦٠٪ من الأعضاء أن الاختبارات تكشف عن قدرة الطالب الحقيقية، وهذا يدعونا إلى الاهتمام بوجود أدوات أخرى إلى جانب الاختبارات النهائية لتقييم الطلاب وكشف قدراتهم ومهاراتهم.

٤- أما عن محتوى أسئلة الاختبارات فرآى ٧٧,٨ ٪ من الطلاب و٨٠٪ من أعضاء هيئة التدريس أنها متوقعة وتقليدية ويرى الباحث أن كون الأسئلة متوقعة يرجع إلى سببين:

- أن المحتوى العلمى للمقرر قليل وينحصر فى عدة موضوعات.
- أن الفصل الدراسى الواحد قد لا يمكن عضو هيئة التدريس من تدريس كامل المقرر المطلوب.

أما كون الأسئلة تقليدية فهذا يتطلب دورات تدريبية لأعضاء هيئة التدريس يأتى ضمن محتواها التدريب على أسس وطرق وضع أسئلة الاختبارات.

٥- رأى ٤٦,٧ ٪ من الطلاب ضرورة وجود درجات لأعمال السنة، بينما بلغت نسبة آراء أعضاء هيئة التدريس ١٠٠ ٪ مع وجود تباين إحصائى معنوى (٤)، ويرى الباحث أن انخفاض نسبة الطلاب ترجع إلى تعودهم لسنوات طويلة على الاختبارات النهائية فقط، وخوفهم من ارتباط درجات أعمال السنة بزيادة سلطة أستاذ الجامعة فى التحكم فى الطلاب.

٦- وحول وجود أسئلة فى الاختبارات الحالية تفرق بين الطالب المواظب على المحاضرات وغير المواظب، رأى ٤٠ ٪ من الطلاب أنها غير موجودة بينما رأى ٧٣,٣ ٪ من أعضاء هيئة التدريس وجودها مع وجود تباين إحصائى معنوى (٢,٥)، ويعتقد الباحث من خلال ممارسته للعملية التعليمية أن هناك ندرة فى الأسئلة التى تميز بين الطالب المواظب وغير المواظب.

٧- وقد سجلت مشروعات التخرج كأداة جيدة لتقييم الطالب أعلى نسبة موافقة بين عناصر التقييم حيث رأى ٩٢,٢ ٪ من الطلاب ضرورتها للتقييم بينما رأى ١٠٠ ٪ من أعضاء هيئة التدريس ذلك.

جدول رقم (١٠) آراء الطلاب في الاختبارات الحالية كأداة لتقييمهم

درجة الموافقة / الاختبارات كأداة لتقييم الطالب	موافق جدا		موافق		موافق إلى حد ما		غير موافق		غير موافق على الإطلاق	
	ك	٪	ك	٪	ك	٪	ك	٪	ك	٪
– الاختبارات النهائية تقيس فعلا مستوى الطالب	١٢	٦,٧	٢٥	١٣,٩	٦١	٣٣,٩	٥٤	٣٠	٢٨	١٥,٦
– يوجد اختبارات دورية لتقييم مستوى الطالب	–		١١	٦,١	١٤	٧,٨	١٤٠	٧٧,٨	١٥	٨,٣
– الاختبارات الدورية تساهم في جذب الطالب إلى المحاضرات	١٦	٨,٩	٢٩	١٦,١	٢٧	١٥	٧٣	٤٠,٦	٣٥	١٩,٤
– الاختبارات تكشف عن قدرات الطالب الحقيقية	١٨	١٠	٢٧	١٥	٧٢	٤٠	٥٩	٣٢,٨	٤	٢,٢
– أسئلة الاختبارات متوقعة وتقليدية	٢٣	١٢,٨	٣٧	٢٠,٦	٨٠	٤٤,٤	٣١	١٧,٢	٩	٥
– ضرورة وجود درجات أعمال سنة	١٤	٧,٨	٤٨	٢٦,٧	٢٢	١٢,٢	٦٠	٣٣,٣	٣٦	٢٠
– توجد أسئلة تفرق بين الطالب المواظب على المحاضرات وغير المواظب	٢٤	١٣,٣	٣٢	١٧,٨	١٦	٨,٩	٦٣	٣٥	٤٥	٢٥
– مشروعات التخرج أداة جيدة لتقييم الطالب	١٠٦	٥٨,٩	٥١	٢٨,٣	٩	٥	١٤	٧,٨	–	–

جدول رقم (١١) آراء اعضاء هيئة التدريس في الاختبارات الحالية كأداة للتقييم

درجة الموافقة / الاختبارات كأداة لتقييم الطالب	موافق جدا		موافق		موافق إلى حد ما		غير موافق		غير موافق على الإطلاق	
	ك	٪	ك	٪	ك	٪	ك	٪	ك	٪
– الاختبارات النهائية تقيس فعلا مستوى الطالب			٨	٥٣,٣	٤	٢٦,٧	٣	٢٠		
– يوجد اختبارات دورية لتقييم مستوى الطالب					٦	٤٠	٩	٦٠		
– الاختبارات الدورية تساهم فى جذب الطالب إلى المحاضرات	٤	٢٦,٧	٧	٤٦,٧	٤	٢٦,٧				
– الاختبارات تكشف عن قدرات الطالب الحقيقية			١	٦,٧	٨	٥٣,٣	٦	٤٠		
– أسئلة الاختبارات متوقعة وتقليدية	٤	٢٦,٧	٥	٣٣,٣	٣	٢٠	٣	٢٠		
– ضرورة وجود درجات أعمال سنة	١٣	٨٦,٧	٢	١٣,٣						
– توجد أسئلة تفرق بين الطالب المواظب على المحاضرات وغير المواظب			٣	٢٠	٨	٥٣,٣	٤	٢٦,٧		
– مشروعات التخرج أداة جيدة لتقييم الطالب	١٠	٦٦,٧	٤	٢٦,٧	١	٦,٧				

جدول رقم (١٢) مقارنة آراء أعضاء هيئة التدريس بآراء الطلاب في الاختبارات كأداة لتقييم الطالب

نسبة مقارنة الآراء / الاختبارات كأداة للتقييم	الطلاب ٪	أعضاء هيئة التدريس ٪	اختبار Z
– الاختبارات النهائية تقيس فعلا مستوى الطالب	٥٤,٥	٨٠	٢ *
– يوجد اختبارات دورية لتقييم مستوى الطالب	١٣,٩	٤٠	٢,٧ *
– الاختبارات الدورية تساهم في جذب الطالب إلى المحاضرات	٤٠	١٠٠	٤,٥ *
– الاختبارات تكشف عن قدرات الطالب الحقيقية	٦٥	٦٠	,٤
– أسئلة الاختبارات متوقعة وتقليدية	٧٧,٨	٨٠	,٢
– ضرورة وجود درجات أعمال سنة	٤٦,٧	١٠٠	٤,٠ *
– توجد أسئلة تفرق بين الطالب المواظب على المحاضرات وغير المواظب	٤٠	٧٣,٣	٢,٥ *
– مشروعات التخرج أداة جيدة لتقييم الطالب	٩٢,٢	١٠٠	١,١

ثانيا: المشكلات التدريبية:

يوضح الجدول رقم (١٣)، والجدول رقم (١٤) آراء الطلاب وأعضاء هيئة التدريس فى المشكلات التدريبية فى قسم الصحافة والإعلام كما يبين الجدول رقم (١٥) مقارنة بين آراء الطرفين فى تلك المشكلات على الوجه التالي:

١- انخفضت نسبة موافقة الطلاب (٢٦,٧٪)، وأعضاء هيئة التدريس ١٣,٣٪ حول وجود برنامج واضح ومحدد للتدريب فى القسم وهذا بالفعل يتطابق مع واقع اللائحة، فلا يوجد ضمن إطارها برنامجا للتدريب خاص بالقسم، وإنما أرفق بها بندا لا يتعدى ثلث صفحة بعنوان «التدريبات الميدانية» ولم يحدد فيه إن كانت هذه التدريبات تخص الإعلام أم أنها تتعلق بالتدريبات الميدانية فى الجامعة، والتى ذكرت تفاصيلها فى بداية مناقشة النتائج.

---

* $P < 0.05$

٢- كما انخفضت أيضا نسبة موافقة الطلاب (٣٣,٩٪) وأعضاء هيئة التدريس (٢٠٪) حول توافق التدريب العملى مع الدراسة النظرية، حيث يلاحظ أن عضو هيئة التدريس يتناول مقرر معين من خلال كتاب أو مذكرة لا يطلع عليه عادة المدرب، وبالتالى يجتهد فى مقترح للتدريب لا يعكس الدراسة النظرية أو يتوافق معها ويلاحظ الباحث أيضا من خلال معايشته لهذه المشكلة عدم وجود لقاءات بين الطرفين لصياغة خطة مشتركة تهدف إلى صقل خبرات الطالب نظريا وعمليا.

٣- رأى ٦١,٧٪ من الطلاب، و(٥٣,٣) من أعضاء هيئة التدريس أن القسم العلمى يتابع عملية التدريب بدقة، وواقع الأمر أن المعيدين والمدرسيين المساعدين هم نقطة الاتصال مع المدربين، ومن خلالهم تتعرف إدارة القسم على ما تم فى العملية التدريبية، إلا أن هذا النظام يحتاج إلى تخطيط أكثر وتنفيذ دقيق ومتابعة من خلال مجلس القسم العلمى.

٤- رأى ٨٢,٧٪ من الطلاب، و٦٦,٧٪ من أعضاء هيئة التدريس أن التدريب يحتاج إلى فصلين دراسيين بدلاً من فصل واحد، وهو النظام المعمول به الآن. ولعل ذلك يرجع إلى قصر الفصل الدراسى أمام المدرب وأمام الطالب لاستيعاب العديد من القضايا التدريبية التى تهدف إلى اطلاعه عليها، وهذا يؤدى بلاشك إلى عدم التنسيق بين أستاذ المادة والمدرب.

٥- وفى الجانب التدريبى يلاحظ أيضا غياب الطلاب عن حضور التدريب لدرجة أنها أصبحت تشكل ظاهره، وقد رأى ٨٥,٥٪ من الطلاب، و ٨٦,٦٪ من أعضاء هيئة التدريس أن غياب الطلاب عن التدريب يشكل ظاهرة بالفعل.

ويرجع الطلاب والأعضاء أسباب هذه الظاهرة إلى:

أ- غياب المدربين (٧٤,٥٪ طلاب)، (٨٠٪ أعضاء).

ولعل أعضاء هيئة التدريس هم أكثر احتكاكا بأسباب غياب المدربين ومن خلال الجدول رقم (١٤) تبين أن أسباب غياب المدربين يرجع إلى:

- قلة الحوافز المادية (المكافآت) التى لا تتوافق مع مكانة هؤلاء المدربين

وظروف تنقلاتهم مع الطلاب.

- قلة الحوافز المعنوية لهم مثل (الاستقبال- شهادات تقدير- مشاركتهم في تصحيح التدريب العملى.. الخ).

٦- ونتيجة لذلك فإن المدربين لا ينتظمون فى حضور التدريب كما يرى ٧٠٪ من الطلاب، و ٨٠٪ من الأعضاء، وهذا أدى بالتالى إلى غياب الطلاب كما رأى ٧٤,٥٪ من الطلاب، و٨٠٪ من الأعضاء.

٧- ومن المشكلات التدريبية الرئيسية هى أن المدربين فى غالب الأحوال يميلون إلى إلقاء المحاضرات تشبها بأعضاء هيئة التدريس بدلا من التفرغ للعملية التدريبية.

٨- رأى ٣١,٧٪ منَ الطلاب أن الزيارات الميدانية أضافت لهم جديدا من الناحية العملية، بينما يرى ٦٦,٧٪ من أعضاء هيئة التدريس غير ذلك، مع وجود تباين إحصائى معنوى (٢,٧).

٩- من الأهمية بمكان وجود وسائل تدريبية فى القسم (ستوديو - معمل صحفى- صحيفة.. الخ)، فيمكن أن يغنى الطالب عن الزيارات الميدانية وقد وافق على ذلك ٨٦,٦٪ من الطلاب و٨٠٪ من الأعضاء وهذا ما ينقص التدريب فى قسم الصحافة والإعلام.

١٠- رأى (٩٦,١٪) من الطلاب، ١٠٠٪ من أعضاء هيئة التدريس أن الزيارات الميدانية لوسائل الإعلام تعتمد على العلاقة القوية للمدرب بتلك الوسائل، وهذا يؤكد أهمية أن يكون المدرب من الإعلامين المحترفيين فى تلك الوسائل ليساعد فى تسهيل نجاح التدريب من خلال استغلال مكانتة لإطلاع الطلاب على التقنيات الحديثة المتوفرة فى تلك الوسائل، وهذا ما حاولته إدارة قسم الصحافة والإعلام فى السنوات الأخيرة.

جدول رقم (١٣) آراء طلاب قسم الصحافة والإعلام في المشكلات التدريبية في القسم

درجة الموافقة / المشكلات التدريبية	موافق جدا		موافق		موافق إلى حد ما		غير موافق		غير موافق على الإطلاق	
	ك	٪	ك	٪	ك	٪	ك	٪	ك	٪
- يوجد فى القسم برنامج واضح ومحدد للتدريب	-	-	٢١	١١,٧	٢٧	١٥	١٠٣	٥٧,٢	٢٩	١٦,١
- التدريب العملى يتوافق مع الدراسة النظرية	١٦	٨,٩	٢٢	١٢,٢	٢٣	١٢,٨	٩٧	٥٣,٩	٢٢	١٢,٢
- يحتاج التدريب إلى فصلين دراسيين	٥٣	٢٩,٤	٤٤	٢٤,٤	٥٢	٢٨,٩	٢٦	١٤,٤	٥	٢,٨
- يوجد تنسيق بين أستاذ المادة والمدرب	٧	٣,٩	١١	٦,١	٣٦	٢٠	٩٥	٥٢,٨	٣١	١٧,٢
- القسم العملى يتابع عملية التدريب بدقة	٢٨	١٥,٦	٣٦	٢٠	٤٧	٢٦,١	٤٠	٢٢,٢	٢٩	١٦,١
- غياب الطلاب عن التدريب العملى بشكل ظاهرة	٨٧	٤٨,٣	٣٢	١٧,٨	٣٥	١٩,٤	٢٢	١٢,٢	٤	٢,٢
- المدربون غير منتظمين فى حضور التدريب	٢٤	١٣,٣	٧٣	٤٠,٦	٢٩	١٦,١	٤٨	٢٦,٧	٦	٣,٣
- غياب المدرب سبب رئيسى فى غياب الطالب	٨٤	٤٦,٧	١٩	١٠,٦	٣١	١٧,٢	٣٩	٢١,٧	٧	٣,٩
- المدربون يميلون إلى إلقاء المحاضرات بدلا من الزيارات الميدانية	٢٨	١٥,٦	٥٠	٢٧,٨	٧٤	٤١,١	٢٤	١٣,٣	٤	٢,٢
- الزيارات الميدانية التى تمت أضافت لى جديدا من الناحية العملية	١٣	٧,٢	١٩	١٠,٦	٢٥	١٣,٩	٩٩	٥٥	٢٤	١٣,٣
- توفير وسائل تدريبية فى القسم (استوديو- معمل- صحيفة.. الخ يغنى الطالب عن الزيارات الميدانية	٤٩	٢٧,٢	٨٩	٤٩,٤	١٨	١٠	١٦	٨,٩	٨	٤,٤
- الزيارات الميدانية لوسائل الإعلام تعتمد على العلاقة القوية للمدرب بتلك الوسائل	٥٢	٢٨,٩	١٠٥	٥٨,٣	١٦	٨,٩		٢,٢	٣	١,٧

جدول رقم (١٤) آراء أعضاء هيئة التدريس في المشكلات التدريبية في القسم

درجة الموافقة / المقررات الدراسية	موافق جدا		موافق		موافق إلى حد ما		غير موافق		غير موافق على الإطلاق	
	ك	٪	ك	٪	ك	٪	ك	٪	ك	٪
– يوجد فى القسم برنامج واضح ومحدد للتدريب					٢	١٣,٣	١٣	٨٦,٧		
– التدريب العملى يتوافق مع الدراسة النظرية					٣	٢٠	١٢	٨٠		
– يحتاج التدريب إلى فصلين دراسيين			٦	٤٠	٤	٢٦,٧	٥	٣٣,٣		
– يوجد تنسيق بين أستاذ المادة والمدرب			٥	٣٣,٣	٣	٢٠	٧	٤٦,٧		
– القسم العملى يتابع عملية التدريب بدقة			٢	١٣,٣	٦	٤٠	٧	٤٦,٧		
– غياب الطلاب عن التدريب العملى بشكل ظاهرة	٥	٣٣,٣	٦	٤٠	٢	١٣,٣	٢	١٣,٣		
– المدربون غير منتظمين فى حضور التدريب			٤	٢٦,٧	٨	٥٣,٣	٣	٢٠		
– غياب المدرب سبب رئيسى فى غياب الطالب			٢	١٣,٣	١٠	٦٦,٧	٣	٢٠		
– المدربون يميلون إلى إلقاء المحاضرات بدلا من الزيارات الميدانية	٦	٤٠	٨	٥٣,٣	١	٦,٧				
– الزيارات الميدانية التى تمت أضافت لى جديدا من الناحية العملية			٦	٤٠	٤	٢٦,٧	٥	٣٣,٣		
– توفير وسائل تدريبية فى القسم (استوديو– معمل– صحيفة.. الخ يغنى الطالب عن الزايارات الميدانية	٨	٥٣,٣	٤	٢٦,٧				١٣,٣	١	٦,٧
– الزيارات الميدانية لوسائل الإعلام تعتمد على العلاقة القوية للمدرب بتلك الوسائل	٦	٤٠	٩	٦٠						
– الحوافز المعنوية عامل جذب للمدرب فى قسم الصحافة والإعلام	١٣	٨٦,٧	٢	١٣,٣						
الحوافز المادية كافية لجذب المدربين							١	٦,٧	١٤	٩٣,٣

جدول رقم (١٥) مقارنة آراء الطلاب بآراء أعضاء هيئة التدريس في المشكلات التدريبية في القسم

	الطلاب ٪	أعضاء هيئة التدريس ٪	اختيار Z
– يوجد فى القسم برنامج واضح ومحدد للتدريب	٢٦,٧	١٣,٣	١,١
– التدريب العملى يتوافق مع الدراسة النظرية	٣٣,٩	٢٠	١,١
– يحتاج التدريب إلى فصلين دراسيين	٨٢,٧	٦٦,٧	١,٦
– يوجد تنسيق بين أستاذ المادة والمدرب	٣٠	٥٣,٣	١,٩
– القسم العملى يتابع عملية التدريب بدقة	٦١,٧	٥٣,٣	,٦
– غياب الطلاب عن التدريب العملى بشكل ظاهرة	٨٥,٥	٨٦,٦	,١
– المدربون غير منتظمين فى حضور التدريب	٧٠	٨٠	,٣
– غياب المدرب سبب رئيسى فى غياب الطالب	٧٤,٥	٨٠	,٥
– المدربون يميلون إلى إلقاء المحاضرات بدلا من الزيارات الميدانية	٨٤,٥	١٠٠	١,٧
– الزيارات الميدانية التى تمت أضافت لى جديدا من الناحية العملية	٣١,٧	٦٦,٧	٢,٧ *
– توفير وسائل تدريبية فى القسم (استوديو– معمل– صحيفة.. الخ يغنى الطالب عن الزايارات الميدانية	٨٦,٦	٨٠	,٧
– الزيارات الميدانية لوسائل الإعلام تعتمد على العلاقة القوية للمدرب بتلك الوسائل	٩٦,١	١٠٠	,٨

* $P < 0.005$

الخلاصة

يتبين من خلال نتائج الدراسة الميدانية أن هناك عدة قضايا ينبغي أن توليها الجهات المختصة إهتماما فيما يتعلق بدراسة الإعلام فى جامعة الأزهر ويمكن تلخيص ذلك من خلال النتائج الآتية:

١- يحتاج تخصصى الإعلام فى إطاره الأكاديمى إلى أسلوب مختلف فى التدريس عن بقية التخصصات، ويتمثل ذلك فى إعداد الكوادر البشرية المؤهلة من الأساتذة الذين تقع على عواتقهم المهمة التعليمية، وعليه فيجب أن تقام دورات تدريبية لهم على أحدث طرق المناهج والتدريس وكذلك دورات فى اللغات الأجنبية للتعرف على الجديد فى التخصص بفروعه المختلفة بالإضافة إلى الحاسب الآلى والكمبيوتر.

٢- ضرورة مراجعة المقررات الدراسية فى القسم لتواكب سوق العمل ولتؤهل خريجا مميزا فى الإعلام، بالإضافة إلى ضرورة وجود مفردات لمحتوى المقررات العلمية منعا للتشابه والتكرار بينهما، بالإضافة إلى مراجعة الكتب العلمية المقررة على الطلاب عن طريق اللجان العلمية حتى تعكس المقررات الموضوعة.

٣- تحتاج عملية اشتراك أكثر من أستاذ فى المقرر الواحد إلى إعادة نظر لتلافى سلبياتها فى تكرار وتداخل المعلومات، وزيادة الأعباء المالية على الطالب.

٤- تشكل لجنة من أساتذة القسم وأعضاء هيئة التدريس الذين يقومون بتدريس المواد غير التخصصية لوضع برنامج عمل لتوظيف تلك المواد لخدمة تخصص الإعلام حتى لا تشكل عبئا على الطالب.

٥- تعد ظاهرة تغيب الطلاب عن المحاضرات من المشكلات الرئيسية التى تواجه القسم، ويجب البدء فى وضع برنامج زمنى لحلها عن طريق وجود نظام متابعه فعال من إدارة الكلية لمتابعة الحضور والغياب، وإعطاء سلطات أكبر لأستاذ المادة بحرمان الطالب الذى يتخلف عن المحاضرات طبقا

للائحة والسماح للطالب بالمشاركة العلمية فى المحاضرات وتغيير الشكل التلقينى للمحاضرة. كما أنه من الأهمية دراسة هذه الظاهرة من جميع جوانبها التعليمية والإدارية والاقتصادية والإجتماعية، والإفادة من نتائج هذه الدراسة.

٦- العمل على الاهتمام بتقييم الطالب، وإعادة النظر فى تفعيل نظام الاختبارات النهائية، بحيث تقيس هذه الاختبارات المستوى الحقيقى لطالب الإعلام، وضرورة وجود أعمال السنة لمتابعة الطالب أولا بأول، بالإضافة إلى إدخال نظام مشروع التخرج كأداة جيدة للتقييم من ناحية، والتعرف على إبداعات الطلاب لتوجيههم نحو سوق العمل المطلوب.

٧- تشير نتائج هذه الدراسة إلى أهمية إعداد برنامج تدريبى واضح خاص بالإعلام يتوافق من ناحية مع الدراسة النظرية، ومع سوق العمل من ناحية أخرى، مع وجود تنسيق بين أستاذ المادة والمدرب، وجذب الطالب إلى التدريب من خلال وجود وسائل تدريبية فى القسم كالاستوديو والصحيفة والمعمل، كما يجب أن تكون هناك حوافز مادية ومعنوية للمدرب مع الاختبار الدقيق له حتى يتناسب مع طبيعة الدراسة.

مراجع الدراسة

(١) نبيل على، العرب وعصر المعلومات، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد رقم ١٨٤، أبريل ١٩٩٤، ص٣٨١.

(٢) أمين فاروق فهمى، «الاتجاه المنظومى فى التدريس والتعلم» المؤتمر العربى الأول حول الاتجاه المنظومى فى التدريس، مركز تطوير تدريس العلوم، جامعة عين شمس، الفترة من ١٧ - ١٨ فبراير ٢٠٠١م.

وأيضا: محمد محمد فهمى أمين، الاتجاه المنظومى لتدريس وتعلم الصحة العامة وطب المجتمع بكلية الطب، جامعة الأزهر، المؤتمر العربى الأول حول الاتجاه المنظومى فى التدريس والتعلم، مركز تطوير تدريس العلوم، جامعة عين شمس، الفترة من ١٧- ١٨ فبراير ٢٠٠١م.

(٣) نبيل حداد، نحو أسس للقبول لطلبة أقسام الإعلام العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مجلة الإعلام العربى، العدد ١٣، ١٤، ديسمبر ١٩٨٨.

(٤) محمد محمد الغنام، التعليم والإعلام من أجل تربية أفضل للمواطن العربى، مجلة رسالة الخليج العربى، العدد السادس، السنة الثانية ١٩٨٢.

(٥) عصام سليمان موسى، لغة الاتصال الجماهيرى وكتبه، مشكلة عربية فى الاتصال، مجلة الإعلام العربى، تونس، ديسمبر ١٩٨٨.

(٦) ندوة الدراسات الإعلامية فى العالم العربى، جامعة الرياض، ١٩٧٨.

(٧) محمود شريف، إعداد طلاب الإعلام، التدريس النظرى، مشاكل وحلول، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مجلة الإعلام العربى، تونس، ديسمبر ١٩٨٨.

(٨) سنان سعيد، الدراسات والمناهج الإعلامية، مجلة الإعلام العربى، تونس، ديسمبر ١٩٨٨.

(٩) محمد محمد فهمي آمين وآخرون، دراسة استطلاعية عن مواظبة طلاب مرحلة البكالوريوس فى حضور الدروس النظرية والعملية بكلية طب بنين الأزهر، قسم الصحة العامة وطب المجتمع ٢٠٠١م.

(١٠)سمير حسين، بحوث الإعلام، (القاهرة: عالم الكتب، ١٩٧٦) ص ٣.

(١١) سمير حسين، البحوث الإعلامية فى الوطن العربى، بحوث ودراسات فى الدعوة والإعلام، الكتاب السنوى لكلية الدعوة والإعلام بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، العدد الأول ١٩٩٢م.

(١٢) سنان سعيد، الدراسات والمناهج الإعلامية، مرجع سابق، ص٧٥.

(١٣) محمود فهمي، الفن الصحفى فى العالم، القاهرة، ١٩٦٤، ص٢١.

(١٤) محمد الغنام، التعليم والإعلام من أجل تربية أفضل للمواطن العربى، مرجع سابق، ص٩.

(١٥) محمد محمد فهمي أمين، الاتجاه المنظومى لتدريس وتعليم الصحة العامة وطب المجتمع -جامعة الأزهر، المؤتمر العربى الأول حول الاتجاه المنظومى فى التدريس والتعلم، مركز تطوير تدريس العلوم، جامعة عين شمس، القاهرة ص١٧- ١٨ فبراير ٢٠٠٤م.

(١٦) أحمد حسين الصاوى، تقرير عن التدريس الإعلامى فى الدول العربية، جامعة الرياض ١٩٧٨، ص١٥٠.

(١٧) سمير حسين، الإعلام والاتصال بلجماهير والرأى العام (القاهرة: ١٩٨٤، مطابع سجل العرب) ص٢٥١.

(١٨) محمود شريف، مرجع سابق، ص٥٠.

(١٩) محمود شريف، مرجع سابق، ص٥١.

(٢٠) محمد محمد فهمي، دراسة استطلاعية عن مواظبة طلاب مرحلة البكالوريوس، مرجع سابق، ص٢.

(٢١) همر الجوهرى، التدريب الادارى، الجهاز المركزى للتنظيم والادارة،

سلسلة العلوم الإدارية، القاهرة، ص١٤ .

(٢٢) سنان سعيد، الدراسات والمناهج الإعلامية، مرجع سابق، ص٨٥.

(٢٣) سمير حسين، الإعلام والاتصال الجماهيرى والرأى العام، مرجع سابق، ص٢٩١.

(24) Education of Mass Communication, www university of southern Queens land.

(25) Maaa Communication and Journalism, www. universty of Conterbury.

(٢٦) عبد العظيم النرجاوى، تكنولوجيا المواقف التعليمية، (القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٨٨) ص٣٤.

(٢٧) ،(٢٦) جبرائيل بشارة، تكوين المعلم العربى والثورة التكنولوجية (القاهرة: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٨٦) ص٧٦.

(٢٨) سنان سعيد، مرجع سابق، ص٨٠.

(٢٩)، (٣٠) لمزيد من التفاصيل:

محمد الغنام، مرجع سابق، ص٢١ .

محمود شريف، مقررات لغوية أنسب لأقسام الإعلام، ندوة أقسام الإعلام فى الجامعات العربى، جامعة الإمارات العربية المتحدة، نوفمبر ١٩٨٤ ، ص٩٠.

رضا النجار، تدريب الصحافة بين النظرية والتطبيق، تجربة المركز الأفريقى لتدريب الصحافيين والاتصاليين، المركز الإقليمى لتدريب الصحفيين والاتصاليين، تونس.

عصام سليمان موسى، لغة الاتصال الجماهيرى وكتبه، مرجع سابق.

(٣١) عصام موسى، المرجع السابق، ص١٤١ .

محمد طلال، البعد النظرى للإعلام والاتصال فى مناهج كليات ومعاهد الإعلام العربية، المعهد العالى للصحافة بالرباط.

الغناء التليفزيوني
دراسة في تحليل المضمون
«مع استطلاع رأى عينة من الخبراء والباحثين»

دكتور
عرفه أحمد عامر

[أ]

مقدمة:

يعد موضوع الغناء من الموضوعات الشائكة، وذات الحساسية الشديدة فى دنيا الإعلام والاتصال، بالنسبة للجمهور من ناحية، وبالنسبة للقائم بالاتصال من ناحية أخرى. فبالنسبة للجمهور فإن الغناء رسالة عاطفية- عظيمة- تخاطب وجدان الجمهور بالدرجة الأولى فتجعله يرق ويسمو بعواطفه ويستشعر معانى وأحاسيس ما كان ليشعر بها لولا ذلك النغم واللحن الجميل، وربما حدث العكس وكان التأثير على غير ما يحب المرء ويشتهى، أو غير ما فيه صالح الدولة أو الأمة إلا أن هذا التأثير لا يقتصر عند مخاطبته الوجدان وتحريك المشاعر بل إنه يمتد إلى العقل والمنطق فيؤثر فيه لدرجة أنه قد يكون سببا فى أخذ قرارات مصيرية، أو أحد هذه الأسباب المؤدية إلى ذلك. ويمتد إلى النفس فيحرك كوامنها وربما يقلبها رأسا على عقب فيجعلها تضطرب وتتحرك في اتجاهات معينة، يفهمها الإنسان أو لا يفهمها، وربما يفهمها بعد فوات الأوان، ويمتد إلى الروح، فيجعلها تشرق وتستشرف تجليات إلهية معينة، وأشواقاً عليا تربط الإنسان بخالقه وتقوى عقيدته وصلته بربه، وتجلى فطرته على حالتها الأولى وربما حدث عكس ذلك فتنطمس فطرة الإنسان وتنقطع علاقته بربه، فتخبو أنوارها ومعانيها. ويمتد إلى جسد الإنسان وجوارحه فيجعله يتحرك فى اتجاه إيجابى ومنطقى وربما دون منطق أو عقل أو تفكير.

ولا يقتصر تأثير الغناء على الأفراد كوحدات منفصلة، بل إنه يمتد ليشمل مجموع الوحدات فإذا به يؤثر على الذوق والرأى العام للجماهير العريضة من المستمعين والمشاهدين، فيجيش عواطفهم ومشاعرهم فى إطار

[ب]

موحد هو الرأى العام للمجتمع.

والغناء هو أحد روافد الأدب العربى التى تؤثر فى الجمهور من قديم الأزل وهو مدرسته ومرآته التى تنعكس عليها أفكار المجتمع وطموحاته، بل وطموحات الأمة وتطلعاتها فيظهر منها ما كانت عليه من نهضة أو ما ألم بها من ضمور وخمول.

ولما كان للغناء من أهمية على هذا النحو فإنه كان محط أنظار النقاد والمفكرين على مر العصور وخاصة بعد ظهور وسائل الاتصال الحديثة، ومنها التليفزيون بإمكانياته الضخمة فهو ينقلنا إلى الأحداث والأشياء والمواقع والبيئات، وينتقل بنا عبر الزمان والمكان- صوتا وصورة وألوانا وأحجاما- فلكل هذه الإمكانيات وما ينتظر من التليفزيون على قدرها كان اهتمام النقاد والمفكرين والكتاب فى نقد الغناء التليفزيون من وجوه عديدة، حتى أصبح هذا النقد ظاهرة عامة تناولتها وسائل الاتصال جميعها صحفا ومجلات وراديو وتليفزيون، مرات عديدة وعلى فترات طويلة، حتى أن أحدهم ليصنفها ضمن مجموعة الأزمات التى يعانى منها الجمهور المصرى كأزمة السينما والمسرح والثقافة والإسكان والتعليم.. إلخ.

ومن هنا كان اهتمام القائمين على الأمر والمهتمين بهذه القضية فى البحث عن حلول لها فى اتجاهات شتى، ومنها أنهم بدأوا يعقدون للغناء مهرجانا سنويا منذ عام ١٩٩٥م إلا أنه يبدوا أن هذا وحده لا يكفى حيث لم تظهر بوادر أمل لعلاج هذه الظاهرة، وإنما كان لابد من البحث فى اتجاهات أخرى وهذا ما دفع الباحث وأثار اهتمامه فقام بعملية تحديد دقيق لطبيعة الظاهرة ومفرداتها وتشخيصها لكى يتمكن بعد ذلك من تقديم العلاج والحل المناسب لها.

فالغناء التليفزيونى بمردوده السلبى أو الإيجابى النابع من طبيعته وتأثيره فى الجمهور وباعتباره قضية أو مشكلة. فى حاجة إلى من يزيح عنها الستار

ويجليها ويكشف حقيقتها وخباياها، ومن هنا كان موضوع البحث ومبعث أهميته.

وقد لاحظ الباحث أن موضوع الغناء لم ينل العناية الكافية من الباحثين الإعلاميين وتكاد المكتبة الإعلامية- فى حدود علم الباحث- تخلو من أبحاث متخصصة فى هذا الموضوع الشائك والمهم وربما لأن النظرة الجادة إليه لم تتبلور بعد وإنما ينظر إليه على أنه مادة دونية قصد بها الترفيه والإمتاع وتسلية الجمهور، وكأن هذا هدف فى حد ذاته دون النظر إلى مردوده أو عائده السلبى أو الإيجابى على المدى القريب أو البعيد أو حتى مجرد التفكير فى ذلك.

ومن هنا فقد قام الباحث بدراسة هذا الموضوع من خلال إجراء تحليل دقيق لمضمون عينة من المجتمع الأصلى للبحث مراعيا أن تكون ممثلة لهذا المجتمع ولمزيد من التحديد والتشخيص فقد قام بإجراء مقابلة متعمقة فى شكل استفتاء مصغر حول بعض القضايا الشائكة وذات الأهمية والتى لها انعكاس وتأثير على بقية القضايا والموضوعات الأخرى.

وتتحدد أجزاء هذا البحث فى مقدمة وخاتمة وبينهما فصلان رئيسان: فبعد هذه المقدمة يأتى الفصل الأول. وهو عبارة عن الإطار المنهجى للبحث.

ويشتمل على بيان لأهمية البحث وخطواته الإجرائية والمنهجية من تحديد لمشكلة البحث وأهدافه وتساؤلاته ونوعه ومناهجه وأدواته وعينته ومواصفاتها.

الخ.. ويشتمل الفصل الثانى على استعراض جدولى لبيانات البحث، فى إطار الإجابة على التساؤلات الخاصة بالبحث. ومن خلال استمارة تحليل المضمون المعدة لذلك، والتى تم تحكيمها على مجموعة من الخبراء والباحثين المتخصصين فى الإعلام. فقام بعملية تحليل البيانات والتعليق عليها مشفوعة بآراء الخبراء والباحثين، ورأى الباحث حول معظم القضايا التى احتواها البحث.

وأخيرا تأتى الخاتمة، وفيها قام الباحث باستخلاص النتائج ذات التأثير الحيوى والمهم فى تشخيص طبيعة الظاهرة، وأتبع ذلك بمجموعة من

[د]

التوصيات التى تنبثق فى معظمها من نتائج البحث وآراء الخبراء. والظروف والملابسات ذات الصلة الوثيقة بالبحث، وفى إطار منهجى، بحيث ترتبط مع جزئيات البحث برباط منطقى وطبيعى.. ثم- بعد ذلك- وفى النهاية تأتى قائمة المراجع، ومجموعة من الملاحق، هى عبارة عن استمارة تحليل المضمون، واستمارة المقابلة المتعمقة وبيان بأسماء الخبراء والباحثين، وقائمة ببعض الأساليب اللفظية غير المقبولة إسلاميا.

وبعد... فلله الحمد فى الأولى وفى الآخرة. وله الشكر على نعمه من باطنة وظاهرة. والصلاة والسلام على معلم البشرية الخير فى حياتهم الدنيا، وما يصلح أحوالهم فى الآخرة.. ثم خالص شكرى وعظيم تقديرى لأساتذتى، وزملائى الذين تعاونوا معى أثناء إعداد هذا البحث، أو ساهموا بآرائهم فى إثرائه وتحديد ملامحه. وأسفى وعتبى على آخرين، كان عدم تعاونهم معى أحد الصعوبات والمعوقات التى صادفت الباحث وخاصة أثناء جمع بيانات استمارة المقابلة المتعمقة، والله أسأل أن يجعل عملى هذا خالصا لوجهه الكريم، فهو المستعان. وهو نعم المولى ونعم النصير..

الجيزة/ أول مارس (آذار) ٢٠٠١م

أول ذو الحجة ١٤٢١هـ

دكتور

عرفه أحمد عامر

الفصل الأول
منهجية البحث

ويشتمل هذا الفصل على:

١- موضوع البحث وأهميته

أهمية الغناء

أهمية الموسيقى

٢- البحوث السابقة.

٣- تحديد مشكلة البحث.

٤- الهدف من البحث.

٥- تساؤلات البحث.

٦- نوعية البحث.

٧- مناهج البحث.

٨- أدوات البحث.

٩- الصدق والثبات.

١٠- مجتمع البحث.

موضوع البحث واهميته

الغناء وأهميته.

الغناء هو مدرسة الشعب ومرآته التى تنعكس عليها أفكار المجتمع وتطلعاته، فيتبين منها ما كان عليه من نهضة، وما أصابه من ضمور وخمول، وفيه يقول الموسيقيون الغربيون: إذا أردت أن تعرف حضارة أمة، وما انطوت عليه من طبائع وسجايا، فابحث عن فن الغناء فيها فهو مسرح تظهر فيه ميول الأمة وأجواؤها بأبلغ وصف وأفصح بيان[١].

وقد ثار جدل وشبهات حول شكل ومضمون الأغانى التليفزيونية المعاصرة، وخاصة العاطفية منها والتى يدور مضمونها حول موضوع الحب بين الرجل والمرأة والفتى والفتاة. واتهمها البعض بأنها لا تتضمن أى معنى إنسانى مفيد أو اجتماعى بناء، بل ينحصر معظمها فى الهجر والعذاب والذل والهوان والآهات[٢].

ويرى بعض الباحثين أن الأغنية التليفزيونية باعتبارها رسالة إعلامية لا تجسد الأحداث والقضايا والقيم التى تهم الجمهور وتتوافق مع توجهاته الأيديولوجية وأفكاره وأخلاقه.. وخاصة الأغانى الطويلة التى شجع عليها الاستعمار وأوصى بها الإذاعات التى نشأت فى أحضانه لتكون بقية المواد الأخرى على غرارها: طويلة، مكررة، بطيئة، متورمة.. تقول الشيئ الواحد عدة مرات.. تعيد وتزيد فيما تقوله من كلمات أو موسيقى، وتظل على شكل واحد لا يتغير. تزرع البطء والتراخى وعدم التركيز. وتقتل الإبداع، وتدفن الخيال القادر على التجديد والإبتكار، وبناء مستقبل أفضل[٣].

ومنهم من يرى أنه قد أتى على مصر عصر باتت الأغانى فيه خلاعة ومجونا واستهتارا وانغماسا فى اللهو والملذات، كما يرون- أيضا- أن الأغانى كثيرها تافهة ومكررة المعانى، ليس فيها ما يهز المشاعر، أو يلهم النفوس بما تضفيه عليها من العواطف السامية والأحاسيس النبيلة، مما كان له أكبر الأثر فى انحراف أخلاق الشباب وإغراقهم فى مستنقع من الفوضى والعبث.

كما يرى بعضهم أنه قد أتى على الأغنية العربية التليفزيونية زمن خيم عليها فيه قدر من التخلف واليأس والقنوط والحزن على تفاهات الحياة واهتمامات الضائعين. فلا ترى أو تشاهد إلا حركات المطرب أو المطربة والجوقة المرافقة له من الراقصين والراقصات. قد تختلف الأحرف والكلمات وأسلوب الأداء، ولكنها -جميعا- تلتقى حول الحب والحرمان والهجر والصد والدمع والألم والسهر والأنين والجراح والنواح. وتحس أنك أمام إنسان غير سوى- عقلا ووجدانا- وكأنه ليس لدى المؤلفين والمطربين من قضايا أمتهم ما ينال اهتمامهم ويستحق بذل جهدهم ليترجموا فنهم سواعد بناء، لا معاول

هدم.

ومن المسلم به أن الغناء بصفة عامة، والغناء التليفزيونى بصفة خاصة يخاطب وجدان الجمهور بالدرجة الأولى، والشباب منهم على وجه الخصوص، وذلك عن طريق التأثير على نواحيه العاطفية وميوله الشعورية المتدفقة عن طريق الصوت والصورة، بحيث تتضاءل إلى جانب ذلك نواحيه العقلية والمنطقية، مما يؤثر على تقييمه للأمور والأحداث سلبا وإيجابا، وهذا هو مكمن الإحساس بخطورة هذا البحث وجدواه، خاصة، وأنه من الواضح أن هذه النوعية من المواد تنال كثيرا من اهتمام القائمين بالاتصال فى التليفزيون وذات بروز واضح على خريطة الإرسال فى جميع القنوات التليفزيونية سواء كانت منفردة أو ضمن فقرات البرامج التليفزيونية، أو مشاهد الأفلام السينمائية والتليفزيونية.

وينظر هؤلاء الباحثون إلى الأغنية الغربية، فيجدونها -على قصرها- تنال كل الإعجاب والتقدير من الجماهير الأوربية، بما تحمل من أفكار وقيم ومضامين وأساليب معالجة لشتى القضايا المجتمعية. فهناك- مثلا- أغنية تهاجم شركات الأسمنت التى تلوث الجو وتبنيه عمارات تسد الفضاء، وأخرى ترعى الخضرة والمراعى والزهر فى الحقول.. الخ(٤).

وهناك بعض البحوث التى رصدت أزمة الأغنية التليفزيونية ضمن مجموعة الأزمات التى يعيشها المجتمع المصرى، مثل أزمة الثقافة والسينما والمسرح(٥)، وترى أن الأغنية التليفزيونية انحدرت إلى مستنقع من الإسفاف الغنائى والموسيقى فى الكلمات والمعانى. مما كان له أكبر الأثر فى إفساد الذوق والأخلاق، والحث الدائم والمستمر للفتيات والشباب للخروج على القيم والأخلاق والسلوكيات الراشدة(٦).

وقد أحدث ظهور الأغانى المصورة على الشاشة التليفزيونية- حديثا- بأسلوب (الفيديو كليب) ردود أفعال على مستويات عدة فاعتبرها البعض خروجا على تعاليم الدين وأخلاق المجتمع، وتتنافى مع موارثنا الإسلامية، من حيث أنها تظهر مفاتن المرأة بصورة مهينة، وتدعو الشباب صراحة للانحراف،

مما حدا بأحد أعضاء مجلس الشعب أن يتقدم بطلب إحاطة محذرا فيه من إذاعة هذه الأغانى التليفزيونية(٧).

وهناك بعض الصحف التى كتبت- فى تحقيقات لها- عن تراجع الأغنية العربية والأغنية الدينية منها على وجه الخصوص فى وسائل الإعلام، وخاصة التليفزيون، وذلك لما لها من مكان ومكانة فسيحة فى قلوب الجماهير، لأنها تخاطبهم بالكلمة الصادقة واللحن الشجى والصوت الرخيم فى إطار روحانى يشد إليه الأسماع ويترك صدى طيبا فى القلوب.

ففى تحقيق لجريدة «صوت الأزهر»(٨) أشار إلى أن الأغنية الدينية قد بدأت فى التقهقر بشكل كبير فى السنوات الأخيرة، فلم نعد نسمعها إلا فى المناسبات الدينية، وبقلة.. ويصرح بعض من تم التحقيق معهم، أن الأغنية الدينية لا يمكن أن تكون أغنية مناسبات فقط، خاصة إذا ما وضعنا فى الاعتبار هذا الكم الكبير والهائل والسيل الذى لا ينقطع من الأغنيات الهابطة التى تؤذى الأسماع وتجرح الإحساس حتى أصابنا تلوث سمعى من خلال إسفاف محدق وكلمات سوقية تترى على أسماعنا ليل نهار، وهو ما أشار إليه الباحث فى بحث سابق(٩).

ويدعو بعضهم بكل قوة إلى عودة هذه الأغنية إلى ما كانت عليه وأحسن مما كانت عليه، حتى لا تقتصر الأذن المصرية على سماع هذا الكم التافه من أجل تهذيب ذوق المستعمين والمشاهدين فى مواجهة أغنيات ليس لها من أمر سوى الهبوط بذوقهم، بل وتحريك غرائزهم أحيانا، وأن الأغنية الدينية لو نالت قسطا من الاهتمام من خلال الجهات المعنية، لكانت خير ما يواجه هذا الطوفان العارم من الأغانى الفاسدة التى لا ترتقى إلى أذواق الجماهير.

ويؤكد بعضهم على أن الأغنية الدينية على الرغم من تبسيطها للقيم والمبادئ وتقديمها فى ثوب جميل وبصوت عذب، ومقاومتها للإسفاف الناتج عن الأغانى الهابطة التى تهدم ولا تبنى، إلا أن المسئولين فى الجهات المعنية، وخاصة فى الراديو والتليفزيون يتعاملون معها ببخل شديد، سواء فى الإنفاق

على التأليف أو التلحين أو الغناء، أو حتى فى المساحة الزمنية المخصصة لها على خريطة البث، مما جعل كثيرا من المؤلفين والملحنين والمطربين يعزفون عنها، ولا يقبلون عليها ولا يعيرونها اهتماماً، لأنها لا تحظى بقدر كبير من الوجود الإعلامى والإقبال الجماهيرى ولا تحقق لصاحبها عائداً ماديا، أو حتى شهرة إعلامية.

أهمية الموسيقى:

وتشكل الموسيقى بمختلف أنشطتها جانبا مهما من الأنشطة الفنية لبرامج التليفزيون فهى وسيلة تعبير وجدانى راقية، ولغة عالمية سهلة الإدراك، وتقدم أجل الخدمات من خلال التربية الجمالية للفرد، فهى تستطيع أن تعمق مقدار السرور الشخصى له[١٠].

وكل لغة على وجه الأرض لا تستطيع الوقوف أمام لغة الموسيقى فى التعبير عن العواطف، لا سيما إذا نطقت بالشعر فيوم كان الشعر كانت الموسيقى وخاصة الشعر العربى القائم أساساً على الإيقاع الموسيقى، فهما صنوان متشابهان، كلاهما يملأ صنوه حياة ونورا ويزيده حسنا وجمالا، وكلاهما يهب للآخر الروح والقوة ويزيد معانيه معنى وخياله خيالا، ولاشك أن صلتهما ببعضهما تشبه صلة الروح بالجسد[١١].

وتعتبر الموسيقى مصدرا لكثير من ألوان السرور والمتعة فيشعر المرء بارتياح من ترنيم الموسيقى أو عزفها على آلة ما، فهى وسيلة للتعبير عن عواطف الإنسان من فرح أو حب أو شكر أو إخلاص، وهى لغة عالمية ووسيلة مثالية لتسهيل العلاقات بين الناس، ولها تأثير عاطفى بين البشر[١٢].

والموسيقى مراد السمع، ومرتع النفس، وربيع القلب، ومجال الهوى، ومسلاة الكئيب، وأنس الوحيد وزاد الراكب.. وقد يتوصل بالألحان الحسان إلى خيرى الدنيا والآخرة، فمن ذلك أنها تبعث على مكارم الأخلاق من اصطناع المعروف، وصلة الرحم، والذب عن الأعراض والتجاوز عن الذنوب، وقد يبكى الرجل بها على خطيئته، ويرق قلبه من قسوته، ويتذكر نعيم

الملكوت، ويمثله فى ضميره[١٣].

وتغوص الموسيقى فى أعماق النفس وتستحوذ عليها، وتشعرها بالانسجام والتناسق، وتكسبها جمالا كجمالها، ومقدرة على تقدير جمال الفن فى مناظر الطبيعة، وذوقا سليما، فيصير الإنسان شهما، وبعدئذ يصير حكيما عاقلا[١٤].

وهدف الفنون جميعا ومنها الموسيقى هو إحداث الشعور باللذة والسرور، واللذة السلبية فى مجال الموسيقى هى ما يسمى بالطرب، وهى كلمة ثار حولها جدل طويل. ولكن الذى لاشك فيه أن طابع التأثير والانفعال السلبى للموسيقى- إذا لم تقترن بكلمات- هو الغالب عليها فغاية ما يؤدى إليه الطرب بالموسيقى. إذا اتخذ هدفا للتأثير الموسيقى، هو أن يبعث فى الإنسان انفعالا[١٥].

والنغمات ذاتها مثل الألوان منها الطلى ومنها الكريه. وهى قد تكون حادة أو لاذعة أو حلوة أو هادئة أو مرتفعة. وكل ذلك بغض النظر عن علاقاتها. ولكل نوع من أنواع النغم بل لكل لون من ألوانه، علاقات عصبية خاصة، وفضلا عن ذلك فالنغمات شأنها فى ذلك شأن الأحاسيس الأخرى تثير خواطر وذكريات... فبعض الأنغام كأنغام النفير توحى بالحرب والبعض الآخر مثل أنغام الكمان والناى توحى بجو الأحراش ومشاعر الرقة.

إيقاع الموسيقى:

والإيقاعات الكامنة فى شعورنا تستجيب لإيقاعات الموسيقى على نحو معجز، فالتعبير الذى يطرأ على الإيقاع يعنى فى التو تغيرا فى كياننا ووجداننا[١٦]. بحيث تصبح الموسيقى امتدادا لمشاعر الإنسان والتعبير عن ذاته وخلجاته، أو هى رجع صدى لهذه الذات والخلجات. وهذا يستلزم أن لا تكون الموسيقى بعيدة عن قلب الجمهور، وإنما تلزم الموسيقيين أن يصغوا بآذائهم الحساسة ويدرسون أغانيه وألحانه وأساطيره وأمانيه. بحيث يصبح قلب

الفنان هو قلب جمهوره وإحساسه هو إحساس جمهوره وحريته هي حرية الجمهور.. وهكذا[١٧].

نوعية الإيقاع:

واللحن الموسيقى قد يكون هادئا يلطف الأعصاب ويدفع عنها متاعب الحياة وقد يكون عنيفا يدفع الإنسان إلى مزيد من الترقب والتحفز والإستعداء بعكس الموسيقى الهادئة التى تساعده على الإسترخاء أو النوم، أو غير ذلك. والحق أن الكثيرين يعتقدون أن هذه هى الوظيفة الحقيقية للموسيقى وأن مهمتها ترفيهية فحسب، بل إن الوظيفة الحقيقية للموسيقى هى إيقاظ العقل عن طريق الحواس وتنبيه الملكات الواعية وكشف حقائق جديدة كانت النفس تجهلها من قبل. والحق أن هذه هى المهمة السامية للفن: ألا يكتفى بالتأثير السلبى فينا، بل يقدم إلينا شيئا إيجابيا، ويكسبنا مزيدا من المعرفة بالحياة التى نعيش فيها[١٨].

ولقد استخدمت الموسيقى بمختلف أنشطتها ومستوياتها فى العلاج والاستشفاء باتخاذها طريقة ترويحية وترفيهية، وبخاصة لمن لا يستطيع الاستفادة من وسائل الترويح الأخرى كالأنشطة الرياضية مثلا.

وينصح بعض الخبراء بأن تستخدم الموسيقى كدواء كما يفعل الصيادلة، ويؤكدون أن الموسيقى ترفع الروح المعنوية للعمال والجنود، وتزيل الكآبة والتوتر العصبى[١٩].

وتكلم فيها أهل الطب قديما فقالوا: إن الصوت الحسن يسرى فى الجسم ويجرى فى الدم، فيصفو الدم ويرتاح القلب وتنمو النفس[٢٠].

وصدقت الأبحاث الطبية الحديثة هذه الحقائق، فلقد اكتشف فريق من علماء جامعة أوهايو الأمريكية أن الأجسام فى أثناء سماع الموسيقى تفرز كمية أكثر من مواد طبيعية أو هرمونات من بعض مراكز المخ، وتعد نوعا من المورفين الطبيعى الذى يفرز عند الشعور بألم لتخفيف الإحساس به[٢١].

الموسيقى الهادئة:

يعتبر الاستماع للموسيقى الهادئة فى الصباح الباكر أهم وأكثر راحة للإنسان من الاستماع للأخبار السياسية أو غيرها، ويطالب البعض بضرورة استخدام الموسيقى فى العلاج النفسى، وفى الأماكن العامة من خلال مكبرات الصوت، وذلك لأنها تساعد على التفاؤل وإراحة الأعصاب.

واللجؤ إلى الموسيقى اتجاه جديد لعلاج كثير من الأمراض، وكان هو موضوع مناقشة أحد المؤتمرات العالمية التى عقدت فى ألمانيا الغربية، وقد أوضحت الدراسات أن الموسيقى تزيد من رغبة الشخص فى الحياة، وتقبله لحقيقة مرضه، سواء كان مرضا نفسيا أو عضويا، وبالتالى يصبح من السهل علاجه.

ووسط ضجيج الحياة وصخبها وأصواتها الهادرة المزعجة، تبدو الموسيقى الكلاسيكية مثل جزيرة من السلام الروحى وسط بحر من مرعبات الحياة.. وقد أثبتت الدراسات العلمية أن الاستماع إلى الموسيقى الكلاسيكية يؤثر على الجسم ويعيد إليه انسجامه وتوازنه، كما أنه يستنهض فى الأفراد قدرة أكبر على العمل، ويلجأ كثير من أطباء القلب والأعصاب إلى الاستعانة بالموسيقى الكلاسيكية فى علاج مرضاهم بعد أن أثبتت الدراسات أنها تؤثر بالإيجاب على المرضى وتدفع بهم إلى طريق الشفاء. وللموسيقى الهادئة أثرها الطيب على الجنين، فقد أكدت الدراسات العلمية الحديثة التى أجرتها جامعة كولورادوا الأمريكية أن استماع المرأة للموسيقى الهادئة أثناء فترة حملها يضفى عليها شعورا بالهدؤ والراحة النفسية، ويضمن لها ولادة سهلة وأمومة هادئة، ويساعد على إدرار اللبن، والطريف أنها تنجب أطفالا مشغوفين بالموسيقى متذوقين لها، ويفضلون الحياة الهادئة ولا يميلون إلى العنف(٢٢).

الموسيقى الصاخبة:

كذلك أثبتت الدراسات الطبية والعملية أن هناك ارتباطا وثيقا بين توتر الأعصاب والموسيقى الصاخبة فموسيقى (البوب) الأمريكية بشكل خاص تسبب الإصابة بالصمم وتوتر الأعصاب والميل إلى الجريمة والانحراف.. والإحصائيات التى تنشر حول هذا الموضوع كثيرة جدا، فإحصائية البوليس تبين أن أكثر حوادث الشجار والعراك تقع فى الأماكن حيث تعزف فيها موسيقى الصخب(٢٣). وهذا يتطلب من الإنسان أن يحسن اختيار نوع الموسيقى التى يود سماعها فى أى وقت من الأوقات.

الموسيقى الشرقية «العربية»:

إذا كانت الموسيقى لغة عالمية من حيث الشكل، فإنها محلية مثل سائر الفنون من حيث المضمون وتتأثر بالنسق القيمى لكل مجتمع، وينعكس عليها آثار وظروف وسمات وعادات المجتمع الذى تعيش فيه، ولذلك نجد أن لكل وطن أو مجموعة من الأوطان المقتاربة تمايزا موسيقيا تعرف به، فالموسيقى الشرقية تختلف عن الموسيقى الغربية، والموسيقى، العربية تختلف عن الموسيقى الهندية واليابانية.. وهكذا.

وقد كان للموسيقى العربية أثرها الواضح على البلاد الإفريقية التى فتحها العرب المسلمون، وتغلغل هذا الأثر بين أبناء إفريقيا الصحراوية، فمن الأمور الجديرة بالملاحظة فى هذا الصدد أن الإيقاع الحار يقل بين القبائل كلما توثقت علاقتها بالمسلمين(٢٤).

ويرى تولستوى: أن التأثير الأخلاقى والدينى للفن هو مقياس جودته(٢٥) وهنا تظهر بوضوح أهمية أن تلتقى الفنون- جميعها- مع الدين،والغناء والموسيقى على وجه الخصوص، بحيث تتعانق معه ولا تتعارض مع قيمه وآدابه وأهدافه شكلا ومضموناً، وبحيث تصبح تعبيرا أصيلا عن الفطرة البشرية كما خلقها الله سبحانه وتعالى.

وتعتبر الألحان الدينية فى التواشيح والأغانى الدينية نموذجا صالحا لوضع أسس وقواعد للموسيقى العربية وهى تهدف إلى الإصلاح والتهذيب وغرس القيم الإيجابية وتعميق العقيدة والإيمان فى النفوس، وتعبر عن المشاعر الإنسانية خاصة وأن العالم العربى والإسلامى تتقارب أذواقه بفضل القرآن وحسن تذوقه وفهمه وبذلك يتصل حاضر هذه الأمة بماضيها المجيدو بدلا من العبث والجرى وراء الجنس الرخيص. ويجب أن يعبر اللحن الموسيقى عن أشواق الروح العليا ورفرفاتها الطائرة وسبحاتها الطليقة فى رحاب الملكوت الأعلى، فذلك فى نظر الإسلام فن صادق وأصيل(٢٦).

الفراغ الموسيقى:

ولقد تقدم فن التأليف الموسيقى وصناعته إلى درجة مذهلة، وكان المفروض ألا يصادف أى امرئ أحاط بالمشكلات المعقدة المتعددة للتأليف الحديث مصاعب جمة فى التعبير عن شئ يفيض به عقله وتمتلئ به روحه ولكن إخفاق الموسيقى الحديثة قد تجلى بكل وضوح إذ هناك إلمام يثير الدهشة بالقواعد والجوانب الفنية، ومهارة مهولة. وهناك فراغ روحى وأفكار شحيحة، وهناك براعة فائقة تستنفد فى تخيلات عقيمة.

ويقول الموسيقى العالمى هوجولا يختنتريت أن موسيقى العصر الحالى لا تفتقر إلى الموهبة أو المهارة ولكنها تفتقر كما هو واضح- إلى أية نظرة أخلاقية كما تعوزها الجدية والشعور بالمسئولية. ويرى أن المطلوب للموسيقى هو خاتم حقيقى وليس خاتما زائفا (إشارة إلى خاتم نبلونجن) والخاتم الزائف هو الشائع فى الوقت الحالى. ولكن كيف يتوقع حدوث شئ آخر فى زمن يتميز بالمسخ والانحلال والغرابة والافتقار إلى المنطق السليم؟(٢٧).

وهنا ينبغى أن يضع الباحث نصب عينيه نصيحة خبراء الموسيقى والمهتمين بالتذوق الفنى الموسيقى، وهى ضرورورة التفريق فى البحث بين الأغانى والموسيقى وعدم الخلط بينها فى عملية التذوق أو الدراسة(٢٨).

وذلك أن الموسيقى بصفة عامة تتبع الأغنية- شكلا ومضمونا- من حيث الإيقاعات والأهداف.. أما اللغة الموسيقية كجمل ومقامات ومقاطع وآلات وتكنيك.. الخ فهذه لها متخصصوها، ولا يزعم الباحث أن لهذا البحث بها أدنى صلة. وإنما مجالها هو أكاديمية الفنون والمعهد العالى للموسيقى العربية.

وهكذا باتت الأغنية العربية التليفزيونية فى أزمة تشابكت فيها الخيوط، فليس من الواضح أن كان السبب المباشر فى هذه المشكلة هو أزمة النصوص الجيدة، أم أزمة الأصوات الملائمة أم الإخراج الجيد، أم التمويل أم غيره، بالقدر الذى استرعى انتباه المسئولين، فكان انعقاد المهرجانات السنوية للأغنية من أجل النهوض بها لتواكب العصر ومتطلباته(*).

وقد لاحظ الباحث أن المكتبة الإعلامية تكاد تكون خالية من بحث متخصص فى هذا الموضوع، إن لم تكن خاليه بالفعل، رغم أهميته وتأثيره على النواحى العاطفية والعقلية والسلوكية للجمهور، وخاصة الشباب منهم، وتذوقهم للغة العربية، وانعكاس ذلك على تقبلهم وفهمهم للنصوص الدينية من قرآن وسنة.. ومن هنا كان اهتمام الباحث بهذا الموضوع.

وقد قام الباحث بعرض السلبيات السابقة. والموجهة إلى الغناء العربى على شاشة التليفزيون على مجموعة من الخبراء والباحثين (خمسة وعشرين خبيرا وباحثا كمحكمين) فى دراسة استكشافية مبدئية، وفى شكل تصورات إيجابية- عكس ما أشير إليه- سابقا- من سلبيات- للوقوف على رأيهم تجاه هذه التصورات، وللتأكد من وجود مشكلة حقيقية تستحق البحث والدراسة أم لا، على أن يكون هناك فسحة للتدرج فى الرأى على النحو التالى:

(*) انعقد المهرجان الأول للأغنية عام ١٩٩٥م.

جـــــدول (١)

م	التصورات الغنائية	نعم	إلى حد ما	لا	المجموع
١	يعمل الغناء على البناء الوجدانى المتكامل والمتوازن للجمهور المصرى.	٣	٧	١٥	٢٥
٢	يواكب روح العصر ومتطلباته فى الفترة الراهنة.	١	٤	٢٠	٢٥
٣	يتفق مع طموح الدولة فى التنمية الوطنية والمجتمعية.	١	٣	٢١	٢٥
٤	يساعد الجمهور على إشباع رغباته وتلبية احتياجاته.	٤	٦	١٥	٢٥
٥	يتفاعل مع الأحداث والقضايا التى تهم الجمهور	—	٢	٢٣	٢٥
٦	يعكس النسق القيمى للجمهور المصرى.	١	٧	١٧	٢٥
٧	يتضمن المعانى الإنسانية المفيدة والبناءة للجمهور	٣	٩	١٣	٢٥
٨	يتفق مع توجهات الجمهور وأفكاره وأخلاقه.	٤	٦	١٥	٢٥
٩	يلهمه العواطف السامية والأحاسيس النبيلة.	٤	٩	١٢	٢٥
١٠	يدعم الجانب العقلى والمنطقى عند الجمهور.	٤	٨	١٣	٢٥
١١	يدعم الإبداع والابتكار والخيال.	—	٦	١٩	٢٥
١٢	يحارب البطء والتراخى وعدم التركيز.	—	٥	٢٠	٢٥
١٣	أخرى تذكر.	—	—	—	—
	المجموع	٢٥	٧٢	٢٠٣	٣٠٠
	النسبة المئوية	٨	٢٤	٦٨	٪١٠٠

وهكذا فقد جاءت الإجابات سلبية تؤكد صدق الرؤى والشبهات ووجوه النقد السابقة مما يؤكد على وجود مشكلة حقيقية، تستحق البحث والدراسة، على النحو التالى:

١- نسبة من قالوا: (نعم(٨ ٪.

٢- نسبة من قالوا (إلى حد ما) ٢٤ ٪.

٣- نسبة من قالوا: (لا) ٦٨ ٪.

ومما سبق يتأكد لدى الباحث وجود مشكلة حقيقية يمر بها الغناء التليفزيونى، ويسعى هذا البحث إلى استجلائها، والوقوف على طبيعتها، بهدف إيجاد الحلول العلمية والعملية لها.

البحوث السابقة:

أولا: الترويح فى التليفزيون المصرى فى ضوء القيم الإسلامية (١٩٨٧)(٢٩):

وهو بحث فى تحليل مضمون عينة من البرامج الترفيهية على القناة الأولى باستخدام الأسبوع الصناعى لعام ١٩٨٤، وكان من أهم ما توصل إليه من نتائج ما يلى:

١- برزت الأغنية باعتبارها قالبا ترفيهيا بنسبة (٤٤,٩ ٪).

٢- ارتفاع معدل مهنة الغناء بين المهن فى البرامج الترفيهية إلى (٥٠,٦) لكل من الذكور والإناث. وهى فى الإناث أعلى منها فى الذكور، حيث تصل إلى ٥٨,٨٠ ٪).

ثانيا: الغناء ودوره فى تطوير الأغنية التليفزيونية المعاصرة. من منظور إسلامى، ٢٠٠٠(٣٠):

وهوبحث قام به الباحث على عينة (نماذج) من الشعر الغنائى العربى فى العصر الجاهلى وصدر الإسلام بقصد التوصل إلى خصائص وسمات

محددة يمكن الاستفادة بها فى عملية تطوير الأغنية التليفزيونية المعاصرة كلمة وهدفا وأداء، باعتبار أن العصر الجاهلى يمثل مرحلة الانفلات والتحرر من قيود الدين والتدين الصحيح- الحرية غير المسئولة- اللهم إلا بعض القيم والعادات والتقاليد القبلية، كما أن عصر صدر الإسلام يمثل مرحلة التطبيق العملى الحقيقى والواقعى للإسلام وللحياة الإسلامية بجوانبها المختلفة، بما فيها الجانب الفنى والغنائى. وكان من أهم ما توصل إليه البحث ما يلى:

١- أن الغناء كغيره من الفنون التعبيرية نشأ نشأة دينية «أياً ما كان الدين»، وهو محبب إلى النفس البشرية بما يحوى من نغمات ومعان حسان.

٢- أن الغناء العربى فى العصر الجاهلى تساوى فيه الرجال والنساء إلا أن القيان (الإماء) هن اللواتى كن يتخذنه مصدراً للارتزاق دون الحرائر.. وأنه اقترن بشرب الخمر والرقص وأن الجاهليين تغنوا بالشعر، وغلب على شعرهم كثير من القيم السلبية كالكذب والمباهاة بالظلم والكبر والهجاء، ورغم شيوع الحب والغزل فيهم إلا أنه لم يؤثر عنهم غناء للأزواج أو الزوجات، وإنما شاع فيهم التغني للعشيقات والمتخذات أخدان، كما تغنى الجاهليون بكل مضامين الغناء.

٣- رغب الإسلام فى الأصوات الحسنة والتغنى بالقرآن. كما أنكر الأصوات القبيحة. وسمع الرسول (ﷺ) الغناء من الجوارى فى المناسبات وكان بعض الصحابة إذا سمع الغناء أخذ يرقص. وقد غلب على غنائهم الطابع الإيمانى. كما تقلص الغناء الغزلى والماجن إلى حد بعيد.

٤- منذ تحريم الخمر باعتبارها أم الخبائث ألغيت حوانيت الغناء والخمر والرقص التى كانت موجودة فى الجاهلية، وحل محلها مجالس القرآن والعلم وسماع الغناء الراقى (الطاهر والعفيف) فى المجالات المختلفة.

٥- ظهر أن هناك علاقة طردية بين الغناء الغزلى والماجن وبين الترف والرفاهية، وقد ظهرت هذه العلاقة واضحة فى عصر كل من الشيخين أبى بكر وعمر وعلى بن أبى طالب من ناحية، وعصر عثمان بن عفان من ناحية أخرى. ففى عصر الشيخين شغل المسلمون بحروب الردة والفتوحات الإسلامية ونشر الإسلام فى ربوع الأرض، كما شغلوا فى عصر على بالفتنة والحرب القائمة بينه وبين معاوية، فتقلص هذا النوع من الغناء. والعكس صحيح، فقد نما هذا اللون من الغناء فى عصر عثمان- إلى حد ما-، رغم توسطه بين عصرى كل من الشيخين وعلى نتيجة للثراء والترف والأسلاب التى جبلها الفاتحون فى عصر الشيخين، وانصراف الكثيرين عن الجهاد فى سبيل الله، حتى ظهرت فى هذا العصر جماعة المخنثين وعودة حوانيت الغناء مرة أخرى.

ويترتب على النتيجة السابقة أن الأمة إذا كان لديها مشروع حضارى تتبناه وتنشغل به فليس لديها من الوقت ما يتسع لهذا اللون الغنائى المترف، ولاسيما وهى فى مرحلة البناء والتكوين الحضارى. وهذا ينسجم مع ما توصل إليه ابن خلدون: بأن هذه الصنعة آخر ما يظهر فى الأمم من صناعات ويليها تفكك الدولة وتحللها(٣١).

وفى ضوء النتيجة السابقة -أيضا- إلتقى الطرب بالقرآن مع الطرب بالألحان والأصوات الجميلة، ولاسيما وأن الإسلام قد قنن لهذا الجانب الاجتماعى والترفيهى فى الحياة، بحيث أصبح يسير فى إطاره الصحيح، فلم يصطدم معه فى أحكامه وتقنيناته ومقاصده وأهدافه، وبحيث أصبح كل من الغناء وروافد الدين الأخرى فى وضع منسجم ومتعاون فى تحقيق الصالح التنموى لجماهير المسلمين فى كل الميادين.. فهل تؤدى البرامج الغنائية فى التليفزيون هذا الدور التنموى الحضارى، وخاصة ونحن على مشارف القرن الحادى والعشرين.

ثالثا: إتجاهات الشباب الريفى نحو الغناء التليفزيونى (دراسة مسحية لقرية مصرية، ٢٠٠٠(٣٢)):

وهى دراسة ميدانية على عينة من الشباب الريفى الجامعى، فى الفترة من شهر مايو -سبتمبر ١٩٩٨م وكان من أهم ما توصل إليه البحث من نتائج ما يلى:

١- أن الإنسان بفطرته يحس بالصوت الجميل ويحن إليه. كما أنه ينفر من الصوت القبيح والضجيج.

٢- أن أفضل ما تغنى به إنسان -قديما وحديثا- هو القرآن الكريم.

٣- للتليفزيون دوره المهم والخطير فى تربية الإنسان وحواسه وتنمية ذوقه وقدراته بحيث يصبح إنسانا صالحا مصلحا من خلال برامجه ومواده المختلفة. ولا يقل الغناء فى ذلك عن بقية البرامج الأخرى، وإنما يزيد عليها، لمخاطبته الجانب الوجدانى (العاطفى) وهو شعور الإنسان وإحساسه.

٤- تزيد فاعلية الغناء التليفزيونى إذا توجه برسالته إلى جمهور الشباب الذى يتميز بتدفقه العاطفى والإنفعالى إلى حد كبير.

٥- أن تأثير الغناء لا يقتصر على مشاعر الشباب وعاطفته، وإنما يمتد ليؤثر على كيانه كله جسده وروحه ونفسه وعقله وسلوكه وقيمه، وجميع تصرفاته ومواقفه وفكره وحاضره ومستقبله، وجميع قراراته المصيرية على المدى البعيد.

٦- أن الشباب يفضل التليفزيون كوسيلة غنائية عن غيره من وسائل الاتصال الآخرى، بنسبة (٨١,٦٦ ٪) وذلك لما يتمتع به التليفزيون من مقدرة إقناعية تحتل المرتبة الثانية بعد الاتصال الشخصى مباشرة، ولما يتمتع به من عناصر صورة تتدفق بالحيوية والحركة، تحاكى الواقع وتعمل على جذب الشباب وتستحوذ عليهم فى عملية المشاهدة.

٧- يفضل الشباب الأغانى المصورة من الطبيعة فى المقام الأول بنسبة (٥٠,٦٦ ٪) وذلك لما تتمتع به الطبيعة من جمال خلاب من ناحية، ولارتباطهم بها أكثر من سكان المدن من ناحية أخرى. كما أن الأغانى المصورة من مواقع الإنتاج جاءت فى المرتبة الثانية، وهى امتداد للأغانى المصورة من الطبيعة، ولما تتمتع به مواقع الإنتاج من حيوية وتدفق وهى سمات الشباب نفسه.

٨- يفضل الشباب غناء الإناث أكثر من الذكور بنسبة (٦٨,٣٣) فى مقابل (٣١,٦٦ ٪) للذكور، لأن الغناء كعمل فنى هو أقرب إلى طبيعة الإناث منه إلى الذكور. ولرقة الصوت النسائى من ناحية أخرى.

٩- تفضل نسبة كبيرة من الشباب الريفى الغناء القديم بنسبة (٥٨ ٪) وهى أعلى التفضيلات. كما تفضل نسبة منهم الجمع بين الاثنين معا. (الغناء القديم والحديث) بنسبة (٢٥ ٪).

١٠- يتصدر الفن الشعبى بما يحمل من قيم ومواعظ وإرشادات المرتبة الأولى فى تفضيلات الشباب للقوالب الفنية الغنائية بنسبة (٤٧ ٪) ولما يوجد من أوجه تشابه بين الفن الشعبى ومجتمع القرية.

١١- يفضل الشباب الشعر فى المرتبة الأولى كأسلوب غنائى، وذلك لما يتمتع به الشعر من إيقاعات موسيقية تعكسها بحور الشعر وتفعيلاته، مما يجعل الجمهور يحسها ويتذوقها بحسه وفطرته وذلك بنسبة (٦٢ ٪).

١٢- يفضل الشباب اللغة العربية المعاصرة، وهى ما تسمى بفصحى العصر بنسبة (٥٨٪)، وذلك لسهولتها واستخدامها المألوف من الألفاظ السهلة التناول والبعد عن الغريب والمهجور، لأن هؤلاء بالإضافة إلى أنهم متعلمون، فهم قد تعلموا القرآن فى كتاتيب القرية، فنشأوا على تذوق اللغة العربية.

١٣- يفضل الشباب الريفى المضمون الدينى فى المقام الأول بنسبة (٤٠,٦٦٪) وهذا راجع إلى طبيعة المجتمع الريفى المحافظة والمتمسكة بالقيم إلى حد كبير. كما يأتى المضمون العاطفى فى المرتبة الثانية بنسبة (٣٢,٣٣٪) ويرجع هذا إلى طبيعة الأغنية وتمكنها من التعبير عن هذا الجانب المتدفق من الشباب، وتناغمها معه فى هذه الفترة من العمر.

١٤- يعتبر كل من المضمون الدينى والاجتماعى والعاطفى والحضارى والسياحى من أقرب المضامين التى يتمكن الغناء من التعبير عنها بسهولة ويسر ولذلك جاء المضمون الحضارى والسياحى فى المرتبة الثالثة بنسبة (١٥,٦٦٪).

١٥- سلبية الدور التربوى والتأثيرى لمجموع آراء الشباب الريفى فى الأغانى التلفزيونية، وهى تمثل فى مجملها مجموعة الإشباعات والرغبات والحاجات التى ينتظر أن تؤديها الأغانى التليفزيونية للشباب وتلبيها له، ولذلك جاءت نسبة غير الموافقين على هذه الجوانب الدينية والأخلاقية والقيمية والسلوكية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والعاطفية والصحية والعقلية والحضارية والسياحية مجتمعة (٧٥,٤٪) فى مقابل (٢٤,٥٪) للموافقين والموافقين إلى حد ما.

تعقيب:

يتبين مما سبق أن الغناء وسماع الألحان غذاء مكمل للأرواح والنفوس يستجيب له الإنسان والحيوان والطير على حد سواء، وهو لغة إنسانية على مستوى كل الشعوب من قديم الأزل. كيف لا والإنسان يسمع الأصوات غير المفهومة، مثل تغريد الطيور وحفيف الرياح، وغيرها من الأصوات فيطرب، فكيف إذا سمع كلاما جميلا يحمل معانى بناءة مقترنا بألحان وأنغام راقية.

وأن العرب لم يشذوا عن تلك القاعدة الإنسانية، بل تعشقوها وذهبوا فيها كل مذهب وتفوقوا فيها على غيرهم من الأمم والشعوب نظرا لحساسية اللغة العربية في جانبها الأدبي والفني.

فما هو إذن الدور الحقيقي الذي تقوم به البرامج الغنائية في التلفزيون للجمهور المصري؟ ذلك ما يحاول هذا البحث أن يتعرف عليه من خلال التحليل الكمي والكيفي لعينة البحث المختارة على القناة الأولى، ومحاولة إيجاد حل للمشكلة أو الأزمة إن كان هناك ثمة أزمة أو مشكلة حقيقية، وفي ضوء آراء الخبراء والباحثين المهتمين بهذه القضية باعتبار أن الأغنية العربية هي إحدى روافد الأدب العربي، ولها دورها المهم في تشكيل الذوق العام وتحريكه ودعم اتجاهاته الوجدانية والعاطفية. بهدف تطويرها وترشيدها، لكي تنهض بمسئولياتها الحضارية والأعباء الملقاة عليها في هذه المرحلة التنموية الراهنة خاصة ونحن على أعتاب القرن الحادي والعشرين.

وفي ضوء ما سبق يرى الباحث أهمية دراسة هذا الموضوع لمعرفة حجم الدور التربوي الحقيقي والواقعي الذي تؤديه هذه النوعية من البرامج للجمهور المصري، كما تتجلى هذه الأهمية في ضوء ما يلي:

١- أن الغناء والموسيقى يستقطبان أكبر نسبة من الجمهور وخاصة الشباب منهم.

٢- أن انتشار العمل الجيد من الغناء والموسيقى له القدرة الفائقة في المساعدة على خدمة عملية التنمية للإنسان المصري والرقي بملكاته والسمو بأحاسيسه ومشاعره وتلبية حاجاته وحل مشكلاته.

٣- أن التجويد والتطوير في هذا الميدان أصبح أمرا ملحا حتى يمكن مواكبة البث العالمي المباشر في عصر الكوكبة.

٤- أن التكوين العاطفي والوجداني الصحيح والمتزن للجمهور تتلاقى فيه جهود كثيرة منها الجهود الدينية والروحية والجهود الفنية والعاطفية ومنها الغناء، وهذا ما يحتم:

٥- ضرورة وحتمية أن ينسجم الطرب بالألحان مع الطرب بالقرآن ولا يتعارض معه وهو ما يعني أن يسير الغناء في إطار الدين والتدين الصحيح بحيث

يتكامل معه ولا يتعارض مع أحكامه الشرعية وآدابه الإسلامية، وبذلك تتلاقى الجهود والسواعد البناءة فى إحداث التنمية الشاملة.

٦- أنه فى ظل انتشار الأنواع التجارية الهابطة من شرائط الكاسيت والفيديو بما لها من تأثير ضار على الجمهور وتربية النشئ والشباب منهم، يصبح الاهتمام بالغناء والموسيقى أمرا ملحا لكى تقوم بدورها الفعال فى مواكبة الإيقاع العصرى الحديث، وتشكيل الذوق العام تشكيلا يتفق والنمو الثقافى والحضارى لمصر.

٧- أن المسئولية فى الاتصال تنقسم إلى شطرين، يقع الجزء الأكبر منها على القائم بالاتصال والباقى على مستقبل الرسالة الإعلامية.

٨- سلبية الدور التربوى والتأثيرى للغناء التلفزيونى من وجهة نظر الشباب وهى تمثل فى مجملها مجموعة الإشباعات والرغبات والحاجات التى ينتظر أن تؤديها الأغانى التليفزيونية للشباب وتلبيها له.

٩- فى حدود علم الباحث، فإن المكتبة الإعلامية تفتقر إلى هذا النوع من البحوث التى تخدم الوظيفة الترفيهية للتلفزيون وترشدها.

تحديد مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث فى هذا الهبوط الفنى الملحوظ والذى تعيشه الأغنية العربية التلفزيونية، وعبرت عنه وعكسته وسائل الإعلام- جميعها- وبعض البحوث الإعلامية، ولاحظه الباحث من خلال متابعته للبرامج الغنائية فى التليفزيون على القناة الأولى، فيما يعبر عنه بالهبوط فى المستوى العام للأغنية من حيث المضمون والشكل فالكلمات والأساليب وما تحمله من موضوعات وقيم تعالجها الأغنية وتتفاعل بها مع قضايا الأمة وطموحاتها الراهنة على المستوى الفردى والاجتماعى، وكذلك من حيث أسلوب المعالجة التليفزيونية (الإخراج) وما يصاحبه من إبداع فنى، كان سببا مباشرا فى إجراء تحليل دقيق لوصف المحتوى الظاهر لهذه الأغانى فى البرامج الغنائية المتخصصة على القناة الأولى، بعيداً عن الأغانى الفردية وأغانى الأفلام المعروضة واليوم المفتوح.

وقد اختار الباحث القناة الأولى باعتبارها القناة الأم والتى تعتبر منفذا

للفنانين والمطربين ومعبرا لغيرها من القنوات: خاصة فى هذا المجال ولأنها القناة الشعبية التى تخاطب غالبية أفراد الجمهور، وتذيع معظم برامجها باللغة العربية.

الهدف من البحث:

يهدف هذا البحث إلى دراسة واقع الأغنية التليفزيونية العربية وإزاحة الغموض عنها للتأكد من مدى صدق ما أثير حولها من جدل ونقاش ونقد، عبرت عنه وعكسته وسائل الإعلام- جميعها- وعبر عنه التليفزيون نفسه فى برامجه المهتمة بهذا الموضوع، ولاحظه الباحث من خلال متابعته للبرامج الغنائية فى التليفزيون المصرى على قناته الأولى وذلك بهدف تطويرها وترشيدها وإيجاد حلول علمية وعملية فى ضوء ما يسفر عنه التحليل الكمى والكيفى لكى تؤدى دورها فى تربية وجدان الجمهور تربية سليمة، ولكى ينهض بمسولياته الحضارية والأعباء الملقاة على عاتقه، باعتبار أن الأغنية العربية هى إحدى روافد الأدب العربى، ولها دور مهم فى تشكيل الذوق العام وتحريكه، ودعم اتجاهاته الوجدانية والعاطفية، وفى ضوء آراء مجموعة من الخبراء والباحثين المتخصصين فى تخصصات ذات صلة وثيقة بهذه القضية، وهم المتخصصون فى الإعلام والغناء والأدب للوقوف على آرائهم من ناحية أخرى.

تساؤلات البحث:

فى ضوء ما سبق من بيان لأهمية الموضوع وتحديده وأهدافه، فإن تساؤلات هذا البحث تنقسم إلى قسمين هما:

أولا: تساؤلات خاصة بفئات تحليل المضمون: ماذا قيل؟ وهى:

١- ما المصادر التى عكستها الأغانى التليفزيونية على القناة الأولى فى فترة الدراسة؟

٢- ما البيئات والقطاعات المجتمعية التى عكستها الأغانى -مادة الاتصال؟

٣- ما الموضوعات التى تناولتها الأغانى التليفزيونية؟

٤- ما نوعية القيم التى عكستها الأغانى التليفزيونية إيجابية كانت أم سلبية؟

٥- ما أساليب الإقناع فى تحقيق تلك الموضوعات أو القيم؟

٦- ما خصائص وسمات الشخصية القائمة بالاتصال، أو المستهدفة من الخطاب الاتصالى من خلال مضمون الأغانى التليفزيونية؟

٧- ما حجم الأساليب التربوية اللفظية غير المقبولة إسلاميا والتى تختلف مع الآداب الإسلامية؟

٨- ما حجم المشاهد التربوية غير المقبولة إسلاميا والتى تختلف مع الآداب الإسلامية؟

ثانيا: تساؤلات خاصة بفئات تحليل الشكل: كيف قيل؟ وهى:

١- ما القوالب الفنية التى صيغت فيها معانى الأغانى التليفزيونية؟ وما أسلوب التصوير المستخدم فى إنتاجها؟

٢- ما المواد التليفزيونية المصاحبة للمادة الرئيسية سواء كانت صوتية أو مصورة؟

٣- ما نوعية الأسلوب والمستوى اللغوى الذى استخدمته الأغانى التليفزيونية؟

٤- ما وقت إذاعة البرامج الغنائية على خريطة الإرسال التليفزيونى للقناة الأولى؟.

نوعية البحث:

ينتمى هذا البحث إلى مجموعة البحوث الوصفية التى تستهدف دراسة الحقائق الراهنة المتعلقة بطبيعة ظاهرة معينة من الظواهر الاجتماعية أو تصوير وتحليل وتقويم خصائص موقف معين يغلب عليه صفة التحديد[٣٣].

وفى هذا الإطار قام الباحث بجمع المعلومات والبيانات والأوصاف التى تتعلق بالبرامج الغنائية فى التليفزيون على القناة الأولى آخذا فى اعتباره أن الغناء يمثل إحدى الرسائل الإتصالية المهمة فى التليفزيون وتساعد هذه المعلومات فى التعرف على طبيعة الظروف والممارسات والاتجاهات السائدة فى مجتمع البحث، بهدف التوصل إلى تقييم موضوعى للدور التربوى الذى تقوم به الأغانى التليفزيونية فى تنمية الذوق العام للجمهور المصرى ووجدانه.

مناهج البحث:

اعتمد هذا البحث على ثلاثة مناهج هى:

١ -المسح الوصفى التفسيرى بالعينة :

وفى إطاره تم مسح عينة الدراسة التحليلية- لتعذر القيام بمسح شامل وذلك لمعرفة ما يقدم فى هذه البرامج والدور الذى يؤديه -حاليا- وهو يشتمل إلى جانب الوصف على عرض للأسباب التى أدت إلى ما هو حادث -فعلا- وما يمكن عمله لتطويرها وتوجيهها فى إطار إسلامى صحيح(٣٤).

وفى هذا الإطار فإن هذا البحث يعمد إلى تجلية دور البرامج الغنائية فى التليفزيون ووظيفتها من خلال ما تقدمه للجمهور المشاهد وخاصة الشباب منهم كما وكيفا، باعتبار أن التليفزيون يعد إحدى وسائل الاتصال الجماهيرية التى لها فاعلية فريدة لاعتماده على حاستى السمع والبصر، مما يجعله يستحوذ على اهتمام كامل من جانب الجماهير(٣٥).

أدوات البحث:

اعتمد الباحث فى إجراء هذا البحث على بعض الأدوات التى ساعدته واستعان بها فى جمع المعلومات والبيانات، ومنها:

١- استمارة تحليل المضمون:

وقد استخدمها الباحث فى إطار منهج المسح بالعينة، كأداة لتحليل المضمون، وهى عبارة عن استمارة تحتوى على مجموعة من فئات وصف المحتوى الظاهر لمادة الاتصال- شكلا وموضوعا- بما يمكن من إقامة بناء منطقى تحتل فيه الحقائق والأرقام- بعد فحصها وتصنيفها- أماكنها المناسبة، وعلاقاتها المنسقة على نحو يمكن معه التوصل إلى استنتاجات عامة، طبقا لنوعية المضمون ومحتواه، وهدف التحليل.

وبعد بناء الاستمارة قام الباحث بعرضها على مجموعة من الخبراء المتخصصين فى البحوث الإعلامية وتمت مراجعتها فى ضوء ملاحظاتهم حتى تكون صالحة لقياس محتوى مجتمع البحث.

٢- الملاحظة العلمية:

ومن خلالها استطاع الباحث أن يتتبع الظاهرة- موضوع البحث- وقام بتسجيل المعلومات التى تتعلق بموضوع البحث، حتى يمكن إخضاعها للتحليل.

٢-المقابلة المتعمقة:

وبواسطتها استطاع الباحث إجراء عدد من المقابلات مع الخبراء والباحثين المتخصصين في تخصصات ذات صلة بموضوع البحث، للتعرف على آرائهم حول بعض الموضوعات والقضايا، ولاستيفاء بعض المعلومات والبيانات الخاصة بموضوع البحث.

إعداد الاستمارة:

واتبع الباحث فى إعدادها ما يلى:

١- تحديد الهيكل العام للبحث بجوانبه المتعددة، والتى يسعى البحث إلى تحديدها ومعرفتها من خلال التعرف على مشكلة البحث وأهدافه.

٢- تحديد الجوانب المتعلقة بالأغانى التليفزيونية.

٣- تحديد الوحدات والفئات الرئيسية والفرعية التى تتعلق بقياس محتوى المضمون والشكل.

التأكد من صلاحيتها للقياس:

وللتوصل إلى درجة التأكد هذه، فقد قام الباحث بما يلى:

١- تم عرض الاستمارة على مجموعة من المحكمين(*) لتطوير الاستمارة فى ضوء ملاحظاتهم.

٢- تم تطبيقها على عينة من البحث فى اختبار قبلى، بنسبة (١٠٪) من مجتمع البحث.

معالجة المعلومات والبيانات:

تمت معالجة بيانات الدراسة التحليلية يدويا بعد استيفائها مباشرة فى الفترة التي أعقبت جمع البيانات، والتى تمتد من: ٥/٥ إلى ٦/٧/ ٢٠٠٠م،

(*) أسماء المحكمين ووظائفهم:

١- أ.د/ محي الدين عبد الحليم. أستاذ ورئيس قسم الصحافة والإعلام بجامعة الأزهر.

٢ أ.د/ محمد كرم عبد اللطيف شلبي. أستاذ بقسم الصحافة ورئيس تحرير جريدة صوت الأزهر.

٣- د/ جابر محمد عبد الموجود. أستاذ مساعد بقسم الصحافة والإعلام بجامعة الأزهر.

٤- د/ سامي عبد العزيز الكومي. أستاذ متفرغ بقسم الصحافة والإعلام. جامعة الأزهر.

٥- د/ محمود عبد العاطي مسلم. مدرس بقسم الصحافة والإعلام جامعة الأزهر.

وحسبت المعالجة كما وكيفا من واقع التكرارات التى جاءت فى العينة مجتمع البحث.

اختبارا الصدق والثبات:

بلغ مجموع فئات التحليل ووحداته: ١٣١

ولتحديد مدى صدق التحليل وثباته، قام الباحث بتحديد فئات التحليل ووحداته،مع تعريفها تعريفا إجرائيا، وتم عرضها على مجموعة من المحكمين من الباحثين للتأكد من صلاحيتها للقياس وملامتها لأهداف البحث، وقد تم إدخال التعديلات اللازمة عليها بناء على آرائهم حتى أصبحت فى شكلها النهائى، ووصلت إلى مستوى صدق: ٩٠,٥ ٪.

كما أجرى اختبار الثبات على نسبة (١٠ ٪) من مجتمع البحث مع ثلاثة من الباحثين غير الباحث- وأعطى كلا منهم رمزا من الرموز الآتية: أ، ب، جـ، د بما فيهم الباحث نفسه، وبحساب اختبار الثبات تبين أنه يصل إلى: ٩٣,١ ٪.

وتعد النسب المئوية السابقة مقبولة، وتدل على وضوح المقياس وثباته وصلاحيته للتطبيق على كل مفردات العينة وبناء عليه قام الباحث بعملية التحليل.

مجتمع البحث:

قام الباحث بتسجيل عينة البحث من البرامج الغنائية بالتليفزيون على القناة الأولى، باعتبارها القناة الأم، بواقع: ٣٨ ساعة و ٥ دقائق فى الفترة من ٥/ ٥/ ٢٠٠٠ إلى ٧/ ٦/ ٢٠٠٠.

عينة البحث ومواصفاتها:

قام الباحث بتحديد هذه العينة بصفة عمدية (وهى البرامج المتخصصة فى إذاعة الأغانى على القناة الأولى، بعيدا عن برامج المناسبات العامة والخاصة والأغانى التى تأتى كمشاهد متصلة فى الأفلام وأغانى اليوم المفتوح وكذلك الأغانى الفردية التى تأتى بين الفقرات وأثناء البرامج المختلفة.. فهى تخلو من المناسبات الدينية والقومية والوطنية، وكذلك المناسبات الخاصة بالمطربين الراحلين وخلافه، وبذلك يتفادى الباحث الوقوع فى خطأ التحيز،

بالإضافة إلى أنها تحتوى على نماذج من الغناء الحديث والقديم -نسبيا- أما عن البرامج التى شملتها العينة فهى:

جدول رقم (٢)

البرامج التي شملتها العينة

م	اسم البرنامج	يوم- أيام إذاعته	دورته	فترة إذاعته من - إلى	مدة إذاعته			عدد مرات إذاعته	مدة إذاعته الكلية	
					ث	ق	س		ق	س
١	أماني وأغاني	السبت- الثلاثاء-الأربعاء	يوم بعد يوم	الظهيرة ١٢,٣٠- ١,١٥	–	٤٥	–	١٣	٤٥	٩
٢	الموسيقى العربية	الأحد	أسبوعى	المساء ١٠- ١٠,٤٥	–	٤٥	–	٤	–	٣
٣	أغاني وحشاني	السبت -الأحد- الاثنين- الأربعاء- الجمعة	شبه يومى	الظهيرة ٧,٢٠-٧,٤٠	–	٢٠	–	٢٢	٢٠	٧
٤	من أغانى الأفلام	الثلاثاء	أسبوع بعد أسبوع	الظهيرة ١٢,١٥-١,٥	–	٥٠	–	٣	٣٠	٢
٥	دنيا المغنى	الإثنين	أسبوع بعد أسبوع	الشهرة ١٢,٢-١,٣٠	–	١٠	–	٣	٣٠	٣
٦	مجلة الأغانى	الأحد- الثلاثاء	يومين فى الأسبوع	السهرة ١١,١٥- ١٢,١٥	–	–	–	٩	–	٩
٧	الفن الشعبى	الأحد	أسبوعى	الظهيرة ١-١,٤٥	–	٤٥	–	٤	–	٣
	المجمـــــــــوع								١٢٥	٣٦

أى ما يساوى: ٣٨,٥ ثمان وثلاثون ساعة وخمس دقائق.

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

يعتبر مصدر المادة الإعلامية مؤشرا على اتجاه القائم بالاتصال ومدى ارتباطه بمصدر المادة الإعلامية، ويعتبر حجم المصدر وشكله فى المادة المذاعة هنا، وهى الأغانى التليفزيونية على القناة الأولى مؤشرا على مدى ارتباط القائم بالاتصال بالفترة الزمنية للأغنية.

وكما هو واضح فى الجدول السابق فإن المصدر الحديث والمعاصر. وهو الفترة من عهد الثورة وإلى الآن، وكما توحي به الكلمات وتحكيه الصورة هو المصدر الأول لمادة الأغانى التليفزيونية على القناة الأولى، بنسبة ٩٦,٥٪ بينما يتضاءل إلى جواره المصدر القديم الذى يحتل ٠,٥ ٪ وكذلك الأغانى التى تتعدد فيها المصادر سواء فى الكلمة أو الصورة، ونسبته ٣,٠٠٪.

وهذا يعنى إنبتات الصلة بماضى هذه الأمة فى الأغانى التليفزيونية، رغم ما تمثله من رافد أدبى ودينى وتراث علمى يربط ماضيها بحاضرها من أجل مستقبل أفضل ورغم أن كثيرا من الشعر الغنائى والشعر الصوفى القديم يصلح للتلحين بأسلوب العصر مثل أغنية قيس وليلى فى العصر الجاهلى وأغنية: يا خالى والهوى غدار فى العصر المملوكى وهما الأغنيتان اللتان جاءتا فى المصدر القديم. وغيرهما كثير مثل: إلهنا ما أعدلك.. مليك كل من ملك. لبيك قد لبيت لك.. إلخ والتى يغنيها المطرب محمد فوزى، ولكنها لم تأت فى العينة.. وهكذا يتضح لنا عظمة وثراء التراث الأدبى الغنائى الذى يصلح للتلحين والغناء بأسلوب وإيقاع العصر، ولكنه لم يجد من ينقب عنه ويكشف عنه اللثام بعد.

ويرى الباحث أن ارتباط الجمهور بتراثه الحضارى والأدبى كمصدر من مصادر معلوماته ومعارفه ومكونات شخصيته أمر فى غاية الضرورة والأهمية، وذلك لأن الأمة التى تجهل أصولها وماضيها، لا تستطيع أن تخطط لحاضرها، ولا تستشعر مستقبلها على هدى وبصيرة من أمرها.

جدول (٤)

(ب) بيئة الأغنية

م	نوعية البيئة	التكرار	النسبة المئوية
١	حضر مصرى	٣٣٨	٨٥,٤
٢	ريف مصرى	١١	٢,٨
٣	أحياء شعبية	١٦	٤,٠٠
٤	بدو مصرى أو عربى	٢	٠,٥
٥	أغانى مصورة من المناطق السياحية	١٣	٣,٣
٦	أغانى مصورة من مواقع الإنتاج الزراعية	٧	١,٨
٧	أغانى مصورة من مواقع الإنتاج الصناعية	-	-
٨	أكثر من بيئة	٩	٢,٣
	المجمـــــــوع	٣٩٦	٪١٠٠

تعتبر بيئة المواد الإعلامية هى وعاء الأحداث والشخصيات والقيم التى تعكسها الأغانى التليفزيونية، وتدل على مدى التمثيل النسبى والديمقراطى لهذه البيئات فى قنوات الاتصال المختلفة، والتى من حقها أن تظهر وتبرز بنسبة وجودها فى المجتمع، وطبقا لما للأمور من وزن واعتبار، وذلك من أجل التنمية المجتمعية الشاملة، وحتى لا تصاب بعض البيئات بالإحباط وتشعر بالعزلة عن المجتمع، ولكى يتحقق التكامل بين البيئات المختلفة فى سيمفونية متناغمة، تتناغم فيها كل العناصر من أصوات وأحداث وقيم وشخصيات.. الخ فإذا بالمجتمع كله فى حالة نهضة تنموية شاملة.

وفى الجدول السابق يلاحظ أن بيئة الأغانى الحضرية على القناة الأولى، قد احتلت المركز الأول وبنسبة عالية جدا هى ٤, ٨٥٪ وذلك رغم أن الحضر المصرى يمثل على خريطة الواقع، طبقا للإحصائيات ٤٣,٩ ٪ وفى المقابل يظهر أن الريف المصرى قد حصل على نسبة قليلة جدا وهى ٢,٨ ٪ رغم أنه يمثل على خريطة الواقع طبقا للإحصائيات ١, ٥٦٪ من المجتمع[٣٦].

وهذه النسبة التى حصل عليها الريف المصرى وهى ٢,٨ ٪ لا تمثل

واقع الريف ومثلها فى ذلك بقية البيئات التى ظهرت فى نسب بسيطة متفاوتة على الرغم من أهميتها، فالأحياء الشعبية لم تظهر إلا بنسبة ٤ ٪ والمناطق السياحية لم تظهر إلا بنسبة ٣,٣ ٪ ومناطق الإنتاج الزراعية- رغم أهميتها- لم تظهر إلا بنسبة ١,٨ ٪ وفى حالة من عدم الحركة والإنتاج. أما مواقع الإنتاج الصناعية، فإنها لم تظهر بأى نسبة تذكر.

والبيانات والنسب السابقة إن دلت على شيء، فإنما تدل على أن الغناء التليفزيونى على القناة الأولى فى واد والمجتمع فى واد آخر، ويتضح فيها عامل التحيز لقطاعات بيئية بعينها مثل الحضر، ومجتمعات المدن والإهمال الواضح والمتعمد لبيئات أخرى كالريف، ورغم ما يتمتع به من فلكور ريفى وشعبى، ورغم أهميته فى التنمية الزراعية والصناعية الشاملة فلم يصور من مواقع الإنتاج فى الريف إلا بعض المشاهد التى تمثل ١,٨ ٪ مضافة إلى نسبة الريف وهى ٢,٨ ٪ أما البدو المصرى والعربى فلم يظهر فيه إلا أغنيتان: إحداهما للبدو العربى، وهى أغنية: قيس وليلى وأغنية: على العشق دلونا للبدو المصرى.

وهكذا يتضح انعدام التمثيل النسبى لبيئات المجتمع فى الأغانى التليفزيونية، كما يتضح أن القائمين بالاتصال فى هذه النوعية من البرامج يتبارون فى إرضاء قطاعات مجتمعية معينة، ولا يضعون فى اعتبارهم قطاعات أخرى ورغم ما يمثله ذلك من تأثير على التنمية الشاملة.

(جـ) مضمون الأغنية:

جدول (٥)

١- طبيعة المضمون الدينى

م	طبيعة المضمون الدينى	التكرار	النسبة المئوية
١	حب الله جل جلاله	٤	٣٣,٣
٢	حب الرسول ومدحه (ﷺ)	٤	٣٣,٣
٣	حب الدين والاعتزاز به	-	-
٤	حب الفضيلة ومكارم الأخلاق	٢	١٦,٧
٥	حب العقيدة وتعميقها فى النفوس	-	-
٦	الارتباط بالمقدسات	-	-
٧	حب القرآن والشريعة	-	-
٨	التحدث بنعم الله وفضله	٢	١٦,٧
٩	المحافظة على الفرائض والسنن والأركان	-	-
١٠	أخرى تذكر	-	-
	المجموع	١٢	٪١٠٠
	النسبة المئوية العامة	٣,٠٠	-

يلاحظ من الجدول السابق الذى يبحث فى طبيعة مفردات المضمون الدينى أن نسبة تمثيل هذا المضمون في البرامج الغنائية- عموما- على القناة الأولى ٣,٠ وهى نسبة ضئيلة، رغم أهمية هذا المضمون للجمهور ورغم تمكن الغناء كقالب فني من هذا المضمون، وهو ما يؤكد ما جاء فى عرض أهمية هذا الموضوع من أن الأغنية الدينية تكاد تختفى من القنوات التليفزيونية والمحطات الإذاعية، واعتبارها مادة موسمية فقط.

كما يلاحظ أن هذه النسبة الضئيلة تتوزع على حب الله وحب الرسول-ﷺ- بنسبة ٣٣,٣٪ لكل منهما، و١٦,٧٪ لكل من حب الفضيلة ومكارم الأخلاق والتحدث بنعم الله وفضله.. وذلك فى برنامج واحد هو: الفن الشعبى، أما بقية البرامج والتى ينظر إليها القائمون على أنها فن رفيع، فلم تتطرق إلى المضمون الدينى من قريب أو بعيد.. أما بقية المفردات-رغم أهميتها- فلم تمثل بأى نسبة مثل: حب العقيدة والارتباط بالمقدسات وحب القرآن والشريعة والمحافظة على الفرائض والسنن والأركان وبهذا يتضح أن المضمون الدينى يكاد يختفى من البرامج الغنائية فى التليفزيون على القناة الأولى، ولعل السبب فى ذلك يرجع إلى أن هذه النوعية من البرامج ينحصر وجودها فى المواسم الدينية كعيد الفطر والأضحى ومولد الرسول-ﷺ- وشهر رمضان، وذلك رغم أهمية هذه النوعية من المضامين واتصالها بحياة الجمهور على مدار الأيام والسنين، فليست بالبرامج أو المواد الموسمية كما ينظر إليها، وإنما هى تتصل بحياة الفرد والجمهور اتصال الدين بها وشموله لكل جوانبها.

ومما يذكر هنا أنه وبعد تسجيل هذه العينة وبعد الزيارة المشئومة التى قام بها اليهودى الملعون/ شارون إلى الحرم القدسى الشريف وقيام الانتفاضة التى لم تتوقف بعد حتى كتابة هذه السطور، وزيادة عدد الشهداء على أكثر من ٤٠٠ شهيد من الشباب الفلسطينى، بدأنا نفكر ونتذكر المسجد الأقصى الأسير ونتغنى له وللقدس السليبة، فإذا بالمطربة/ فيروز والتى غنت قبل ذلك أجراس العودة والمطرب/ هانى شاكر يتغنيان بالقدس والمسجد الأقصى.. وقبل ذلك ما نتذكره فى غنائنا... اللهم إلا فى بعض الدروس الدينية فى مناسبة الإسراء والمعراج فقط.

٢- المضمون الوطنى والحماسى:

جدول (٦)

م	طبيعة المضمون الوطنى والحماسى	التكرار	النسبة المئوية
١	حب الوطن	٨	٧٢,٧
٢	الاعتزاز بالرموز السياسية	٣	٢٧,٣
٣	التجاوب مع النظام السياسى القائم	-	-
٤	المنافسة وتقلد المناصب السياسية	-	-
٥	تنمية الوعى السياسى داخليا وخارجيا	-	-
٦	تنمية إرادة التغيير والتحدى	-	-
٧	أخرى تذكر	-	-
	المجمـــــوع	١١	١٠٠٪
	النسبة المئوية العامة	٢,٨	-

يتضح من الجدول السابق أن المضمون الوطنى والحماسى متمثلا ذلك فى حب الوطن والاعتزاز بالقادة والرموز السياسية- قديما وحديثا- قد أتى بنسبة-عامة- ضئيلة هى ٢,٨ ٪ من إجمالى الغناء ككل، وذلك فى برامج الفن الشعبى والموسيقى العربية. وتنقسم هذه النسبة إلى ٧٢,٧٪ لحب الوطن والباقى للاعتزاز بالرموز السياسية مع ملاحظة أن بعضها رموز تاريخية قديمة، والبعض الآخر حديث.

أما التجارب مع النظام السياسى القائم والمنافسة فى العمل السياسى وتقلد المناصب السياسية وتنمية الوعى السياسى فى الداخل والخارج، وتنمية إرادة التغيير والتحدى، فكل هذا لم يرد منه شيئ. ويرجع هذا إلى اقتصار الحديث فى السياسة على البرامج السياسة من ناحية، وإلى اعتبار المضمون السياسى مضمونا موسميا تظهر بشائره فى الأعياد والمناسبات والاحتفاليات الوطنية، كالسادس من أكتوبر والعاشر من رمضان وتحرير سيناء وعيد الجلاء.. الخ من ناحية أخرى.

٣- المضمون الاقتصادى(*):

جدول (٧)

م	طبيعة المضمون الاقتصادى	التكرار	النسبة المئوية
١	الحث على العمل وزيادة الإنتاج	١١	٢٣,٤
٢	الحث على جودة الإنتاج	٧	١٤,٩
٣	منافسة الآخرين فى جودة الإنتاج	٩	١٩,١
٤	الحث على ترشيد الاستهلاك	٥	١٠,٦
٥	الحث على التعاون مع الآخرين	٦	١٢,٨
٦	الحث على التعاون مع الدولة	٤	٨,٥
٧	احترام المال العام والخاص	٣	٦,٤
٨	الجات وحرية التجارة	٢	٤,٣
٩	أخرى تذكر	-	-
	المجمـــــوع	٤٧	١٠٠٪

ويلاحظ من الجدول السابق أن عدد الموضوعات والقضايا ذات المضمون الاقتصادى قد بلغت عدد (٤٥) قضية وأن الحث على العمل وزيادة الإنتاج يحتل المرتبة الأولى من هذا العدد بنسبة ٢٤,٤٪ ويليه منافسة الآخرين فى جودة الإنتاج بنسبة ٢٠٪.

(*) ومما هو جدير بالذكر هنا أن هذا المضمون الاقتصادي ليس مضمونا غنائيا تحمله كلمات الأغاني أو موسيقاها.. وإنما هي موضوعات وقضايا مسها ضيوف البرامج مسا خفيفا وذلك في كل من برنامج: أماني وأغاني في أمانيهم وكذلك برنامج: مجلة الأغاني صفحة شخصية العدد وبرنامج: دنيا المغني ولذلك فسوف لا نستخرج لهذا الجدول نسبة عامة من إجمالي الأغاني التي شملتها العينة لأنها وإن كانت داخلة ضمن محتويات البرامج إلا أنها خارجة عن إطار الموضوع وعنوان البحث وهو «الغناء التليفزيوني دراسة في تحليل المضمون».

٤- المضمون الثقافى والفنى(*):

جدول (٨)

م	طبيعة المضمون الثقافى والفنى	التكرار	النسبة المئوية
١	الثقافة العامة	٤	٨,٧
٢	الطباعة والنشر	١	٢,٢
٣	التمثيل	٣	٦,٥
٤	الغناء والتلحين	٢٥	٥٤,٣
٥	الخطابة	-	-
٦	السينما	١	٢٠٢
٧	المسرح	٢	٤,٣
٨	التعليم والتربية	٥	١٠,٩
٩	الاجتماع والخدمات الاجتماعية	٣	٦,٥
١٠	الحاسبات الإلية والبرمجيات	٢	٤,٣
١١	أخرى تذكر	-	-
	المجمـــــــوع	٤٦	٪١٠٠

يظهر من الجدول السابق أن عدد الموضوعات والقضايا ذات المضمون الثقافى والفنى قد بلغت (٤٦) قضية وأن الغناء يأتى فى مقدمة هذه القضايا بنسبة ٥٤,٣ ٪ من إجمالى العدد ويليه قضية التربية والتعليم بنسبة ١٠,٩ ٪.

(*) ومما يذكر أن هذا المضمون الثقافي والفني ليس مضمونا غنائيا تحمله كلمات الأغاني وألحانها وإنما هي موضوعات وقضايا مسها ضيوف البرامج أو القائمون بالاتصال مسا خفيفا في عجالة ومن وجهة نظرهم فقط وذلك في برامج دنيا المغني وأماني وأغاني والموسيقي العربية ولذلك فسوف لا تضاف هذه القضايا إلي إجمالي الأغاني لأنها ليست مضمونا غنائيا وإن كانت داخلة ضمن البرامج التي شملتها العينة وبالتالي فسوف لا نستخرج لها نسبة عامة لأنها خارجة عن إطار وموضوع البحث..

٥- المضمون الاجتماعي:

جدول (٩)

م	طبيعة المضمون الاجتماعي	التكرار	النسبة المئوية
١	ترقيق الأحاسيس والمشاعر والذوق	١٩	٣٨,٨
٢	الاندماج مع الذوق العام والرأى العام للمجتمع	١٤	٢٨,٦
٣	التقريب بين الفئات والقطاعات المختلفة للمجتمع	-	-
٤	الاعتزاز بالنفس والكرامة	٩	١٨,٤
٥	التفانى فى خدمة المجتمع	٧	١٤,٣
٦	أخرى تذكر	-	-
	المجـــــموع	٤٩	٪١٠٠
	النسبة المئوية العامة	٪١٢,٤	-

يتضح من الجدول السابق أن المضمون الاجتماعى فى الأغانى التليفزيونية متمثلا ذلك فى ترقيق الأحاسيس والمشاعر والذوق والاندماج مع الذوق العام والرأى العام للمجتمع والتقريب بين الفئات والقطاعات المختلفة للمجتمع والاعتزاز بالنفس والكرامة والتفانى فى خدمة الآخرين يحتل نسبة ١٢,٤ من إجمالى الأغانى التليفزيونية وإن نسبة الأغانى التى تحث على ترقيق المشاعر والأحاسيس والذوق العام والرأى العام للمجتمع يحتل المرتبة الثانية بنسبة ٢٨,٦ ٪ وهذا بحكم أن الأغانى بطبيعتها تعمل على تجييش العواطف الإنسانية إلا أن هذا الحشد العاطفى وذلك التجييش كان موظفا فى اتجاه واحد وهو مضمون الحب والغرام والعشق.

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

شادية: وأغنية زوجي يا حبيبي يا غالى. يا أبو عيالى يا حلالى.. للمطربة صباح. وأغنية: الحلم الجميل للمطرب هانى شاكر: كل شئ راح كله أتغير.. كله أنكسر.. كانوا.. كانوا.. وفضيت علينا الدار والوحدة زى النار.. يا رب صبرنا».. وأغنية: أكثر ثلاثة بحبهم إبنى وبنتى وأمهم.. لإسماعيل شبانة.. الخ

ويضاف إلى ما تقدم عبقرية المؤلف والفنان المصرى الذى يستطيع أن يؤلف لأغراض عديدة والدليل على ذلك أننا نؤلف للسلع والخدمات المعلن عنها كإعلانات تنظيم الأسرة وغيره.

آراء الخبراء والباحثين حول أغاني الحب والغرام:

وبسؤال الخبراء والباحثين عن درجة أهمية هذه النوعية من الأغانى هل هى غير ضرورية؟ أو ضرورية فقط؟ أو ضرورية جدا؟ فإذا بإجاباتهم على النحو التالى:

١- أجاب ٣٧,٤ ٪ بأنها غير ضرورية.

٢- وأجاب ٥٢,٩ ٪ أنها ضرورية فقط.

٣- أجاب ٩,٧ ٪ بأنها ضرورية جدا وهو ما يؤكد ما ذهبنا إليه أن الوسطية والاعتدال أفضل وأن كل شيئ يزيد عن حده يأتى بنتائج عكسية وغير طبيعية.

وبسؤالهم هذا السؤال الافتراضى: ماذا يحدث لو أقلع التليفزيون عن أغانى الحب والغرام؟

كانت إجاباتهم كما يلى:

تقوم حرب عالمية ثالثة (إجابة ساخرة)- يتجه الشباب إلى برامج أخرى- يقبل الكهول على التليفزيون أكثر- تكون البرامج رتيبة وجافة- نلتقط أنفاسنا- نرتب أفكارنا- ترتاح عقولنا- نرتاح من الضجيج والتلوث السمعى والبصرى- يا أهل المغنى دماغنا وجعنا شوية سكوت لله (بيرم التونسى)- لا يحدث شيئ.. الخ.

ومن إجابات الخبراء السابقة وتعليقاتهم عليها يتبين أن الوسطية والاعتدال أمر فى غاية الأهمية فى عرض هذه النوعية من المضامين وهو ما يتفق مع وجهة نظر الباحث.

٧- المضمون الصحى والعقلى:

جدول (١١)

م	طبيعة المضمون الوطنى والحماسى	التكرار	النسبة المئوية
١	غرس عادات صحية سليمة	-	-
٢	تعليم طرق الوقاية من الأمراض	-	-
٣	تعليم طرق العلاج من الأمراض	-	-
٤	تبنى المبادئ السليمة والثبات عليها	٥	٣٨,٥
٥	التفكير بأسلوب واقعى ومنطق سليم	١	٧,٧
٦	معرفة الحق والواجب	٧	٥٣,٨
٧	حب العلم والعلماء	-	-
٩	الرقى بالطموحات على أسس منطقية سليمة	-	-
١٠	أخرى تذكر	-	-
	المجمـــــوع	١٣	٪١٠٠
	النسبة المئوية العامة	٣,٣	-

على الرغم من أن العقل السليم فى الجسم السليم، إلا أنه يتضح من الجدول السابق أن المضمون الصحى والعقلى يتضائل إلى حد كبير فى الموضوعات الغنائية عموما بنسبة ٣,٣ ٪، ولم يظهر منه إلا معرفة الحق والواجب بنسبة ٥٣,٨ ٪ وتبنى المبادئ السليمة والثبات عليها فى مقام الحب والعشق بنسبة ٣٨,٥ ٪.

وعلى الرغم من أن المضمون الصحى والعقلى من المضامين التى يمكن للغناء أن يؤدى فيها دورا بارزا بغرس العادات الصحية السليمة وتعلم طرق الوقاية من الأمراض وعلاجها وحب العلم والعلماء، وتنمية الوعى بالتكاليف الشرعية والقانونية وتبصير الجمهور بطلب الترقى على أسس منطقية سليمة.. إلا أن كل هذا لم يبرز بأى نسبة من النسب.

ومخاطبة العقل والمنطق والفكر السوى من خلال العاطفة -أى بالمرور على القلب- أمر فى غاية الأهمية، حيث أن هذا ينعكس على الصحة العامة للجمهور، فتكرس لديه العادات الصحية السليمة، وتعلمه طرق الوقاية والعلاج

من الأمراض، وتعوده التفكير بعقل مرتب ومنطق سليم، فيعرف ماله من حقوق، وما عليه من واجبات، وترتقى بوعيه بالتكاليف الشرعية والقانونية، كما ترتقى بطموحاته على أسس منطقية سليمة. وبهذا يحدث التوازن والتكامل داخل شخصية الجمهور وتتحقق القاعدة التى تقول: إن العقل السليم فى الجسم السليم.

وتستطيع العبقرية المصرية أن تؤلف من الأغانى الصحية والعقلية ما يقوم بهذا الدور جيدا، لا سيما وأن بعض هذه الأغانى موجود فعلا فى بعض أغانى تنظيم الأسرة.

٨- المضمون الحضارى والسياحى:

جدول (١٢)

م	طبيعة المضمون الحضارى والسياحى	التكرار	النسبة المئوية
١	التزود بأدوات العلم والمعرفة العصرية	-	-
٢	مواكبة العصر ومتطلباته	١	٨,٣
٣	الاعتزاز بالثقافة الإسلامية	٥	٤١,٧
٤	الاعتزاز بالحضارة والتاريخ التليد (آثار الآباء والأجداد)	٣	٢٥,٠٠
٥	الاعتزاز بالرموز التاريخية	٣	٢٥,٠٠
٦	الوحدة العربية	-	-
٧	الوحدة الإسلامية	-	-
٨	أخرى تذكر	-	-
	المجمـــــوع	١٢	٪١٠٠
	النسبة المئوية العامة	٪٣,٠٠	-

يعتبر إظهار الوجود الحضارى والسياحى للأمة فى الأغانى التليفزيونية رافداً أساسيا لتكوين الحس الوطنى والقومى لشخصية الجمهور المصرى والمسلم، وعلى الرغم من تمكن الأغنية من هذا المضمون إلا أنها لم تمثل إلا بنسبة لا تذكر من الأغانى التليفزيونية، وهى ٣,٠٠٪ مجموع الأغانى فى بعض أغانى الفن الشعبى.

وفى الوقت الذى تواجه فيه الأمة العربية والإسلامية تحديا حضاريا، وتحتاج فيه إلى التزود بأدوات العلم والمعرفة العصرية ومواكبة تحديات العصر والاعتزاز بالرموز التاريخية والوحدة العربية والإسلامية، وعلى الرغم من مناداة الرئيس محمد حسنى مبارك بالأخذ بأحدث ما فى العصر من تكنولوجيا وتوطينها وتطويرها، نجد البرامج الغنائية عاكفة على إذاعة الحب والغرام وما أنتج منها من عشرات السنين، بل ربما كان القديم منها يحمل من المعانى والمثل أفضل مما تحمله الأغانى الحديثة.

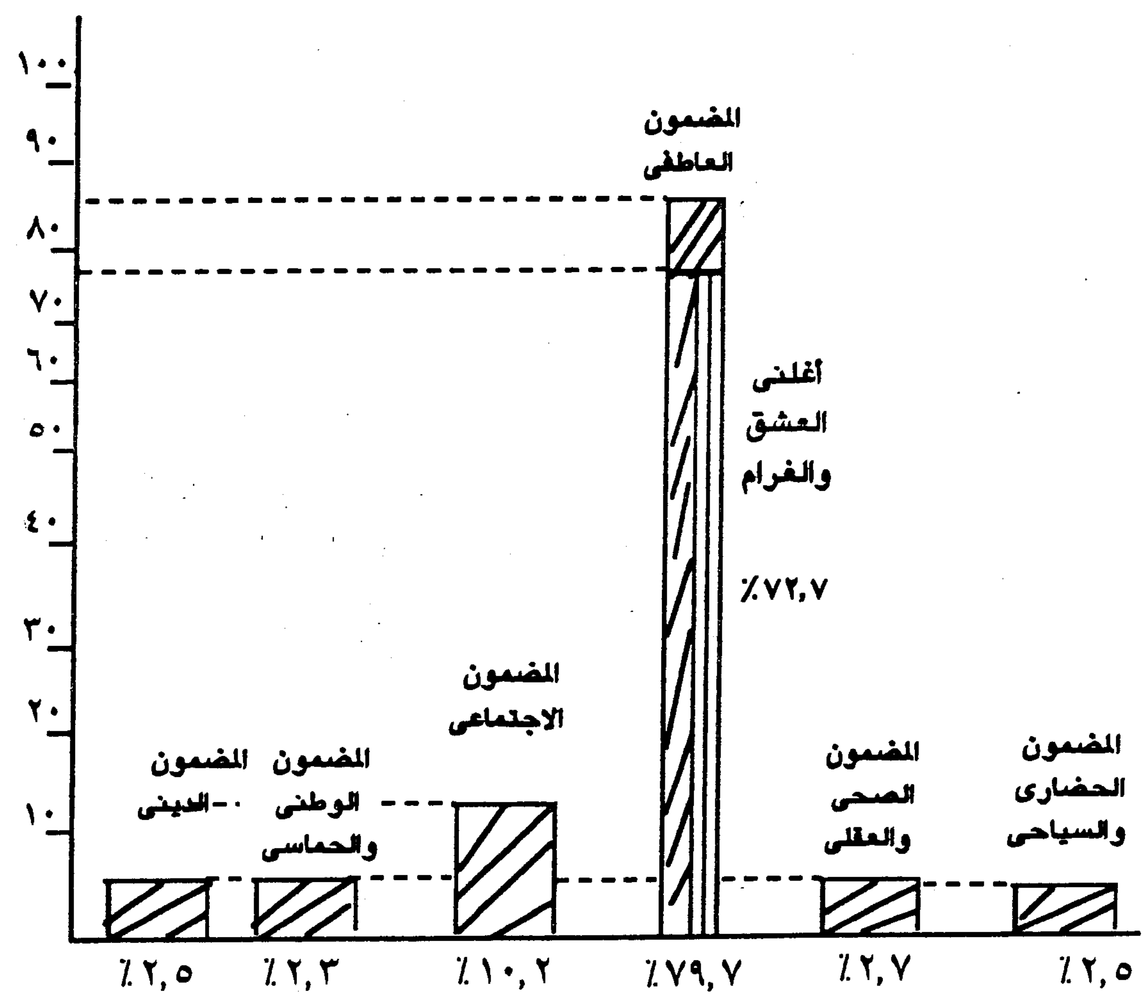
وباستقراء بعض معطيات القرن الحادى والعشرين نجده قرن العولمة. أو الكوكبة، بكل ما تحمل هذه المصطلحات من معانى خطرة، حيث لا مكان فيه لجاهل أو ضعيف أو صغير أو فقير. فهو قرن العلم والتكنولوجيا والإليكترونيات والحاسبات، والمعلومات فيه تتضاعف كل فترة وجيزة من الزمن.. وإذا لم تنهض الأمة العربية والإسلامية من كبوتها وتتوحد وتأخذ بأسباب التقدم العلمى، والرقى الفكرى والحضارى، فإنها سوف تنسحق على خريطة الكوكب، وعلامات ذلك واضحة فى الخليج والأرض المحتلة. وحينئذ لن ينفعنا إنشائيات العواطف والحب والغرام والهيام.. الخ والكلام الهلامى الذى هو فى كثير منه مضيعة للوقت والجهد، على أحسن التقديرات. وذلك فى الوقت الذى يطلب منا فيه أن نضاعف الجهد ونغتنم الوقت لكى نلحق بركب التقدم الحضارى المعاصر. فى بلد تتجاوز نسبة الأمية فيه ٤٠ ٪.

٩- مقارنة بين المضامين الغنائية:

جدول (١٣)

م	نوعية المضمون	التكرار	النسبة المئوية
١	المضمون الدينى	١٢	٢,٥
٢	المضمون الوطنى والحماسى	١١	٢,٣
٣	المضمون الاقتصادى	ليس مضمونا غنائيا	-
٤	المضمون الثقافى والفنى	ليس مضمونا غنائيا	-
٥	المضمون الاجتماعى	٤٩	١٠,٢
٦	المضمون العاطفى	٣٨٢	٧٩,٧
٧	المضمون الصحى والعقلى	١٣	٢,٧
٨	المضمون الحضارى والسياحى	١٢	٢,٥
٩	أخرى تذكر	-	-
	المجمـــــــوع	٤٧٩	٪١٠٠

من الجدول السابق يتضح أن المضمون العاطفى فى الغناء التليفزيونى يحتل المرتبة الأولى بنسبة ٧٩,٧٪، ومن هذا المضمون العاطفى جاءت أغانى العشق والغرام بنسبة ٧٢,٧٪، ويليه المضمون الاجتماعى بنسبة ١٠,٢٪ وذلك لوجود علاقة قوية بين المضمون الاجتماعى والعاطفى. أما بقية المضامين فقد أتت بنسب لا تكاد تذكر رغم تمكن الغناء من التعبير عن معظمها بمفرداتها، كالمضمون الدينى والوطنى والمضمون الحضارى والسياحى، والمضمون الصحى والعقلى .. الخ. ورغم وجود كثير منها- فعلا- فى أرشيف مكتبة الأغانى والأفلام.. كالأغانى الدينية والوطنية والحضارية.. إلا أن هذه النوعية من البرامج تخضع لعامل الانتقاء من جانب مقدميها. أو من جانب الجمهور، ولا تخضع لتخطيط علمى أو لاختيار لجنة من الخبراء تخطط وتوازن، وتقدم لكل مرحلة ما يناسبها، وبالتالى فقد جاءت أغانى هذه البرامج، كما هو واضح منصبة على مضمون الحب والعشق بالدرجة الأولى. والرسم البيانى التالى يوضح هذه الحقيقة.



آراء الخبراء والباحثين حول مضامين الأغاني التليفزيونية:

وبسؤال الخبراء والباحثين عن أسباب عدم اقتناعهم بأهمية الغناء التليفزيونى ونظرتهم السلبية له فقد تركزت إجاباتهم على ما يلى:

١- رداءة النصوص التى تصل إلى حد الإسفاف، والمناخ الإعلامى الذى لا يسمح بإظهار العبقريات الوطنية فى مجالات كثيرة، ومنها الغناء، وعدم مخاطبة العقل، والتركيز على مخاطبة الغرائز والنزوات البشرية.

٢- وأرجع بعضهم الأسباب إلى أن القائمين بالاتصال يسايرون الموجة الغنائية الجديدة، فيما يسمى بأغانى الشباب، ويجارونهم، ويلبون ما يعتقدون أنهم يقبلون عليه، أو ما تطلبه طائفة معينة من الشباب، فالتليفزيون بهذا مقود لنزوات طائفة من الشباب، وليس قائدا بدليل أن معظم ما يطلبه المشاهدون لا يخرج عن دائرة الأغانى العاطفية وأغانى الحب والغرام، وليس هناك مجال للأغانى الدينية أو الوطنية... أو غيرها.

٣- كما يرون- أيضا- أن قلة الوعى الدينى لدى هؤلاء، وقلة وعيهم بدور الدين فى تهذيب أخلاقيات الجمهور وسلوكياته، وترويض نزواته من أهم هذه الأسباب ويضاف إلى هذا قلة وعيهم بدور الكلمة الغنائية الملحنة، والمدعومة بشحن موسيقى عاطفى، وأثرها الذى تتركه وترسبه فى نفوس وعقول الجماهير فى كل المجالات، سلبا وإيجابا.

٤- وجاءت تعليقات بعضهم كما يلى:

الأغانى تشجع على الانحراف- تدعوا إلى العبث- تقضى على الجدية- تخلو من المضمون الجاد- أين طموح الدولة فى العبث واللهو- أين الوطنية فى الحب والغرام- أين كل هذا مما يحدث فى فلسطين- أين القيم والمبادئ- أين النبل والأخلاق- أين الإبداع فى أغانى الفيديو كليب والبطون والصدور العارية- أين قضايا ومشكلات المجتمع- إنهم لا يريدون للأمة أكثر من هذا.

ويقول الأستاذ/ أمين بسيونى لقد نزل الفن الغنائى من عليائه كرسالة ليصبح سلعة مطروحة فى السوق تستهدف الربح بالدرجة الأولى.. وعلق على أسباب ذلك فقال أن من أسباب ذلك:

١- هبوط مستوى الكلمة.

٢- العامل الطبقى وتغير الجمهور، فأصبحت النقود فى أيدى من لا يجيدون الاستماع إلى النصوص الراقية.

٣- خروج الراديو والتليفزيون من حلبة السباق والتحكم فى الغناء وتحويله إلى عارض، بدلا من أن يكون منتجا لأن معظم الإنتاج أصبح فى الشركات الخاصة.

٤- إضافة الضوضاء من مضخم الصوت والإيقاع، بدلا من إيقاع النص الجميل واللن الحلو.

ويرى أنه لا سبيل إلى العلاج إلا بأن يدخل منتج آخر مع شركات الإنتاج، يحرص على أمانة الكلمة كرسالة وليس كسلعة مربحة.

وعلى الرغم مما سبق فقد جاء ترتيب الخبراء والباحثين للمضامين الغنائية كما يلى:

١- جاء المضمون الدينى فى المرتبة الأولى بنسبة ٧٦,٤ ٪.

٢- جاء المضمون الاجتماعى والعاطفى فى المرتبة الثانية بنسبة ٦٧,٧ ٪.

٣- جاء المضمون الأخلاقى والقيمى والسلوكى فى المرتبة الثالثة بنسبة ٦٣,٥ ٪.

٤- جاء المضمون الوطنى والحماسى فى المرتبة الرابعة بنسبة ٦ ,٥ ٪.

٥- جاء المضمون الحضارى والسياحى فى المرتبة الخامسة بنسبة ٥٤,٥ ٪.

٦- جاء المضمون الصحى والعقلى فى المرتبة السادسة بنسبة ١٩,٠ ٪.

وهذا الترتيب يرشح إذاعة هذه المضامين بنسب متفاوتة على هذا النحو السابق.

وبسؤالهم عن الأسلوب الأمثل فى انتقاء وتقديم مضامين الأغانى التليفزيونية فقد جاءت إجاباتهم على النحو التالى:

١- جاء تشكيل لجنة من الخبراء لانتقاء وتقديم الأغانى فى المرتبة الأولى بنسبة ٩١,٧ ٪.

٢- جاء التركيز على نوعيات معينة وبحسب الأحوال فى المرتبة الثانية بنسبة ٧٢,٥ ٪.

٣- جاء تلبية ما يطلبه المشاهدون فى المرتبة الثالثة بنسبة ٤٦,٤٪.

٤، ٥- وجاء الاعتماد على رأى مقدمى البرامج واختيارهم وعرض جميع أنواع الأغانى بنسب متساوية بنسبة لا تكاد تذكر.

ومن تحليل الجدول السابق ومقارنته بآراء الخبراء حول مضامين الأغانى التليفزيونية يتبين أن هناك أزمة فى أغانى التليفزيون ذات أبعاد أو محاور، تتمثل فيما يلى:

١- نصوص غنائية دونية (مسفة) لا تليق بجهاز إذاعى كبير كالتليفزيون المصرى، دلت عليها تعليقات الخبراء السابقة فى (٤).

٢- مضمون غير متوازن لا يليق بالتليفزيون المصرى كرائد إذاعى عربى وإسلامى كبير، يعمل على رقى المشاعر وجمع وحدة العرب والمسلمين.

٣- إنتقاء وتقديم الأغانى يتم بأسلوب غير علمى لا يأخذ فى اعتباره مصلحة الجماهير العليا ومعطيات العصر وما تتطلبه المراحل الزمنية المختلفة.

٤- مناخ إذاعى غير ديمقراطى لا يسمح بتقديم وجهات نظر متعددة وكأن هذا مقصود لذاته.

وقد دل على هذه الأبعاد أو المحاور نسب المضامين المعروضة على الشاشة فى العينة حقيقة وترتيب هذه المضامين من وجهة نظر الخبراء من ناحية ثانية وتفضيلهم تشكيل لجنة من الخبراء لانتقاء الأغانى التليفزيونية وتقديمها من ناحية ثالثة.

(د) نوعية القيم

جدول (١٤)

م	القيم الإيجابية	التكرار	النسبة المئوية	القيم السلبية	التكرار	النسبة المئوية	المجموع
١	قيم إجتماعية	٤٩	١١,١	قيم إجتماعية	٢٣	١٠,٤	
٢	قيم عاطفية	٣٨٢	٨٦,٤	قيم عاطفية	١٩٥	٨٧,٨	
٣	قيم سياسية	١١	٢,٥	قيم سياسية	٤	٢,١	
٤	قيم إقتصادية	-	-	قيم إقتصادية	-	-	
	المجموع	٤٤٢	٪١٠٠	المجموع	٢٢٢	٪١٠٠	٦٦٤
	النسبة المئوية	٦٦,٦	-	النسبة المئوية	٣٣,٤	-	

ويتضح من الجدول السابق ارتفاع النسبة العامة للقيم الإيجابية فى أغانى التليفزيون فى المرتبة الأولى إلى ٦٦,٦ ٪، بينما جاءت القيم السلبية فى المرتبة الثانية بنسبة ٣٣,٤ ٪ وذلك لاشتمال الأغانى التليفزيونية على القيم العاطفية بمفردها ٨٦,٤ ٪ من إجمالى القيم الإيجابية.

والقيم السلبية فى أغانى التليفزيون ليست سلبية بمعنى أنها غير بناءة أو أنها تكرس لأسس ومفاهيم خاطئة وتدعو إليها وإنما هى قيم إيجابية بمعنى أنه: إذا كانت القيمة السلبية تهاجم الكره أو الخصام أو الفراق.. الخ فإن هذا يعنى أنها تدعوا لقيمة الحب والوئام والقرب .. الخ ويظهر من الجدول-أيضا- ارتفاع نسبة القيم العاطفية -سلبية أو إيجابية- أكثر من غيرها فقد جاءت القيم العاطفية الإيجابية بنسبة ٨٦,٤ ٪ وجاءت القيم السلبية بنسة ٨٧,٨ ٪ وذلك بنسب ارتفاع نسبة المضمون العاطفى والخاص بأغانى الحب والغرام إلا أن هذه النسب تتحول إلى قيم سلبية غير بناءة فى حالة ما إذا توجهت إلى حب العشيق والأخدان غير الشرعيين.

هـ- أساليب الإقناع:

جدول (١٥)

م	أساليب الإقناع	التكرار	النسبة المئوية
١	القسم بالله وصفاته	٦٣	١٣,٤
٢	التكرار	٣٩٦	٨٤,٤
٣	الحكم	-	-
٤	الأمثال	٤	٠,٩
٥	الاقتباس من القرآن أو السنة	-	-
٦	الاستشهاد بمفاخر الآباء والأجداد	٦	١,٣
٧	أخرى تذكر	-	-
	المجمـــــــوع	٤٦٩	٪١٠٠

نستنتج من الجدول السابق أن أساليب الإقناع للموضوعات والقيم فى الأغانى التليفزيونية، والتى يستخدمها مؤلفوا الأغانى وملحنوها، ويعتمد على

التكرار القائم على ضرورة التلحين وإعادة النغم بإيقاعات مختلفة بالدرجة الأولى، وذلك بنسبة ٨٤,٤ ٪. ويأتى القسم بالله وصفاته فى المرتبة الثانية بنسبة ١٣,٤ ٪. أما بقية الأساليب مثل الحكم والأمثال والاقتباس من القرآن أو السنة أو الاستشهاد بمفاخر الآباء والأجداد.. الخ فلم تأت إلا بنسب ضئيلة. أو معدومة، وذلك لاشتمال الأغانى على موضوع الحب أو القيم العاطفية ومنها قيمة الحب (العشق) بدرجة عالية.

وتقتضى عملية الربط بين ماضى الأمة وحاضرها من خلال الغناء تكريس القيم الرصينة والبناءة، وذلك بمزج الأغانى بالحكم والأمثال والاقتباس والآثار على سبيل الاستشهاد من أجل الإقناع من ناحية. ولربط الجمهور بتراثه وموروثه الفنى والأدبى من ناحية أخرى.

و- السمات:

أولا: القائم بالاتصال:

جدول (١٦)

النـــوع

م	نوعية القائم بالاتصال حسب النوع	التكرار	النسبة المئوية
١	ذكور	١٤٨	٣٧,٤
٢	إناث	١٩٩	٥٠,٣
٣	ذكور وإناث	٤٩	١٢,٤
	المجمـــــــوع	٣٩٦	٪١٠٠

يتبين من الجدول السابق ارتفاع نسبة المغنيات من الإناث فى المرتبة الأولى بنسبة ٥٠,٣ ٪ ويليهم الذكور فى المرتبة الثانية بنسبة ٣٧,٤ ٪، بينما جاء الذكور والإناث معا فى المرتبة الثالثة بنسبة ضئيلة، وهى ١٢,٤ ٪ ويرجع ذلك لأسباب عديدة منها عنصر الجمال النسائى والذى يجذب الجماهير والقائمين بالاتصال من ناحية أخرى، ولأن المرأة أقرب إلى هذه النوعية من المواد التليفزيونية من ناحية ثانية، ولأن كثيرا من أغانى الأفلام القديمة كان أكثر

المطربين فيها من النساء.

جدول (١٧)

السن (تقريبا)

م	القائم بالاتصال والسن (تقريبا)	التكرار	النسبة المئوية
١	أقل من ٣٠ سنة	١٦٢	٤٠,٩
٢	أكثر من ٣٠ سنة	٢٣٤	٥٩,١
	المجمـــــوع	٣٩٦	٪١٠٠

يتبين من الجدول السابق أن القائمين بالاتصال لمن هم فى سن أكبر من ٣٠ سنة (تقريبا) بلغت ٥٩,١ ٪ بينما من هم أقل من ٣٠ سنة بلغت نسبتهم ٤٠,٩ ٪ فى المرتبة الثانية وذلك لاشتمال كثير من البرامج الغنائية على مطربين من الجيل القديم من ناحية- قبل انتشار موجة الأغانى الشبابية الحديثة مثل برنامج مجلة الأغانى وبرنامج من أغانى الأفلام وبرنامج الفن الشعبى.

آراء الخبراء في أغاني الشباب:

وبسؤالهم عن رأيهم العلمى فى إيجاد تيار شبابى فى الغناء كمرحلة عمرية تفصل بين عالم الطفولة وعالم الكبار جاءت إجاباتهم على النحو التالى:

١- بلغت نسبة من قالوا نعم يوجد أغانى خاصة بالشباب وأخرى خاصة بالكبار ٢٥ ٪.

٢- بلغت نسبة من قالوا لا يوجد أغانى خاصة بالشباب وأخرى خاصة بالكبار ٧٥ ٪.

أما عن رأيهم فى أسباب موافقتهم على أن هناك أغانى خاصة بالشباب فقد جاءت كما يلى:

١- الشباب مرحلة عمرية لها طموحاتها وآمالها فى رسم مستقبلها.

٢- تجعل الشباب يتنفس-عاطفيا- فلا يصاب بالكبت والذهول.

٣- تدفع الشباب إلى مزيد من العمل والعطاء والنجاح.

وعن رأيهم فى أسباب عدم موافقتهم على أن هناك أغانى خاصة بالشباب فقد جاءت كما يلى:

١- أن الأغنية نصوص وأساليب يفهمها ويتذوقها الكبير والصغير على حد سواء حسب المضمون المقدم من خلالها.

٢- أن الأغنية تلبي احتياجات الجمهور ومن الصعب الفصل بين الكبار والشباب فى هذه الأمور.

٣- أن الشباب بعد سن البلوغ تحسب عليه كل تصرفاته عند الله وعند الناس كالكبار سواء بسواء.

٤- أن المقصود بهذه الأغانى الشبابية التليفزيونية هو تضليل الجمهور وخاصة الشباب وإبعاده عن طموحاته الحقيقية وطموحات الدولة والأمة وإغراقه فى مشاعر الحب والغرام والهيام وتجريده من النسق القيمى الإسلامى والمصرى الأصيل وإبعاده عن دينه بهذه النوعية العاطفية من الأغانى التى تعمل على تسطيح عقله وتغييبه عن وعيه الإسلامى وشعوره الحضارى فى الوقت الذى تتعقد فيه أسباب الزواج الشرعى ومقوماته يوما بعد يوم إلى حد كبير ليصلوا بذلك إلى قمة اليأس والقنوط والإحباط.

ويميل الباحث إلى الرأى القائل بعدم وجود أغانى خاصة بالشباب من ناحية وعلى هذا النحو الذى يفعله التليفزيون من ناحية أخرى وذلك للأسباب السابقة، ولأن الشباب مرحلة عطاء وتدفق وعمل وليس مرحلة غناء إلا أن يكون الغناء عاملا مساعدا على بذل مزيد من العرق والجهد والإنتاج أو الإنفاق أو التضحية كالأغانى الوطنية والحماسية وأغانى العمل والحرث والحصاد.. الخ وهذا ما كان يفعله الفراعنة، وما كان يفعله العرب فى جاهليتهم وما كان يفعله أصحاب رسول الله (ﷺ) مع الفارق.. وكما يقول أحد الخبراء والباحثين: ما أظن أغانى الحب والغرام فى كل هذا من شيئ.. ولأن الأدب العربى- قديمه وحديثه- لم يحفل إلا بنوعين من الغناء وهما: أغانى الأطفال وأغانى الكبار.. وهنا تقول الدكتورة/ ماجدة عبد السميع عبد الحميد رئيس قسم الغناء بالمعهد العالى للموسيقى العربية: لا يوجد عندنا أغانى خاصة بالشباب وأغانى خاصة بالكبار.. وإنما المقصود بأغانى الشباب هى تلك الأغانى ذات الإيقاع الراقص والذى يهدف إلى تقليد دول الغرب.

ثانيا: الجمهور المستهدف:

جدول (١٨)

النوع

م	الجمهور المسهدف والنوع	التكرار	النسبة المئوية
١	ذكور	١٩٩	٥٠,٣
٢	إناث	١٤٨	٣٧,٤
٣	ذكور وإناث (غير واضح)	٤٩	١٢,٤
	المجمـــــوع	٣٩٦	٪١٠٠

يظهر من الجدو ل السابق أن الذكور يحتلون المرتبة الأولى من أنواع الجمهور المستهدف بنسبة ٤٢,٩ ٪ بينما يحتل الإناث نسبة ٣٣,٣ ٪ أما النوعين معا وهو الجمهور ككل فتأتى نسبته ٢٣,٧ ٪.

ويلاحظ أن هناك تناسباً شبه عكسى بين القائم بالاتصال والجمهور، فالأغانى التى تقوم بها إناث غالبا ما يكون الخطاب الإتصالى فيها موجها إلى الذكور. والعكس صحيح. وهناك نسبة من الأغانى التى تتغنى للحب -عموما- فلا يظهر فيها نوع معين، وبالتالى يظهر الخطاب فيها موجها إلى الجمهور كله.

ولا يهم هنا نوعية الجمهور المستهدف، لأن المواد التليفزيونية -عموما- والأغانى على وجه الخصوص، وإن كان المستهدف منها قطاعا معينا من الجمهور، إلا أن بقية القطاعات تشاهدها، حتى لو كانت أغانى أطفال. وإنما المهم هنا، هو نوعية المضمون الذى تحمله الأغانى التليفزيونية، أهو بناء ومفيد وإيجابى أم العكس.

جدول (١٩)
المهـــن

م	الجمهور المستهدف	التكرار	النسبة المئوية
١	مطربون	–	–
٢	ممثلون	–	–
٣	سياسيون ودبلوماسيون	١	٠,٣
٤	معلمون	–	–
٥	عسكريون	–	–
٦	شرطة	١	٠,٣
٧	مديرون	–	–
٨	رياضيون	–	–
٩	فلاحون	١	٠,٣
١٠	عمال	١	٠,٣
١١	صناع	–	–
١٢	جميع القطاعات	٣٩٢	٩٩,٠
١٣	أخرى تذكر	–	–
	المجمـــــوع	٤٦	١٠٠٪

يتضح من الجدول السابق أن الخطاب الإتصالى فى الأغانى التليفزيونية موجه إلى جميع القطاعات المهنية بالدرجة الأولى، بنسبة ٩٩,٠٠٪ وأن نسبة ١,٠٠٪ فقط هى التى توجهت إلى كل من مهنة الشرطة والعمل السياسى والعمال والفلاحين، وذلك باعتبار أن الغالبية العظمى من العينة كانت تمثل مضمرنا عاطفيا بطبيعتها، ولأن كثيرا من التوجهات المهنية فى الأغانى تأتى فى مناسبات خاصة بها فقط، فهى موسمية -أيضا، وذلك مثل: عيد العمال وعيد الفلاح وعيد الشرطة، وعيد النصر- وتحرير سيناء.. الخ.

ويرى الباحث أن كل المهن مهمة جدا من رئيس الجمهورية إلى عامل النظافة فى الشارع، طبقا لما لهذه المهن من وزن واعتبار، ومن حق كل قطاع

من المهن أن يجد نفسه معبرا عنه على شاشة التليفزيون فى الأغانى وغيرها، من باب تحقيق ديموقراطية الاتصال، وذلك فى مناسبات ومواسم الأعياد، وطول العام، فكم نحن فى حاجة إلى تشجيع القوى العاملة والمنتجة وليس القوى المستهلكة أو المعطلة. ومن القوى العاملة: الفلاحين فى المزارع والعمال فى المصانع، والجنود البواسل على جبهات القتال، ورجال البوليس الذين يسهرون على راحتنا وأمننا. ورجال المرور الذين يقضون ساعات طويلة تحت حر الشمس ووسط الزحام.. الخ.

ز- الأساليب اللفظية غير المقبولة إسلاميا(*):

جدول (١٩)

م	الأساليب اللفظية غير المقبولة إسلاميا	التكرار	النسبة المئوية
١	الألفاظ الوضيعة والمتدنية (المسفة)	٩	١٣,٢
٢	الغزل الماجن والمكشوف والمبتذل (الرقيع)	٢٣	٣٣,٨
٣	الجرأة غير المقبولة على الله أو الرسول فى التعبير	٢	٢,٩
٤	أساليب تتناقض مع الشرع (القرآن والسنة)	١٧	٢٥,٠٠
٥	أساليب تتناقض مع العقل والمنطق	٨	١١,٨
٦	أساليب تتناقض مع القيم والمبادئ	٥	٧,٤
٧	أساليب تجمع ين المتناقضات (الأضداد)	٤	٥,٩
٨	أخرى تذكر	-	-
	المجمـــــوع	٦٨	٪١٠٠

يتضح من الجدول السابق أن الأساليب اللفظية غير المقبولة إسلاميا قد بلغت فى مجملها (٦٨) أسلوبا فى عينة البحث، وأن الغزل الماجن والمكشوف والمصحوب بتركيز الأضواء على مفاتن المحبوب قد جاء فى المرتبة الأولى بنسبة ٣٣,٨٪، وجاءت الأساليب التى تتناقض مع الشرع (القرآن والسنة) فى المرتبة الثانية بنسبة ٢٥,٠٠٪ ثم تأتى الألفاظ الوضيعة والمتدنية (المسفة) فى المرتبة

(*) بعض هذه الأساليب تتناقض مع نصوص إسلامية صريحة وثابتة الدلالة. وبعضها يتناقض مع روح الإسلام وأهدافه في إيجاد وصياغة بيئية وحياة إسلامية طاهرة وعفيفة للجمهور.

الثالثة، بنسبة ١٣,٢ ٪.

وهذه النسبة، وإن كانت فى ظاهرها بسيطة، إلا أنها تعتبر كثيرة فى مجموعها، وخاصة خلال فترة وجيزة كهذه- شهر واحد- ولأنها غير مقبولة، فهي تصطدم مع الفطرة، ومع طبيعة النفس البشرية التى فطر الله الناس عليها، ولأن فيها خروجا وجرأة على الله، وتتناقض مع الشرع ومع العقل والمنطق والقيم والمبادئ وتجمع بين الأضداد وتتناقض مع الذوق البسيط والسليم.. فهي توجد حالة من الاضطراب والتناقض داخل شخصية الجمهور، فيفقد توازنه وتكامله. وتصبح شخصيته ممسوخة، خاصة إذا أصبح من مدمنى سماع هذه الأساليب، وإذا كانت تقرع أذنيه بين الحين والآخر. فالإنسان شأنه شأن غيره من الكائنات يخضع لقانون المنبه والأثر. فإذا لم يكن محصنا ضد هذه الأساليب فإنه سوف يصبح أسيرا لها، فتختل عقيدته ويعضى ربه، ويخدر عقله ويغلف قلبه وينطمس نور الهداية من قلبه وعقله وتضل روحه وذلك بما تخلفه هذه الأساليب من رواسب وآثار على شخصيته، وهو لا يدرى، فيما يسمى بالتأثير النائم لوسائل الإتصال.

ح- المشاهد غير المقبولة إسلاميا(*):

جدول (٢٠)

م	المشاهد المخالفة	التكرار	النسبة المئوية
١	شرب الخمر	١٣	٢,١
٢	الرقص الشرقى النسائي	٢٠٤	٣٣,١
٣	الملابس الخليعة للنساء، وتسليط الأضواء على مفاتن المرأة	٢٣٧	٣٨,٤
٤	تعانق الرجال أو الشبان مع النساء أو الفتيات الأجنبيات	٧٣	١١,٨
٥	تبادل القبلات بين الذكور والإناث الأجنبيات	٥٦	٩,١
٦	الأداء المبتذل والرقيع للمغنى	٣٤	٥,٥
٧	أخرى تذكر	–	–
	المجمـــــوع	٦١٧	٪١٠٠

(*) ولأن موضوع البحث ليس مجالا للكلام في الحلال والحرام، فإنه يكتفي بالإشارة إلي عدم تقبلها. ومنافاتها لروح الإسلام.

من الجدول السابق يتضح أن المشاهد المصورة، وغير المقبولة إسلاميا، قد وصل إلى عدد (٦١٧) مشهداً، وأن الملابس الخليعة للنساء وتسليط الأضواء على مفاتن المرأة قد جاء فى المرتبة الأولى بنسبة ٣٨,٤٪ لكل منهما، وأن الرقص الشرقى النسائى جاء فى المرتبة الثانية بنسبة ٣٣,١٪ أما بقية المشاهد فيه وإن قلت إلا أنها غير مقبولة بأى نسبة كانت لأنها تتنافى مع الذوق والعرف ومبادئ التربية العلمية والإسلامية فضلا عن منافاتها لمبادئ الدين.. ومن هذه المشاهد تعانق الرجال أو الشبان مع النساء أو الفتيات الأجنبيات وتبادل القبلات بين الذكور والإناث الأجنبيات والأداء المبتذل والرقيع للمطرب أو المطربة، وشرب الخمر التى هى أم الخبائث، وكبيرة من الكبائر.

وكل هذه المشاهد المخالفة منصوص على مخالفتها وعدم تقبلها بنصوص إسلامية ثابتة الدلالة فى القرآن والسنة. والعمدة والمعول عليه فى الأغانى التليفزيونية هو الكلمة (النص) أولا وأخيرا، وتأتى بقية المواد المصاحبة لدعم هذه الكلمة مثل اللحن والصورة والمؤثرات الصوتية أو المرئية فهى بمثابة الملح والبهارات الذى يصلح الطعام، والكثير منه يفسده.

ولأن معانى هذه النصوص هو ما يدعم ويقوم شخصية الجمهور، فإذا كانت النصوص جيدة انعكس ذلك على شخصية الجمهور والعكس صحيح.

ثانيا: ما يتصل بجانب الشكل:

شكل الأغنية

(١) القالب الفنى

جدول (٢١)

م	القالب الفنى للأغنية	التكرار	النسبة المئوية
١	أغانى فردية	٣٤٢	٨٦,٤
٢	مونولوجات	١١	٢,٨
٣	فرق إنشادية (جوقات)	٢٠	٥,١
٤	فرق موسيقية	٥	١,٣
٥	الفن الشعبى	١٦	٤,٠٠
٦	أوبريتات	٢	٠,٥
٧	أخرى تذكر	—	—
	المجمـــــوع	٣٩٦	٪١٠٠

يتضح من الجدول السابق أن الأغانى الفردية قد احتلت المركز الأول من القوالب الفنية للأغانى (أشكال الأغانى) بنسبة ٨٦,٤ ٪ أما بقية الأشكال رغم أهميتها وتأثيرها الجماهيرى، فإنها لم تأت إلا بنسب ضئيلة جدا فعلى سبيل المثال الفرق الغنائية الإنشادية التى تجيش العواطف وتشحذ الهمم والطاقات وتستنهض الجماهير لم تمثل إلا بنسبة ٥,١ ٪ وذلك فى برنامج الموسيقى العربية، فى المرتبة الثانية.

ولأن الغناء التليفزيونى يميل إلى الاستعراض الفنى وإظهار المواهب والإمكانيات طبقا لنظرية الفن للفن، وليس الفن لصالح المجتمع، فإن غالبية الأغانى تميل إلى الفردية، وخاصة فى حالة عدم وجود اتجاه لحشد الجماهير وتجييش عواطفهم نحو موضوع أو قضية معينة. وهناك من القضايا والموضوعات التى تتطلب تجييش العواطف الجماهيرية وحشد الرأى العام حولها ولا يكون ذلك إلا بأغانى المجموعات (الجوقات) والفرق، كالمشاريع القومية للدولة مثل مشروع توشكى وشرق التفريعة، وتعمير سيناء وكذلك تحرير المسجد الأقصى.. الخ بالإضافة إلى أغانى الجنى والحصاد والعمل والإنتاج.. الخ.

نوعية التصوير:

جدول (٢٢)

م	نوعية التصوير	التكرار	النسبة المئوية
١	تصوير إليكترونى بكاميرا التليفزيون، أو كاميرا الفيديو أو كاميرا التصوير السينمائى	٣٨٤	٩٧,٠٠
٢	تصوير بالفيديو كليب	١٢	٣,٠٠
	المجمـــــوع	٣٩٦	٪١٠٠

يتضح من الجدول السابق أن نسبة الأغانى المصورة بكاميرا التليفزيون الإليكترونى أو كاميرا التصوير السينمائى أو كاميرا الفيديو تمثل النسبة الغالبة وهى ٩٧,٠ ٪ وذلك لأن غالبية الأغانى كانت مسجلة قبل (الفيديو كليب) وبعضها لا يدخل فى هذا النطاق مثل الفن الشعبى والموسيقى العربية.. أما النسبة الباقية وهى ٣,٠ ٪ والخاصة بالتصوير والتجميع الإليكترونى، فيما

يسمى بأسلوب (الفيديو كليب) فإنها جاءت فى انتقاءات الجمهور أو القائمين بالاتصال للأغاني الشبابية الحديثة.

وهذه النسبة على قلتها تمثل تحديا وخروجا صارخا على قيم المجتمع وآدابه وعرفه العام بما يظهر فيها من صور وأساليب تصويرية تخدش حياء الجمهور المصرى وبهذا يكون الفيديو كليب أسلوبا من أساليب الإخراج ونعمة فنية عصرية استخدمت فى غير موضعها، فبدلا من أن تستغل فى تنمية مواهب وقدرات الجمهور أو ذكاءه استغلت أسوأ استغلال فى إثارة وتضليل الشباب وإغرائهم بالفاحشة والفساد. وفى تحقيق صحفى حول هذا الموضوع جاء فيه ما يلى:

١- تقدم محمد أحمد حسين -عضو مجلس الشعب- بطلب إحاطة حول هذا الموضوع محذرا من إصرار التليفزيون على بث أغانى تنافى التقاليد الإسلامية وتدعو الشباب للانحراف وتظهر مفاتن المرأة بصورة مهينة.

٢- أ.د/ أحمد المجدوب[أ] إن الإسراف فى استخدام الإناث فى الأغانى للفت أنظار الشباب بتقديم أجسادهن بصورة رخيصة ورقص مائع وخليع وحركات جنسية فاضحة لا تتفق مع عاداتنا وإسلامنا أمر مرفوض.

ويقول:

إن المؤسف فى هذه الأغانى أن لها تأثيرا سلبيا على الشباب دون أن يقدر المسئولون لنتائجها، ففى ظل الظروف المحيطة بالشباب مثل تأخر سن الزواج والبطالة وأزمة الإسكان والزخم الجنسى الشديد الذى يعانى منه الشباب يكون لهذه الأغانى المصورة تأثيرا مدمرا وبالتالى فإننا نضرب الشباب بسياط حادة لكى ندفعه دفعا للزنا والانحراف وهذا صعب، خاصة أن المجتمع يعانى الأمرين من ظاهرة الاغتصاب التى أصابت المجتمع فى الصميم وقد أكدت الإحصائيات أن ٩٠٪ من مرتكبى حالات الاغتصاب من غير المتزوجين. ومن الإجرام أن نثير غرائز الشباب بهذه الصورة ثم يعود المجتمع ليشكو من الظواهر السلبية الأخرى مثل زنا المحارم واغتصاب الأطفال.

(أ) أستاذ بالمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية.

٣- أ.د/ تحية عبد الله[أ] : إن هذا الأسلوب مرفوض لأنه يعتمد على الإثارة بكل أنواعها مثل الرقص بشكل مبتذل وطريقة الملابس البالغة الإثارة وابتعاد معظم ما يقدم فى هذه الأغانى عن قيمنا كدول شرقية وإسلامية.

وهى نوع من الإباحية له عواقب وخيمة على الذكور الذين يثارون جنسيا وبالتالى فهى دعوة إلى الانحراف فى ظل الظروف الصعبة جدا التى يعيشها الشباب.. وعليهم أن يرحموا أولادنا لأن الدولة هى التى ستجنى ثمار مظاهر الفساد.

٤- أ.د/ محمد عبد المنعم البرى[ب] : أن هؤلاء الذين يقومون بإعداد مثل هذه الأغانى بعيدون كل البعد عن الدين ويحاولون ادعاء التقدم والتحرر بكل ما يسئ إلى الإسلام.

٥- أ.د/ محمد أبو ليلة[ج] : أن الأغانى المصورة تقليد للغرب وهى أحد الفنون الهابطة وليس فيها أى مظهر من مظاهر التطور وهى أمر بالمعصية ودعوة صريحة للانحراف بين الشباب.

ويقول:

أننا لسنا ضد الفن ولكن لابد أن يكون هذا الفن فى إطار إسلامى يحافظ على تقاليده وأوامره، أما ما يحدث حاليا فهو محاولة صريحة لهدم القيم الإسلامية والشرقية ويتنافى مع تعاليم جميع الأديان السماوية.

ويطالب كل هؤلاء المسئولين فى التليفزيون أن يعرفوا أننا دولة إسلامية لها عاداتها وتقاليدها. كما يطالبون برقابة صارمة على الغناء والإعلانات فى التليفزيون تكون بمثابة مصفاة لكل ما ينتج من هذه المواد.

(أ) أستاذ علم النفس بجامعة عين شمس.

(ب) أستاذ بكلية الدعوة جامعة الأزهر.

(ج) أستاذ الدراسات الإسلامية بكلية اللغات والترجمة بجامعة الأزهر.

(ب) المواد المصاحبة:

جدول (٢٣)

م	المواد المصاحبة	التكرار	النسبة المئوية
١	الموسيقى العربية	٣٩٦	٢٨,١
٢	المناظر الطبيعية	١٦٣	١١,٦
٣	الديكورات والأثاث	٢٣٣	١٦,٥
٤	الرقص النسائي الشرقي (الفردى)	١٠٣	٧,٣
٥	الرقص الثنائي (ذكر وأنثى)	٢٨	٢,٠٠
٦	الرقص النسائي الشرقي (الجماعى)	٩٣	٦,٦
٧	رقص مجموعات ذكور	٦	٠,٤
٨	رقص مجموعات ذكور وإناث	٦٧	٤,٨
٩	رقص جماهير	٧	٠,٥
١٠	باليه	-	-
١١	رقص كرتونى	٥	٠,٤
١٢	إضاءة إبداعية راقصة	٣٠٩	٢١,٩
١٣	أخرى تذكر	-	-
	المجمـــــوع	١٤١٠	٪١٠٠

يظهر من الجدول السابق أن الموسيقى العربية قد احتلت المرتبة الأولى من المواد المصاحبة للنص الأصلى للأغنية، وذلك لملازمتها لضرورة التلحين والتنغيم والإيقاعات والمقامات الصوتية وذلك بنسبة ٢٨,١ ٪ وجاء التعبير الحركى بأنواعه، وهى: الرقص النسائى الشرقى الفردى والجماعى والثنائى ورقص الذكور والذكور والإناث والجماهير والباليه والرقص الكرتونى بنسبة ٢٢,٠ ٪ موزعة على مفرداتها بتفاوت بسيط فيما بينها فى المرتبة الثانية.

وجاءت الإضاء الإبداعية الراصقة فى المرتبة الثالثة بنسبة ٢١,٩ ٪ وذلك

لأن الإضاءة من لوازم التصوير. وإذا كانت المادة المسجلة ذات إيقاع راقص فإن الإضاءة تتناغم هى الأخرى مع الإيقاع.

ويؤخذ على هذه المجموعة (التعبير الحركى) خروج كثير من مفرداتها عن الأدب والاحتشام واللياقة والذوق ومنافاتها للأخلاقيات الإسلامية بما تمثله من إثارة للشهوات والغرائز. وما تظهره من مفاتن أوجب الله سترها للمرأة، ولكنها تبالغ فى إظهارها مقرونة بالملابس المثيرة وبالإيقاع الحركى الذى يظهر ما خفى من أدق الملابس الداخلية للنساء وكل هذا دخيل على أخلاقيات المجتمع المصرى، وأخلاقيات الإسلام الحق ارتضاها الله لعباده.

(جـ) الأسلوب اللغوى ومستواه:

أولا: نوعية الأسلوب:

جدول (٢٤)

م	نوعية الأسلوب	التكرار	النسبة المئوية
١	الشعر	١٧	٤,٣
٢	النثر	٣٧٩	٩٥,٧
	المجمـــــوع	١٢	١٠٠٪

يتضح من الجدول السابق أن النثر قد احتل المركز الأول من نوعيات الأساليب اللغوية بنسبة ٩٥,٧ ٪ أما الشعر فقد احتل النسبة الباقية فى المرتبة الثانية وهى ٤,٣ ٪.

ويلاحظ على النسب السابقة أن النثر، ذلك الأسلوب العادى الحر غير المقيد بتفعيلات بحور الشعر هو الغالب على الغناء التليفزيونى وهو وإن كانت تتحقق فى بعضه أساسيات اللغة من إقامة الإعراب والبناء إلا أنه يتمكن من أدائه ذوو الإمكانيات الصوتية المتوسطة.

أما الشعر ذلك الذى أتى بنسبة قليلة وهى ٤,٣ ٪ فإنه بتفعيلاته الخاضعة لبحور الشعر أقرب إلى الموسيقى وإيقاعات البحور التى ترتقى بذوق الجمهور وتساعده على تذوق أساليب اللغة العربية والتى تنعكس بدورها على

تذوق الجمهور وفهمه لأساليب القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة إلا أنه يحتاج إلى مهارات وإمكانيات صوتية رائعة فى الأداء.

ثانيا: مستوى الأسلوب اللغوى:

جدول (٢٥)

م	مستوى الأسلوب اللغوى	التكرار	النسبة المئوية
١	فصحى التراث	-	-
٢	فصحى العصر	٥٢	١٣,١
٣	اللغة الإعلامية (عامية وفصحى العصر)	١٣٢	٣٣,٥
٤	العامية	٢١٢	٥٣,٥
	المجمـــــــوع	٣٩٦	٪١٠٠

يظهر من الجدول السابق أن اللغة العامية كانت هى المستوى اللغوى السائد والتى احتلت المركز الأول بنسبة ٥٣,٥ ٪ وتلتها اللغة الإعلامية وهى التى تجمع بين العامية فتستخدم بعض مفرداتها والتى لها أصل لغوى وبين الكلمات الفصيحة والسهلة التناول وذلك بنسبة ٣٣,٣ ٪ أما فصحى العصر وهى التى تقيم الإعراب دائما وتستخدم الألفاظ الفصيحة فإنها تحتل المرتبة الثالثة بنسبة ١٣,١ ٪ وتنعدم فصحى التراث التى تستخدم الألفاظ الرصينة الجذلة والمفردات الصعبة أو المعجمية.

ومما هو جدير بالملاحظة أن بروز اللغة العامية على هذا النحو فى الأغانى التليفزيونية يعتبر أمرا خطيرا، فهو يباعد الشقة بين جمهور الأمة وأصوله الحضارية والثقافية ويفقده عملية التذوق البياني لأساليب اللغة ومفرداتها التى تنعكس على فهمه وتذوقه لأساليب القرآن وأهدافه لأساليب القرآن وأهدافه ومراميه وكذلك السنة المطهرة فاللغة قرينة الدين وأداته وهى شخصية الأمة ووعاء حضارتها والأمة التى تستهين بلغتها فإنها تستهين بدينها وحضارتها على السواء. علما بأنه لا يوجد لغة على ظهر الأرض أثرى من اللغة العربية التى هى لغة القرآن. ويحدث هذا فى الوقت الذى تحيى فيه بعض الشعوب

لغتها التى اندثرت منذ آلاف السنين كما يفعل بنو إسرائيل بلغتهم العبرية مثلا.

ويرى الباحث أن التليفزيون ومن خلال الأغانى يمكنه أن يكون عامل بعث حضارى ولغوى، يحيى مفردات اللغة ويبعثها من مواتها وذلك باستخدام المفردات غير المطروقة وغير المألوفة حتى تصبح مألوفة من كثرة تكرارها، فبذلك تبعث اللغة وتنمو شيئا فشيئا فى عقول ونفوس أصحابها حتى يصبحوا متمكنين من ناصيتها كما كان ينطقها العرب الأوائل، والجمهور مستعد نفسيا وعمليا لهذا البعث ويريد من يأخذ بيده فى هذا المجال والدليل على ذلك أنه بالتكرار يحفظ الكثير من المفردات الدخيلة على لغتنا حتى تصبح مألوفة وميسورة لديه. وإذا حدث هذا فإن الأمر حينئذ سوف لا يقتصر على مجموعة المفردات التى نستخدمها فى كلامنا مقروءا ومنطوقا بل إنه سيمتد إلى أعماق اللغة وأصولها.

(د) وقت إذاعة الأغنية على خريطة الإرسال

أولا: فترة إذاعة الأغنية حسب الوقت:

جدول (٢٦)

م	الفترة الإذاعية حسب الوقت	الوقت ق	س	الوقت بالدقائق	النسبة المئوية
١	فترة الصباح	–	–	–	–
٢	فترة الظهيرة	٣٥	٢٢	١٣٦٥	٥٩,٥
٣	فترة المساء	–	٣	١٨٠	٧,٨
٤	فترة السهرة	٣٠	١٢	٧٥٠	٣٢,٧
	المجمـــــوع	١٢	٣٧	٢٢٩٥	٪١٠٠

من الجدول السابق نستنتج الآتى:

١- أن مجموع الوقت الذى استغرقته الأغانى فى العينة يساوى ثمان وثلاثين ساعة وخمس دقائق.

٢- أن فترة الظهيرة احتلت المركز الأول بين فترات الإذاعة الرئيسية من حيث الوقت وهى الفترة التى تمتد فيما بين الساعة الواحدة ظهرا وأقل من

الخامسة مساء، بنسبة ٥٩,٥ ٪ وتلتها فترة السهرة التي تمتد من العاشرة مساء إلى نهاية الإرسال في المرتبة الثانية بنسبة ٣٢,٧٪ أما فترة المساء فلأنها مضغوطة بين فترة الظهيرة وفترة السهرة فإنها لم تحصل إلا على نسبة ضئيلة من الأغاني وهي ٧,٨٪.

٣- والنسب السابقة تمثل واقعا طبيعيا حيث تمتلئ فترة المساء والسهرة بالبرامج الإذاعية الهادفة والدراما.. الخ كما تمتلئ فترة الصباح ببرامج الأطفال ومسلسلاتهم وأغانيهم المفضلة.

ويلاحظ خلو فترة الصباح تماما من مثل هذه النوعية من البرامج مع تكدس واضح في فترة الظهيرة مع أن كثيرا من ربات البيوت غير العاملات موجودات في المنازل في تلك الفترة، وأيضا كبار السن أرباب المعاشات ولو أن بعض هذه البرامج تمت زحزحته من فترة الظهيرة إليها على خريطة التنفيذ لكان أفضل على أن لا يكون من البرامج ذات الصفة الجادة وإنما من البرامج الخفيفة- نسبيا مثل برنامج/ أغاني وحشاني، وبرنامج/ دنيا المغني.. وبهذا تتحقق عملية التوازن الغنائي على خريطة التنفيذ بين الفترات الإذاعية.

ثانيا: يوم إذاعة الأغنية:

جدول (٢٧)

م	يوم إذاعة الأغاني حسب الوقت	الوقت		الوقت بالدقائق	النسبة المئوية
		ق	س		
١	السبت	٤٢,٥	٤	٢٨٢,٥١	١٢,٢
٢	الأحد	-	١٢	٧٢٠	٣١,٢
٣	الإثنين	-	٥	٣٠٠	١٣,٠٠
٤	الثلاثاء	٢٢,٥	١٠	٦٢٢,٥	٢٧,٠٠
٥	الأربعاء	٥٢,٥	٤	٢٩٢,٥	١٢,٧
٦	الخميس	-	-	-	-
٧	الجمعة	٣٠	١	٩٠	٣,٩
	المجمـــــوع	١٤٧,٥	٣٦	٢٣٠٧,٥	١٠٠٪

من الجدول السابق نستنتج الآتي:

١- أن يوم الأحد قد احل المركز الأول في إذاعة الأغاني من حيث الوقت، بنسبة ٣١,٢٪ ويأتي يوم الثلاثاء في المرتبة الثانية بنسبة ٢٧,٠٪ وتقل النسب في باقي الأيام وتتراوح ما بين ١٢,٢٪ ليوم السبت، و١٢,٧٪ ليوم الأربعاء، و١٣,٠ ليوم الاثنين، و٣,٩٪ ليوم الجمعة أو تنعدم كما في يوم الخميس.

ويلاحظ من النسب السابقة افتقاد البرامج الغنائية لعامل وعنصر التوازن على خريطة الإرسال والتنفيذ، وذلك بتوزيعها على أيام الأسبوع. فهناك بعض الأيام يذاع فيها أكثر من برنامج مثل يوم الأحد والذي احتل المركز الأول فإنه يذاع فيه البرامج الآتية: الموسيقى العربية- أغاني وحشاني- مجلة الأغاني- الفن الشعبي- ويوم الثلاثاء الذي احتل المركز الثاني فإنه يذاع فيه البرامج الآتية: أماني وأغاني- من أغاني الأفلام- مجلة الأغاني.. وهكذا.

وفي الواقع فإن يوم الخميس الذي تنعدم فيه النسب بعدم إذاعة أي برامج غنائية كوحدات فنية مستقلة وبصفة دورية فإنه ويوم الجمعة الذي حصل على ٣,٩٪ يومان مفتوحان على القناة الأولى ويمتلئان بالأغاني والمواهب الغنائية، وخاصة تلك التي تسمى بالأغاني الشبابية.

كما يلاحظ أن غالبية البرامج كانت محترمة في مواعيدها على خريطة الإرسال: ما عدا برنامج واحد وهو (أغاني وحشاني) فإنه لم يكن ثابتا في موضعه ولذلك كان يذاع في مواقيت مختلفة وبصفة شبه يومية وكأنما جئ به لضبط خريطة الإرسال وتنظيم إذاعتها في مواعيدها وخاصة إذا حدث تحريك في مواقيت البرامج.

الخاتمة

وتشتمل على:

١- أهم نتائج البحث.

٢- أهم التوصيات

٣- قائمة بالمراجع

٤- الملاحق.

مناقشة لأهم نتائج البحث

تعتبر خطوة استخراج النتائج من أهم خطوات البحث، وذلك لأنها تعتبر عملية جنى لثمرات هذا المجهود، ومن خلالها يمكن للباحث أن يتقدم بتوصياته إلى القائمين بالاتصال ليطوروا من أدائهم فى عملية إنتاج وتقديم الأغانى التليفزيونية.

أولا: ما يتصل بجانب المضمون:

١- جاءت المصادر التاريخية القديمة بنسبة ٠,٥ ٪ وتدل قلة هذه المصادر على عدم ارتباط الأغانى التليفزيونية بماضى هذه الأمة وتراثها الحضارى والأدبى، مما ينعكس على شخصية الجمهور سلبيا بجهل أصوله التاريخية والحضارية.

٢- جاءت نسبة الريف المصرى كبيئة من البيئات ٢,٨ ٪ كما جاءت الأحياء الشعبية والأغانى المصورة من مواقع الإنتاج الزراعية والصناعية والمناطق السياحية بنسب ضئيلة جدا، وهذا يدل على إهمال هذه البيئات، رغم أهميتها الإنتاجية أو السياحية، أو نسبة وجودها على أرض الواقع مما يكون له مردوده السلبى على التنمية الشاملة.

٣- جاء المضمون الدينى فى الأغانى التليفزيونية بنسبة ٣,٠٠ ٪ وهى نسبة ضئيلة تدل على صدق النقد الموجه إلى التليفزيون فى هذا المجال، ويعتبر هذا إهدار لقيمة العاطفة الدينية عند الجمهور المصرى المتدين بفطرته، مما يكون له تأثيره السلبى على جميع أوجه النشاط الأخرى، وردود فعل عكسية غير منطقية إما إلى جهة اليمين أو إلى جهة اليسار، على حد سواء.

٤- جاء المضمون الوطنى والحماسى بنسبة ٢,٨ ٪ وهى نسبة ضئيلة رغم أهميته، وهى على هذا النحو تحد من عملية انتماء الجمهور المصرى وخاصة الشباب منهم، إلى هذا البلد الطيب.. ويرجع هذا إلى اعتبار القائمين بالاتصال المضمون الوطنى والحماسى مضمونا موسميا، وطغيان المضمون العاطفى عليه.

٥- جاء المضمون الاجتماعى بنسبة ١٢,٤ ٪ وهى نسبة فى مجملها معقولة

إلا أنه يلاحظ أنها تتركز فى ترقيق الأحاسيس والمشاعر والذوق والاندماج مع الذوق العام والرأى العام للمجتمع، وذلك بحكم أن الأغانى بطبيعتها تعمل على تجييش العواطف الإنسانية، إلا أن هذا التجييش كان موظفا فى اتجاه واحد، وهو مضمون الحب والغرام.

٦- برز المضمون العاطفى فى الأغانى التليفزيونية كمضمون كاسح بنسبة ٩٦,٥٪، ومن هذه النسبة جاء مضمون حب العشيق بنسبة ٩١,١٪. أما حب الوالدين والزوج والزوجة والأولاد والأخوة والأخوات والأصدقاء والزملاء والفقراء والمساكين واليتامى والناس عامة، فقد استحوذت على بقية النسبة وهى ٣,٥٪.

٧- يرى الخبراء والباحثون أن أغانى الحب والغرام ضرورية فقط، أى (إلى حد ما) بنسبة ٥٢,٩٪. بينما يرى بعضهم أنها غير ضرورية بنسبة ٣٧,٤٪ فى مقابل ٩,٧٪ يرون أنها ضرورية جدا.

٨- من تعليقات الخبراء على النتيجة السابقة، بتأكد أن الوسطية والتوازن فى عرض المضامين تأتى بنتائج إيجابية بينما الإسراف فى عرض بعضها يأتى بمردود سلبى.

٩- جاء المضمون الصحى والعقلى فى الأغانى التليفزيونية بنسبة ٣,٣٪. وهى نسبة ضئيلة جدا، رغم أهمية هذا المضمون، وتستطيع الأغانى أن تخاطب العقل من خلال العاطفة- أى بالمرور على القلب حيث تكرس لديه العادات الصحية السليمة، وتعلمه طرق الوقاية والعلاج من الأمراض وتعوده التفكير بمنطق وعقل مرتب، ومن ثم يعرف ما له من حقوق وما عليه من واجبات، كما يحدث فى أغنيات: محو الأمية، والصحة وتنظيم الأسرة.

١٠- جاءت نسبة المضمون الحضارى والسياحى ٣,٠٠٪ وهى نسبة ضئيلة جدا. وانعدمت فيها الدعوة إلى التزود بأدوات العلم والمعرفة العصرية، والاعتزاز بالرموز التاريخية والدعوة إلى الوحدة العربية والإسلامية.

١١- جاء المضمون العاطفى فى المرتبة الأولى بنسبة ٧٩,٧٪، ومن هذا المضمون العاطفى جاءت أغانى العشق والغرام بنسبة ٧٢,٧٪، ويليه المضمون الإجتماعى بنسبة ١٠,٢٪، أما بقية المضامين فقد أتت متفاوته لا تكاد تذكر.

١٢- أرجع الخبراء والباحثون عدم اقتناعهم بأهمية الغناء التليفزيونى إلى الأسباب الآتية:

أ- رداءة النصوص التى تصل إلى حد الإسفاف وتحط من قدر الأمة وعظمتها كأمة ذات تاريخ حضارى.

ب- المناخ الإعلامى الذى لا يسمح بإظهار العبقريات الوطنية فى مجالات كثيرة ومنها الغناء.

جـ- عدم مخاطبة العقل والتركيز فى الغناء على مخاطبة الغرائز والنزوات البشرية.

د- أن التليفزيون فى هذا المجال- رغم أهميته وحساسيته- مقود، وليس قائدا فالقائمون بالاتصال فيه ينقادون لطائفة من الجمهور، ويسايرونهم ويجارونهم ويلبون ما يعتقدون أنهم يقبلون عليه، وبهذا يقع التليفزيون فى خطأ التحيز لفريق من أفراد الجمهور، والدليل على هذا أن معظم مضامين الأغانى عاطفية وأغانى حب وغرام، وتنعدم الأغانى الدينية والوطنية وغيرها.. أو تكاد .. الخ.

هـ- قلة الوعى الدينى للقائم بالاتصال، وقلة وعيهم بدور الدين فى تهذيب الأخلاق والسلوك وترويض النزوات البشرية، وقلة وعيهم بدور الكلمة الغنائية الملحنة والمدعومة بشحن موسيقى وعاطفى وأثرها الذى تتركه وترسبه فى نفوس وعقول الجماهير فى المجالات المختلفة سلبا وإيجابا.

١٣- جاءت تعليقاتهم على عدم اقتناعهم بأهمية الدور الذى يقوم به الغناء التليفزيونى بأنه:

*- يشجع على الانحرا
*- يدعو إلى العبث.
*- يقضى على الجدية.
*- لا يتفق مع أخلاقيات الأمة وسلوكياتها.
*- يخلو من المضمون الجاد.
*- لا يتفق مع طموحات الدولة الحقيقية.
*- لا يدعم الجانب الوطنى للجمهور.
*- لا يتفاعل مع الأحداث المحلية أو الإقليمية أو العالمية.

*- لا يتفق مع النسق القيمى للمجتمع.

*- يخدر العقل الجماعي للأمة. *- يقضى على الإبداع.

١٤- يرى الخبراء أن المضمون الدينى هو أهم المضامين وفى المرتبة الأولى بنسبة ٧٦,٤ ٪ ويليه المضمون الاجتماعي والعاطفى بنسبة ٦٨,٧ ٪ ويليه المضمون الأخلاقى القيمى والسلوكى فى المرتبة الثالثة بنسبة ٦٣,٥ ٪ ثم المضمون الوطنى فالحضارى والسياحى فالصحى والعقلى فالاقتصادى.

١٥- يرى الخبراء أنه من الأفضل تشكيل لجنة من الخبراء لانتقاء وتقديم الأغانى بالدرجة الأولى بنسبة ٩١,٧ ٪ ويرون التركيز على نوعيات معينة وبحسب الأحوال فى المرتبة الثانية بنسبة ٧٢,٥ ٪ ويرون تلبية ما يطلبه المشاهدون فى المرتبة الثالثة بنسبة ٤٦,٤ ٪ وهذا ترتيب منطقى وعلمى.

١٦- يرى الخبراء أن هناك أزمة حقيقية فى الغناء التليفزيونى ويراها بعضهم أزمة طاحنة بنسبة ٨٥ ٪ أما هؤلاء الذين يرون أنها لا ترقى إلى هذا المستوى فقد بلغت نسبتهم ١٥ ٪.

١٧- ويرى هؤلاء أن طبيعة هذه الأزمة تتمثل فى الآتى على الترتيب:

= أزمة نصوص بالدرجة الأولى بنسبة ٩٠ ٪ إلا أن بعض المتخصصين فى الغناء لا يرونها كذلك بالدرجة الأولى فيرون أن النصوص والتلحين والأداء فى حالة وفرة وبالتالى يتحول التركيز إلى البديل التالى هو:

أ- أزمة توجه وفلسفة نظام فى المرتبة الثانية: بنسبة ٨٠ ٪ وكأن هذا وضع ومناخ ومستوى يراد لذاته وليس أفضل من ذلك.

ب- أزمة انتقاء وتقديم بنسبة ٧٠ ٪ فى المرتبة الثالثة.

جـ- أزمة تمويل بنسبة ٥٥ ٪ فى المرتبة الرابعة.

١٨- ومن المضامين السابقة وآراء الخبراء يتبين أن هناك أزمة فى أغانى التليفزيون ذات أبعاد مختلفة وهى:

* أزمة نصوص لا تليق بالتليفزيون المصرى ودوره كرائد عربى وإسلامى وعالمى (ونحن خير أمة أخرجت للناس) فى كل المجالات ومنها الغناء.

*- أزمة مناخ إذاعى غير ديموقراطى لا يسمح بتقديم وجهات نظر متعددة وكأن هذا مقصودا لذاته. (أزمة توجه وفلسفة نظام).

*- أزمة انتقاء وتقديم يتفرع عنها مضون غير متوازن يتم بأسلوب غير علمى ولا يأخذ فى اعتباره مصلحة الجماهير العليا ومعطيات العصر وما تتطلبه المرحلة الراهنة.

١٩- إرتفاع نسبة القيم الإيجابية إلى ٦٦,٦ ٪ وترتفع منها نسبة القيم العاطفية إلى ٨٦,٤ ٪ كما جاءت القيم السلبية بنسبة ٣٣,٤ ٪ وترتفع منها نسبة القيم العاطفية إلى ٨٧,٨ ٪.. وتتحول هذه القيم إلى قيم سلبية غير بناءة، إذ توجهت فى معظمها إلى قيمة حب العشيق والأخدان غير الشرعيين.

٢٠- ترتفع مجموعة أساليب الإقناع إلى ٤٦٩ أسلوب، وترتفع نسبة التكرار منها إلى ٨٤,٤ ٪ ويليه القسم بنسبة ١٣,٤ ٪ بينما تأتى الحكم والأمثال والاقتباس من القرآن والسنة والاستشهاد بمفاخر الآباء والأجداد بنسب لا تكاد تذكر.

٢١- يرى الخبراء والباحثون أنه لا يوجد علميا أغانى خاصة بالشباب وذلك للأسباب الآتية:

أ- أن الأغنية نصوص وأساليب يفهمها ويتذوقها الكبير والصغير على حد سواء.

ب- أن الأغنية تلبى احتياجات الجمهور ومن الصعب الفصل بين الكبار والشباب فى هذه الأمور.

جـ- أن الغناء فن يتذوقه الصغير والكبير بنسب متفاوتة.

د- أن الشباب بعد سن البلوغ تحسب عليه كل تصرفاته عند الله وعند الناس وكالكبار سواء بسواء.

هـ- أن الشباب مرحلة عطاء وتدفق وعمل وليس مرحلة غناء إلا أن يكون الغناء عاملا مساعدا على بذل مزيد من العرق والجهد والإنتاج أو الإنفاق أو التضحية.. وأغانى الحب والغرام ليست من هذا فى شيئ.

و- أن الأدب العربى يحفل فى تاريخه الطويل بنوعين من الغناء هما: أغانى الأطفال وأغانى الكبار.

ز- أن هذه الموجة الغنائية التى تنسب إلى الشباب، لا تمت إلى الغناء العربى والموسيقى العربية صلة، وإنما هى محاكاة وتقليد للغناء الغربى الراقص والداعر إلى حد كبير.

ح- أن المقصود بهذه الأغانى الشبابية التليفزيونية هو تضليل الجمهور وخاصة الشباب منهم وإبعادهم عن طموحاتهم الحقيقية وطموحات الدولة والأمة وإغراقهم فى مشاعر الحب والغرام والهيام، وتجريدهم من نسقهم القيمى الإسلامى، وإبعادهم عن دينهم وتسطيح عق،لهم وتغييبهم عن وعيهم الإسلامى وشعورهم الحضارى، فى الوقت الذى تنعقد فيه أسباب الزواج الشرعى ومقوماته يوما بعد يوم، فيصلوا بذلك إلى قمة اليأس والقنوط ومنتهى الإحباط.

٢٢- أن الغناء التليفزيونى موجه إلى جميع قطاعات الجمهور، ومهنه، إلا أقل القليل منه، يتوجه إلى مهن بعينها.

٢٣- ظهرت خلال العينة مجموعة من الأساليب اللفظية غير المقبولة إسلاميا وعددها (٦٨ أسلوبا) وأن الغزل الماجن والمكشوف والمبتذل (الرقيع) كان فى مقدمتها بنسبة ٣٣,٨٪ وجاءت الأساليب التى تتناقض مع الشرع فى المرتبة الثانية بنسبة ٢٥٪ وطبقا لقانون المنبه والأثر، فإن الإنسان يتأثر بهذه الأساليب وما تتركه من رواسب وآثار على شخصيته وهو لا يدرى، فيما يسمى بالتأثير النائم لوسائل الاتصال.

٢٤- بلغ مجموع المشاهد المخالفة وغير المقبولة إسلاميا (٦١٧ مشهدا) وأن الملابس الخليعة للنساء وتسليط الأضواء على مفاتن المرأة جاء فى المرتبة الأولى بنسبة ٣٨,٤٪ ويليه الرقص الشرقى فى المرتبة الثانية بنسبة

٣٣,١٪ وجميع هذه المشاهد غير مقبولة إسلاميا.

ثانيا: ما يتصل بجانب الشكل:

٢٥- جاءت الأغاني الفردية التي يتألق فيها المطرب أو المطربة في المركز الأول، بنسبة ٨٦,٤٪، وهي نسبة كاسحة إن دلت على شيئ فإنما تدل على مدى تألق المؤدى، طبقا لنظرية الفن للفن وليس الفن لصالح المجتمع، بقصد الإمتاع، بدون النظر إلى العائد والاستجابة.

٢٦- جاء التصوير بكاميرا الفيديو أو كاميرا التصوير الإليكتروني أو السينمائي بنسبة ٩٧,٠٠٪ كما جاء التصوير بأسلوب الفيديو كليب بنسبة ٣,٠٠٪.. وبينما يعتبر الفيديو كليب أسلوبا من أساليب الإنتاج الفني الحديث، يمكن استغلاله في تنمية قدرات ومواهب أو ذكاء. فإنه استغل أسوأ استغلال في إثارة الفتنة وتضليل الشباب، وإغرائه بالفاحشة والفساد.

٢٧- إحتلت الموسيقى العربية المرتبة الأولى من المواد المصاحبة، بنسبة ٢٨,١٪ وجاء التعبير الحركي بمفرداته في المرتبة الثانية بنسبة ٢٢,٠٠٪، أما الإضاءة الإبداعية الراقصة فقد جاءت في المرتبة الثالثة بنسبة ٢١,٩٪. والتعبير الحركي بمفرداته هو رسالة إتصالية إيقاعية تخاطب أعضاء البدن وجوارح الإنسان ولا تخاطب العقل أو الروح ولذلك فهو في كثير منه يخرج عن حدود الأدب واللياقة والاحتشام والوقار والذوق، ويتنافى مع الأخلاق الإسلامية بما يمثله من إثارة للغرائز والشهوات. وما يظهره من مفاتن أوجب الله سترها للمرأة، ولكنها تبالغ في إظهارها مقرونة بالملابس المثيرة والإيقاع الحركي الذي يظهر ما خفي من أدق الملابس الداخلية للنساء.

٢٨- إحتل النثر النسبة الغالبة كأسلوب لغوي في الأغاني التليفزيونية، وهي ٩٥,٧٪، أما الشعر- رغم إيقاعه وتفعيلاته فإنه لم يحصل إلا على ٤,٣٪. وهذا يعني هروب الكثير من المطربين والمطربات من أساليب الشعر، لعدم تمكنهم منه أو تذوقهم له، أو لأننا في عصر الإيقاع السريع والحر.

٢٩- احتلت العامية كمستوى لغوى المركز الأول بنسبة ٥٣,٥ ٪ وتلتها اللغة الإعلامية بنسبة ٣٣,٣ ٪ بينما جاءت فصحى العصر فى المرتبة الثالثة بنسبة ١٣,١ ٪، وانعدمت فصحى التراث، فلم تمثل بشيئ.

واللغة قرينة الدين وأداته، وهى شخصية الأمة ووعاء حضارتها، والأمة التى تستهين بلغتها، فإنها تستهين بدينها وبحضارتها على السواء. وبروز اللغة العامية على هذا النحو فى الأغانى التليفزيونية يعتبر أمرا خطيرا، فهو يباعد الشقة بين الجمهور والأمة وأصوله الحضارية والثقافية (مرجعيته التاريخية) ويفقده عملية التذوق البيانى لأساليب اللغة ومفرداتها التى تنعكس على فهمه وتذوقه لأساليب القرآن، وأهدافه ومراميه، وكذلك السنة المطهرة.

٣٠- احتلت فترة الظهيرة المركز الأول بين الفترات الإذاعية بنسبة ٥٩,٥ ٪ من حيث الوقت، وتلتها فترة السهرة فى المركز الثانى بنسبة ٣٢,٧ ٪، أما فترة المساء فقد جاءت فى المركز الثالث بنسبة بسيطة وهى ٧,٨ ٪ وهو تمثيل واقعى يقترب من المنطق، حيث تمتلئ فترة الصباح ببرامج الأطفال. وفترة المساء بالبرامج الهادفة والجادة والدراما.. ولو أنه تمت زحزحة بعض هذه البرامج إلى فترة الصباح من أجل ربات البيوت وأرباب المعاشات لكان أفضل، وبذلك تتحقق عملية التوازن على خريطة تنفيذ البرامج.

٣١- احتل يوم الأحد المركز الأول فى إذاعة الأغانى من حيث الوقت، بنسبة ٣١,٢ ٪، وجاء يوم الثلاثاء فى المركز الثانى بنسبة ٢٧,٠٠ ٪. وتقل النسب فى بعض الأيام فتتراوح ما بين ١٣,٠٠ ٪ ليوم الاثنين، و١٢,٧ ٪ ليوم الأربعاء، و ١٢,٢ ٪ ليوم السبت.

اهم التوصيات واساليب الحل والعلاج

ينبثق عن نتائج البحث ويتفتق عنها مجموعة من التوصيات وأساليب الحل والعلاج، هى فى مجملها إنعكاس لنتائج البحث مقرونة بآراء الخبراء والباحثين ورأى الباحث. وكان من أهم هذه التوصيات ما يلى:

١- ضرورة التركيز على الأصول التاريخية والحضارية كمصدر من مصادر الغناء إلى جانب المصادر الحديثة فى عملية ربط للماضى بالحاضر من

أجل المستقبل.

٢- ضرورة التركيز على الريف ومواقع الإنتاج زراعية كانت أو صناعية، أو المواقع السياحية، من أجل التنمية الشاملة.

٣- الاهتمام بالمضمون الديني إلى جانب المضامين الأخرى على قدم وساق إن لم يكن أكثر، في عملية تناغم مع الفطرة والعاطفة الدينية التي جبل عليها الجمهور المصري، وعدم النظرة إليه على أنه مضمون موسمي.

٤- الاهتمام بالمضمون الوطني والحماسي، في عملية بعث للانتماء الوطني وعدم اعتباره مضمونا موسميا.

٥- توظيف الغناء باعتباره مضمونا عاطفيا في اتجاهات إيجابية بناءة مثل: حب الدين والتدين، وحب الوطن، وحب الوالدين والزوج والزوجة والأولاد والأخوة والأخوات والأصدقاء والزملاء والفقراء والمساكين واليتامى والأرامل وحب الناس عامة، بدلا من أغاني الحب والغرام، حيث أنه قد ثبت أنها ضرورية- إلى حد ما- بنسبة ٥٢,٩٪، كحل وسط ودون إسراف في أي اتجاه، ولإيجاد حالة من التوازن المطلوب.

٦- الاهتمام بالمضمون الصحي والعقلي، لأنهما متكاملان، وكل منهما يؤثر في الآخر ويتأثر به.

٧- ضرورة الاهتمام بالمضمون الحضاري والسياحي العصري، وتبني الدعوة إلى التزود بالعلم وأدواته والاعتزاز برموزنا التاريخية والمعاصرة والدعوة إلى الوحدة العربية والإسلامية، حيث أننا نعيش في عصر القوى والتكتلات الكبيرة.

٨- تغيير النظرة إلى الغناء، وتصورنا العقلي عنه، على أنه رسالة من أسمى رسالات وسائل الإعلام، وخاصة التليفزيون حيث يؤثر في وجداننا وعقولنا ونفوسنا وشخصيتنا وحاضرنا ومستقبلنا وماضينا -أيضا- بدلا من النظرة إليه على أنه مادة إمتاعية مسلية فقط (أي مادة دونية).

٩- ضرورة الأخذ بالأسلوب العلمي في إنتاج وانتقاء وتقديم الأغاني التليفزيونية. على النحو الذي سيأتي بعد..

١٠- يراعى في إنتاج الأغاني التليفزيونية، أن تكون ذات مضمون جاد وتدعو

إلى الجدية. وتتفق مع أخلاقيات الأمة وسلوكياتها وتجارب العبث والانحراف، وتتفق مع طموحات الجماهير وطموحات الدولة والأمة، وتتفاعل مع الأحداث والقضايا المحلية والإقليمية والعالمية، وتتفق مع النسق القيمي للمجتمع، وتدعو إلى الإبداع من خلال تنشيط العقل الجماعي للأمة وذاكرتها التاريخية.

١١- في عملية إنتاج وتقديم الأغاني التلفيزيونية يراعى الأولويات كما يراها الخبراء: المضمون الديني فالاجتماعي والعاطفي فالأخلاقي والقيمي والسلوكي، فالحضاري والسياحي، فالصحي والعقلي، فالاقتصادي، قدر الإمكان.

١٢- ضرورة تشكيل لجنة من الخبراء تضم أعضاء من الإعلاميين والإسلاميين والتربويين، وعلماء النفس والصحة والاجتماع لانتقاء وتقديم الأغاني التليفزيونية كما وكيفا وتوقيتا..الخ يعملون كمخططين ومنفذين.

١٣- ضرورة التنوع في بناء النسق القيمي للجمهور المصري وتدعيمه تبعا للتنوع في المضامين.

١٤- ضرورة الحد من طغيان الموجة الشبابية العارمة والتي تعمل على تسطيح وتغييب الوعي لدى الجماهير، بما تقدمه من مضامين وألفاظ وأساليب لا تمت لأمتنا بصلة، وإنما هي انسياق وراء إيقاع الأغنية الغربية من حيث الشكل فقط، وبعيدا عن المضمون.

١٥- عند التوجه إلى مخاطبة قطاعات مهنية معينة يجب مراعاة أن يكون ذلك حسب ما لهذا القطاع من وزن واعتبار وأهمية وأن نتوجه إلى جميع القطاعات الأخرى كذلك.

١٦- أن تقوم اللجنة المشكلة للغناء بمراجعة الأغاني المسجلة بحيث تتلافى الأساليب والمشاهد المخالفة، وغير المقبولة إسلاميا، وتعالج ما يمكن معالجته من خلال أساليب الإخراج الحديثة.

١٧- ضرورة تجييش العواطف نحو المشاريع القومية، من خلال الأغاني الجماعية، والفرق الموسيقية والشعبية.

١٨- استغلال الإمكانيات الفنية الحديثة فى موضعها، كأساليب إنتاج فنى، فى تنمية قدرات ومواهب، أو مشاهد تمثيلية معينة، بحيث لا يصبح العلم والتكنولوجيا وبالاً وشؤما على الدين والمجتمع، كما تم فى اسغلال الفيديو كليب فى الأغانى.

١٩- ضرورة التقليل قدر الإمكان من التعبير الحركى بمفرداته حيث أنه يخاطب الجسد ليس إلا، وخاصة الرقص الجنسى النسائى- أفراداً ومجموعات- لإثارته للشهوات والغرائز فى الوقت الذى يطغى فيه على الكلمة. وهى العنصر الرئيسى من مكونات الرسالة الإتصالية فى الأغنية التليفزيونية ويمكن أن يستعاض عنه بأنواع أخرى من الرقص المحتشم والمشروع- إلى حد ما- كرقص الخيل والتحطيب والأولاد الصغار والرقص الكرتونى.. ورقص البنات مع بعضهم البعض وهكذا.

٢٠- ضرورة الاهتمام باللغة العربية الفصحى (فصحى العصر) سواء من حيث نوعية الأسلوب، ومستواه. فمن غير المقبول أن يحصل الشعر الغنائى بموسيقاه وبحوره وتفعيلاته على ٤,٣ ٪ واللغة العربية الفصحى (فصحى العصر) بنسبة ١٣,١ ٪، وبهذا تنعدم عملية تذوق اللغة شيئا فشيئا وتنقطع الصلة بماضى هذه الأمة وتراثها، وتفهمها لأساليب دينها من قرآن وسنة.. واللغة هى وعاء الحضارة وشيئا فشيئا يمكن لوسائل الاتصال وخاصة التليفزيون أن تعمل على بعث اللغة فى نفوس الجماهير، وتذوقهم لها.

٢١- ضرورة مراعاة عملية التوازن فى إذاعة الأغانى وتقديمها بين الفترات الإذاعية من ناحية، والأيام على مدار الأسبوع من ناحية ثانية.

٢٢- وحيث قد ثبت من النتائج والتوصيات السابقة أن هناك أزمة حقيقية فى الغناء التليفزيونى، ذات أبعاد، أو محاور. تتمثل فى النصوص والمناخ الإذاعى والانتقاء والتقديم والتمويل. فإن الخبراء ومعهم الباحث يرون أن أساليب العلاج والحل تتمثل فى الخطوات الآتية على الترتيب:

١- وضع ضوابط ومعايير أخلاقية للغناء تأليفا وتلحينا وأداء تلتزم بها كل جهات وشركات الإنتاج ومؤسساته ومنافذ البيع والتسويق، وتكون بمثابة

ميثاق شرف للغناء.

٢- التشجيع على التأليف الجيد والتلحين الجيد للنصوص الجيدة، مع رفض النصوص الرديئة وخاصة من جانب التليفزيون إعلانا وإذاعة.

٣- ضرورة أن يجتاز المغنى اختبارا راقيا- صوتا وأداء- أمام لجنة فنية من المتخصصين فى الفن والأدب والصوتيات والأداء تعقد ذلك.

٤- التشجيع على الأداء الجيد بإجراء مسابقات بين المؤدين الذين يجتازون الاختبارات، ويخضعون للضوابط والمعايير العلمية.

٥- فرض رقابة صارمة على شركات الإنتاج ومنافذ التوزيع التى لا تلتزم بالمعايير العلمية والفنية للإنتاج والتسويق، مع تطبيق عقوبات قانونية مناسبة.

٦- ضرورة أن تدخل حلبة السباق والمنافسة، شركات إنتاجية جادة تتخذ الغناء رسالة، وليس وسيلة للكسب والتربح.. وإنما تضع فى اعتبارها تنمية البشر والمجتمع، وتأمين حاضره ومستقبله على حد سواء والتليفزيون باعتباره مؤسسة إذاعية تخضع لأشراف الدولة، هو خير من يرشح ذلك.

٧- محاربة الأغانى الهابطة التى لا تخضع للضوابط والمعايير الفنية والتى لا ترقى إلى مستوى معين، كحد أدنى للأغنية التليفزيونية.

٨- الاهتمام بعملية التذوق الفنى للغة العربية فى جميع المواد الإذاعية والتليفزيونية، وخاصة الغناء، على ألا يقل المعروض منه بالفصحى عن ٥٠٪ من إجمالى المذاع.

٩- التنقيب عن الصوص الشعرية الغنائية القديمة والتى تصلح للتلحين والأداء بأسلوب عصرى، فى عملية ربط للماضى بالحاضر من أجل المستقبل.

١٠- تشجيع الأغنية بإقامة مهرجانات تشجيعية للشعر الغنائى وللأصوات الغنائية.

١١- مزيد من الإنفاق للتشجيع على التأليف والتلحين والأداء الجيد، فى كل الاتجاهات.

مراجع البحث

١- ناهد أحمد حافظ: الغناء فى القرن التاسع عشر (القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٤) ص المقدمة.

٢- فوزية فهيم: التليفزيون فن. سلسلة إقرأ، (عدد ٤٦٥) (القاهرة: دار المعارف ١٩٨١) ص١١٧.

٣- إيهاب الأزهرى: الناس على دين إذاعاتهم (القاهرة: دار الشروق، ١٩٨٤) ص٢٤٤، ٢٤٥.

٤- يوسف العظم: رحلة الضياع للإعلام العربى المعاصر (جدة: سلسلة التوعية الإسلامية، الدار السعودية للنشر والتوزيع ١٩٨١) ص٧٦، ٧٧.

٥- مجمود أحمد حماد: الإعلام والدعوة بين التكامل والتضاد (القاهرة: دار السعادة للطباعة ١٩٩٤) ص٤٢.

٦- محمد حلمى سليمان: السينيما والمجتمع (القاهرة: سلسلة المكتبة الثقافية، عدد ٤٢، ١٩٦١، ص٤٤، ٤٥.

٧- جريدة الشروق. صوت الأزهر عدد (٣١) ص ١٢.

٨- المرجع السابق. عدد (٦٧) ص٢.

٩- عرفه أحمد عامر: اتجاهات الشباب الريفى نحو الغناء التليفزيونى (دراسة مسحية لقرية مصرية) بحث منشور بمجلة البحوث الإعلامية- دورية علمية محكمة تصدر عن جامعة الأزهر- عدد (١٢) ٢٠٠٠م.

١٠- كمال درويش: اتجاهات حديثة فى الترويح وأوقات الفراغ (القاهرة: دار الفكر العربى، ١٩٨٢) ص٢٠٣.

١١- عبد الكريم العلاف: الطرب عند العرب (بغداد: مطبعة أسعد، ١٩٦٣) ص المقدمة.

١٢- محمد على حافظ وآخرون: الترويح وخدمة الجماعة (القاهرة: المطبعة الأزهرية ١٩٦٨).

١٣- ابن عبد ربه الأندلسى: العقد الفريد ٠القاهرة: مطبعة الأزهر ١٩٦٨، ١٣٠٥) ص١٧٦.

١٤- محمد على سليمان: أغاريد وأغنيات (القاهرة: دار الكتب المرية، بدون) المقدمة.
١٥- فؤاد زكريا: التعبير الموسيقى «الثقافة السيكلوجية» (القاهرة: مكتبة مصر ١٩٨٠) ص٣١.
١٦- أروين ادمان: الفنون والإنسان. ترجمة: مصطفى حبيب (القاهرة: مكتبة مصر ، ١٩٣٩) ص١١٢، ١١٣.
١٧- أحمد المغازى: التذوق الفنى والفن الصحفى الحديث (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤) ص١٠٢-١٠٤.
١٨- فؤاد زكريا (مرجع سابق ١٩٨٠) ص٣٢.
١٩- كمال درويش (مرجع سابق ١٩٨٢) ص٢٠٣، ٢٠٤.
٢٠- ابن عبد ربه (مرجع سابق ١٩٦٨) ص٢٢٩.
٢١- نبيل سليم على: الموسيقى بين الوهم والحقيقة. مجلة العربى، عدد (٣٢٥) (الكويت: ديسمبر ١٩٨٥) ص٦٥.
٢٢- جريدة الأهرام: أعداد/ ٣٥٥٤٥، ص٥و ٣٦٠٧٦ ص٥، ٣٥٥٩٣ ص٢، ٣٥٦٣٤، أخر عمود من آخر صفحة، ٣٦٣٧٨ ص٥.
٢٣- محمد حلمى معوض، مجلة حواء، عدد (١٤٤٤) ص٤.
٢٤- شاهيناز محمود بسيونى: أهداف الإذاعات المصرية الموجهة وتأثيراتها الإعلامية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الإعلام- جامعة القاهرة ١٩٨٦)ص٦٠.
٢٥- جيروم ستو لينيتز: النقد الفنى، ترجمة: فؤاد زكريا، ط٣، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨١ ص١٩٥.
٢٦- محمد قطب: منهج الفن الإسلامى، ط٦ (القاهرة: دار الشروق ١٩٨٣) ص١٢٩.
٢٧- هوجولا يختنتريت: الموسيقى والحضارة. ترجمة: أحمد حمدى محمود، مراجعة: حسين فوزى (القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٤) ص٤٤٤، ٤٤٥.

٢٨- أحمد المغازى: (مرجع سابق، ١٩٨٤) ص١٠٥.

٢٩- عرفه أحمد عامر: الترويح فى التليفزيون المصرى فى ضوء القيم الإسلامية. رسالة ماجستير غير منشورة، مكتبة كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر بالقاهرة) ١٩٨٧.

٣٠- عرفه أحمد عامر: الغناء العربى ودوره فى تطوير الأغنية التليفزيونية المعاصرة من منظور إسلامى. بحث منشور بالمجلة الدورية لكلية اللغة العربية -جامعة الأزهر بالقاهرة ٢٠٠٠.

٣١- ابن خلدون: المقدمة، فصل فى صناعة الغناء.

٣٢- عرفة أحمد عامر: اتجاهات الشباب الريفى نحو الغناء التليفزيونى (مرجع سابق، ٢٠٠٠).

٣٣- عبد الباسط محمد حسن: أصول البحث الاجتماعى، ط٨ (القاهرة: مكتبة وهبة، ١٩٨٢) ص١٤٧.

٣٤- سمير محمد حسين: بحوث الإعلام. الأسس والمبادئ٠القاهرة: عالم الكتب ١٩٧٦) ص١٣٢.

٣٥- جيهان أحمد رشتى: الأسس العلمية لنظريات الإعلام، ط٢ (القاهرة: دار الفكر العربى، ٩١٩٧٨ ص٣٦٨.

٣٦- الجهاز المركز للتعبئة العامة والإحصاء. هيئة بحوث الإسكان (القاهرة: مكتبة الجهاز، ١٩٨٦) ص٥.

٣٧- نادية حسن سالم: مناهج البحث فى علوم الاتصال الجماهيرى. النظرية والتطبيق، بحث غير منشور (القاهرة: مكتبة المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، ١٩٨٣) ص٦٥.

٣٨- سمير محمد حسين: تحليل المضمون (القاهرة: مكتبة عالم الكتب، ١٩٨٣) ص٧٩.

٣٩- المرجع السابق، ص٨١.

٤٠- المرجع السابق، ص٨٠.

ملحق رقم (١)

استمارة رقم (١)

بعنوان

«الغناء التليفزيوني»

«دراسة في تحليل المضمون»

مع استطلاع راي عينة من الخبراء والباحثين

دكتور

عرفه أحمد عامر

المدرس بشعبة الإذاعة

٢٠٠١م

(أ)

تتطلب عملية تحليل المضمون القيام بتصنيف عناصر المضمون وأشكاله فى فئات مستقلة، بحيث يمكن عدها فى هذه التصنيفات وذلك باستخدام وحدات تحليلية معينة تصلح لذلك.

(أ) وحدات تحليل المضمون

تعتبر وحدات التحليل أكبر جزء فى مضمون مادة الاتصال، ويمكن عن طريقها معرفة وحدات القياس أو وحدات العد[٣٧].

وقد استعان الباحث بالوحدات التالية:

١- وحدة الموضوع:

وهى من أهم وحدات تحليل المضمون وأكثرها إفادة، وهى دعامة أساسية فى تحليل المواد الإعلامية والدعائية والاتجاهات والقيم والمعتقدات[٣٨].

واستخدم الباحث هنا وحدة «الموضوع» للتعرف على الموضوعات والأفكار والقيم التى عالجتها الأغانى التليفزيونية.

٢- الوحدة الطبيعية للمادة الإعلامية:

ويقصد بها الوحدة الإعلامية المتكاملة لمادة الاتصال التى يقوم الباحث بتحليلها[٣٩] واستخدم الباحث منها وحدة الأغنية فى قياس تكرارات الموضوعات التى جاءت فى الأغانى التليفزيونية واستخدم بداخلها وحدة «المشهد» فى قياس المشاهد المصورة، غير المقبولة إسلاميا.

٣- وحدة الزمن:

وهى المقياس الذى يلجأ إليه الباحث لمعرفة المدة الزمنية التى استغرقتها المادة الإعلامية المعروضة بالعينة مجتمع البحث.

وقد استخدم الباحث منها وحدة «الدقيقة» للعد الزمنى فى قياس موضوعات الأغانى التليفزيونية.

٤- وحدة الشخصية:

وتستخدم فى تحليل خصائص الشخصيات الواردة فى المواد التليفزيونية[٤٠]. واستخدم الباحث منها وحدة «الشخصية» «فى تحليل خصائص الشخصيات التى جاءت فى الأغانى التليفزيونية. والشخصيات المستهدفة من الخطاب الإعلامى من ناحية ثانية.

(ب)

(ب) فئات التحليل

يعتبر تحديد فئات التحليل من الخطوات المهمة فى إعداد البحث ويقوم الباحث بإعدادها طبقا لنوعية المضمون ومحتواه وأهداف البحث.

وقد قام الباحث بإعداد هذه الاستمارة التى تحتوى على مجموعة من فئات التحليل، وذلك لوصف المحتوى الظاهر لمادة الاتصال- مجتمع البحث- وفيما يلى عرض لهذه الفئات مقرونة بتعريفاتها الإجرائية.

أولا: فئات تحليل المضمون «ماذا قيل»؟

وهى تتناول مادة الاتصال ومحتنواها، وتشمل الفئات الآتية:

(أ) مصدر الأغنية:

وهى الفترة أو المرحلة التاريخية التى عبرت عنها الأغنية التليفزيونية، صوتا أو صورة فى الغالب الأعم.

١- مصدر قديم: وهو من بداية التاريخ والحضارة حتى بداية عهد محمد على.

٢- مصدر حديث ومعاصر: وهو من بداية عهد محمد على إلى الآن.

٣- أكثر من مصدر:

(ب) بيئة الأغنية:

وهى البيئات والقطاعات المجتمعية التى تعكسها الأغنية وتعبر عنها- غالبا- ومنها:

١- حضر مصرى (أغانى مصورة من المدن).

٢- ريف مصرى (أغانى مصورة من الريف).

٣- أحياء شعبية (أغانى مصورة من الأحياء الشعبية فى المدن).

٤- بدو مصرى أو عربى (أغانى مصورة من الحياة الصحراوية).

٥- أغانى مصورة من المناطق السياحية.

٦- أغانى مصورة من مواقع الإنتاج الزراعية.

٧- أغانى مصورة من مواقع الإنتاج الصناعية.

٨- أكثر من بيئة.

(جـ)مضمون الأغنية:

وتتعرف هذه الفئة على نوعية المضمون ومفرداته التى شملتها العينة، ومن هذه المضامين ما يلى:

١- المضمون الدينى: وهو التغنى بحب الله وصفاته، وحب رسول الله-ﷺ- ومدحه وحب الدين والاعتزاز به والفضيلة ومكارم الأخلاق، والعقيدة، والارتباط بالمقدسات والقرآن والشريعة والتحدث بنعم الله وفضله والمحافظة على الفرائض والسنن والأركان.. الخ.

٢- **المضمون الوطنى والحماسى:** وهو التغنى بحب الوطن والاعتزاز به وحب الرموز السياسية والتجاوب مع النظام السياسى القائم والمنافسة فى خدمة الوطن وتقلد المناصب السياسية، وتنمية الوعى السياسى داخليا وخارجيا.

٣- **المضمون الاقتصادى:** وهو النغنى بحب العمل وزيادة الإنتاج والحث على جودة المنتج وترشيد الاستهلاك والتعاون مع الآخرين ومع الدولة، واحترام المال العام والخاص.. الخ.

٤- **المضمون الثقافى والفنى:** وهو التغنى بالثقافة العامة للمجتمع وإبراز روافد هذه الثقافة ومنها الغناء والتمثيل والخطابة والسينما والمسرح والطباعة والنشر والتاريخ والاجتما ع.. الخ.

٥- **المضمون الاجتماعى:** وهو الذوق العام للمجتمع والتقريب بين فئات المجتمع وقطاعاته المختلفة، والاعتزاز بالنفس والكرامة والتفانى فى خدمة المجتمع.

٦- **المضمون العاطفى:** وهو التغنى بحب الوالدين، وحى الزوج أو الزوجة أو حب الأولاد أو الأخوة والأخوات أو الزملاء والأصدقاء، أو حب الفقراء والمساكين واليتامى أو حب العشيق، أو حب الناس عامة.

٧- **المضمون الصحى والعقلى:** وهو التغنى بحب العادات الصحية السليمة والإشادة بها وتعلم طرق الوقاية والعلاج من الأمراض، وتبنى المبادئ السليمة والثبات عليها، والتفكير بأسلوب راق سليم، ومعرفة الحق والواجب، والوعى بالتكاليف الشرعية والقانونية والرقى بالطموحات على

أسس منطقية سليمة.

٨- **المضمون الحضارى والسياحى:** وهو التغنى بحضارة الوطن وأثاره ومعالمه السياحية وأمجاده التاريخية وآثار الآباء والأجداد، والثقافة الإسلامية والوحدة العربية والإسلامية، ومواكبة العصر ومتطلباته.. الخ.

(د)

(د) نوعية القيم:

وهى تعنى بالتعرف على نوعية القيم فى الأغانى التليفزيونية سواء كانت إيجابية أم سلبية.

أولا: القيم الإيجابية ومنها:

١- قيم اجتماعية. مثل: العدل والتواضع والكرم والإخلاص والوفاء.

٢- قيم عاطفية، مثل: الحب والعطف والشفقة والحنان.. الخ.

٣- قيم سياسية، مثل: الحرية والديموقراطية والشورى والتعبير عن الرأى.

٤- قيم اقتصادية، مثل: تشجيع الزراعة والصناعة والتجارة والجودة وزيادة الإنتاج.

ثانيا: القيم السلبية ومنها:

١- قيم اجتماعية مثل: الظلم والكذب والطمع والإيذاء والحقد.

٢- قيم عاطفية، مثل: الكراهية والعنف والهجر والخصام.

٣- قيم سياسية، مثل: السلبية وعدم ممارسة الحق السياسى، وتضييق مساحة الحرية.

٤- قيم اقتصادية، مثل: الأنانية وعدم التعارون وزيادة الاستهلاك.

(هـ) أساليب الإقناع في تحقيق المو ضوعات أو القيم:

وهى تعنى بالأسلوب المتبع لاقناع الجمهور بتقبل موضوع الرسالة أو القيمة، ومنها:

١- القسم بالله وصفاته.

٢- التكرار.

٣- الحكم.

٤- الأمثال.

(هـ)

٥- الاقتباس من القرآن الكريم أو السنة.

٦- الاستشهاد بمفاخر الآباء والأجداد.

٧- أخرى تذكر.

(و) السمات:

وتعنى بتحديد الخصائص الشخصية والاجتماعية للشخصيات القائمة بالاتصال، وكذلك الشخصيات المستهدفة من الخطاب الإعلامى من خلال مضمون الأغنية، صراحة أو ضمنا- تقريبا- ومنها:

أولا: القائم بالاتصال: وهى تعنى بالبحث فى نوعية شخصية القائم بالاتصال وسنها ومنها:

النوع:

١- ذكور ٢- إناث ٣- ذكور وإناث.

السن:

١- أقل من ٣٠ سنة. ٢- أكير من ٣٠ سنة.

ثانيا: الجمهور المستهدف: وهى تعنى بالبحث فى نوعية شخصيات الجمهور المستهدف من الرسالة الإعلامية وقطاعاتها المهنية، ومنها:

النوع:

١- ذكور ٢- إناث ٣- ذكور وإناث.

المهن:

فنانون، ممثلون، سياسيون، دبلوماسيون، عسكريون، معلمون، جميع القطاعات.

(و)

(ز) الأساليب اللفظية غير المقبولة إسلاميا:

وهى تعنى بإبراز نوعية الأساليب التربوية اللفظية غير المقبولة إسلاميا، والتى تتعارض مع القرآن الكريم والسنة النبوية والعرف الإسلامى الصحيح، وما

عداها فهو مقبول، ومن هذه الأساليب:

١- استعمال ألفاظ وضيعة ومتدنية.

٢- الغزل الماجن والمكشوف والمبتذل (الرقيع).

٣- الجرأة غير المقبولة على الله أو الرسول فى التعبير.

٤- أساليب تتناقض مع الشرع (القرآن والسنة).

٥- أساليب تتناقض مع القيم والمبادئ.

٦- أساليب تتناقض مع القيم والمبادئ.

٧- أساليب تجمع بين المتناقضات (الاضداد).

٨- أخرى تذكر.

(ح) المشاهد المصورة غير المقبولة:

وهى المشاهد التى تصطدم صراحة مع نصوص القرآن الكريم أو السنة أو العرف الإسلامى الصحيح، وما عداها فهو مقبول. ومن المشاهد المخالفة:

١- تركيز الأضواء على نفاتن المرأة الأجنبية أو مناطق معينة من جسدها.

٢- الرقص الشرقى النسائى.

٣- الملابس الخليعة للنساء.

٤- تعانق الرجال أو الشبان مع النساء أو الفتيات الأجنبيات.

٥- تبادل القبلات بين الذكور والإناث الأجنبيات.

٦- الأداء المبتذل والرقيع للمغنى.

٧- أخرى تذكر.

(ز)

ثانيا: فئات تحليل الشكل.. كيف قيل؟

وتبحث هذه الفئة فى معرفة الشكل (القالب) الفنى فى العينة والفئات الفرعية التى تتبعها، ومنها:

(أ) شكل الأغنية:

وهى القالب الفنى الغنائى الذى صيغت فيه المضامين الغنائية وأسلوب

التصوير المستخدم فى إنتاجها ومنها:

أولا: شكل الأغنية:

١- أغاني فردية. ٢- مونولوجات.

٣- فرق إنشادية (جوقات). ٤- فرق موسيقية.

٥- الفن الشعبى. ٦- أوبريتات. ٧- أخرى تذكر.

ثانيا: نوعية التصوير:

وهى تبحث عن الأسلوب الذى تم به تصوير الأغنية:

١- تصوير اليكترونى بكاميرا التليفزيون، أو كاميرا الفيديو.

٢- تصوير بالفيديو كليب.

(ب) المواد المصاحبة:

وهى بقية عناصر الصورة المصاحبة لكلمات الأغنية:

١- موسيقى عربية. ٢- مناظر طبيعية.

٣- ديكورات وأثاث. ٤- رقص شرقى نسائى فردى.

٥- رقص ثنائى ذكر وأنثى. ٦- رقص شرقى نسائى جماعى.

(ح)

٧- رقص مجموعات ذكور. ٨- رقص مجموعات ذكور وإناث.

٩- رقص جماهير. ١٠- باليه. ١١- رقص كرتونى.

١٢- إضاءة إبداعية راقصة. ١٣- أخرى تذكر.

(جـ) الأسلوب اللغوى ومستواه:

وتعنى بالتعرف على نوعية الأسلوب اللغوى والمستوى الذى استخدمته الأغنية التليفزيونية.

أولا: نوعية الأسلوب:

١- الشعر. ٢- النثر.

ثانيا: مستوى الأسلوب اللغوى:

١ - **فصحى التراث:** وهى تعنى بالمحافظة على إقامة الإعراب واستخدام الألفاظ الجذلة والتراكيب اللغوية والبلاغية العتيقة.

٢ - **فصحى العصر:** وتعنى بالمحافظة على إقامة الإعراب واستخدام الألفاظ المألوفة والتراكيب سهلة التناول.

٣ - **اللغة الإعلامية:** عامية وفصحى العصر: وهى تعني بالمحافظة على إقامة الإعراب وتستخدم بعض الألفاظ العامية إلى جانب الألفاظ المألوفة وسهلة التناول.

٤ - **العامية:** وهى أقرب إلى لغة الشارع، ولا تعنى بإقامة الإعراب، ولا باستخدام التراكيب البلاغية الفصيحة.

(د) وقت إذاعة الأغنية على خريطة الإرسال:

أولا: فترة إذاعة الأغنية:

وتعنى بتوقيت عرض المادة- موضوع التحليل- مقارنا بالأهمية النسبية لكل موقع طبقا لما أسفرت عنه دراسات التعرض والمشاهدة، للتعرف على أهمية الموضوع الخاضع للتحليل ومنها:

(ط)

١ - **الفترة الصباحية:** من بداية الإرسال إلى أقل من الواحدة ظهرا.

٢ - **فترة الظهيرة:** من الواحدة ظهرا إلى أقل من الخامسة.

٣ - **فترة المساء:** من الخامسة مساء إلى أقل من العاشرة مساء.

٤ - **فترة السهرة:** من العاشرة مساء إلى نهاية الإرسال.

ثانيا: يوم إذاعة الأغنية:

وهى توضح الكثافة النسبية للبرامج الغنائية، وأوقاتها فى كل يوم من أيام الأسبوع على حدة.

١- السبت.	٢- الأحد.
٣- الإثنين.	٤- الثلاثاء.
٥- الأربعاء.	٦- الخميس.
٧- الجمعة.	

الباحث

ملحق رقم (٢)

استمارة رقم (٢)

اسمارة مقابلة متعمقة حول موضوع

بعنوان

«الغناء التليفزيوني»

«دراسة في تحليل المضمون»

مع استطلاع رأي عينة من الخبراء والباحثين

دكتور

عرفه أحمد عامر

المدرس بشعبة الإذاعة

بيانات هذه الاستمارة سرية ولن تستخدم إلا لأغراض هذا البحث

٢٠٠١م

(أ)

* من فضلك ضع علامة (✓) فى خانة إبداء الرأى أمام البديل الذى تختاره فيما يلى:

أولا، أهمية الغناء التليفزيوني للجمهور،

س١ : ما رأيك فى التصورات الآتية؟

	نعم	إلى حد ما	لا
١- الغناء التليفزيونى -الحالى- يعمل على البناء الوجدانى المتوازن للجمهور المصرى			
٢- يواكب روح العصر ومتطلباته فى الفترة الراهنة من تاريخنا.			
٣- يتفق مع طموح الدولة فى التنمية الوطنية والمجتمعية الشاملة.			
٤- يساعد الجمهور على إشباع رغباته وتلبية احتياجاته			
٥- يتفاعل مع الأحداث والقضايا التى تهم الجمهور.			
٦- يعكس النسق القيمى للجمهور المصرى.			
٧- يتضمن المعانى الإنسانية المفيدة والبناءة للجمهور.			
٨- يتفق مع توجهات الجمهور وأفكاره وأخلاقه.			
٩- يلهم الجمهور العواطف السامية والأحاسيس النبيلة			
١٠- يدعم الجانب العقلى والمنطقى عند الجمهور.			
١١- يدعم الإبداع والابتكار والخيال عند الجمهور.			
١٢- يحارب البطء والتراخى وعدم التركيز.			
المجموع			
النسبة المئوية			

س٢ : إذا كانت الإجابة على السؤال السابق «لا» أو «إلى حد ما» فما هى الأسباب؟

١-

٢-
٣-

(ب)

س٣- رتب الموضوعات الآتية حسب أهميتها للجمهور المصرى من وجهة نظرك:

١- الغناء الدينى [ ]
٢- الغناء الوطنى والحماسى [ ]
٣- الغناء الاجتماعى والعاطفى [ ]
٤- الغناء الأخلاقى والقيمى والسلوكى [ ]
٥- الغناء الحضارى والسياحى [ ]
٦- الغناء الصحى والعقلى [ ]
٧- الغناء الاقتصادى [ ]

س٤: بالنسبة لأغانى الحب والغرام، ما درجة أهميتها من وجهة نظرك:

١- غير ضرورية. [ ]
٢- ضرورية. [ ]
٢- ضرورية جدا [ ]

س٥- ماذا يحدث لو أقلع التليفزيون عن أغانى الحب والغرام من وجهة نظرك؟

١-
٢-
٣-

س٦: ما الأسلوب الأمثل فى انتقاء وتقديم أغانى التليفزيون فى الأحوال العادية من وجهة نظرك؟ (٣ بديلات):

١- عرض جميع أنواع الأغانى بنسب متساوية [ ]
٢- التركيز على نوعيات معينة، مثل: [ ]
٣- لجنة من الخبراء تشكل لذلك [ ]
٤- تلبية ما يطلبه المشاهدون [ ]
٥- الاعتماد على رأى مقدمى البرامج واختيارهم [ ]
٦- أخرى تذكر [ ]

(جـ)

ثانيا: أزمة الأغنية وكيفية مواجهتها:

س٧: هل ترى علميا أن هناك أغاني خاصة بالشباب، وأخرى خاصة بالكبار؟

١- نعم اسأل ٨ [ ]

٥- لا اسأل٩ [ ]

س٨: لماذا ترى أن هناك أغاني خاصة بالشباب وأخرى خاصة بالكبار؟

١-

٢-

٣-

س٩: لماذا لا ترى أن هناك أغاني خاصة بالشباب وأخرى خاصة بالكبار؟

١-

٢-

٣-

س١٠- هل ترى أن الأغنية العربية فى أزمة حقيقية؟

١- نعم اسأل ١١ [ ]

٥- لا [ ]

س١١- ما طبيعة هذه الأزمة؟ (٣ بديلات):

١- أزمة نصوص (تأليف) [ ]

٢- أزمة تلحين [ ]

٣- أزمة أداء [ ]

٤- أزمة تمويل [ ]

٥- أزمة توجه وفلسفة [ ]

٦- أزمة جمهور [ ]

٧- أخرى تذكر [ ]

س١٢- ما الأسلوب الأمثل فى معالجة هذه الأزمة من وجهة نظرك؟ (٦ بديلات):

١- التشجيع على التأليف الجيد بإجراء مسابقات ومنح ومكافآت.

٢- التشجيع على التلحين الجيد للنصوص الجيدة مع رفض النصوص الرديئة.

٣- التشجيع على الأداء الجيد بإجراء مسابقات بين المؤدين الذين يجتازون الاختبارات ويخضعون للضوابط والمعايير العلمية.

(د)

٤- وضع ضوابط ومعايير أخلاقية للغناء تأليفا وتلحينا وأداء، تلتزم بها كل جهات وشركات الإنتاج ومؤسساته ومنافذ التوزيع والتسويق.

٥- عدم تشجيع الأغانى الهابطة التى لا تخضع للضوابط والمعايير الفنية.

٧- ضرورة أن يجتاز المغنى اختبارا راقيا (صوتا وأداء) أمام لجنة فنية من المتخصصين فى الفن والأدب والأصوات والأداء (الإلقاء) تشكل لذلك.

٨- الاهتمام بعملية التذوق الفنى للغة العربية فى جميع المواد الإذاعية والتليفزيونية، وخاصة الغناء.

٩- أن لا يسمح بالغناء من خلال الراديو أو التليفزيون إلا باللغة العربية الفصيحة (فصحى العصر) نصا وأداء.

١٠- التنقيب عن النصوص الشعرية الغنائية القديمة والتى تصلح للتلحين والأداء بأسلوب عصرى فى عملية ربط للماضى بالحاضر من أجل المستقبل.

١١- تشجيع الأغنية بإقامة مهرجانات تشجيعية للشعر الغنائى قديمه وحديثه. وللأصوات الغنائية.

١٢- مزيد من الإنفاق للتشجيع على التأليف والتلحين والأداء الجيد، وخاصة على الأغانى الدينية والوطنية والحضارية.

١٣- ضرورة أن تدخل شركات إنتاجية أخرى جادة ميدان الإنتاج والمنافسة بحيث لا يكون همها الربح بالدرجة الأولى، وإنما تتخذ الإنتاج الغنائى رسالة.

س١٣: أية إضافات أخرى حول الموضوع من أوله إلى آخره. وسواء كانت ملاحظات عامة أو خاصة.

الباحث

(أ)

ملحق رقم (٣)

الاساليب اللفظية المخالفة

١- أضحك كرر. اوعى تفكر.

٢- إنسى الدنيا وريح بالك. اوعى تفكر فى اللى جرى لك.

٣- ما فيناش كانى. ومافنيناش مانى كانى مانى إيه دا الدنيا ربيع.

٤- أمتى الحبيب.. ويبوسه ويضمه.

٥- اسم الله عليك ملو هدومك. والدنيا دى عايمة على عومك.

٦- سيدى أنا يا سيدى إدينى شوية حنية. أديلك ورقة بمواعيدى.

٧- أن أكنت لى عيبا سألت الله الايستره.

٨- أو كنت لى ذنبا سألت الله أن لا يغفره.

٩- وانا مالى وانا مالى وأنا مالى.

١٠- أنا وانت لوحدينا.

١١- إلى نسيك أنساه ولا يهمك جفاه.. يا ماغيره راح تلقاه وتهنى القلب معاه.

١٢- بتلومينى ليه لو شفتم عينيه حلوين أد إيه.

١٣- أصل الحب الجديد خلانى مش أنا.

١٤- وتقولوا مهما تقولوا. ده كلام فى الهواء.

١٥- يا ولدى قد مات شهيدا من مات فداء للمحبوب.

١٦- عينى يا عينى. عينى عليكى كل القلوب بتدوب حوالكى.

١٧- قدر أحمق الخطى. سحقت هامتى خطاه.

١٨- مهما أصادف قلب مخلص مش حآمن له واصونه وإن ضحك مرة فى عينيه حاضحك واخدعه ويمكن أخونه.

١٩- حبيبها لست وحدك حبيبها. حبيبها أنا قبلك.. وربما جئت بعدك.. وربما كنت مثلك حبيبها.

(ب)

٢٠- لا تكذبى.. إنى رأيتكما معا.. عيناك فى عينيه.. فى شفتيه.. فى كفيه.. فى قدميه.. ويداك ضارعتان ترتعشان من لهف عليه.

٢١- بالهمسى.. باللمس.. بالآهات.. بالنظرات باللفتات بالصمت الرهيب.

٢٢- أنا فاكره وناسية.

٢٣- أوعى تفكر أوعى تفكر.

٢٤- حبك خلانى فى دوامة.. على الدوامة.

٢٥- الحياة بقى لونها بمبى وأنا جنبك وأنت جنبى.

٢٦- تقدر تقولى بتقابلنى ليه.

٢٧- تقدر تقولى عاوز منى إيه.

٢٨- أنا لازم أزلهم واسهر دمعهم واجرح قلبهم بدل الجرح ميه.

٢٩- أنا وأنت ولا حد تالتنا.

٣٠- أنا وأنت لوحدنا.

٣١- قلبى سالنى عليك قال أيوه. أهواه واعبده.

٣٢- بتحبها حب عبادة- وهى زيه وزيادة.

٣٣- الله يا الله- الله جاب عينك فى عينى- الله جمع بينك وبينى مع رقص فاحش وذكر لفظ الجلاله بشكل إنشادى مع التمايل والرقاعة.

٣٤- الله يجازيك ياللى فى بالى وذكر اسم عزوجل بشكل إنشادى مع الرقص أيضا.

٣٥- قدر أحمق الخطى سحقت هامتى خطاه.

٣٦- لا حاسلم بالمكتوب ولا هارضى أبات مغلوب.

٣٧- يا ولدى قد مات شهيدا من مات فداء للمحبوب.

٣٨- لسه شفايفى شايلة سلامك شايله ارة حبك ليه.

٣٩- الله محبة.

٤٠- لا تقل شيئا فإن الحظ شاء.

٤١- أشهد أن لا امرأة أتقنت اللعبة إلا انتى.. أشهد إلا أمرأة على محيط خصرها تجتمع العصور.. اشهد أن لا امرأة على ذراعيها تربى أول الذكور.

٤٢- جايين الدنيا ما نعرف ليه لا رايحيين فين ولا عايزين إيه.. مش معقول يا حبيب أبدا مش معقول القدر اللى هدانى بحبك يوم من الأيام يبقى عزول.

٤٣- عيناك فى عينه فى شفتيه فى كفيه فى قدميه.

٤٤- شوف تعالى بوسنى كم مرة بوستك حبيبى.

٤٥- لاها نشغل بهواكى ودوب ولا أقول مقدر ،لا مكتوب زى الملايكة اما تشوفها ورداية تحلم تقطفها.

٤٦- جئت لا أعلم من أين ولكنى أتيت.

٤٧- يا سلام على حبى وحبك فريد الاطرش وشادية (حبك غيرنى أنا زيك برضه رب يصبرنى أيوه أنا فى عرضه).

٤٨- اللى يوافى المحبوب يوم الوعد عليهش ذنوب يغفرها الله وربك والله رب قلوب.

٤٩- حلال القيلة ولا حرام القبلة إن كانت للملهوف اللى على ورد الخد يطوف ياخذها بدال الوحدة ألوف ولا يسمع للناس كلام ولا يخشى من الناس ملام.

٥٠- لفظ الجلالة مع رقص مبتذل.

ملحق رقم (٤)

أسماء الخبراء والباحثين

أولا: المتخصصون فى الإعلام:

١- أ.د/ محى الدين عبد الحليم حسين. رئيس قسم الصحافة والإعلام بجامعة الأزهر.

٢- أ.د/ محمد كرم عبد اللطيف شلبى. أستاذ بقسم الصحافة ورئيس تحرير جريدة صوت الأزهر.

٣- أ.د/ حمدى حسن محمود. أستاذ بقسم الصحافة والإعلام بجامعة الأزهر.

٤- أ/ أمين بسيونى. رئيس مجلس إدارة الشركة المصرية للأقمار الصناعية نايل سات.

٥- أ.د/ محمود أدهم دكتوراه فى الصحافة باحث إعلامى.

٦- د/ سامى عبد العزيز الكومى أستاذ مساعد بقسم الصحافة والإعلام جامعة الأزهر.

٧- د/ مرفت الطرابيشى مدرسة الإعلام بجامعة ٦ أكتوبر.

٨- د/ مها الطرابيشى مدرسة الإعلام بكلية الإعلام جامعة العلوم الحديثة والآداب.

٩- د/ نوال الصفتى. مدرسة الإعلام بجامعة مصر للعلوم الحديثة والآداب.

١٠- د/ جمال النجار. رئيس قسم الصحافة والإعلام بكلية البنات الإسلامية جامعة الأزهر.

١١- د/ محمود عبد العاطى مسلم مدرس. بقسم الصحافة والإعلام. جامعة الأزهر.

١٢- د/ كامل صلاح محمد. مدرس بقسم الصحافة والإعلام جامعة الأزهر.

١٣- د/ محمد عبد الواحد طرابية. مدرس الإعلام بقسم الصحفة والإعلام جامعة الأزهر.

ثانيا: المخصصون فى الغناء والموسيقى:

١٤- أ.د/ ماجدة عبد السميع عبد الحميد. رئيس قسم الغناء بالمعهد العالى للموسيقى العربية.

١٥- د/ مايسة سيف الدين. مدرس بالمعهد العالى للموسيقى العربية.

١٦- د/ خيرة محمد مصطفى جميل المعهد العالى للموسيقى العربية.

١٧- د/ هدى أحمد محمد على. المعهد العالى للموسيقى العربية.

١٨- د/ عمرو مصطفى ناجى. المعهد العالى للموسيقى العربية.

١٩- د/ أحمد سعد. المعهد العالى للموسيقى العربية.

ثالثا: المتخصصون فى الأدب:

٢٠- أ.د/ صلاح الدين محمد عبد التواب أستاذ برئيس قسم الأدب والنقد ومقرر اللجنة العلمية الدائمة للأدب والنقد بجامعة الأزهر بالقاهرة.

٢١- أ.د/ السعيد عبادة. أستاذ بقسم الأدب بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر بالقاهرة.

٢٢- على على صبح. أستاذ بقسم الأدب وعميد اللغة العربية جامعة الأزهر بالقاهرة.

٢٣- شفيق أبو سعدة. أستاذ بقسم الأدب بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر بالقاهرة.

٢٤- جودة مصطفى. أستاذ بقسم الأدب بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر بالقاهرة (٢٥) حسنى حسن عادل. أستاذ بقسم الأدب بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر بالقاهرة.

بسم الله الرحمن الرحيم

الصحافة الإلكترونية في فلسطين واحتمالات تأثيرها علي قراءة الصحف المطبوعة

دراسة ميدانية

د. جواد راغب الدلو

عميد كلية الآداب ورئيس قسم

الصحافة والإعلام بالجامعة الإسلامية

1423هـ - 2002م

ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى التعرف على نشأة الصحافة الإلكترونية فى فلسطين وإمكاناتها الفنية والبشرية، واحتمالات تأثيرها على الصحافة المطبوعة وبالتحديد فى محافظات غزة.

وقد أسفرت الدراسة عن مجموعة من النتائج منها: أن فلسطين عرفت الصحافة الإلكترونية مبكراً مقارنة بالدول العربية الأخرى، إذ صدرت جريدة «القدس» فى حزيران (يونيو) 1996 و«الأيام» فى تموز (يوليو) 1996، و «الحياة الجديدة» فى عام 1997، وأنها تعمل بنظام PDF بنسب متفاوته، وتشرف عليها شركات متخصصة، وهى تتطلع نحو التطور بإدخال تقنيات حديثة على أساليب عملها. وكشفت الدراسة أن 64.28% من أفراد عينة الدراسة يؤيدون بشكل أو بآخر قراءة الصحف المطبوعة بعد الاشتراك فى شبكة الإنترنت، وأن 81.26% منهم ظلوا يشترونها بصفة دائمة أو أحياناً بعد الاشتراك فى الإنترنت وأن 37.8% يرجعون أسباب تعرضهم للصحافة الإلكترونية لكونها تقدم لهم معلومات إضافية، ونفس النسبة ترى أنها أكثر استقلالية.

Abstract

This paper aims to identify the start of electronic press in palestine with regard to techincal and human capabilities, and the possibility of having an influence on the printed press in Gaza Governorates in particular.

The study displayed some conclusions some of which are: Palestine has known electronic press at an early time in comparison with other Arab countries, as "al - Quds" newspaper started in June 1996, "al-Ayam" in july 1996, and "al Hayat al-Jadida" in 1997; the electronic press relatively appears in the PDF; it is supervised by specialized companies; it also aspires to develop by introducing new technologies in the work styles.

The study also showed that 64.28% of the studied sample are in favor in one way or another of reading the printed papers after their subscription to the internet; about 81.26% of them kept buying the printed papers regularly and sometimes occasionally after subscribing to the internet, However, 37.8% of the sample attribute their referring to electronic press to the fact that it offers extra information; the same ratio thinks that it is more independent.

مقدمة:

دأب الإنسان منذ القدم على تطوير أساليب اتصاله مع الآخرين، ولقد مرت هذه العملية بعدة مراحل، بدأت بالمشافهة ثم الكتابة ثم الطباعة ثم الموجات الكهرومغناطيسية والإلكترونية، التى شهدت اكتشاف التليفون والتلغراف والفوتوغراف والراديو والتلفزيون، وهى وسائل حولت العالم إلى قرية صغيرة.

كما شهد العالم فى نهاية القرن الماضى، وبالتحديد فى التسعينيات، مرحلة تكنولوجية اتصالية جديدة تتسم بجمع المزايا التكنولوجية المتوفرة فى عدة وسائل فى وسيلة واحدة، بقصد تحقيق الهدف النهائى لعملية الاتصال، وهو توصيل الرسالة إلى الجمهور، وإحداث التأثير المطلوب، وقد أطلق على هذه المرحلة العديد من المسميات أبرزها: مرحلة الاتصال متعدد الوسائط Multimedia، ومرحلة التكنولوجيا الاتصالية التفاعلية Interactive، ومرحلة الوسائط المهجنة Hypermedia[1].

وتعد شبكة الإنترنت فى مقدمة الوسائل الاتصالية التى تجسد خصائص عدة وسائل، فمن خلالها يستطيع كل مستخدم الوصول إلى المعلومات التى يريدها بأقل جهد وأقصر وقت، وأن يكون مرسلاً ومستقبلاً فى آن واحد، وأن يتابع من خلالها وسائل الإعلام التقليدية، وهو ما لا يتوفر لأى وسيلة أخرى، وجعل البعض يتساءل عن مدى تأثيرها على هذه الوسائل؟ وهل يمكن أن تحل مكانها؟ وهل سيشهد القرن الحالى نهاية الصحافة المطبوعة؟!

وجاءت الإجابة من مسح ميدانى أجرى على عدد كبير من الناشرين الصحفيين الأمريكيين، حيث أعرب 45% منهم عن شعورهم بالقلق على مستقبل مهنة الصحافة من الإنترنت، ورأى 30% منهم أن إيرادات الصحف ستتأثر، واعتبر معظمهم الإنترنت بمثابة عدو السنوات العشر القادمة، ويؤكد معظمهم أن المنافسة بين الطرفين طويلة ومستعرة،، وتمثل تهديداً كبيراً لمستقبل مهنة الصحافة[2].

ولقد دفعت هذه التطورات الصحف لإنشاء مواقع لها على شبكة الإنترنت، خاصة مع الارتفاع المتزايد لعدد مستخدمى الشبكة، والأرباح

الكبيرة للإعلانات والتجارة من خلالها، علماً أن مواقع هذه الصحف اقتصرت في البداية على التعريف بها ونشر معلومات عنها، ثم تطورت إلى عرض محتويات نسخها المطبوعة.

وتعد صحيفة «هيلز نبورج داجبيلا» السويدية أول صحيفة تنشر بالكامل على الإنترنت[3] ثم تدافعت بعدها الصحف الأخرى، إذ مع حلول شهر تشرين الأول (أكتوبر) عام 1996م أصبح عددها حوالى 1562 صحيفة[4]، وارتفع العدد فى نهاية العام إلى 2200 جريدة ومجلة[5]، ومع منتصف عام 1997م أصبح العدد 3622، ارتفع فى نهاية العام إلى 4000 صحيفة[6].

أما بالنسبة للصحافة العربية التى لها إصدارات إلكترونية يومية فهى تزيد عن 70 صحيفة، ناهيك عن المجلات الأسبوعية والشهرية والدوريات التى تصدر باللغة الإنجليزية، علماً أن صحيفة «الشرق الأوسط»، تعد أول صحيفة تعرض محتوياتها عبر شبكة الإنترنت وذلك فى التاسع من أيلول (سبتمبر) عام 1995م، تلتها «النهار» اللبنانية في الأول من كانون الثانى (يناير) عام 1996م، ثم «الحياة» اللندنية فى الأول من حزيران (يونيو) 1996م، و«السفير» اللبنانية فى نهاية نفس العام.

كما شهد العام 1997 م ظهور عدة صحف أبرزها: «الراية» القطرية فى الأول من كانون الثانى «يناير»، و«الجمهورية» المصرية فى 16 من شباط (فبراير) و«الجزيرة» السعودية فى 16 من نيسان (إبريل) و«القبس» الكويتية فى 12 من تموز (يوليو)[7] وغيرها من الصحف اليومية التى تنافست فى الظهور على الشبكة حتى وصل عددها إلى حوالى 56 صحيفة تصدر بالعربية. ناهيك عن الجرائد والمجلات الأسبوعية والشهرية والفصلية والنصف سنوية والحولية، إضافة إلى التى تصدر باللغة الإنجليزية.

ومع تزايد ظهور الصحف العربية على شبكة الإنترنت، وزيادة اشتراك الجمهور فيها، أشتدت المنافسة بينها وبين الصحف المطبوعة، وهو ما يقتضى التعرف على مدى تأثير الصحف الإلكترونية على المطبوعة بشكل عام، وعلى الصحف الفلسطينية على وجه الخصوص، خاصة مع ارتفاع أسعار الورق، وزيادة تكاليف الإنتاج، وتراجع عائدات الصحف.

نظرة علي الصحافة الإلكترونية في فلسطين:

شهدت السنوات العشر الأخيرة تطوراً كبيراً وسريعاً فيما يتعلق بعدد مواقع ومستخدمى شبكة المعلومات العالمية «إنترنت»، فقد قفز عددهم عام 1992 من خمسة ملايين إلى 25 مليوناً عام 1993، وارتفع من مائة مليون عام 1997 إلى 151 مليوناً عام 1998، وتؤكد مؤسسة "AUA" الهولندية أن عدد المستخدمين للشبكة حتى مارس 1999 وصل حوالى 163 مليوناً موزعين كالتالي: 94.2 مليوناً فى الولايات المتحدة الأمريكية وكندا، و36.11 مليوناً فى أوروبا، و26.55 مليوناً فى آسيا، و 4.5 ملايين فى أمريكا الجنوبية، و1.14 مليواناً فى أفريقيا، 870 ألفاً فى الشرق الأوسط منهم نصف مليون فى «إسرائيل» و280 ألفاً فى الدول العربية[8]

وفى إحصائية أخرى ارتفع عدد المستخدمين فى الوطن العربى من 340 ألفاً فى بداية عام 1998 إلى 700 ألف مع نهاية عام 1998، ومن المتوقع أن يصل العدد إلى 1.4 مليوناً مع نهاية عام 2000، كما زاد عدد المواقع العربية إلى 9000 موقع يستخدم أكثر من 80% منها اللغة الإنجليزية[9].

أما فى فلسطين، فقد حصلت السلطة الوطنية الفلسطينية في الثانى والعشرين من آذار (مارس) عام 2000م على موافقة الحكومة الأمريكية بمنحها كوداً خاصاً على شبكة المعلومات العالمية «الإنترنت» بما سمح للمؤسسات والشركات الفلسطينية وضع كود "PS" على عناوينها[10]، وفتح المجال أمام العديد من الهيئات المختلفة والأفراد للاشتراك بالشبكة، إذ وصل عددهم فى نهاية العام 2000م حوالى خمسين ألف مشترك[11]، يمثلون حوالى 3.6% من مجموع المشتركين فى الوطن العربى، علماً أن معظمهم من الضفة الغربية، نظراً لارتفاع مستوى الدخل فيها عن قطاع غزة.

أما بالنسبة إلى الصحافة الإلكترونية فقد عرفتها فلسطين مبكراً، مقارنة بالدول العربية الأخرى، إذ ظهرت صحيفة القدس والحياة الجديدة والبلاد فى حزيران (يونيو) 1996م، على موقع أمين Hattp: www.amin,org الذى تملكه مؤسسة الأنترنيوز بمنطقة الشرق الأوسط[12]، والأيام فى تموز (يوليو)

1996م، تبعتها صحف أخرى منها: الرسالة، والاستقلال، والكرامة، والمنار، وأخبار الخليل وغيرها، إذ أصبح لمعظم الصحف الفلسطينية مواقع على شبكة الإنترنت، علماً أن غالبية محتواها منقول عن النسخ المطبوعة، وهو يشمل أخبار وتقارير ومقالات ورسوم كاريكاتير وصوراً وبعض الصفحات المتخصصة.

وتعمل الصحف الإلكترونية اليومية الثلاث - القدس والأيام والحياة الجديدة - بنظام PDF بنسب متفاوته، وهى تقنية تقوم على عرض المادة المنشورة على هيئة صور وملفات، الأمر الذى يحول دون استخدام الجريدة لإمكانات النشر الإلكترونى مثل: الأفلام والرسوم المتحركة والأصوات وإقامة وصلات بين النصوص الموجودة داخل العدد نفسه أو الأرشيف، إضافة إلى أنها تبدو غير جذابة مقارنة بتقنية إدخال المادة التحريرية فيها بنظام النصوص، كما أنها تحتاج إلى برنامج خاص لعرضها، يفترض أن يكون على جهاز الكمبيوتر الخاص بالقارئ.

ويشرف على مواقع الصحف المذكورة شركات متخصصة، تقوم بتصميم الموقع وإخراجه على شبكة المعلومات، علماً أن جاذبية هذه المواقع متفاوته، وفقاً لإمكانات كل شركة وقدرات العاملين فيها، فجريدتى القدس والأيام أكثر تطوراً وجاذبية وحيوية من موقع جريدة الحياة الجديدة، فهما يتسمان بالتجديد والتطور واستخدام تقنيات مختلفة فى تقديم المادة التحريرية، واستخدام برامج مختلفة أبرزها: البيج ميكر PAGE MAKER، وآدوبى فوتوشوب ADOBE PHOTOSHOPS 3.0، وكوريل درو -COREL-DROW وتعرض جميعها لعدد اليوم وأمس، وتنفرد صحيفتا الأيام والحياة الجديدة باحتواء أرشيفها على عدد أول أمس، حتى يتمكن القارئ من الاطلاع على أى حدث لم يستطع متابعته.

ويعد موقع صحيفة القدس هو الأكثر زواراً، إذ يزوره ما بين 300 - 450 ألف زائر يومياً، وهذا أدى إلى بروز معوقات بسيطة أهمها بطء الحركة، وهو ما دفع إدارة الصحيفة إلى إنشاء موقع مقابل Stic Mirror تم تجهيزه بمزود موجود فى الولايات المتحدة الأمريكية لتخفيف الضغط على الموقع الرئيسى(13)، يليه موقع صحيفة الأيام ثم صحيفة الحياة الجديدة.

وتتطلع الصحف الفلسطينية الإلكترونية إلى تطوير مواقعها، بإدخال تقنيات مختلفة مثل زيادة الصفحات التى تقدم بنظام PDF، ونظام النصوص، واستخدام الوسائط المتعددة وخاصة الفيديو والصور، وتقديم خدمة اللغة الإنجليزية، والإعلانات، وزيادة صفحات الأرشيف، وتوفير وصلات أفضل مع مواقع أخرى، وتوسيع مساحات الحوار، وزيادة عدد العاملين فيها، بحيث يصبح لها طاقمها الإدارى والتحريرى الخاص، حتى تتمكن من تحديث نسخها الإلكترونية باستمرار.

ورغم المشاكل التى تواجهها الصحف الإلكترونية فى فلسطين كغيرها من الصحف العربية، إلا أنها استطاعت أن تطلع الجماهير العربية فى مختلف أماكن تواجدها على ما يجرى فى فلسطين من وقائع وأحداث، بعيداً عن تحريف وسائل الإعلام الأجنبية وتشويهها، وأن تزيد من التواصل الحضارى بين فلسطين والعرب المقيمين فى الخارج، وتوفر للقارئ المحلى فرصة الوصول إلى الصحيفة بسهولة ويسر، والإطلاع على آخر المستجدات، والتفاعل معها، وهذا أوجد نوعاً من المنافسة بينها وبين الصحافة التقليدية، وهو ما يقتضى دراسة هذه الظاهرة، والتعرف على مدى تأثير الصحافة الإلكترونية على الصحف المطبوعة، خاصة مع تضاعف عدد المشتركين فى شبكة الإنترنت فى فلسطين عام 2000 عن العام السابق.

أهم الدراسات السابقة:

أولاً: الدراسات العربية:

تفتقر المكتبة العربية إلى دراسات علمية فى مجال الصحافة الإلكترونية، والعلاقة بينها وبين وسائل الإعلام الأخرى، وأهم الدراسات التى أجريت هى:

1- **دراسة بعنوان:** «استخدام شبكات المعلومات وأثره على معدلات التعرض للتلفزيون، دراسة تطبيقية على مستخدمى الشبكة القومية للمعلومات»[14]، تحدثت عن مدى تأثير استخدام الإنترنت على التعرض للتلفزيون، وذلك من خلال مسح ميدانى للمشتركين فى شبكة الإنترنت.

2- **بحث عن:** «استخدام الإنترنت فى الحملات الإعلامية»[15]،

تناول الشركات التى تستخدم الإنترنت كأداة اتصال وترويج، والمجالات التى تستخدم فيها، وتم جمع بيانات الدراسة من خلال صحيفة استقصاء، أرسلت إلى الشركات التى خضعت للدراسة بالبريد الإلكترونى (E-mail).

3- دراسة بعنوان: «التكنولوجيا والصحافة فى دولة الإمارات العربية المتحدة»(16)، بحثت فى مدى تناول صحافة الإمارات للتكنولوجيا الحديثة فى مجالات مختلفة، وقد خلصت إلى أنها تبنت تكنولوجيا جديدة فى مجال الطباعة وصف الحروف وتصميم الصفحات واستقبال الأخبار ومعالجة الصور الفوتوغرافية، وكشفت عن عدة مشكلات واجهتها أثناء استيعابها للتكنولوجيا الجديدة، ومعارضة وامتناع البعض عن التدرب عليها.

4- بحث بعنوان: «تجربة الصحافة الإلكترونية المصرية والعربية: الواقع وآفاق المستقبل»(17) تناول مفهوم الصحافة الإلكترونية وأدواتها وعناصر تصميمها والمزايا التى توفرها للقارئ، وذلك من خلال دراسة العديد من الصحف المصرية والعربية اليومية والأسبوعية والفصلية، باستخدام أسلوب تحليل المضمون الذى يعد أحد التصنيفات الفرعية لمنهج المسح، وتشير نتائج الدراسة إلى اعتبارها وسيلة لإعادة تقديم مضمون النسخ المطبوعة، دون التفكير فى استغلال إمكانات الصحافة الإلكترونية.

5- دراسة عن: «واقع استخدام إنترنت فى العالم العربى»(18)، وقد أجريت على عينة شملت كل من مصر والأردن والسعودية وعمان والإمارات وقطر والبحرين والكويت، وتوصلت إلى أن الإصدارات الإلكترونية للصحف العربية تأتى فى المركز الثانى كمصدر للمعلومات بعد مجلات الكمبيوتر، وبلغت نسبة المتصفحين للمواقع الصحفية العربية 34.5% مقابل 71% للاتصال والبريد الالكترونى و62 %للدراسة والتعلم و42% للتسلية والترفيه.

6- بحث حول: «تأثير تكنولوجيا الاتصال الحديثة على الممارسات الصحفية فى الصحافة العربية: دراسة ميدانية على الصحف الإماراتية»(19) تحدث عن أثر استخدام تكنولوجيا الاتصال فى ممارسة الصحف لمهامها التقليدية، وبيان طبيعة منظومة الممارسات الصحفية فى صحف الدراسة، واتجاهات الصحفيين العرب نحوها، ومدى تبنى الصحف العربية لهذه

التكنولوجيا، وأوضحت الدراسة وجود علاقة ارتباطية إيجابية بين استخدامات تكنولوجيا الاتصال الحديثة وتأثيرها على الممارسات الصحفية فى صحف الدراسة، وعدم تأثير تكنولوجيا الاتصال على العنصر البشرى، وأن تكنولوجيا الاتصال ساعدت الصحف على أداء الكثير من المهام الصحفية.

7- **بحث حـول:** «استخدامات الصحافة المصرية للإنترنت ومدى انعكاسها على الأداء الصحفى»[20]، استهدف التعرف على مدى استيعاب الصحفيين للإنترنت كوسيلة اتصال، ومجالات الاستخدام والتوظيف، ومدى الاهتمام بتدريب الصحفيين، والتأثير على الأداء الصحفى، والمستوى التقنى والمهنى للمواقع الصحفية الإلكترونية، وقد انتهت الدراسة إلى محدودية عدد مواقع الصحف المصرية على الإنترنت، وقلة عدد الصحفيين المستخدمين لها، ومحدودية مجالات استخدام الصحف للإنترنت، وأنه من المستبعد أن تتأثر الصحف المطبوعة بالصحف الإلكترونية فى الوقت الراهن.

ثانياً: الدراسات الأجنبية:

أجريت عدة دراسات أجنبية تناولت مجالات مختلفة منها: مضمون الصحافة الإلكترونية وجمهورها والعاملين فيها، وعلاقة التأثير المتبادل بين وسائل الإعلام التقليدية والإلكترونية، واستخدام الإنترنت كوسيلة اتصال، وأهم هذه الدراسات:

1- دراسة موللر وكاميرير Mueller & Kamerer عن تفضيلات قراء الصحف الإلكترونية[21]، تناولت اتجاهات نحو 62 طالباً جامعياً نحو الصحف الإلكترونية، والموضوعات التى يفضلون الإطلاع عليها، ومدى رضاهم عنها، وخلصت الدراسة إلى أن الصحيفة الإلكترونية أكثر جدوى وتدفقاً وانسياباً وأسهل فى القراءة من الصحيفة المطبوعة، غير أنها ليست بديلاً عنها، وأن أكثر الموضوعات تفضيلاً هى الأخبار المثيرة تلتها الأخبار الدولية، ثم الموجزة والقصيرة، والرسوم والأخبار القومية، والفنون، والطقس، والأسواق وأخبار رجال الأعمال، وبريد القراء، وأخبار التغذية، والحظ، وأخيراً أخبار الرياضة.

2- دراسة كريستوفر هاربر Christopher Harper حول الصحافة

الإلكترونية والانطلاق إلى مكان ما أو إلى اللامكان(22)، استهدفت التعرف على تطور الصحف الإلكترونية الأمريكية واقتصادياتها وعدد الصحفيين العاملين فيها وجمهورها وخلصت الدراسة إلى أنها تقدم البديل الاقتصادى للصحف المطبوعة ذات التكلفة العالية فى الانتاج والطبع والتوزيع.

3- دراسة بروس جاريسون Bruce Garrison عن الإنترنت فى غرف الأخبار عام 1995(23)، تناولت دور الإنترنت فى دعم جمع واستقاء الأخبار والمعلومات داخل الصحف، والفرق بين استخدامه فى الصحف الكبيرة والصغيرة، التى بلغ عددها 279 صحيفة أمريكية، وانتهت الدراسة إلى أن 66.2% منها تستخدم الإنترنت، وارتفاع حجم الانفاق على مصادر المعلومات الإلكترونية من عام 1993 إلى عام 1995 بنسبة 50%، وأن 25.3% من الصحفيين يعتمدون على أمين المكتبة فى استخدام الإنترنت، مقابل 23.5% يعتمدون على أنفسهم.

4- دراسة جان سينجر Jan Singer حول اتجاهات الصحفيين نحو الصحف الإلكترونية ومستقبل الصحافة(24)، استهدفت التعرف على اتجاهات مديرى ومحررى 27 صحيفة أمريكية نحو التطور التكنولوجى فى الصحافة، ومدى تأثير ذلك على أدوارهم وقيمهم ومهاراتهم، وخلصت الدراسة إلى أن دور الصحفيين لا يقتصر على جمع المعلومات ونقلها، بل يتعداه إلى صياغة الوجدان والأفكار وصناعة التغيير، وأن الاعتماد على التكنولوجيا لن يضعف مهارات الصحفى، ولكنه قد يعدل من وضع مهنة الصحافة.

باستعراض الدراسات السابقة نخلص إلى أنها ركزت على الإنترنت كوسيلة اتصال وجع للمعلومات، وتأثير تكنولوجيا الأتصال الحديثة على العمل الصحفى فى الصحف العربية عامة وفى بعض الدول على وجه الخصوص، وأساليب تصميم مواقع الصحف المصرية والعربية وعناصرها، والمستوى التقنى لتلك المواقع، وتطور الصحافة الإلكترونية واقتصادياتها واتجاهات القائم بالاتصال والجمهور نحوها، وتأثيرها على مستقبل الصحافة المطبوعة ودور الصحفى وقيمه ومهاراته، وتفصيلات قرائها.

أما هذه الدراسة فهى تركز على الصحافة الإلكترونية فى فلسطين

واحتمالات تأثيرها على الصحافة المطبوعة، مستفيدة من مداخل البحوث السابقة وأدواتها ونتائجها، فى تحليلها والكشف عن طبيعة العلاقة بينهما، ودوافع تعرض الجمهور للصحافة الإلكترونية.

مشكلة الدراسة:

شهدت السنوات الأخيرة زيادة عدد المشتركين فى شبكة المعلومات العالمية «الإنترنت» وظهور العديد من الصحف الإلكترونية الفلسطينية عليها، ودخول العديد من المشتركين إلى مواقعها للإطلاع عليها والتعرض لها، وهو ما أحدث تنافساً بينها وبين الصحافة التقليدية المطبوعة، وهذا يقتضى التعرف على نشأة الصحافة الإلكترونية فى فلسطين، والتقنية التى تعمل بها، وإمكاناتها البشرية والفنية، وطبيعة التنافس بينها وبين الصحافة المطبوعة، واحتمالات تأثير الأولى على الثانية فى فلسطين، وإذا ما كانت تمثل تهديداً لها أم لا، والكشف عن أسباب تعرض الجمهور للصحافة الإلكترونية.

أهداف الدراسة وتساؤلاتها:

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على نشأة الصحافة الإلكترونية فى فلسطين واحتمالات تأثيرها على الصحافة المطبوعة وبالتحديد فى محافظات غزة.

ولقد تم بلورة هذه الأهداف فى مجموعة من التساؤلات، تسعى هذه الدراسة إلى الإجابة عنها، وهى:

- متى نشأت الصحافة الإلكترونية فى فلسطين؟
- ما هى النظم التقنية والإمكانات البشرية والفنية التى تعمل بها؟
- إلى أى مدى تؤثر الصحافة الإلكترونية على الصحافة المطبوعة؟
- ما الصحف الإلكترونية المفضلة وأسباب هذا التفضيل؟

مصطلحات الدراسة:

1- الصحافة الإلكترونية:

هى الصحافة المنشورة عبر وسائل وقنوات النشر الإلكترونى بشكل

دورى، تجمع بين مفهومى الصحافة ونظام الملفات المتتابعة وتحتوى على الأحداث الجارية، ويتم الاطلاع عليها من خلال جهاز كمبيوتر عبر شبكة الإنترنت.

2- **الصحافة المطبوعة:**

هى الصحافة التقليدية التى تتألف من مادة خام - حبر وورق - وأخبار ومقالات وموضوعات سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية وغيرها، ويحصل عليها الجمهور عن طريق الشراء أو الاشتراك.

حدود الدراسة:

حدد الباحث الفترة الزمنية لإجراء المسح على عينة من المشتركين فى شبكة الإنترنت فى محافظات غزة فى تموز (يوليو) عام 2000م.

نوع الدراسة ومنهجها وأداتها:

تدخل هذه الدراسة ضمن البحوث الوصفية، وفى إطار هذا النوع من البحوث استخدم الباحث المنهج التاريخى، الذى يقوم على جمع المعلومات والبيانات الماضية عن الظاهرة وتصنيفها وتحليلها، للوصول إلى خلاصات تساعد على فهم الظاهرة.

كما استخدم منهج المسح لكونه جهداً علمياً منظماً يساعد فى الحصول على المعلومات والخصائص التى تتعلق بالظاهرة موضع الدراسة[25]، وفى إطاره استخدم الباحث مسح جهور وسائل الإعلام، وذلك للتعرف على مدى تأثير التعرض للصحافة الإلكترونية على قراءة الصحف المطبوعة.

أما أداتا الدراسة فهما:

1- صحيفة الاستقصاء المقننة، التى قام الباحث بإعدادها، وتحديد مكوناتها والأسئلة المناسبة لها، ثم تحكيمها وتجريبها للتأكد من سلامتها ومناسبتها للإجابة على تساؤلات الدراسة، ثم وضعها فى صورتها النهائية، وقام بتوزيعها عبر البريد الإلكترونى (E-mail)على عينة الدراسة المقابلة غير المقننة، حيث أجرى الباحث عدة مقابلات مع المعنيين والقائمين على الإنترنت والصحافة الإلكترونية فى فلسطين.

مجتمع وعينة الدراسة:

يتمثل مجتمع الدراسة فى مشتركى الإنترنت فى محافظات غزة، والبالغ عددهم حوالى 1200 مشترك، موزعين كالتالى: الشركة الفلسطينية لخدمات الإنترنت 550 مشتركاً، وشركة مارنا دات نت 120 مشتركاً، وشركة سيداتا 220 مشتركاً، والشركة الإلكترونية الحديثة «ميكو» 310 مشتركاً[26].

ونظراً لصعوبة اختيار عينة من جميع الشركات العاملة فى قطاع غزة، فقد تم اختيار عينة عشوائية بسيطة من بين مشتركى الشركة الفلسطينية لخدمات الإنترنت، نظراً لكونها تضم حوالى نصف مجتمع الدراسة، وتوفيرها معلومات كفيلة بالوصول إلى عينة الدراسة.

ولقد تم اختيار 100 مشترك عشوائياً، يمثلون 8.3% من إجمالى المشتركين فى قطاع غزة، أرسلت إليهم صحيفة الاستقصاء إليكترونياً، أجريت الدراسة على 74 صحيفة صالحة منها.

خصائص عينة الدراسة:

1- **السن**: تراوحت أعمار عينة الدراسة من 19 إلى أقل من 49 عاماً، تركزت فى الفئة العمرية من 19 – 29، بنسبة 54.1%، فيما بلغت نسبتها 35.1 % فى الفئة العمرية من 29 – 39 و 10.8% فى الفئة العمرية من 39 – 49.

2- **الجنس**: بلغت نسبة الذكور 91.9%، والإناث 8.1%.

3- **الحالة الاجتماعية**: انقسمت عينة الدراسة إلى متزوج بنسبة 48.6%، وأعزب بنسبة 40.5% والنسبة الباقية 10.8% لم تحدد حالتها الاجتماعية.

4- **مكان الإقامة**: تقطن عينة الدراسة فى عدة أماكن، ففى المدن 64.9%، وفى القرى 10.8%، وفى المخيمات 5.4%، والنسبة الباقية 18.9% لم تحدد مكان إقامتها.

5- **مستوى الدخل**: تراوح دخل عينة الدراسة ما بين أقل من 1000

إلى أكثر من 3000 شيكل جديد وذلك على النحو التالى: أقل من 1000 شيكل بنسبة 8.1%، ومن 1000 – 1500 بنسبة 18.9%، ومن 1500 – 2000 بنسبة 8.1%، ومن 2000 – 2500 بنسبة 5.4%، ومن 2500 – 3000 بنسبة 18.9%، وأكثر من 3000 – 40.5%.

6- **العمل**: احتلت فئة الموظفين المرتبة الأولى بنسبة 38.8%، تلاها أصحاب الأعمال الحرة بنسبة 22.1%، ثم الطلاب بنسبة 18.9%، فالعاطلون عن العمل بنسبة 6.7%، تلاهم العمال والمزارعون بنسبة 5.4%، لكل فئة، وأخيراً الفنيون بنسبة 2.7%.

7- **المستوى التعليمي**: بلغت نسبة حملة الشهادات الجامعية فى عينة الدراسة 37.8%، والدراسات العليا 21.6%، والدبلوم 18.9%، والابتدائى 5.4%، والإعدادى 2.7% ولم يحدد 13.6% مستواهم التعليمى.

وتشير الخصائص السابقة أن معظم أفراد عينة الدراسة عمرهم لا يتجاوز ثلاثين عاماً، وغالبيتهم العظمى ذكور، ومن سكان المدن، وذوى دخل مرتفع، ومستوى تعليمى جامعى فأعلى.

نتائج الدراسة الميدانية

اولاً: شراء وقراءة الصحف قبل الاشتراك في الإنترنت:

1- شراء الصحف قبل الاشتراك فى الإنترنت:

يوضح الجدول رقم (1) عادة شراء الصحف لدى عينة الدراسة قبل الاشتراك فى الإنترنت.

جدول رقم (1) يبين عادة شراء الصحف قبل الاشتراك بالإنترنت

التوزيع الكمي / الشراء	العدد	النسبة
نعم	34	45.94
أحياناً	34	45.94
لا	6	8.12
المجموع	74	100

بدراسة بيانات الجدول السابق، يتبين أن 34 فرداً يشترون الصحف بانتظام قبل الاشتراك فى شبكة الإنترنت، بنسبة 45.94% ، ومثلهم يشترونها أحياناً، و6 أفراد لا يشترونها، بنسبة 8.12% من مجموع عينة الدراسة البالغ عددها 74 فرداً.

2- قراءة الصحف قبل الاشتراك فى الإنترنت:

يبين الجدول رقم (2) عادة قراءة الصحف لدى عينة الدراسة قبل الاشتراك فى شبكة الإنترنت.

جدول رقم (2) يبين عادة قراءة الصحف قبل الاشتراك فى الإنترنت

التوزيع الكمى / الشراء	العدد	النسبة
دائماً	64	86.49
أحياناً	6	8.11
لا	4	5.41
المجموع	74	100

بدراسة بيانات الجدول السابق يتضح أن 64 فرداً يقرءون الصحف بانتظام قبل الاشتراك في شبكة الإنترنت، بنسبة 86.49% ، و 6 أفراد من عينة الدراسة يقرءونها أحياناً بنسبة 8.11% ، و 4 أفراد لا يقرءونها بنسبة 5.41% ، من مجموع عينة الدراسة.

ون الصحف أصلاً.

3- الوقت المخصص لقراءة الصحف قبل الاشتراك فى الإنترنت:

يوضح الجدول رقم (3) الوقت الذى يستغرقه أفراد عينة الدراسة فى قراءة الصحف المطبوعة قبل الاشتراك فى شبكة الإنترنت.

جدول رقم (3) يبين الوقت المخصص لقراءة الصحف قبل الاشتراك فى الإنترنت

التوزيع الكمى / الوقت	العدد	النسبة
أقل من ساعة	52	74.29
من ساعة إلى أقل من ساعتين	12	17.14
من 2 – 4 ساعات	4	5.71
4 ساعات فأكثر	2	2.86
المجموع	70	100

بدراسة بيانات الجدول السابق يتضح أن 52 فرداً من عينة الدراسة يمضى فى قراءة الصحيفة أقل من ساعة، بنسبة 74.29%، وأن 12 فرداً يمضى فى قراءتها ما بيع ساعة وساعتين، بنسبة 17.14%، و4 أفراد يقرءونها ما بين ساعتين وأربع ساعات، بنسبة 5.71% وشخصين يقرأنها أكثر من أربع ساعات، بنسبة 2.86%، من مجموع أفراد عينة الدراسة الذين يقرءون الصحف، والبالغ عددهم 70 شخصاً.

ثانياً: الاتصال بالإنترنت:

1- عادة الاتصال بالإنترنت:

يوضح الجدول رقم (4) عادة أتصال أفراد عينة الدراسة بشبكة الإنترنت.

جدول رقم (4) يبين عادة الاتصال بالإنترنت.

التوزيع الكمى الإتصال بالإنترنت	العدد	النسبة
كل يوم تقريباً	64	86.49
مرة فى الأسبوع على الأقل	4	5.41
مرة فى الشهر على الأقل	2	2.70
أخرى	4	5.41
المجموع	74	100

بدراسة بيانات الجدول السابق يتضح أن معظم أفراد العينة يتصلون بشبكة الإنترنت يومياً، بواقع 64 فرداً، بنسبة 86.49% ، فى حين يتصل أربعة أفراد أسبوعيا، بنسبة 5.41% ، واثنين يتصلان شهرياً بنسبة 2.7% ، وأربعة فى أوقات أخرى، بنسبة 5.41%.

2- الوقت المخصص للإنترنت:

يبين الجدول التالى الوقت الذى يخصصه أفراد عينة الدراسة للاتصال والتعرض لشبكة الإنترنت يومياً.

جدول رقم (5) يوضح الوقت المخصص للإنترنت يومياً

التوزيع الكمى الوقت	العدد	النسبة
أقل من ساعة	14	18.92
من ساعة إلى أقل من ساعتين	34	45.94
من 2 – 3	20	27.03
من 3 –4	4	5.41
4 ساعات فأكثر	2	2.70
المجموع	74	100

بدراسة بيانات الجدول السابق يتبين أن 34 فرداً يتصلون بشبكة الإنترنت بمعدل يتراوح ما بين ساعة وأقل من ساعتين، بنسبة 45.94% ، و20 فرداً يتصلون من ساعتين إلى أقل من ثلاث ساعات، بنسبة 27.03% ، و14 فرداً يتصلون بمعدل ساعة بنسبة 18.92% ، وأربعة يتصلون بمعدل ثلاث إلى أقل من أربع ساعات بنسبة 5.41% ، وفردين يتصلان أكثر من أربع ساعات، بنسبة 2.7% من مجموع أفراد عينة الدراسة.

ثالثاً: الإنترنت وقراءة الصحف:

1- قراءة الصحف على الإنترنت:

يوضح الجدول رقم (6) مدى قراءة أفراد عينة الدراسة للصحف على شبكة الإنترنت

جدول رقم (6) يبين قراءة الصحف على الإنترنت

التوزيع الكمي / القراءة	العدد	النسبة
دائماً	20	27.3
أحيانا	44	59.46
لا أقرأ	10	13.51
المجموع	74	100

بدراسة بيانات الجدول السابق، يتبين أن 44 فرداً يقرءون الصحف أحياناً على شبكة الإنترنت، بنسبة 59.64% ، و20 فرداً يقرءونها دائماً، بنسبة 27.03% ، وهذا يعنى أن أجمالى الذين يقرءونها 64 شخصاً، بنسبة 86.49% ، أما الذين لا يقرءونها فقد بلغوا 10 أفراد، بنسبة 13.51% من مجموع عينة الدراسة.

2- الوقت المخصص لقراءة الصحف على الإنترنت:

يبين الجدول رقم (7) الوقت الذى يقضيه أفراد عينة الدراسة فى قراءة الصحف على الإنترنت

جدول رقم (7) يوضح الوقت المخصص لقراءة الصحف على الإنترنت

التوزيع الكمى / الوقت	العـــدد	النسبــة
أقل من ساعة	4	6.25
من ساعة إلى أقل من ساعتين	52	81.25
من 2 – 3	4	6.25
من 3 – 4	2	3.12
4 ساعات فأكثر	2	3.12
المجموع	64	100

بدراسة بيانات الجدول السابق، تبين أن معظم أفراد العينة يقضون ساعة فأكثر فى قراءة الصحف على الإنترنت، إذ كشفت الدراسة أن 52 منهم يقرءونها من ساعة إلى أقل من ساعتين، بنسبة 81.25%، وأربعة أفراد يقرءونها من ساعتين إلى ثلاث ساعات، بنسبة 6.25% وفردين يقرأانهامن ثلاث إلى أربع ساعات، بنسبة 3.12%، ونفس العدد والنسبة يطلع عليها أكثر من أربع ساعات.

أما الذين يقرءونها أقل من ساعة فقد بلغ عددهم أربعة أفراد، بنسبة 6.25%، من مجموع الأفراد الذين يقرءون الصحف على شبكة الإنترنت.

3- تأثير قراءة الصحف الإلكترونية على الصحف المطبوعة:

يوضح الجـدول رقم (8) مـدى تأثير مطالعة الصحف على شبكة الإنترنت على قراءة الصحف المطبوعة.

* 10 أفراد لا يقرءون الصحف علي الإنترنت.

جدول رقم (8) يبين تأثير قراءة الصحف الإلكترونية على الصحف المطبوعة

التوزيع الكمى / التأثير	العـــدد	النسبـــة
كبيراً	16	25.00
نوعاً ما	18	28.13
قليلاً	16	25.00
لا يؤثر	14	21.87
المجموع	64	100

بدراسة بيانات الجدول السابق، يتضح أن 16 فرداً من عينة الدراسة يقولون أن تأثير قراءة الصحف الإلكترونية على الصحف المطبوعة كبيرا، بنسبة 25%، 18 فرداً يعتقدون أن لها تأثير ما، بنسبة 28.13%، و16 فرداً يقولون أن تأثيرها قليل، بنسبة 25%، و14 فرداً لا يعتقدون أن لها أى تأثير بنسبة 21.87%، من مجموع الأفراد الذين يقرءون الصحف على شبكة الإنترنت.

4- الاتجاه نحو قراءة الصحف بعد الاشتراك فى الإنترنت:

يبين الجدول رقم (9) الاتجاه نحو قراءة الصحف المطبوعة بعد اشتراك عينة الدراسة بشبكة الإنترنت.

جدول رقم (9) يوضح الاتجاه نحو قراءة الصحف المطبوعة بعد الاشتراك فى الإنترنت

التوزيع الكمى / الاتجاه	العـــدد	النسبـــة
مؤيد بشدة	9	12.86
مؤيد	36	51.42
محايد	8	11.43
معارض	11	15.71
معارض بشدة	6	8.60
المجموع	70	100

* أربعة أفراد من العينة لم يجيبوا علي هذا السؤال.

بدراسة بيانات الجدول السابق، تبين أن تسعة أفراد يؤيدون بشدة قراءة الصحف المطبوعة بعد الاشتراك فى الإنترنت، بنسبة 21.86%، و36 فرداً يؤيدون ذلك بنسبة 51.42% وهذا يعنى أن إجمالى المؤيدين 45 فرداً، بنسبة 64.28%.

أما المعارضون فقد بلغ عددهم 11 فرداً، بنسبة 15.71% والمعارضون بشدة ستة أفراد، بنسبة 8.6%، بإجمالى 24.31%، والمحايدون 8 أفراد، بنسبة 11.43% من مجموع عينة الدراسة.

رابعاً: شراء وقراءة الصحف بعد الاشتراك في شبكة الإنترنت:

1- شراء الصحف بعد الاشتراك فى شبكة الإنترنت:

يبين الجدول رقم (10) مدى شراء أفراد العينة للصحف المطبوعة بعد الاشتراك فى شبكة الإنترنت.

جدول رقم (10) يوضح شراء الصحف بعد الاشتراك بشبكة الإنترنت

شراء الصحف / التوزيع الكمى	العـدد	النسبـة
دائماً	30	46.88
أحيانا	22	34.38
لا	12	18.75
المجموع	64	100

بدراسة بيانات الجدول السابق، يتبين أن 30 فرداً يشترون دائماً الصحف المطبوعة بعد الاشتراك فى الإنترنت، بنسبة 46.88%، و22 فرداً يشترونها أحياناً، بنسبة 34.38%، وهذا يعنى أن 52 شخصاً يشترونها أحياناً، بنسبة 81.26%، والباقى 12 فرداً لا يشترونها، بنسبة 18.76%، من مجموع أفراد عينة الدراسة.

2- الوقت المخصص لقراءة الصحف المطبوعة بعد الاشتراك فى شبكة الإنترنت:

يوضح الجدول رقم (11) الوقت الذى يقضيه أفراد عينة الدراسة فى قراءة الصحف المطبوعة بعد اشتراكهم فى شبكة الإنترنت.

جدول رقم (11) يبين الوقت المخصص
لقراءة الصحف المطبوعة بعد الاشتراك فى الإنترنت

التوزيع الكمى / الوقت	العـــدد	النسبـة
أقل من ساعة	46	65.71
من ساعة إلى أقل من ساعتين	16	22.86
أخرى	8	11.43
المجموع	70	100

بدراسة بيانات الجدول السابق، يتضح أن معظم أفراد عينة الدراسة يقضون أقل من ساعة فى قراءة الصحف المطبوعة بعد اشتراكهم فى شبكة الإنترنت، وبلغ عددهم 46 فرداً، بنسبة 65.71%، والباقى 16 فرداً يقضون معها من ساعة إلى أقل من ساعتين، بنسبة 22.86%، وثمانية أفراد لم يحددوا وقتاً معيناً، بنسبة 11.43%، من مجموع أفراد عينة الدراسة.

خامساً: الصحف المفضلة واسباب التعرض للصحف الإلكترونية:

1- الصحف الإلكترونية المفضلة:

يبين الجدول رقم (12) الصحف الإلكترونية المفضلة لدى أفراد عينة الدراسة

جدول رقم (12) يبين الصحف الإلكترونية المفضلة*

الصحيفة	النسبة
القدس	الأولى
عرب تايمز	الأولى
الحياة	الثالثة
الشرق الأوسط	الرابعة
الراية	الرابعة

بالاطلاع على الجدول السابق يتضح أكثر خمس صحف إلكترونية مفضلة عند القراء وهى: القدس الفلسطينية وعرب تايمز، وقد احتلتا المركز الأول، والحياة اللندنية جاءت بالمركز الثالث، والشرق الأوسط والراية القطرية شغلتا المركز الرابع

2- أسباب التعرض للصحف الإلكترونية:

يوضح الجدول رقم (13) أسباب التعرض للصحف الإلكترونية لدى أفراد عينة الدراسة.

جدول رقم (13) يبين أسباب التعرض للصحف الإلكترونية

التوزيع الكمى / أسباب التعرض	العدد	النسبة
الرغبة فى الحصول على معلومات إضافية	79	37.80
الحصول على معلومات أكثر استقلالية	79	37.80
سهولة قراءتها	17	8.13
مجرد تسلية	6	2.87
أخرى	28	13.40
المجموع*	209	100

* استخدم الباحث النقاط الترجيحية لتقدير رتبة كل صحيفة حسب الدرجات التي حصلت عليها.
* بعض أفراد العينة ذكروا أكثر من سبب.

بدراسة بيانات الجدول السابق يتضح أن أسباب التعرض للصحف الإلكترونية تعود إلى عدة أسباب أهمها: الرغبة في الحصول على معلومات إضافية، والحصول على معلومات أكثر استقلالية، إذ حصل كل واحد منها على 79 تكراراً، بنسبة 37.8%، تلاهما سهولة قراءتها، وحصل على 17 تكراراً، بنسبة 8.13%، ثم مجرد التسلية، وحصل على ستة تكرارات، بنسبة 2.87%، وأخيراً أسباب أخرى مختلفة، ولها 28 تكراراً، بنسبة 13.4% من إجمالي التكرارات التي ذكرها أفراد عينة الدراسة.

مناقشة نتائج الدراسة

مما سبق يتضح أن معظم عينة الدراسة تهتم بشراء الصحف المطبوعة بشكل أو بآخر قبل الاشتراك فى شبكة الإنترنت، بنسبة 91.88%، وقراءتها بنسبة 94.6% ولعل ذلك يعود لارتفاع دخل معظم أفراد العينية، ولكون معظمهم يحمل درجة الدبلوم فأعلى، وهو ما يؤكد حقيقة علمية تشير إلى وجود ارتباط قوى وإيجابى بين زيادة استخدام وسائل الاتصال الجماهيرى وانتشار التعليم وارتفاع المستوى الاقتصادى(27).

وبينت الدراسة أن 74.29% من أفراد عينة الدراسة يطلعون على الصحف أقل من ساعة، ولعل ذلك يعود لعدم تلبيتها لاحتياجات القراء وطرحها قضايا بعيدة عن اهتماماتهم، ولا تشبع رغباتهم، وهو ما جعل توزيعها ضعيفاً، ودفع العديد من المسئولين والمتخصصين إلى المطالبة بتحسين أداء الصحف الفلسطينية، والتعبير عن آلام وأمال الجماهير وتطلعاتهم وتطوير الكادر البشرى وتحسين مستوى إخراجها الفنى(28).

وبخصوص الاتصال بالإنترنت اتضح أن 86.49% من عينة الدراسة تتصل يومياً، وأن 72.97% تتصل من ساعة إلى أقل من ثلاث ساعات، وهو معدل اتصال جيد، نظراً لارتفاع مستوى التعليم والدخل بين أفراد العينة، وكون 60.9% منهم موظفين وأصحاب أعمال حرة، وهو ما يشير إلى وجود علاقة بين هذه العناصر والأتصال بالإنترنت.

وكشفت الدراسة أن حوالى 86.49% من عينة الدراسة يقرءون الصحف على الإنترنت دائماً أو أحياناً، وهو ما يلقى على كاهل الصحف الفلسطينية الإلكترونية مسئولية كبيرة لمواكبة التطور الذى يحدث فى هذا المجال، والاهتمام بمواقعها، وعدم اقتصارها على نشر ملخصات لأهم محتويات النسخة المطبوعة، الأمر الذى يقلص الاستفادة منها، ويؤكد أن هدفها التعريف بالجريدة، وإثبات أنها موجودة، أسوة بما تفعله الصحف العربية(29).

أما بالنسبة إلى الوقت المخصص لقراءة الصحف على الإنترنت، فقد تبين أنه أكبر من الوقت المخصص لقراءة الصحف المطبوعة، إذ حوالى

81.25% من أفراد العينة يخصص من ساعة إلى ساعتين لمطالعتها على الإنترنت، و6.25% يخصص لها من ساعتين إلى أقل من ثلاث ساعات، و3.12% يخصص لها من ثلاث ساعات إلى أقل من أربع، ونفس النسبة تخصص لها أربع ساعات فأكثر، في حين أن معظم أفراد العينة أى حوالى 74.29% تتعرض للصحف المطبوعة أقل من ساعة، و17.14% من ساعة إلى أقل من ساعتين. و5.71% من ساعتين إلى أقل من ثلاث ساعات، و2.86% تتعرض لها أربع ساعات فأكثر.

ولعل هذا يرجع لكون الصحافة الإلكترونية تحتاج إلى مجهود أكبر فى القراءة، نظراً لكونها ترهق العين، وهو ما دفع بعض شركات الكمبيوتر إلى التفكير فى علاج هذه المشكلة بإنتاج شاشة مقاس 17 بوصة، تؤدى إلى الحصول على دقة أفضل ووضوح أعلى، الأمر الذى يجعل الرؤية أكثر راحة للعين[30]: كما أن مطالعة الصحف على الإنترنت يفسح المجال أمام القارئ للتعرض إلى أكثر من جريدة، بحثاً عن الأخبار وآخر المستجدات السياسية والاقتصادية والثقافية وغيرها، وهو ما زاد من إقبال الشباب الفلسطينى عليها أثناء انتفاضة الأقصى، إذ تركز اهتمام هذه الفئة على متابعة صور الشهداء ومعرفة آخر الأحداث والتطورات الميدانية والدولية[31].

وفيما يتعلق بمدى تأثير قراءة الصحف الإلكترونية على الصحف المطبوعة تبين أن 46.87% يعتقدون أن تأثيرها يتراوح ما بين قليل ولا تؤثر، ويؤيد حوالى 64.28% من أفراد عينة الدراسة بشكل أو بآخر قراءة الصحف بعد الاشتراك فى شبكة الإنترنت، ويرجع ذلك لكون الصحف المطبوعة تحتوى على موضوعات أكثر مما تنشره الصحافة الإلكترونية، إذ تقتصر الأخيرة على تقديم ملخصات لمحتويات المطبوعة، وتفتقر إلى العناصر التفاعلية والخدمات الإعلانية والتسويقية، وهو ما تعانى منه كافة المواقع العربية بوجه عام، «حيث بلغ عائد الإعلانات فيها حوالى مائة وعشرين ألف دولار فقط مع نهاية عام 1998، م وهو رقم هزيل مقارنة بمليارات الدولارات التى تنفق على الإعلانات فى مواقع ويب العالمية»[32].

كما تعانى الصحافة الإلكترونية الفلسطينية من محدودية التغطية الصحفية لما يدور من أحداث، نظراً لقلة الصحفيين المؤهلين للتعامل مع

الإنترنت[33]، وضعف مهارات البحث عن المعلومات، وغياب القاعدة المعلوماتية المحلية، واتسام معالجاتها بالطابع التقليدى، وافتقارها إلى الوسائط التفاعلية.

وبخصوص شراء الصحف بعد الاشتراك فى شبكة الإنترنت تبين أن حوالى 81.26% من مجموع عينة الدراسة ظلوا يشترون الصحف المطبوعة بصفة دائمة أو أحياناً، علماً أن الذين يشترونها قبل الاشتراك فى الإنترنت حوالى 91.88%، وهذا يعنى أن الذين لا يشترون الصحف بعد الاشتراك في الإنترنت تتراوح نسبتهم ما بين 18.75% و10.62%، ولعل ذلك يعود لعدة أسباب أهمها:

1- أن الصحافة الإلكترونية فى فلسطين تصدر بعد المطبوعة زمنياً، كما هو الحال في العديد من البلاد العربية، وذلك خشية تأثير الأولى على الثانية[34].

2- أن الصحافة الإلكترونية لا تزال فى مراحلها الأولى من حيث الإمكانيات البشرية والتقنية، والافتقار إلى التغطية الصحفية المتجددة والقدرة على جذب المعلنين والمشتركين، خاصة الفلسطينيين المقيمين فى الخارج.

3- قدرة الصحف المطبوعة على تقديم الموضوعات التفسيرية والمقالات التحليلية والنقدية أكثر من الصحف الإلكترونية.

4- أن الصحيفة المطبوعة تمثل أختياراً حراً للقارئ، وتستحوذ على ثقته[35]، كما أن قراءتها تشكل عادة وتقليداً يومياً يحرص عليه القارئ لارتباطها بنظام حياته اليومى.

5- أن تكلفة قراءة الصحف المطبوعة أقل من الإلكترونية، إذ تحتاج الأخيرة إلى جهاز كمبيوتر، واشتراك فى شبكة الإنترنت، وثمن الأتصال بالهاتف على شبكة الإنترنت.

6- بطء الاتصال بواسطة الكمبيوتر وصعوبة التعامل مع الأنظمة، دفع الكثيرين ممن تعاملوا معه إلى العودة للوسيلة التقليدية[36].

وهذا يعنى أنه من المتسبعد فى الوقت الراهن أن تلغى الصحافة الإلكترونية الصحافة المطبوعة، كما لم يلغ الراديو الصحيفة، ولم يلغ التلفاز الراديو، فتاريخ وسائل الاتصال لم يشهد اختفاء وسيلة بظهور أخرى بل حدث تعايشاً بينها، لذا من المتوقع أن تأخذ الصحافة الإلكترونية مكانها بجانب الصحافة المطبوعة(37)، خاصة وأن عدد المشتركين فى شبكة الإنترنت قليل، وأنها كما يقول أحد القائمين عليها توجه إلى الجمهور خارج فلسطين(38)، وهذا يفسر عدم حدوث تغيير يذكر على الوقت المخصص لقراءة الصحف المطبوعة قبل وبعد الاشتراك فى شبكة الإنترنت لدى أفراد عينة الدراسة، إذ تبين أن الذين يقرءونها أقل من ساعة قبل الاشتراك فى الإنترنت 74.29%، وبعد الاشتراك 65.71%، والذين يقرءونها من ساعة إلى أقل من ساعتين قبل الاشتراك 17.14%، وبعد الاشتراك 22.86%، بإجمالى 91.43% قبل الاشتراك، و88.03% بعد الاشتراك فى الإنترنت.

ولكن من المتوقع أن يتراجع توزيع الصحف المطبوعة إذا أحسنت الصحافة الفلسطينية الإلكترونية استغلال مواقعها بشكل أفضل، من حيث استخدام الأنظمة المناسبة، والتغطية الصحفية الحديثة، والصحفيين المؤهلين والمدربين على التعامل مع الإنترنت، واستخدام الوسائط المتعددة، والعناصر التفاعلية الكفيلة بجذب الجمهور، كالمنتديات ومسجلات الزوار، والربط التفاعلى بين الأخبار والمعلومات التى سبق نشرها، وخصصت مساحة للإعلانات وغيرها، الأمر الذى يضيق الفجوة بينها وبين الصحف الأجنبية، ويزيد الإقبال عليها، وعدد المشتركين فيها.

وتبين أن أكثر الصحف الإلكترونية العربية تفضيلاً لدى أفراد عينة الدراسة هما صحيفتا القدس وعرب تايمز، ولعل ذلك يرجع لكون الأولى تهتم بالأخبار والقضايا المحلية، الأمر الذى يزيد من أهميتها، إضافة إلى أنها أوسع الصحف الفلسطينية المطبوعة انتشاراً(39)، وأقدمها صدوراً، وأكثرها زواراً.

أما تفضيل عرب تايمز فربما يعود إلى طبيعة ما تنشره من فضائح وأسرار تتصل بالحكومات والزعامات العربية، وهو ما يثير الجمهور، ويجذبه إليها رغم عدم موضوعيتها، نظراً لأن الجمهور يميل إلى ما هو شاذ ومثير وغير مألوف.

تلتهما صحيفة الحياة اللندنية فى المركز الثالث، ثم الشرق الأوسط والراية فى المركز الرابع، ويرجع ذلك لكونهما من أقدم الصحف العربية الإلكترونية، وتمتعهما بإمكانات تقنية جيدة، وطرحهما قضايا وموضوعات عربية تفتقر إليها الصحف المحلية، خاصة بعد أن أدخلت وسائل الاتصال الحديثة العالم فى عصر جديد، جعلته يتضاءل إلى حجم قرية صغيرة[40] وألغت المسافات والحدود الزمانية والمكانية[41].

أما بالنسبة لدوافع تعرض عينة الدراسة للصحافة الإلكترونية، فقد جاء فى المقدمة الحصول على معلومات إضافية بنسبة 37.8%، ونفس النسبة للحصول على معلومات أكثر استقلالية، ولعل ذلك يرجع إلى قدرتها على تقديم معلومات فى مجالات مختلفة، وتجاوزها للحدود الجغرافية، وعدم خضوعها للرقابة، وهو ما يجعلها تقدم معلومات غير متوفرة فى الصحف المطبوعة.

توصيات الدراسة

بناء على نتائج الدراسة الميدانية، وما ظهر للباحث خلال معايشته لموضوع بحثه، فإنه يوصى بما يلى:

أولاً: الصحافة المطبوعة:

يجب عليها الاهتمام بمحتواها، وطرح القضايا التى تلبى احتياجات الجمهور، وتشبع رغباته، وتعبر عن آلامه وآماله، والارتقاء بمستوى إخراجها، وهذا لن يتحقق إلا من خلال تطوير أداء الصحفيين والفنيين العاملين فيها، حتى تستطيع أن تحافظ على مكانتها أمام الصحافة الإلكترونية، خاصة أنه من المستبعد فى الوقت الراهن أن تتراجع مكانتها، نظراً للعلاقة التكاملية التى نسجتها معها، حيث واءمت بين توزيعها وإمكانية مطالعة موقعها مجاناً وأخرت توقيت صدور الطبعة الإلكترونية حتى لا يتأثر توزيعها الخارجى.

ثانياً: الصحافة الإلكترونية:

1- ينبغى عليها الاهتمام بتطوير مواقعها، باستخدام تكنولوجيا الاتصال الحديثة، والوسائط المتعددة، وزيادة مساحات الحوار، وصفحات الأرشيف، وتقديم خدمة باللغة الإنجليزية، وتوفير طاقم صحفى

وفنى مدرب خاص بها، لتقدم تغطية صحفية محلية وخارجية متجددة، بدلاً من الاقتصار على نشر ملخصات لأهم محتويات النسخة المطبوعة، الأمر الذى يقلل حجم الاستفادة منها، والحاجة إليها.

2- الاهتمام بالخدمات الإعلانية، بإنشاء إدارات خاصة لها، وإدخال عناصر تفاعلية إليها، بهدف زيادة حجم الإعلانات المنشورة فيها، وهو ما يوفر عائداً اقتصادياً أكبر، يمكن استخدامه فى تطويرها وتحسين مستواها.

3- تحسين مستواها شكلاً ومضموناً، والتوجه إلى الجمهور الداخلى إلى جانب الخارجى، وهو ما يكفل زيادة الإقبال عليها والتعرض لها.

أهم النتائج

استهدفت هذه الدراسة التعرف على مدى تأثير الصحافة الإلكترونية على الصحافة المطبوعة فى فلسطين، وقد خلصت الدراسة إلى عدة نتائج أبرزها:-

1- عرفت فلسطين الصحافة الإلكترونية مبكرا، مقارنة بالدول العربية الأخرى، إذ ظهرت ثلاث صحف هى: «القدس» و«الحياة الجديدة» و«البلاد» فى حزيران (يونيو) 1996م، بعد جريدة «الشرق الأوسط» اللندنية التى عرضت محتوياتها على الإنترنت فى أيلول (سبتمبر) 1995م، و«النهار» اللبنانية التى ظهرت فى كانون الثانى (يناير) 1996م، و«الحياة اللندنية فى حزيران (يونيو) 1996م، و«السفير» اللبنانية فى نهاية نفس العام.

2- إن الصحف الإلكترونية اليومية الثلاث - القدس والأيام والحياة الجديدة - تعمل بنظام PDF بنسب متفاوته، وهو ما يحول دون استخدامها لإمكانات النشر الإلكترونى، ويجعلها تبدو غير جذابة مقارنة بتقنية إدخال المادة التحريرية وفق نظام النصوص.

3- إن الصحف الثلاث المذكورة ليس لها طاقم إدارى وتحريرى خاص، إذ يشرف عليها شركات متخصصة فى الإنترنت، وهى تعانى كغيرها من الصحف الإلكترونية العربية من رتابة مواقعها، وافتقارها للعناصر التفاعلية القادرة على جذب القراء، خاصة إدخال تقنية الوسائط المتعددة إليها، وتوفير وصلات أفضل مع مواقع أخرى.

4- كشفت الدراسة أن معظم أفراد العينة يشترون الصحف ويقرءونها قبل الإشتراك فى الإنترنت لأن معظمهم يحملون درجة دبلوم فأعلى، إضافة إلى ارتفاع مستوى دخلهم، وهو ما أكدته الدراسات العلمية.

5- أوضحت الدراسة أن 86.49% من عينة الدراسة يقرءون الصحف على الإنترنت دائماً أو أحياناً، وهو ما يقتضى من الصحافة الإلكترونية الفلسطينية الإهتمام بمواقعها وعدم اقتصارها على تقديم ملخصات لأهم محتويات نسخها المطبوعة.

6- بينت الدراسة أن الوقت المخصص لقراءة الصحف الإلكترونية أطول من المخصص للصحف المطبوعة ولعل ذلك يرجع لكون القارئ يبحث عن مبتغاه فى أكثر من جريدة، إضافة إلى أنها تحتاج إلى مجهود أكبر من القراء لكونها ترهق العين، وهو ما دفع بعض الشركات الى إنتاج أجهزة ذات شاشات كبيرة.

7- يرى 46.87% من عينة الدراسة أن تأثير قراءة الصحف الإلكترونية على المطبوعة يتراوح ما بين قليل ولا تؤثر، ويؤيد حوالى 64.28 %من العينة قراءتها بشكل أو بأخر بعد الإشتراك فى الإنترنت، ويرجع ذلك لكونها تحتوى على موضوعات أكثر من الإلكترونية.

8- كشفت الدراسة أن ما بين 18.75%- 10.62% لا يشترون الصحف المطبوعة بعد الإشتراك فى الإنترنت، وهو ما يشير إلى أنه من المستبعد فى الوقت الراهن أن تلغى الصحافة الإلكترونية المطبوعة، فتاريخ وسائل الإتصال يؤكد عدم إختفاء وسيلة بظهور أخرى، بل التعايش مع بعضها البعض.

9- بينت الدراسة عدم حدوث تغيير يذكر على الوقت المخصص لقراءة الصحف المطبوعة قبل وبعد اشتراك أفراد عينة الدراسة فى الإنترنت، إذ تبين أن الذين يقرءونها بأوقات متفاوته قبل الإشتراك 91.43% وبعد الإشتراك 88.03%.

10- أوضحت الدراسة أن أكثر الصحف الإلكترونية تفضيلا لدى عينة الدراسة هى: «القدس» و«عرب تايمز» بالمركز الأول، تلتها صحيفة «الحياة» اللندنية فى المركز الثالث ثم «الشرق الأوسط» و«الرأى» القطرية فى المركز الرابع.

11- إن أهم دوافع تعرض عينة الدراسة للصحافة الإلكترونية هى الحصول على معلومات إضافية غير منشورة فى الصحف المطبوعة، ومعلومات أكثر استقلالية نظرا لعدم خضوعها للرقابة.

هوامش البحث

(1) عبد الحسيب، محمد تيمور، ومحمود علم الدين: الحاسبات الإلكترونية وتكنولوجيا الاتصال، ط١ دار الشروق، القاهرة، 1997، ص27.

(2) بخيت، السيد: الصحافة والإنترنت، ط1، العربى للنشر والتوزيع القاهرة، 2000، ص6، 7.

(3) عبد الحسيب، محمد تيمور، ومحمود علم الدين: المرجع السابق، ص155.

(4) Rity, Patricia: "Community or conlony: The case of on-line Newspapers and the web", JCMC. 4 November 1998. (Available on line) http: // www. jcmc. com

(5) اللبان، شريف: تكنولوجيا الطباعة والنشر الإلكترونى، العربى للنشر والتوزيع، القاهرة 1997، ص12.

(6) Rity, Patricia: op. cit

(7) انظر:

- فهمى، نجوى: «تجربة الصحافة الإلكترونية المصرية والعربية: الواقع وآفاق المستقبل»، المجلة العلمية لبحوث الإعلام، العدد الرابع، القاهرة، ديسمبر 1998.
- بشير، عماد: «الصحافة العربية والعصر الرقمى»، المؤتمر الدولى الرابع للرابطة العربية الأمريكية لأساتذة الاتصال، بيروت، أكتوبر 1999.
- بخيت، السيد: المرجع السابق، ص7.

(8) انظر:

- عبد الحسيب، محمد تيمور، ومحمود علم الدين: المرجع السابق، ص154.
- عبد الغنى، خالد محمود: رحلة إلى عالم الإنترنت، غير معروف، القاهرة، 1997، ص25.
- Quarterman, Johns, Carl Mitehell, Smoot, The Internet

Connection: System connectivity and confiquration, Addison-Wesley, n. g., 1994.

(9) الكاملي، عبد القادر: «العرب وإنترنت ... حصاد 98 وآفاق 99، مجلة إنترنت العالم العربي، العدد الخامس، يناير 1999، ص28 – 29.

(10) جريدة الأيام: «أمريكا تعترف بالدولة الفلسطينية المستقلة في شبكة المعلومات»، العدد 128، فلسطين، 24/ 3 /2000.

(11) أبو مرزوق، محمود: مدير عام الشركة الفلسطينية لخدمات الإنترنت، مقابلة، غزة، يونيو 2000.

(12) مؤسسة الانترنيوز – الشرق الأوسط: «ثلاث صحف يومية ووزارة الإعلام على الإنترنت»، جريدة الحياة الجديدة، العدد 282، البيرة، 1996/6/1.

(13) حمد، مروان: المشرف على تصميم موقع صحيفة القدس في شركة انترنتش، مقابلة، يونيو 2000.

(14) السباعي، ندى محيي الدين: «استخدام شبكات المعلومات وأثره على معدلات التعرض للتليفزيون»، رسالة ماجستير، كلية الإعلام، القاهرة 1997.

(15) طايع، سامي: «استخدام الإنترنت في الحملات الإعلامية»، المجلة المصرية لبحوث الاتصال، العدد الثاني، كلية الإعلام، القاهرة، يونيو 1997.

(16) راشد، إبراهيم: التكنولوجيا والصحافة في دولة الإمارات العربية المتحدة، مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر والتوزيع، الإمارات، 1997.

(17) فهمي، نجوى: المرجع السابق.

(18) الحسيني:،عدنان: «واقع استخدام إنترنت في العالم العربي»، مجلة إنترنت العالم العربي، العدد السادس، مارس 1998، ص34.

(19) بخيت، السيد: «تأثير تكنولوجيا الاتصال الحديثة على الممارسات الصحفية في الصحافة العربية» ضمن أبحاث المؤتمر العلمي الخامس

لكلية الإعلام المنشورة فى كتاب تكنولوجيا الاتصال: الواقع والمستقبل، القاهرة، 1999، ص13 - 62.

(20) إبراهيم، محمد سعد: «استخدامات الصحافة المصرية للإنترنت ومدى انعكاسها على الأداء الصحفى»، ضمن أبحاث المؤتم العلمى الخامس لكلية الإعلام، المرجع السابق، ص105 - 144.

(21) Mueller, Jennifer and Kamerer, David, "Reader Preference for electronic newspapers", Newspaper Research Journal, vol. 16, No. 4, summer 1995, pp2-13.

(22) Harper, Christopher: "online newspapers: Going some where or going nowhere?", Newspaper Research Journal, vol. 17, No. 3-4, Summer 1996, pp2-13.

(23) Garrison Bruce: "online sevices, Internet in 1995 newsrooms", Newspaper Research Journal, vol. 18, No. 3-4 Summer 1997, pp 79-93.

(24) Singer, Jane, "changes and Consistencies.. Newspaper Journalists contemplate online Future", Newspaper Research Journal, vol. 18, vo. 1-2, winter/ spring 1997, pp 2-18.

(25) حسين، سمير: بحوث الإعلام: الأسس والمبادئ، عالم الكتب، القاهرة، 1976، ص127.

(26) الهليس، علاء: مدير مركز الحاسوب فى الجامعة الإسلامية، وأحمد أبو مرزوق مدير الشركة الفلسطينية لخدمات الإنترنت، مقابلتان، غزة، يوليو 2000.

(27) العبد، عاطف عدلي: الاتصال والرأى العام، الأسس النظرية والإسهامات العربية، دار الهانى للطباعة، القاهرة 1989، ص41.

(28) انظر:

- العيسة، أسامة،: «المؤتمر الأول لطلبة الصحافة والإعلام فى الجامعات الفلسطينية»، تقرير منشور بجريدة الحياة الجديدة، رام الله، 1999/4/18.
- أبو كامش، إبراهيم: «مؤتمر الإعلام الفلسطينى ... إلى أين»، تقرير منشور فى جريدة الحياة الجديدة، العدد 1287، البيرة، 1999/3/17م.

(29) إبراهيم، محمد سعد: «المرجع السابق ص126.

(30) اللبان، شريف درويش: فن الإخراج الصحفى، العربى للنشر والتوزيع، ط2، القاهرة، 1997، ص273.

(31) رمضان، نزار: «اقبال الشباب الفلسطينى على الإنترنت ازداد فى الانتفاضة»، جريدة القدس، القدس، 2001/9/9م.

(32) مجلة إنترنت العالم العربى، العدد الخامس، يناير 1999، ص41

(33) أبو الزلف، مروان: مدير عام جريدة القدس، مقابلة، يونيو 2000.

(34) إبراهيم، محمد سعد: المرجع السابق، ص127.

(35) التهامى، مختار: «تكنولوجيا الاتصال ومستقبل الوسيلة الإعلامية»، ضمن بحوث ومناقشات المؤتمر العلمى الخامس لكلية الاعلام المنشورة فى كتاب تكنولوجيا الاتصال: الواقع والمستقبل، مرجع سابق، ص219.

(36) جريدة الحياة الجديدة: «الصحف تتسابق على الإنترنت فهل يتقبلها القارئ؟!» العدد 254، البيرة 1996/5/4.

(37)فهمى، نجوى: المرجع السابق، ص223.

(38) أبو الزلف، مروان: المرجع السابق.

(39) الدلو، جواد راغب: «مصادر الأخبار الخارجية فى الصحافة الفلسطينية» المجلة المصرية لبحوث الإعلام، العدد الخامس، كلية الإعلام، القاهرة، يناير / ابريل 1999، ص35.

(40) ماكلوهان، مارشال: كيف نفهم وسائل الاتصال، ترجمة خليل صابات، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة، 1975، ص345.

(41) إبراهيم، محمد سعد، المرجع السابق، ص107

Abstract

This paper aims to identify the stort of electronic press in palestine with regard to technical and human capabilities, and the Possibility of having an influence on the printed press in Gaza Governorates in particular.

The study displayed some conclusions some of which are: Palestine has known electronic press at an early time in comparison with other Arab countries, as "al-Quds" newspaper started in June 1996, "al-Ayam" in July 1996, and "al-Hayat al-Jadida" in 1997; the electronic press relatively appears in the PDF; it is supervised by specialized companies; it also aspires to develop by introducing new technologies in the work styles.

The study also showed that 64.28% of the studied sample are in favor in one way or another of reading the printed papers after their subscription to the internet; about 81.26% of them kept buying the printed papers regularly and sometimes occasionally after subscibing to the internet. However, 37.8% of the Sample attribute their referring to electronic press to the fact that it offers extra information; the same ratio thinks that it is more independent.

القسم السابع

١- النشاط الثقافي والأدبي والعلمي والاجتماعي

مجموعة من نشراء الكلية وخلافهم

النشـاط الثقافى والأدبى

بالكلية للعام الجامعي [١٤٢٣هـ- ٢٠٠١/ ٢٠٠٢م]

بمشاركة وإشراف وتحت رعاية:

أ.د علي علي صبح — عميد الكلية

أ.د عبد الله الحسيني — وكيل الكلية

أ.د شفيق عبد الرازق أبو سعدة — رائد اللجنة الثقافية

وبمشاركة جميع الأقسام العلمية رؤساء وأعضاء هيئة التدريس بها

وبإعداد إدارة الكلية برئاسة الأستاذ أحمد أبو عبده مدير الكلية

وبإعداد مكتب رعاية الشباب بالكلية برئاسة الأستاذ عبد الرحمن عبد الغني رئيس المكتب

الندوة الأولي

استقبال الطلاب الجدد وتكريم أوائل الكلية وتوزيع الجوائز على المتوفقين من خريجي الكلية لعام [١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م] الذى تفضل بها الأديب الناقد الأستاذ الكبير أحمد صقر فقد تعود أن يقدمها كل عام لأبناء كلية التى تخرج فيها وأحبها. وقام بتقديم الندوة أ.د شفيق عبد الرازق أبو سعده وبعد الافتتاح تحدث عميد الكلية أ.د علي علي صبح عن مكانتة اللغة العربية وآدابها والحفاظ عليها لأنها لغة للقرآن الكريم ولغة التراث العربى والإسلامى والشريعة الإسلامية.

ثم تحدث وكيل الكلية أ.د عبد الله الحسيني يوجه الطلاب على الجد والاجتهاد والحرص على التفوق ثم تحدث أستاذ الجيل الأستاذ الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي في قصيدة مهداة إلى الأديب الكبير الأستاذ أحمد صقر الذى منح الخمسة الأوائل خمسمائة جنيه:

حَيِّ المفكر والأديب ... الكاتب الحر الأريب
ابن الخوالد شامخا ... وصديق دنياتى الحبيب
من بيت حمروش ومن ... ضاهاه ف الزمن الجديب
يا أحمد الآداب حدِّث ... عن شيوخك من قريب
(حسن بن جاد) والكرا ... م الذاهبين إلا المغيب
(كلية اللغة) ازدهت ... نبوغك الفذ العجيب
صقر، ومن كالصقر بسبح ... فى الشمال وفى الجنوب
نستاف عطر نبوغه ... وبروحه امتلك القلوب
ونرى ضرام ذكائه ... وكأنه شرر اللهيب
وصعدت للعلياء بالأخلا ... ق فى الزمن الجديب
ومشت بك الأيام حتى ... صرت معدوم الضريب
جبل بلا حثل وقد ... فقد النجابة والنجيب
ينتابه اليأس المرير ... وصدره بهر الوجيب

وعلى السحاب يطير للآمـ ـال فى الأفق الرحيب
سماك فى التعليم محمود الصحائف والدروب
ولكل معضلة وكل ملمّة كنت الطبيب
أفق فسيح فى الادارة كالرئيس وكالنقيب
يا أحمد الآداب كم أرخت للعصر الغريب
وكتبت أجمل قصة لعجائب الزمن الرهيب
وحكيت فيها سيرة لشباب عمرك والمشيب
لحياة شاب طامح يكسو محياه الشحوب
وأضاءت بالأضواء جيلاً قد تقاذفه اللغوب
نزهت نفسك من خطايا مذنبٍ ومن العيوب
عشت المحلق والمجلى دائما غير الهيوب
ولكم عجبت من الليالى كيف تلعب باللبيب
وسهامها أبدا مصوَّبة إلى صدر الأديب
كم شاعر ردت أغانيه الجميلة للنحيب
كم كاتب كم ناقد خذلته كم، كم من خطيب
ووقاك ربك لم يعا دك دهرك الغر الكئيب
عشت الكريم وكم بذ لت وجدت فى الزمن الجديب
هذى جوائزك السخية كنت فيها بالمصيب
قد أعلمت فضل إحسان وعن كرم وطيب
تثنى عليك الناس والله العلى هو المثيب

د/ عبد المنعم خفاجه

إستاذ الجيل أ.د. محمد عبد المنعم خفاجي
يهنئ العميد أ.د. علي علي صبح عميد اللغة العربية

أأنت الصبح أم أنت الهلال ... فأنت لكل محمدة مقال
وجاءتك العمادة وهى تؤمى ... هلا، ولك الأمانى والجلال
بنا أحرى، و(باللغة) التهانى ... تعالوا، فلنهنئها، تعالوا
فيا (كلية اللغة) استعيدى ... طموحك، أأنت أنت لك المآل
وملء رحابك الأمل المفدى ... شباب فى غد هم هم رجال
وب(كلية اللغة) استنيرى ... شبابك فالشباب له المجال
بطل الأزهر المعمور سيرى ... يطوف المجد حولك والجلال
لواؤك خافق، والدار (جبريـ ... ـل يغشاها، ويكسوها الجمال
عميدك أقبلت معه الأمانى ... وصرخُك كم له تعنو الجبال
أأنت الصبح أم أنت الهلال ... وسهل فى مراميك المجال
وفى الآفاق ذكرك مستعاد ... تراوحك الشمائل والخلال
وأمن البحر فى أدب وفكر ... وتعرفك الحقيقة والخيال
عليك من السماء رداء نور ... وتكسوك الفضائل والكمال
وقادك للمنى والخير عم ... وسارع فيك للآمال خال
وما شقلتك فى البأساء حال ... ولا ألهاك فى النعماء حال
وبالخلق الرفيع تجئ فرداً ... وفى الأدب الرفيع لك الفعال
وتغدو للمنى وتروح سعيا ... وغيزُك همّه قيل وقال
ومن تقوى الإله عليك ظل ... وتمشى فى مسيرتك الظلال
وفيك بلاغة ولك المثانى ... ونثرك مستجاد والمقال
أأنت الصبح أم أنت الهلال ... نهنئك الأبوة والفِعال
أقول الشعر فيك على وفاء ... وأنت الصدق والسحر الحلال
فسره صعدا لك القدح المعلى ... لنا البشرى وإن كسر عروضى بك النضال

د/ محمد عبد المنعم خفاجى

في تهنئة اللغة العربية

بعمادة الأستاذ الدكتور/ علي علي صبح

شعر: أ.د. شفيق عبد الرازق أبو سعده

فلتهنئي يا أمّ أكثم   قد أشرق الصبح المنغم
وتبسمت قطع الربا   وجمالها يا صاح يعظم
وترنمت ورق الحما   م بأيكها أحلى ترنم
وازدانت الفصحى وغنت في   السنا قد جاء أكثم
لله درك يا علي   فأنت بالأخلاق أكرم
قد صاغك الرحمن من   نبض القلوب فأنت بلسم

ثم تحية حب صادق وتهنئة بالعمادة من السيد/ علاء أحمد السيد
المعيد بقسم الأدب والنقد بالكلية

إلي أمير النقد

على الصبح أخجلت الصباحا بنورك فاسترحت وما استراحا
وبات برغم (أصبح) مستكينا يقلب كفه ظهرا وراحا
طلعت وفى القلوب كلوم شوق تضمد بابتسامتك الجراحا
فصار القلب منشرحا بهيجا أبعد صباحكم يبغى انشراحا؟!

* * *

أمير النقد فارس كل خطبٍ لك القول السماح أتى سماحا
تمارس بالبصيرة كل نص وتصنع من لآلئه وشاحا
ومهما كان منغلقا صفيقا على كفيك يبتهج انفتاحا
فيا صياد بحر النص زدنا شباكك ملؤها الفيروز لاحا

* * *

أتيتك سيدى والكف صفر أرجى منك نورا مستباحا
لأنهل قبسة وأعب تقوى وأرشف من سنا الصبح القداحا
فمن إيمانكم تمتد روحى فعلمنى التصوف والصلاحا
وعلمنى الودادة والتفانى وعلمنى الدآبة والكفاحا
وقل لى كيف صرت إلى المعالى وكيف لك الإباء غدا جناحا
ويرفعك التواضع يا حبيباً إلى كل الألى عرفوه لاحا

* * *

حنونا كالأب الحانى علينا رحيما خافضا منك الجناحا
وتمنحنا المودة والتدانى ونأخذ فى مجالسك البراحا
فما صادرت مثل الناس رأياً ولا عطلت أبياتا فصاحا
ولا أهدرت للطلاب لأياً فما عرفوا بكم إلا الفلاحا

وهام الناس فى الدنيا سهولا ... وأنت ركبت للعلم الجماحا
تشد الأزر فى زمن بغيض ... به ألقى الوفيون السلاحا
وقد ثلمت سيوف الحق حدا ... وأرهقها الهوى فينا كساحا
فما عادت لأهل الحق خيل ... ولا استبقوا بأديهم رماحا
ولا اهتز المنابر من كلام ... يهز الأرض يستبق الرياحا
ولا بقيت لدى الشعراء سوق ... نبيع بها بضائعنا الملاحا
غرقنا فى الخصام وفى التنائى ... وغل الجهل فى الحلق الصياحا
علوت اليوم منبرنا فقلنا ... أمير يمنح القوم الصباحا

* * *

لك الكلية ابتسمت وغنت ... وأزهر أزهرى قببا وساحا
أتت -تهنى- جاراتها حسدا ... وتكتم فى جوانحها.. الجماحا
تمنت أن تكون اليوم فيها ... عميدا تملأ الدنيا مراحا
عميدٌ كيف لا.. يا «ابن العميد» ... إذا ما تمنح القلم السراحا

* * *

عرفتك بالتقى تسنى جبينا ... وعلما يفضح الدجل افتضاحا
فجئتك باسطا كفى لخير ... ببحر العلم أمتاح امتياحا
فكم غدت النهى منا خماصا ... وعادت من بيادركم.. متاحا
فإن تكن القوافى قاصرات ... عن البحر الطويل غدا.. وراحا
فعذرا قد أتينك وافرات ... عن المتدارك العانى.. فِساحا

وتهنئة وتقدير إلي أ.د. علي صبح عميد الكلية

للشاعر الأستاذ الدكتور: حسن عبد الرازق
رئيس قسم البلاغة والنقد بكلية اللغة العربية بالزقازيق

سَعَـــــــتْ كُلّيَةُ الفُصْحَى / وأضـــحت لِلْعُلا صَرْحـــا
وَحَـــيّتهـــا الأقَاليمُ الْـ / ـتى تـاهَتْ بِهـــا رِبْحـــا
غَـــــــدَتْ لِلّلمِ مِئْذَنَةً / تَزُفُّ لأهلِـــه صُبْحـــا
وأمْسَتْ لِلهُدَى نُـــــورا / يُبينُ الـــرُّشْدَ والــنُّجْيَا
وَصارَتْ قِبْلَةً تُرْجَـــى / لِمَنْ أمْســـى وَمَنْ أضْحـــى
تُشِعُّ الـنُّورَ مُؤْتَلِقـــا / وَتُزجِي الْخَيْرَ والــنُّصْحَا
وَتَرْفَعُ رايَةَ الْقُـــرْآن / مِنْ تقْوَى ومِــنْ فُصْحـــى
(عَلى صُبْـح) بِهــا بدر / يُنِيــرُ سَماءَهـا سَمْحـــا!
فَأَهْلاً بِـــالـــنُّهَى أَهْلاً / وَمَرْحَـــى بِـــالْعُلاَ مَرْحَى!
هُنَا لُغَـــةُ (الْكِتَابِ) غَدَتْ / تُعَطِّرُ كُتْبَهَا نَفْحـــا
وَتَمْنَحُ رَوْضَـــةَ الأَشْعَارِ / مِنْ تِبْيـانِهـا مِنَحـــا
تُحَيِّى الـنَّاطِقِينَ بِهـــا / فَتَبْدُو جَـــنَّةً فَيْحا
تَبُثُّ الْحُبَّ، وَالْإِلْهَـــا / م، والْإِنْشادَ والصَّدْحا
وَتُعْطِى الْخَيْرَ، وَالإِقْبَا / ل، والـــرَّيْحَانَ، والـــرَّوْحَا
وَتُبْدِى الْأَيْكَ والـــتَّغْرِيـــدَ / وَالتَّقْوَى، وَالـطَّلْحـــا
وَتُزْجِي الـــزُّهْدَ وَالْأَكَا / مَ، والْأَقْسَامَ والـنَّفْحَا
وَمَنْ يَظْفَرْ بِهـــا لُغَةً / تَقَدَّمَ عَصْرَهُ سَبْحـــا!
بِـــ(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَـــا) / حَمَاهَا الـــلَّهُ مُذْ أَوْحَـــى
وفـــى الـذِّكْرِ الْحَكِيمِ هُدَىً / يُبِينُ الْحُسْنَ والْقُبْحـــا
وَفِى تِبْيَانِه لُغَــــةٌ / تَفُــوقُ الْمَدْحَ وَالْقَدْحا
وَمَا ضَاقَتْ بِمُخْتَـــرَعٍ / وَلا أَعْطَتْ لَـهُ كَشْحـــا

فَكَيْفَ يَقُولُ مُبْتَدِعٌ   بأَنَّ مَعِينَهَا شَحَّا؟!
وكيف يقولُ مُغْتَرٌّ   بأَنَّ لِنطقِهَا قُبْحَا؟
وكيف يَقُولُ زِنْدِيقٌ   بأَنَّ تراثَنَا بِمُحَى؟!!
رَمَتْ بالشِّعْرِ عَوْلَمَةٌ   تُبِيحَ الشَّطْحَ والنَّطْحَا
فَلا نَظْمٌ بِقَيْدِهِ   ولا لُغَةٌ لَهُ فُصْحَى
ولا قِيَمٌ تُوَجِّهُهُ   ولا نَحْوٌ لَهُ يُنْحَى
وَخَلْفَ الرَّمْزِ مُتَّسَعٌ   يُجِيزُ لأَهْلِهِ الشَّطْحَا
أَلا تَبًّا لِعَوْلَمَةٍ   تُبِيحُ الْهَدْمَ والسَّفْحَا!
دُعَاةُ الْهَدْمِ حَيَّوْهَا   وَقَالُوا نَحْوَهَا شَطْحَا
وَبَارَكَهَا أُولُوا التَّقْصِيرِ   وَاعْتَادُوا لَهَا مَدْحَا
كَأَنَّ وسَائِلَ التَّنْوِيرِ   فِي أَيْدٍ يِهِمُوا تُذْحَى!
أَضَاعَ الشِّعْرَ (عَوْلَمَةٌ)   تُبِيدُ الماضِيَ السَّمْحَا
أَبُوهَا أَيَّدَ الظُّلْمَ   وَبِالْإِنْصَافِ قَدْ شَحَّا
فَنَشْرُ الْعَدْلِ مَضْيَعَةٌ   لَهُ، والظُّلْمُ مُسْتَوْحَى
وفي شَارُون أَمْثِلَةٌ   لِقُبْحِ (عَوْلَم) الْقُبْحَا!!

* * *

فَيَا قَوْمِي: أَجِيبُوا دَاعِيَ   اللَّهِ الَّذِي أَوْحَى
وَصُونُوا دِينَهُ الْمَحْفُوظَ   بِالْمَرْوِيَّةِ الْفُصْحَى
وَلا يَغْرُرْكُمُ قَوْلٌ   غُثَاءٌ قَدْ عَلا طَفْحَا
فَإِنَّ بِهِ لإِفْسَادِ اللِّسَانِ   غَرَابَةَ الْمَنْحَى
لِيَبْقَى الذِّكْرُ مَطْوِيًا   وَلا نَدْرِي لَهُ شَرْحَا
وَيَبْقَى النَّاسُ: لا قِيَمًا   وَلا رُشْدًا، ولا نُصْحَا
أَلا تَعِسُوا؛ فَإِنَّ اللَّهَ   لا يُعْلِي لَهُمْ كَدْحَا
طَوِيَّتُهُمْ قَدِ اكْتَأَبَتْ   فَسَالَ مَقَالُهُمْ قَيْحَا

وَمَنْ تفْسدُ طَوِيَتـُــــــــــــهُ   فَإنّ بِدِيـنـهِ جرْحـــــــــــاً!
أَضَاعُوا أَصلَهُمْ لُـــــــــغَةً   وَدِيـنـاً؛ فَانبَرَوْا صَبْحـــــــاً
وَخَانُوا عَهْـــــــدَ مَن بَرَأَ اللِّسَانَ   وَسَـــــــطَرَ الـــــــلَّوْحَا
وَمَنْ يُصْبِحْ بِـــــــلا أَصْلٍ   يَخُـــــــونُ «الْعَيْشَ وَالمِلْحَا»!

أ.د/ حسن إسماعيل عبد الرازق
رئيس قسم البلاغة والنقد بكلية اللغة العربية
بالزقازيق

مهداه إلي الاستاذ: احمد صقر

شعر: محمد عبد المنعم خفاجي

-١-

حيِّ المفكر والأديب | الكاتب الحر الأريب
ابن (الخوالد) شامخا | وصديق دنياى الحبيب
من بيت (حمروش) إما | م الدين فى الزمن الخصيب
يا (أحمد) الآداب حدِّث | عن شيوخه من قريب
(حسن بن جار) والكرا | م الذاهبين إلا المغيب
(كلية اللغة) ازدهت | بذكائك الباهى العجيب
مساف عطر نبوغه | وكأنه شرار اللهيب
ونرى ضرام كفاحه | وبجده امتلك القلوب
صقر، ومن كالصقر يسبح | فى الشمال وفى الجنوب
يا (أحمد) الأدباء والمثلَ | المكرم للدؤوبْ
معاك مَحا لتدريس محمـ | ـود الصحالف الدروب
وخطاك فى التعليم نحـ | ـكى قصة الأمس العصيب
ومشت بك الإمام حتـ | ـى كنت معدود الضريبْ
وإلى النجاح خطوت والآمـ | ـال فى الأفق الرحيب
وصعدت للعلياء بالأخلا | ق فى الجبل الغريبْ
جبل بلا مثل وقد | فقد التجابة والنجيب
ينتابه اليأس الحر | ثر وصدره بهر الوجب

-٣-

يا (أحمد) الأدباء كم | عِفتَ الرتابة والرتيبْ
وكرهت كل بهارج | الإفلاس والثوت الفَشيبْ

-٣-

أفق فسيح فى الادارة ... للرئيس وللنقيب

ولكل معضلة وكل ... مهمة كنت الطبيب

مسعاك للحسنى ومن ... ضاهاك فى العمل العصيب

يا (أحمد) لأدباءكم ... أرْخَتَ للعصر الغريب

وأضأت بالأضواء ... رب فتى يساوره الوثوب

وكتبت أجمل قصة ... لعجائب الدهر الرهيب

وحكيت فيها سيرة ... لشباب عمرك والمشيب

لحياة شاب طامح ... يكسو محانه الشحوب

فغدت أسره وجهه ... فيها المسرة لا تغيب

مازلت أذكر واتياه تمر ... بى الأسى الحبيب

ومضى الزمان وصفوة ... الأحباب شبان وشيب

ونياى فدمرت ومرضى ... بالسلام وبالحروب

ولقد عجبت من الليالى ... كيف تلعب باللبيب

وسهامها أبدا مصوبـ ... ـة إلى صدور الأديب

وتقاف ثرثرة البليغ وطـ ... ـول جعجعة الخطيب

كم شاعر ردت أغانـ ... ـيه الجميلة للنحيب

-٣-

يا (أحمد) الآداب أد ... ت لكل مأثرة ريب

ونرك تعطى ... المودة للبعيد وللقريب

وأمنتَ عن فضلٍ ... إحسان وعن كرم وطيب

ووفاك ربك لم يعا ... دِكَ دهرك العادى الغضوب

عـــــشت الحـلـق والمجلـى ت لـكـل مــــــــــــــــآثـرة ريـبْ
لـلـفـــــعـل لا لـلـقـــــول كل المودة لـلبــعــــيـــد ولـلـقـــريب
مـــا فـــيك عـــيب غـــيـــر أنــ ـــك قـــد خلوت من الـعـــيـــوب
دعـنـا نـقـــول وأنـت تـفــــعـل لا ســـؤال ولا مـــجـــيـــب
ونـحـــــوك وشـى الـشــــعـــ ـــر نشكر فـضلك الجم الـعـجـيب
يـا أحـــمـــد الأدبـاء مـــا جـدو ى الـقـــــضـــــائـد لـلأديـبْ
عـــــشت الجـــــواد وكـم بـذلــ ـــت وُجــدت فـى الـعـصـر الجـديبْ
هــذى جـــــــــــــــوانـرك السنهـة كـنت فـيـهـا بالمصـيب
يـثـنـى عـلـيـك الـنـاس والـلـه الـعـلـىّ هـو المـثـــــــيـبْ

-٦-

لـلأزهـر المشـــــهـــود فـــفـى سلم وحـى أبـا الـشـــعـــوبْ
وإذا دلـــــــفـــــت رأيـــــت مـــســاحـتـه ومـنـبـره الـمـهـيـبْ
يكـســو جـوانحـه الـضـيـاء وبـبـسـم الـحـجـر الـكـئـيـبْ
ولـــه مـــن المـــلأ الـــعـــلـــى ومن المنى أوفى نـصـــيـبْ
لـلـعـلـم لـلـديـن الحـنـيـف خـطـاه لـلـحـق الـسـلـيـبْ
فـــحـــفظت باداء الـهـــدى ويلـمـتِ م عـــســف الخـطـوب
كـلـيــــــة الـلـغــــة ازدهت بعـــمـــيـدهـا الـشـيخ الأريبْ
بسـم الـصـــــاح لـهـــا فكان عـــمــيـدهـا صـــبحُ الأريـبْ
صـــبـح أضـــــاء دروبـهــــا ومـــشى بـهـــا لـلأفـق الـرحـــيـبْ

ثم اختتم الحفل بتوزيع الجوائز المالية من الأستاذ الكبير أحمد صقر والأدبية من الكلية على الأوائل وهم:

الأول: محمد يحيى عبد الصمد عبد الباقي جيد جدا مع مرتبة الشرف

الثاني: سامح محمد أحمد عبد الصمد جيد جدا مع مرتبة الشرف

الثالث: محمد عبد الحميد عبد الرحمن الصولي جيد جدا مع مرتبة الشرف

الرابع: محمد مصطفى محمد يوسف جيد جدا مع مرتبة الشرف

الخامس: طلبة محمد طلبة لسيمان جيد جدا مع مرتبة الشرف

الندوة الثانية: محاضرة أعدها وألقاها عميد الكلية أ.د. على على صبح

وموضوعها: انتصارات شهر رمضان منذ بعثة محمد ﷺ إلى انتصار الإسلام فى معركة العبور العظيم.

الندوة الثالثة: محاضرة أعدها وألقاها أستاذ التاريخ الحديث أ.د. صابر عرب

وموضوعها: «

الندوة الرابعة: أعدها وألقاها عميد الكلية أ.د على على صبح

وموضوعها: الإسلام والإرهاب

من أقدم الظواهر التى لازمت البشر منذ أن بعث الله آدم -عليه السلام- بشريعة يتبعها أولاده وأحفاده ارتبط الإرهاب بقضية الشر والخير، والباطل والحق، والعدوان والسلام، والظلم والعدل.

ومن هنا ومنذ ذلك التاريخ القديم اجتازت قضية الإرهاب مراحل تاريخية وصورا متنوعة حتى الحياة المعاصرة ومن هذه الأطوار والصور الإرهابية بإيجاز.

الأطوار التاريخية للإرهاب:

الصورة الأولى: قصة هابيل وقابيل: **﴿واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق إذ قربا قربنا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين * لئن بسطت إلى يدك ما أنا بباسط يدى إليك لأقتلك إنى أخاف الله رب العالمين *..** إلى قوله تعالى: **من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل أنه من قتل نفس بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم إن كثيرا منهم بعد ذلك فى الأرض لمسرفون * إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم * إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم﴾.**

الصورة الثانية: موقف الأقوام الغابرة من الرسالات والرسل- حتى إنهم كانوا يقتلون أنبياءهم مثل يحيى بن زكريا- عليهما السلام- وكذلك اليهود فقد قتلوا مئات الأنبياء- قال تعالى: **﴿قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين﴾**.

الصورة الثالثة: إخراج أهل مكة المسلمين من ديارهم وأموالهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله.

الصورة الرابعة: موقف اليهود من الرسول والمسلمين فى المدينة بعد أن عقد بينهم معاهدة.

الصورة الخامسة: الإرهاب الحديث فى النظام الدولى والوضعى.

١- الإرهاب بدأ فى العصر الحديث فى أوروبا، فهو نتاج أوروبى بحت ابتدأ أولا فى ثورة مارتن لوثر على الكنيسة، ثم أصبح فى شكل نظامى فى الثورة الفرنسية ١٧٩٨ فكان يسمى بالإرهاب الثورى، وعلى أنقاض الثورة الفرنسية ظهر الإرهاب فى الثورة الشيوعية الماركسية.

وكل هذه الثورات تقوم على رفض الدين فى ظل الحركات الأيديولوجية التى تنكر الدين والامتثال لله عزوجل وللرسالة السماوية.

الصورة السادسة: إرهاب النظام الوضعى والقانون الدولى فى الدول الغربية ويتمثل فى الاستعمار وقهر الشعوب وتحت ستار التنوير والتقدم للشعوب المستعمرة وبينما تقتل الأبرياء لتستولى على مواردهم وطاقاتهم الطبيعية لتصنيعها واستثمارها ليفرض على المستعمرات استهلاكها بالقهر والإرهاب هذه الدول.

وتدعى أن هذا القهر والاستعمار لا يسمى إرهاب دولة، لأن الإرهاب عندهم هو إرهاب أفراد لا دول فهو عقاب للخارجين على نظامهم الاستعمارى الدولى والقانون الوضعى المرتبط بأهوائهم ومصالحهم الشخصية وعلى ذلك فهم يفسرون الإرهاب بالانتقام من أصحاب الحق وسفك دماء الشعوب الذين يدافعون عن حقهم وحريتهم فيعد ذلك عندهم إرهابا فى ظل النظام الوضعى والدولى.

لذلك كله فإنهم يرون عدم إمكانية تعريف شامل وجامع للإرهاب، لأن ذلك يتناقض مع قوانينهم الوضعية ومع نظامهم الدولى الذى يحافظون به على سيادة العالم والتحكم وتسخيره لهم وحدهم.

حقيقة الإرهاب في الإسلام

وهذه الصور الست فى مراحلها المختلفة تتعارض مع شريعة الإسلام السمحة التى تدعو إلى السلام لا إلى الحرب ولا إلى الإرهاب بدون وجه حق.

فالسلام من مشتقات الإسلام، ومن محتوياته فى المضمون والمفهوم، كما يقول -ﷺ- «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده» وقال تعالى: **﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾**، **﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين﴾**، **﴿ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾** لذلك كانت حقيقة الإسلام للدفاع عن الدين والنفس والمال والعرض: «من قتل دون عرضه فو شهيد ومن قتل دون نفسه فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد» قال تعالى: **﴿إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور * أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير * الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله﴾** وغيرها من الآيات التى وردت فى القرآن والتى تنفى الإرهاب عن الإسلام وتنكره وتتوعد الإرهابيين بالعقاب فى الدنيا والعذاب الأليم فى الآخرة على حد قوله تعالى: **﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم * إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم﴾**.

وفى الآيات التى وردت فى القرآن الكريم وفسرها أعداء الإسلام بأنها تحث على الإرهاب ليبثوا السم فى العسل فى حين أن هذه الآيات لا تمت بأدنى صلة لمعانى الإرهاب ولا العدوان، بل تتناقض تماما مع افتراءاتهم فى التأويل بالباطل.

الإسلام دين السلام لا الإرهاب:

بلغ التصوير القرآني حد الإعجاز في قوله تعالى: **﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون﴾** في تصوير القيم الخلقية والتشريعية والقيم البلاغية فأما القيم التشريعية والخلقية جاءت من خلال مضمون الآية الكريمة، وهو أن المشرك إن لقي محمد -ﷺ- بعد الهدنة في انقضاء الأشهر الحرم، بلا عهد ولا ميثاق، واستأمنك يا محمد ليستمع إلى ما تدعو إليه من التوحيد والقرآن الكريم، ليعرف ما بعثت من أجله، فعليك أن تؤمنه حتى يسمع كلام الله ويتدبره ويقف على حقيقته وأكثر من هذا تحرسه وتدفع عنه حتى تبلغه داره التي يأمن فيها إن لم يسلم، لأنه جاهل بحقيقة الإسلام، ولا علم له بما تدعو إليه، لذلك فلابد من الأمان، حتى يسمع كلام الله ويظهر له الحق، فترى القيم الإسلامية هنا في تحريم القتال خلال الأشهر الحرم، وتحريم الغدر والخيانة، وإعطاء الأمان للمشرك الذي لا علم له بالإسلام حتى يقتنع به، واستجارة المشرك شريعة مقررة في الإسلام فما بالك بأهل الكتاب من النصارى واليهود.

هذا هو الإسلام يدعو دائما إلى السلام لا الحرب ولا الإرهاب كما يفترى عليه أعداؤه ظلما وبهتانا وكذبا وافتراء، فالإسلام في كل عصر يفتح أبوابه لمن يجهله ليعرف حقيقته ويقتنع به، لأنه دين الإنسانية كافة وإلى يوم القيامة وخاتم الرسالات وأكمل التشريعات الصالحة لكل الأجيال والشعوب فقد روى سعيد بن جبير فقال: جاء رجل من المشركين إلى علي رضى الله عنه فقال: إن أراد الرجل منا أن يأتي محمدا بعد انقضاء هذا الأجل يسمع كلام الله أو يأتيه لحاجة قتل؟ قال: لا، لأن الله تعالى قال: **﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره.. الآية﴾** ومن الإعجاز في التصوير القرآني أيضا التعبير بإن لإفادة مجرد الشك لا التحقيق فهو يكفي للأمان على العكس فيما لو حلت «إذا» للحقيقة مكانها، ثم التعبير بأحد على وجه العموم ذكرا كان أو أنثى، كبيرا أو صغيرا، وسواء كانوا من المشركين، أو من أهل الكتاب النصارى واليهود فهم أهل عهد وذمة لأنهم يؤمنون بالله ورسوله عيسى وموسى فهم جميعا يستحقون الأمن والأمان مع أنهم جميعا غير مسلمين، ثم ما أبلغ أداة الطلب في الألف والسين والتاء في قوله تعالى: **﴿استجارك﴾** وفيها

معنى الاستغاثة وطلب الحماية والأمان المعهود فى الإسلام، ثم يأتى القرار الحاسم بالأمان والإجارة فى فعل جواب الشرط وجزاؤه فى قوله تعالى: **﴿فأجره﴾** على سبيل الجزم واليقين، وهو حكم فصل لا رجعة فيه وهو ما يدل على أسلوب الشرط والجزاء فى الآية وفى غيرها، ويؤكد هذا الحكم القاطع دلالة الفاء على الترتيب والتعقيب السريع فى قوله «فأجره» على العكس من التصوير القرآنى لسماع كلام الله وتأمله وتدبره فيمتد لغايته حتى يقتنع به وإلى تأمينه فى داره ولو مكث ذلك شهرا أو أكثر، وذك من خلال التعبير بقوله «حتى وثم» فهما يدلان على الغاية والتراخى والإمهال، وتظهر سماحة الإسلام فى دعوته إلى السلام لا الإرهاب وإلى العلم والإقناع فلا يأخذ بالجهل والظنة والشك ولا بالشبهة بل باليقين والدليل والحقيقة والحق ويؤكد ذلك كله بلاغة أسلوب القصر بتأكيداته الكثيرة فى قوله تعالى: **﴿ذلك بأنهم قوم لا يعلمون﴾**.

لا إرهاب في الإسلام:

التصوير القرآني في قوله تعالى: ﴿**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون**﴾ تصوير قرآني معجز، فقد عبرت الآية الكريمة عن المثل الأعلى في الأمن والأمان والسلام، لا في الحرب والعدوان والإرهاب، وتعددت فيها روافد التصوير القرآني البديع للقيم الخلقية والإنسانية والفنية في النظم والأسلوب القرآني، ولا أدل على ذلك من أن الله تعالى في قوله: «وأعدوا» أمر بإعداد العدة والسلاح وأدوات الحر والقوة، ولا يتأتى: اقتلوا أو قاتلوا أو اضربوا إلى آخره، لأن سماحة الإسلام تقتضي مجرد إعداد وتهيئة وإدخار ورباط لأدوات القوة والردع، كما أمر أن يكون الإعداد على قدر الاستطاعة: ﴿**لا يكلف الله نفسا إلا وسعها**﴾؛ فهو وسيلة فقط؛ لأن النصر الحقيقي لا في العتاد والعدة فحسب، بل بالإيمان والتقوى، وما النصر إلا من عند الله وحده: ﴿**إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم والذين كفروا فتعسا لهم وأضل أعمالهم**﴾، أي إن تؤمنوا به وتتقوه ينصركم على أنفسكم وعلى أعدائكم، والاستطاعة المشروعة في الآية ترفض الإعداد من ثروات الشعوب وعلى حسابهم بعد استنزاف دمائهم والقضاء عليهم، لتستحوذ على كل القوى، وتجندها لحسابها فتكون قوى دولة في العالم على أنقاض غيرها، فهذا هو العدوان والإرهاب لا الإعداد على قدر الاستطاعة كما أمر الله بها عباده المؤمنين في الآية، وما أبدع التعبير بالبعضية في قوله تعالى: ﴿**من قوة ومن رباط الخيل**﴾، فلا يصح تجنيد ميزانية الدولة كلها لإعداد العدة والسلاح مما يخرج من الأرض وتتفتح له أبواب السماء، بل يكفي بعضها بل قليل منها، لتكون معظم الإعداد والقوة في جوانب الحياة الأخرى، التي تعين على الأمن والاستقرار والسلام، لأن الأصل في الحياة أن يسود فيها الحب والسلام والبناء والتعمير، بلا تدمير أو عدوان أو إرهاب، ويؤكد هذا الاتجاه أن الإعداد والرباط ينبغي أن يكون في سبيل الله، لا من أجل الهجوم والتدمير، كما في الصورة القرآنية في قوله «ترهبون» فليست بمعناها في المصطلح المعاصر، بل بالمعنى الذي يفهم من سياق الآية، وهو «ترهبون» أي تخيفون وتردعون أعداء السلام، لأن الله تعالى هو السلام،

وتخيفون أعداءكم الذين يجاهرون بالطغيان والظلم والعدوان كما تردعون غير المجاهرين بذلك من المنافقين وأهل الغدر والخيانة، ومن على شاكلتهم ممن يخفون عليكم، ولا يعلمهم إلا الله العليم الخبير، وما أروع التصوير القرآنى فى ختام الآية، الذى يعد هو القرار والحكم القاطع، وهو التأكيد على أن يكون الإنفاق فى سبيل الله تعالى لا فى القتال والحرب- كما يخطئ بعضهم- بل فى التعمير وبناء الحياة وتقدمها ورقيها، فلا تجد فقيرا ولا محتاجا، ولا معدما ولا مريضا، ولا جاهلا ولا أحمقا؛ فإذا أنفقتم أموالكم على هذا النحو السامى بالتعمير والرقى فالله عزوجل يخلفه عليكم أضعافا مضاعفة ولن تتعرضوا مطلقا للظلم سواء من أنفسكم أو من طغيان عدوكم وإرهابه أو من عقاب الله تعالى لمخالفته فى ذلك قال تعالى: **﴿يوف إليكم وأنتم لا تظلمون﴾**.

السلام في الإسلام لا الإرهاب:

بلغ التصوير القرآني حد الإعجاز في قيمه الخلقية والتشريعية والفنية في قوله تعالى: ﴿**لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين * إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون**﴾، فالإسلام يدعو إلى السلام والعدل والسماحة والبر والإحسان، لا للمسلمين فحسب، بل للإنسان عامة، حتى لو كان مشركا وهو أفظع أنواع الكفر أو كان من أهل الكتاب، الذين يعبدون الله عزوجل ولا يشركون به شيئا، فليس في الإسلام إرهاب ولا عدوان ولا ظلم، فهو ينهى المسلمين عن إهمال هذه القيم الخلقية والتشريعية، بل يجب أن يقيموا حدود الله فيها؛ فأمرهم بالبر والإحسان والعدل والقسط والسماحة في التعامل مع المشركين، الذين لم يقاتلوهم في الدين ولم يخرجوهم من ديارهم، وكذلك مع أهل الكتاب من باب أولى، ومن فعل ذلك فقد أطاع الله ورسوله، ومن أطاع الله ورسوله فقد أحبه: ﴿**فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم**﴾، وإنما نهى الله عز وجل المسلمين أن يبروا ويحسنوا، ويتولوا الذين قاتلوهم في الدين وأخرجوهم من ديارهم، أو تحالفوا مع آخرين في قتالهم وإخراجهم من بلادهم، فهم جميعا إرهابيون، فمن فعل ذلك وتولاهم وإحسن إليهم أصبح من الظالمين، الذين يستحقون غضب الله عزوجل وقته، وهذه القيم الإسلامية من خلال التصوير القرآني المعجز، فبر بالنهي «لا ينهاكم» ليجمع بين الأمر بالنهي وبين نفي النهي، ليكون تأكيدا على النهي بالأمر بالبر والعدل والقسط، ليقيم الدليل بعدم النهي في «لا ينهاكم»، كما عبر بالمضارع في البر والقسط في أن «تبروهم وتقسطوا إليهم»؛ ليدل على أن السلام والعدل لا الإرهاب والعدوان هي من سماحة الإسلام الدائمة المستمرة، التي تتجدد مع تجدد الأيام والليالي في تطور ورقي، لا بصيغة الديمومة، التي لا تدل على معاني الرقي في المعاصرة والتحديث، مما يؤكد صلاحية تعاليم الإسلام لكل عصر، فهو متجدد دائما

مع كل جديد، بينما نهى الله تعالى المسلمين أن يتخذوا الإرهاربين الذين قاتلوهم وأخرجوهم من بلادهم ومن تحالفوا مع غيرهم، أن يتخذوا هؤلاء أولياء من دون الله، فهذا هو الإرهاب بعينه، والظلم والعدوان بذاته، ولن تجد الدليل هنا على النهى كما فى الآية الأولى، لأن التأكيد هنا قام مقام الدليل هناك، فى قوله تعالى: **﴿إنما ينهاكم الله.. الآية﴾** فهذا التصوير القرآنى المعجز يصور ما عليه العالم الآن من الأمريكان وحلفائهم من أعداء الإنسانية، الذين تحالفوا على الشعب الأفغانى بالعدوان والإرهاب والظلم بلا جريرة وبدون إثبات أدلة قاطعة على دعواهم المفتراة بأن الأفغان إرهابيون، بل ما تقوم به الصهيونية فى العالم شرقا وغربا هر العدوان والإرهاب.

التعارف في الإسلام لا الإرهاب:

التصوير القرآني في قوله تعالى: ﴿**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير**﴾ تصوير قرآنيا بلغ حد الإعجاز في قيمه الخلقية والتشريعية، وفي بلاغة النظم والتعبير؛ فأما قيمه السامية فقد تنوعت، فالله سبحانه وتعالى خاطب كل الناس عامة لا المسلمين ولا المؤمنين فحسب، بل أشرك معهم المشركين وأهل الكتاب من النصارى واليهود، فقد التقوا جميعا في التعارف، يتعاملون بالمعروف والمعرفة والعرفان، ليحثهم على السلام والمحبة، وتبادل المودة والمعرفة والعلم، حتى يتحقق الإحسان في خلافة الأرض بالسلام والعلم كما في قوله تعالى: ﴿**وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون * وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين * قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم * قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون**﴾، ولكن الناس ينسون السلام والعلم بين حين وآخر، فالنسيان من اشتقاقات الناس، ومن جلال التصوير القرآني في أحرف النداء والتنبية دلالتها على البعد في الخطاب من الله عز وجل للناس؛ فكرر النداء «بالياء وأي» مع حرف التنبيه «ها»، الذي يثير غفلة الناس ونسيانهم وفي الصورة القرآنية التساوي بالعدل بين الناس جميعا، فهم ينتموه إلى أصل واحد: آدم وحواء تشعبت منهما القبائل والشعوب والدول على التراحم والتواصل والسلام، لا الاختلاف ولا الإرهاب والعدوان. فما من أحد إلا وينتسب إليه الآخر، بلا تفاضل أو تفاخر، كل ذلك يتناقض مع فطرتهم المستقيمة من العدوان والإرهاب، والقطيعة والطغيان، فليس مجال التفاخر والتفاضل هو الجاه والنسب والثراء حتى يفتخر الإنسان على غيره بحضارته الزائفة بأنه أمريكي أو أوربي، فليس هذا مجالا للتفاخر والتمايز مادام الناس جميعا ينتمون إلى أص واحد، وإنما الفضل والفخر والكرم- لا يرجع إلى هذه الحضارة المزيفة - بل يرد إلى التقوى باتباع ما أمر الله تعالى به عباده

وما نهاهم عنه، فهما مصدر السعادة فى الدنيا والآخرة، لأن التقوى كما قال العلماء: هى الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل، والرضا بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل، ومهما يكون الفخر والتفاضل والكرم، فأهل التقوى أكرم الناس على الإطلاق، وهو ما توحى الصورة القرآنية فى أفعل التفضيل: «أكرمكم» فليس التفاضل بالعنصر الأوروبى ولا بالتقدم التكنولوجى والمعلوماتى فى أدوات الحرب والقتال التى يرهبون بها إخوتهم فى النسب إلى أصل واحد، فهذا هو الإرهاب والعدوان والعنصرية، ولن يكون لهم ذلك، لأن التصوير القرآنى فى آخر الآية يحمل أشد أنواع الوعيد والتهديد لهم مما ينذر بالخسران المبين، من خلال روافد متنوعة من التأكيدات «بإن» مرتين واسمية الجملة، وصيغة التفضيل «أكرم» و«أتقى»، وتكرار لفظ الجلالة وأسمائه الحسنى العليم الخبير، وشتان بين علوم البشر وحضارتهم وعلم الله العليم الخبير: **﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾**.

الندوة الخامسة: أقامها قسم الأدب والنقد بالكلية بمحاضرة قدم لها الأستاذ الدكتور صلاح الدين محمد عبد التواب رئيس القسم وأعد المحاضرة وألقاها عضو هيئة التدريس بالقسم الدكتور/ محمود لاشين.

وموضوعها: «فن السيرة فى أدب عبد الرحمن الشرقاوى»

وهو بحث منشور فى هذه المجلة فى هذا فى العدد «العشرون» لعام [١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م] .

الندوة السادسة: عن زيارة لجنة التاريخ بولاية نكرى سميلان بماليزيا لقسم التاريخ والحضارة بكلية اللغة العربية بالقاهرة.

فى يوم الخميس الموافق ٢١/ ٣/ ٢٠٠٢م قام وفد من لجنة التاريخ بولاية نكرى بماليزى، بزيادة قسم التاريخ والحضارة بكلية اللغة العربية بالقاهرة.

وقد تكون الوفد من ١٨ عضواً برئاسة داتؤ/ حتج سودين بن كمارى- رئيس لجنة التاريخ بمجلس شئون الولاية- ووصل الوفد إلى الكلية فى تمام الساعة العاشرة صباحاً، وكان فى استقباله فضيلة أ.د/ على على صبح عميد كلية اللغة العربية بالقاهرة، وأ.د/ السيد محمد حسن الدفن رئيس قسم التاريخ والحضارة بالكلية ، ولفيف من أساتذة قسم التاريخ والحضارة، وقد استهل اللقاء أ.د على صبح عميد الكلية بكلمة رحب فيها بالوفد، مبيناً دور الأزهر فى العالم الإسلامى، والجهود المحمودة التى يبذلها علماؤه فى هذا الميدان، خاصة نشر الثقافة الدينية الصحيحة، ونشر اللغة العربية فى كافة بلاد العالم الإسلامى.

ثم بدأ التعارف بين أعضاء الوفد، وأعضاء هيئة التدريس.

بعد ذلك تحدث رئيس الوفد الماليزى، وأعرب عن مدى سعادته والوفد المرافق له على زيارته للأزهر الشريف، وبكلية اللغة العربية، وقسم التاريخ والحضارة.

وتناول فى كلمته العلاقة التاريخية بين ماليزيا، وبلاد العرب بصفة عامة، ومصر بصفة خاصة وأوضح أنها علاقات عميقة منذ زمن بعيد، وأشاد بمعالم مصر التاريخية التى زارها الوفد.

ثم بين أن الإسلام دخل ماليزيا عن طريق سومطرة سنة ١٢٩٢م، وتشكلت الحكومة الإسلامية الملاوية فى ذات التاريخ، ووضح أن الإسلام انتشر فى هذه البلاد عن طريق التجار العرب وبعد ذلك تعرضت ماليزيا للاحتلال البرتغالى والهولندى، والبريطاني، وأدى ذلك إلى عدم تعلم اللغة العربية كما يجب، لأن المحتل حارب اللغة العربية.

ثم أعرب رئيس الوفد عن سعادته واعتزازه بالإسلام، وأوضح أن ماليزيا متمسكة بالإسلام وبين أن علاقة الأزهر مع ماليزيا مستمرة، ونتمنى أن نستمر إلى الأبد، فطلاب ماليزيا الذين يدرسون بالأزهر بلغ عددهم ٦٠٠٠ طالب.

ثم أشار رئيس الوفد إلى وجود الجامعة الإسلامية العالمية فى ماليزيا، وأن بها كلية للغة العربية تخضع لإشراف الأزهر.

ثم تحدث رئيس الوفد من لجنة التاريخ التى يتولى رئاستها وأوضح أن لها نشاطات عديدة، وأنها قامت بزيارة دول عديدة منها: الصين، وجنوب أفريقيا، والهند وغير ذلك من الدول، وذلك لأن أعضاء لجنة التاريخ مهتمون بجمع كل ما يتعلق عن الحضارات المختلفة، وخاصة الحضارة الإسلامية وتمنى أن تكون العلاقة بين ماليزيا وجميع دول العالم الإسلامى قوية.

ثم تحدث رئيس الوفد عن التحديات التى تواجه العالم الإسلامى، ولابد للمسلمين أن ينتبهوا لذلك لكى يتمكنوا من مواجهة هذه التحديات، والتى لا يمكن مواجهتها إلا بالتمسك بالإسلام، والأخذ بأسباب التقدم والاهتمام بذلك.

وفى نهاية كلمته تقدم رئيس الوفد بالشكر العميق لعميد الكلية، ورئيس القسم، والأساتذة على حسن الاستقبال والحفاوة التى قوبل بها أعضاء الوفد، وتمنى أن تتكرر هذه الزيارة مرة أخرى للأزهر الشريف، وجامعته العريقة، وتقدم باسم الوفد بأسمى آيات الشكر إلى الكلية، ثم قدم هدية رمزية إلى عميد الكلية، ورئيس قسم التاريخ والحضارة.

وبعد ذلك رحب أ.د/ السيد الدقن رئيس قسم التاريخ والحضارة بالضيوف، ثم دعى لزيارة القسم حيث أقيم حفل شاى للضيوف. قدم خلاله

أ.د/ على على صبح عميد الكلية هدايا لجميع أعضاء الوفد.

وبعد ذلك شكر أعضاء الوفد جميع أعضاء هيئة التدريس على حسن الاستقبال هذا وقد قام بالترجمة أ/ محمد نور المسئول الثقافى بسفارة ماليزيا، وهو أحد خريجي الأزهر ولاشك فى أن هذه الزيارة قد تركت أثراً طيباً لدى أعضاء الوفد الماليزى، كما أخبرنا بذلك المسئول الثقافى بالسفارة.

على كل حال فإن مثل هذه الزيارة تعد أحد الأنشطة الثقافية والعلمية التى شهدتها كلية اللغة العربية بالقاهرة وقسم التاريخ والحضارة، هذا العام تحت قيادة أ.د/ على على صبح عميد الكلية، والذى لم يتوان عن الإعداد الطيب لهذه الزيارة، وكان فى مقدمة المستقبلين لأعضاء الوفد، كذلك قام أ.د / السيد الدقن رئيس القسم بجهود طيبة للإعداد لهذه الزيارة.

وفى الختام نتوجه بالشكر والتقدير إلى أساتذ: قسم التاريخ والحضارة بالكلية، الذين حضروا لاستقبال الوفد الماليزى.

وقدم أ.د/ على صبح عميد الكلية بتقديم المصحف الشريف وبعض أعداد لمجلة الكلية العلمية لكل أعضاء الوفد ثم منحه الوفد الماليزى الدرع الماليزى تقديرا لفضيلته ولجامعة الأزهر.

أعد التقرير: د/ محمد أحمد محمد الشحري

مدرس التاريخ والحضارة الإسلامية بالكلية

وأمين سر قسم التاريخ والحضارة.

الندوة السابعة: الثقافية لقسم التاريخ والحضارة:

أعد التقرير: د/ محمد أحمد محمد الشحري
مدرس التاريخ والحضارة الإسلامية بالكلية
وأمين سر قسم التاريخ والحضارة.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وبعد.

ففى إطار النشاط الثقافى بكلية اللغة العربية بالقاهرة، أقيمت يوم الأحد الموافق ٢٤/ ٣/ ٢٠٠٢م ندوة ثقافية تحدث فيها أساتذة قسم التاريخ والحضارة عن أهم القضايا المعاصرة، وقد شرف هذه الندوة، وأشرف عليها أ.د/ على على صبح عميد الكلية، أ.د/ السيد محمد حسن الدقن رئيس قسم التاريخ والحضارة بالكلية.

وحضر الندوة لفيف من أساتذة الكلية، والعديد من الطلاب.

وقد تحدث فى الندوة كل من: أ.د/ عبد الجواد صابر إسماعيل/ أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر بالكلية.

وكان عنوان المحاضرة: أفغانستان فى مواجهة الغزو الأوربى والأمريكى حقائق يجب معرفتها.

أ.د/ سعد بدير الحلوانى- أستاذ التاريخ الإسلامى الحديث- المساعد- بالكلية.

وكان عنوان المحاضرة: عولمة قضية فلسطين.

د/ فتحى أحمد السيد شلبى.

وعنوان المحاضرة: موقف الغرب من قيام الخلافة الإسلامية فى العصر الحديث.

د/ عبد المعطى البيومى سالم الدرينى- مدرس التاريخ والحديث المعاصر بالكلية.

وعنوان المحاضرة: «المقاطعة العربية لاسرائيل «١٩٤٥ : ١٩٥٦م».

وقد استمرت الندوة أكثر من ساعتين، دارت خلالها مناقشات هادفة، استفا منها الحضور. وطلب العديد منهم عقد مثل هذه الندوات المثمرة.

أما ملخص المحاضرات فهو كما يلى:

افغانستان في مواجهة الغزو الأوربي والأمريكي
حقائق يجب معرفتها

أفغانستان في مواجهة الغزو الأوربي:

أ.د/ عبد الجواد صابر إسماعيل

الأستاذ بالقسم

أفغاستان دولة إسلامية تحيط بها من جميع الجهات دول إسلامية هى تركمانستان وأوزبكستان وطاجيكستان وكشمير وباكستان وإيران، وهى من أعظم الدول الإسلامية تمسكا بالإسلام فى القول والعمل، ويتعبد معظم أهلها على قواعد المذهب الحنفى.

وللشعب الأفغانى تاريخ حافل فى الفتوحات الإسلامية، وله إسهامات واضحة في الحضارة الإسلامية، وقد اشتهر الشعب الأفغانى بالشجاعة والبطولة ومكارم الأخلاق ورفض السيطرة والاستعمار، لهذا فإنه لم يقع تحت حكم استعمارى، بيد أن أفغانستان كانت هدفا لدولتين استعمارتين كبيرتين هما بريطانيا وروسيا منذ القرن التاسع عشر الميلادى، وكانت بريطانيا الأسبق لحرصها على السيطرة البرية على الطريق المؤدية إلى الهند، فبادرت فى سنة ١٢٥٥هـ/ ١٨٣٩م بإرسال حملتها التى احتلت قندهار وكابول وغزنة وخلعت الشاه دوست محمد، فهب الشعب الأفغانى بقيادة شاهه ليخوض حروبا متواصلة ضد الغزاة البريطانيين، لكنه حتى سمة ١٢٥٦هـ/ ١٨٤٠م لم يحرز انتصاراً، فقاد الشعب فى نضاله منذ هذا التاريخ أكبر خان ابن دوست محمد، فأوقع بالجيوش البريطانية هزائم متلاحقة أعظمها هزيمة سنة ١٢٥٨هـ/ ١٨٤٢م التى قضى فيها على جيش بريطانى ناهز عدده سبعة عشر ألف مقاتل قضاءً مبرما.

وبعد ثلث قرن عادت بريطانيا إلى أفغانستان بجيش كبير لتثأر لكرامتها ولتسترد هيبتها فى العالم، فاستطاعت أن تحتل كابول وجلال أباد وقندهار والممرات التجارية العظمى فى سنة ١٢٩٥هـ/ ١٨٧٨م،وأن ترغم النظام الحاكم الأفغانى على توقيع ومعاهدة غاندماك فى سنة ١٢٩٦هـ/ ١٨٧٩م،

غير أنه لم ينته هذا العام حتى اندلعت ثورة أفغانية كبرى استطاعت أن تحاصر أكبر الجيوش البريطانية فى قلعة ألاجا حصاراً شدشداً، وأن تقضى عليه قضاء مبرما، فبادر البريطانيون بإرسال قوات بريطانية هندية لتنقذ بقايا جيوشها فى أفغانستان، فاستطاع الثوار الأفغانيون القضاء على هذه القوات بعد اجتيازها الحدود وهى مرهقة، ولم يكتف الأفغانيون بهذا وإنما عبروا الحدود إلى الهند حيث هاجموا المراكز العسكرية البريطانية. ومما لاشك فيه أن بريطانيا العظمى استوعبت دروس أفغانستان، فبادرت بسحب ما تبقى من قواتها فلولاً مهزومة، وفى سنة ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م وقعت بريطانيا مع روسيا معاهدة اعترفت فيها كلتاهما باستقلال أفغانستان، وتعهدتا بعدم احتلالها أو احتلال أى جزء من أراضيها.

وبعد قيام الاتحاد السوفيتى وهيمنة الشيوعية على مناطق واسعة فى العالم استيقظت الأطماع الروسية فى أفغانستان، واستطاعت روسيا أن تدفع بالحزب الشيوعى الأفغانى إلى منصة الحكم، غير أن الشعب الأفغانى رفض هذا الحاكم العميل، فأعلن نضاله، وخاض معارك داخلية ضد القوات الحكومية، وانتصر عليها فى شهر ربيع الأول سنة ١٤١٢هـ/ سبتمبر ١٩٩١م، وهذا ما دفع روسيا إلى أن تلقى بثقلها العسكرى فى أفغانستان، فقبل الشعب الأفغانى التحدى، وخاض ضد القوات المجاهدين أن تقتحم العاصمة كابول فى أواخر شهر شوال سنة ١٤١٢هـ/ أبريل ١٩٩٢م حيث قامت حكومة إسلامية وطنية ترأسها قلب الدين حكمتيار. ومما يجدر ذكره أن روسيا خسرت فى هذه الحرب أكثر من ثمانين ألف مقاتل، كما وقع فى الأسر من قواتها خمسة وثلاثون ألف مقاتل، وقد سمح رئيس الحكومة الأفغانية حكمتيار لأمهات الأسرى بزيارة أبنائهن.

وقد كان لهذا الانتصار الأفغانى نتائج نذكر منهما نتيجتين فرض وضوحهما الواقع بعد تلك الحرب أولى هاتين النتيجتين: سقوط الإمبراطورية الروسية المتمثلة فى الاتحاد السوفيتى وزوال الهيمنة الشيوعية فى العالم، وثانية النتيجتين: ما صرح به الزعماء فى أمريكا وأوروبا وهو أن المواجهة الآن أصبحت بين العرب والإسلام، وانتهاء شعار «الروس قادمون» ليحل محله شعار «المسلمون قادمون» وهو شعار تحذير، ودعوة للمواجهة.

أفغانستان في مواجهة الغزو والإفك الأمريكي:

عند وقوع الانفجار الهائل فى أوكلاهوما اتهمت السلطات الأمريكية على الفور العرب والمسلمين، ولوحق المقيمون منهم؛ وأوقع بهم صنوف من العسف والإهانات، وبعد أن أسفرت التحقيقات عن أن الفاعل الحقيقى أمريكى لم تصدر السلطات الأمريكية كلمة اعتذار واحدة.

وعندما اهتزت أمريكا فى الحادى عشر من شهر سبتمبر ٢٠٠١م بالإنفجارات الأعظم هولاً وجهت أيضا على الفور الاتهامات إلى العرب والمسلمين، وأعلن أن الفاعل الحقيقى هو المجاهد العربى وأعوانه أسامة بن لادن والحكومة الأفغانية، ودقت على الفور طبول الحرب الصليبية وأعلنها بصراحة الرئيس الأمريكى بوش الثانى ورئيس الوزراء الإيطالى وبعض المسئولين فى أمريكا وأوربا، وهو إعلان موافق لما صرح به وبعض زعماء أوربا وأمريكا بعد سقوط الاتحاد السوفيتى، وقد بلغ الطغيان الأمريكى ذروته عندما أعلن بوش الثانى حربه على أفغانستان مقرونا بخطته الشيطانية: «من لم يكن معنا فهو علينا» ومقترنا أيضا بلائحة الإرهاب فى العالم، والتى شملت بالإضافة إلى أفغانستان دولاً إسلامية أربع هى إيران والعراق وسوريا وليبيا وهى دول شريفة احتفظت لنفسها بقدر من الكرامة والعزة، وعقلاء العالم على يقين من أن سبب معاداة أمريكا لها إنما هو رفضها لعربدة إسرائيل وإفسادها وسيرها فى خطة قذرة لإبادة الشعب الفلسطينى أو إخراجه من أرضه، كما شملت لائحة الإفك هذه منظمات عربية إسلامية مجاهدة هبت لتحرر أوطانها والدفاع عن شعوبها وحمايتها من رجس القتلة سفاكى الدماء الصهاينة، هذه المنظمات العربية الإسلامية هى حزب الله، وحماس، والجهاد، وشهداء الأقصى.

ثم أقدمت أمريكا على حشد الدول ضد أفغانستان بالتهديد والرشوة كما فعلت مع الدول المجاورة لأفغانستان والبعيدة عنها، وللأسف بعضها إسلامية خضعت أنظمتها للإرهاب الأمريكى، وقبلت الرشوة، وسلمت فى الوقت نفسه بأن يطبق عليها المنهج الأمريكى القذر «العصا والجزرة».

وعلى الرغم من كل هذا فإن أمريكا لم تعلن أية أدلة مقنعة يمكن أن تعتمد عليها دولة محترمة لغزو دولة أخرى، بل هناك أدلة أبرزها عقلاء

الإعلاميين على استحياء تنفى ضلوع أفغانستان فى انفجارات ١١/ ٩ وتشير بأصابع الاتهام إلى اليهود، وتتلخص هذه الأدلة فيما يلى:

أولا: أن جماعة من اليهود كانوا يصورون الانفجارات لحظة وقوعها وهم يغنون ويرقصون طربا، وكأنما كانوا على موعد سابق مع هذه الأحداث، وقد ألقت السلطات الأمريكية القبض عليهم، وكتمت أمرهم..

ثانيا: أن جميع العاملين والمتعاملين اليهود فى المركز التجارى الأمريكى غابوا فى هذا اليوم ولم يحضر منهم يهودى واحد، وهذا يدل دلالة قاطعة على علمهم بما سيقع، وأن أوامر يهودية عليا صدرت إليهم ليتغيبوا.

ثالثا: إن رئيس الوزراء الإسرائيلى شارون أجّل رحلته إلى أمريكا والتى سبق أن قرر القيام بها فى هذا الوقت.

ولو لم يكن اليهود ضالعين فى التفجيرات لحذروا أصدقاءهم الأمريكيين، لكنهم فضلوا أن تقع هذه الانفجارات لتصبح ذريعة للدفع بالطرفين الأمريكى والإسلامى إلى موقف المواجهة.

رابعا: إن حجب أمريكا لأدلة تدعي أنها تدين أفغانستان عن العرب والمسلمين لهو أعظم دليل على إفكها أو وهن أدلتها وتفاهتها ورغبتها فى جعل هذه الأحداث مبررات لسيطرتها على بترول قزوين كما سيطرت على بترول الخليج.

وهكذا نرى أمريكا تستخف بعقول العرب والمسلمين وعقلاء العالم، وتعلن أنها إنما تحارب الإرهاب فى العالم، وتعطى لنفسها الحق فى وصف من شاءت من الشرفاء الأحرار بالإرهاب، وتصف النضال من أجل الحرية بالإرهاب، وهى فى حقيقة الأمر كرجل أحمق أخرق يقول ما يشاء ويحرك أعضاءه كيفما شاء..

وإفك أمريكا اليوم وبلاهة أدعاءاتها يذكرنا بإفك دول الاستعمار المبكر: أسبانيا والبرتغال وهولاندا التى أدعت بأن أساطيل الجهاد الإسلامية فى مياه الشمال الإفريقى ما هى إلا أساطيل قرصنة، وأن جندها وقادتها ما هم إلا قراصنة، بينما أجمع مؤرخو هذه الحقبة على أن هذه الأساطيل حمت دول الشمال الأفريقى من استعمار بغيض كان وقوعه وشيكا مؤكداً، وأنها دافعت

عن شرف هذه الدول وحريتها شأنها فى هذا شأن المجاهدين الأفغان عبر تاريخهم المجيد، وهذا الطرح التاريخى يلزمنا بأن نكشف النقاب عن الماضى الأمريكى لأن الذى ينصب نفسه حارساً أو قاضيا لابد أن يكون على الأقل ذا ماض نظيف وخلق نزيه، فما هى حقيقة الماضى الأمريكى؟

أولا: قامت الولايات المتحدة الأمريكية على جماجم وعظام شعوب السكان الأصليين لأمريكا (الهنود الحمر) فى وقت كان الإعلام فيه غير متاح.

ثانيا: ألقت أمريكا قنبلتين ذريتين على هيروشيما وناجازاكى فى اليابان، وأدى ذلك إلى مصرع ما يزيد على مائتى ألف يابانى، وتعويق أعداد مماثلة ماتوا بعد ذلك تباعا، وتلويث مناطق شاسعة بإشعاعات ذرية مسخت فيها الحياة مسخا، هذا على الرغم من أن بعض القادة والزعماء كانوا يرون أنه لا ضرورة لإلقاء هاتين القنبلتين بعد أن أصبح انتصار الحلفاء مؤكداً.

ثالثا: قتلت القوات الأمريكية فى حرب فيتنام مليونى فيتنامى شمالى.

رابعا: قتلت القوات الأمريكية فى الحرب الكورية مليون كورى شمالى.

خامسا: قتلت الآله العسكرية الأمريكية فى إندونيسيا نصف مليون إندونيسى متهمين بأنهم شيوعيون.

سادسا: قتلت الآلة العسكرية والمساندة الأمريكية للقوات الإسرائيلية حوالى نصف مليون عربى فى الحروب التى خاضتها إسرائيل ضد الفلسطنيين والدول العربية من سنة ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م- سنة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١ .

سابعا: قتلت أمريكا فى العراق أكثر من ربع مليون عراقى، وتسببت فى موت مثل هذا العدد.

ثامنا: تهدد أمريكا اليوم بضرب ست دول بالقنابل النووية هى إيران والعراق وسوريا وليبيا وكوريا الشمالية والصين، ورأى بعض المحللين أن المقصود بهذا التهديد إنما هى الدول الإسلامية الأربع، أما كوريا الشمالية والصين فما هما إلا غطاء ليصبح التهديد غير تعصبى صليبى.

تاسعا: تسعى أمريكا حاليا لضرب العراق وتحويله إلى أفغانستان أخرى.

عاشراً: تبنت أمريكا عملقة الأسلحة الإسرائيلية حتى أصبحت إسرائيل إحدى

الدول النووية التى تملك أعظم كم من أسلحة الدمار الشامل.

وفى الوقت نفسه حذرت ومازالت تحذر أية دولة إسلامية حتى ولو كانت صديقتها من الدخول فى أى مشروع نووى ولو كان سلمياً، أو أى مشروع لامتلاك أسلحة الدمار الشامل ولو كان دفاعياً.

حادى عشر: الهند وباكستان كلتاهما دولة نووية مجاورة لأفغانستان، غير أن إحداهما إسلامية والأخرى وثنية، وقد اختارت أمريكا الدولة الإسلامية لتوقع بها أعظم أنواع التهديد والإرهاب، ومنه ضرب مفاعلاتها وصواريخها النووية التى تحمى بها نفسها من الهند، كما طبقت عليها منهجها القذر «العصا والجزرة» فأعفتها من ديونها لتفتح لها الأراضى الباكستانية لتكون قواعد تنطلق منها طائراتها وقواتها لضرب أفغانستان، وفى الوقت نفسه لم توجه إلى الهند كلمة واحدة فى هذا المجال.

ثانى عشر: تقود اليوم أمريكا العمليات العسكرية فى الفلبين للقضاء على حركة مورو الإسلامية، وهذه الحركة استطاعت أن ترفع بعض الذبح والذل والقهر الذى أوقعته القوات الفليبينية بشعب مانداناوا المسلم، لكن لما كانت أعمال هذه الحركة العدلية التحريرة الإنسانية لا تصب فى مصلحة أمريكا ناصبتها العداء وسارعت لتقود حركة القضاء عليها.

ثالث عشر: فى وسط تعتيم إعلامى متعمد أبادت أمريكا قرى أفغانية بأسرها، وتعمدت كابول لإعلان ولائهم لحكومة حامد كارزاى الموالية لأمريكا، وقد كان هذا القصف رسالة موجهة إلى جميع رؤساء القبائل الأفغانية بأن من واجبهم الآن أن يستمعوا فقط لما يقرره الأمريكيون، وألا يعلنوا اقتراحاً أو نقداً لأى عمل تقوم به أمريكا فى بلادهم، ومما يؤكد ذلك أن الرئيس حامد كارزاى عندما وجه نداءه إلى أمريكا بوقف غاراتها على البلاد الأفغانية لأن الحملة حققت أهدافها وهى إسقاط حكومة طالبان نهرته أمريكا بشدة قائلة له: «إن هذا شأن أمريكى يجب ألا تتحدث فيه، فصمت الرجل إلى الأبد.

رابع عشر: ارتكبت القوات الأمريكية العديد من المذابح فى البلاد الأفغانية لكن أعظم مذبحة ارتكبتها وتضاءلت أمامها مذابح النازيين تلك المذبحة التي أوقعتها بالجنود الأفغان فى قلعة قندهار رمياً بالرصاص أو حرقا بالسولار، والتى قضى فيها على أكثر من ألفى أفغانى.

وعندما سئل وزير الدفاع السفاح العالمى رامسيفيلد عن هذه المذبحة البشعة لم ينكرها ولم يبررها إنما قال فى تبجح: «إن هؤلاء يجب أن يقتلوا ولا يحق لهم أن يعاملوا بأى حق من حقوق الإنسان».

خامس عشر: نشرت إحدى المجلات الأمريكية مازعمت أنه اتجاه قوى للرأى العام الأمريكى، وهو العمل على ضرب مكة المكرمة بقنبلة نووية، وعلى الرغم من الخطورة البالغة لنشر مثل هذه التهديدات فإنه لم يصدر من أى مسئول أمريكي لوم أو انتقاد لما نشرته هذه المجلة، وهو ما يؤكد رضا السلطات الأمريكية عما نشر، ويشير فى الوقت نفسه إلى لون جديد من ألوان التهديدات الأمريكية للعالم الإسلامى.

والمحصلة النهائية لما عرضناه من حقائق هى أن الولايات المتحدة دولة إرهاب عالمى تمارسه ضد العالم الإسلامى تحت غطاء من العناوين الكاذبة.

كما أنها ترعى الإرهاب الذى تمارسه إسرائيل ضد الشعب الفلسطينى وتسانده.

كما أن بعض الأنظمة الإسلامية وعلى رأسها النظام الحاكم فى باكستان باعت الأمة الأفغانية للعدو الأمريكى بثمن بخس، كما باعت فى الوقت نفسه شرفها وكرامتها وضمائرها.

مصادر ومراجع اعتمد عليها المقال

١- أخبار العالم الإسلامى المعاصر، جمع د/ عبد الجواد صابر إسماعيل الدفاتر ٢٠- ٢٣ من سبتمبر - ديسمبر ٢٠٠١م ومن يناير إلى مارس ٢٠٠٢م، مخطوطات.

٢- أفغانستان بين الأمس واليوم، تأليف أبى العينى فهمى محمد طبع القاهرة ١٩٦٩م.

٣- أفغانستان مقبرة الغزاة، تأليف أم القعقاع، تقديم القائد عبد رب الرسول سياف، طبع جدة بدون تاريخ.
٤- الانحياز، علاقة أمريكا السرية بدولة إسرائيل العسكرية تأليف ستيفن غرين، وترجمة/ سهيل زكار. طبع دمشق ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
٥- تاريخ الهنود الحمر، تأليف دى براون، وترجمة توفيق الأسدى طبع اللاذقية ١٩٨٢م.
٦- جرائم الحرب فى فيتنام، تأليف برتراندراسل، وترجمة د/ يحيى عويس، طبع القاهرة ١٩٧٠م.
٧- الهنود الحمر، تأليف د/ على عبد الواحد وافى، طبع القاهرة ١٩٦٠م.

ثم تحدث الأستاذ الدكتور/ سعد بدير الحلوانى أستاذ التاريخ الإسلامى عن موضوعه:

عولمة قضية فلسطين

أ.د/ سعد بدير الحلواني

أستاذ التاريخ الإسلامى

لاشك أن قضية فلسطين لم تعد قضية شعب أو حتى قضية أمة بل إن الأمر تعدى ذلك إلى آفاق أوسع تصل بها إلى العالمية، وما السيطرة الصهيونية على الأراضى الفلسطينية إلا مقدمة لسيطرة أخرى يسير متوازية على محاور عدة فى جميع أنحاء العالم.

فقد ضربت الصهيونية العالمية عرض الحائط بقرارات الشرعية الدولية المتتالية نظراً لسيطرتها على صانعي القرار الدولى، وتمكنهم من الهيمنة على مراكز اتخاذ القرار فى العالم نزولاً من أعلى سلطة عالمية متمثلة فى الولايات المتحدة، ومن سار فى فلكها عالمياً فى أوربا إلى أن وصلت هيمنتهم وأصابهم الخفية إلى الدول الصغيرة أو الضعيفة فى العالم الثالث الأقل شأناً عن طريق السيطرة على الإعلام الذى يدفع بنهجها وإرادتها إلى صانعى القرار من القمة إلى القاعدة، وكذلك السيطرة اليهودية على مراكز المال الذى يتحكم فى عملية الوصول إلى أعلى المراكز عن طريق التدخل المالى، وما تديره المنظمات الصهيونية من شبكة تحيط بمراكز اتخاذ القرار العالمية فى أمريكا وأوربا والأمم المتحدة ومجلس الأمن هذه الجهود التى أدت فى النهاية إضعاف عملية تفعيل دور الأمم المتحدة ومجلس الأمن فى تحويل القرارات المنصفة إلى جانب عملى مؤثر.

وتتوالى الخطط اليهودية بدءاً من ضرب الفلسطنيين وضرب عرض الحائط بالقرارات المنصفة لهم، وطرق الحديد وهو ساخن فى جميع أنحاء العالم لوأد أية معارضة لسياستهم، ثم السعى فى النهاية للسيطرة على العالم ككل انطلاقاً من نظرية ضرب المربوط ليخشى الطليق، فأصبح العالم بأجمعه يخشاهم، إلا حفنة من الشباب والصبية باتوا يوفون بما عاهدوا الله عليه فالله ناصرهم ومؤيدهم **﴿وما النصر إلا من عند الله﴾** فالثبات وعدم التفريط هو المطلوب فى هذه المرحلة المطلوب فيها الشجاعة والإقدام دون خضوع أو خنوع والحلول عديدة والله الموفق لما فى الرضا والفلاح

د. سعد بدير الحلوانى

أستاذ التاريخ الإسلامى الحديث-م

ثم تحدث السيد الدكتور/ عبد المعطى البيومى سالم الدرينى مدرس التاريخ الحديث بالقسم

عن موضوعه:

المقاطعة العربية لاسائيل ١٩٤٥- ١٩٥٦

د. عبد المعطي البيومي سالم الدريني

مدرس التاريخ الحديث بالقسم

مما لا شك فيه أن المقاطعة العربية لاسرائيل تمثل أحد أوجه الحرب الاقتصادية والسلاح الفعال ضد الاحتلال الصهيونى فى حالة عدم الدخول فى حرب بين العرب وإسرائيل.

وقد تؤدى المقاطعة العربية دورها الفعال وتلزم الطرف المعتدى إلى الرضوخ لنداء الحق وعودة الحقوق الفعلية إلى أصحابها وهو السلاح الذى استخدمته جامعة الدول العربية ضد إسرائيل فى كثير من المواطن الفعالة.

وأكد علماء القانون الدولى بأن المقاطعة تعتبر مشروعة فى حالة الشعوب المغلوب على أمرها بهدف استعادة حقوقها المسلوبة، ومن هؤلاء شارل روسو [أستاذ القانون الدولى الفرنسى] الذى رأى بأن المقاطعة هى العقوبة أو رد فعل زجرى ضد عمل لا شرعى، وتفرض على المعتدى بصرف النظر عن طبيعة تلك المقاطعة مستنداً فى ذلك عى المادة ١٦ من لائحة عصبة الأمم، والمادة ٤١ من ميثاق هيئة الأمم المتحدة، وضرب لذلك عدة أمثلة منها التقرير الذى تبنته الجمعية العامة لعصبة الأمم فى ٢٣ فبراير سنة ١٩٣٣ عند الخلاف الصينى اليابانى.

من خلال ذلك نستطيع التأكيد بأن المقاطعة هى عقوبة تفرضها دولة أو مجموعة من الدول على دولة ارتكبت عملاً غير شرعى، أو هى تدابير زجرتة من دولة ضد دولة أخرى ارتكبت ضدها عملاً منافيا للحق الدولى.

أما الهدف المرجو من المقاطعة فيتراوح بين الضغط حتى حصول النتيجة أو الحصار حتى سقوط وانهيار الحكم المطلوب معاقبته أو تأديبيه، ومن جراء ذلك فقد تنحصر المقاطعة فى بعض الميادين كمنع تسليح الدولة المعتدية أوضع الاستيراد منها أو الاتجار معها فى أية حالة من الأحوال حتى يتم إحكام

الخناق الاقتصادى إحكاما قاتلاً.

أما السلطة صاحبة الحق فى تقرير المقاطعة فتتمثل فى الأسرة الدولية الكبرى عن طريق هيئة الأمم المتحدة، أو تكون مثلة فى مجموعة من الدول عن طريق المنظمات الإقليمية، أو الدولة المتضررة نفسها ضد الدولة المعتدية.

وفى حالتنا تلك طالبت أكثر من مرة فى أكثر من ندوة ومؤتمر بتطبيق نظم المقاطعة العربية ضد إسرائيل أقربها ما طالبت به فى الندوة الأخيرة بالكلية قبيل عقد قمة الدول العربية فى بيروت والتى أصدرت قراراتها منادية بالسلام دون النظر إلى اتخاذ بدائل فعالة وقوية -فى حالة رفض الدولة المعتدية الخضوع لمائدة السلام- من شأنها ردعها وردع القوى التى تؤيدها وتساندها فى موقفها.

وإذا كان العرب الفلسطينيون هم أول من طبق نظم المقاطعة العربية فى الأراضى المحتلة كمرحلة أولى حتى قيام اسرائيل فى ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ فذلك كان بهدف عدم تمكين بناء صناعة يهودية فى فلسطين أو حتى على الأقل عدم تصريف منتجاتها، لأن الصناعة الإسرائيلية تلعب دوراً خطيرا لأهمية فى مستقبل إسرائيل الاقتصادى بل فى كيانها كله حيث تعتمد كافة مؤسساتها عليه من مصادر المياه والكهرباء والموانئ والمطارات والمدارس المهنية ومراكز التدريب وغيرها من المرافق، ولم تكن تلك المرحلة ذات فعالية إيجابية ملموسة لاعتمادها على الجانب السلبى فقط وهو ما يعنى الإحجام عن شراء المنتجات الصناعية الصهيونية مع عدم التعرض إلى متابعة الصناعة اليهودية بشكل عام فى الخارج.

وتنبت الجامعة العربية منذ بشأتها فى مارس سنة ١٩٤٥ المرحلة الثانية من المقاطعة العربية سواء فى داخل الأراضى المحتلة أو حتى فى خارجها، وصدرت القرارات التى توصى بإنشاء مكتب دائم للمقاطعة وتأليف لجان مهمتها متابة وتنفيذ سياسة المقاطعة العربية ضد الدول الصهيونية، كما نفذت الجامعة ونظمت الأسس التى قامت عليها أجهزة المقاطعة من النواحى الإدارية بوجه عام.

ومن المؤسف أن المقاطعة فى بداية مرحلتها الثانية فقدت فاعليتها نتيجة

عدم إلتزام بعض الدول العربية لقرارات الجامعة حيث تسربت الصناعات الصهيونية إلى الأسواق العربية خلال السنوات من ١٩٤٥ وحتى ١٩٤٨ لتفقد المقاطعة حيويتها وقيمتها وفاعليتها فى بعض مراحلها، وذلك يعود إلى أن قرارات أجهزة المقاطعة لم يكن لها الصفة الإلزامية على حكومات الدول العربية بل كانت تصدر بصيغة توصيات لحكومات الدول العربية لها الأخذ بها وتنفيذها حسب ما يترآى لها أو تتركها ولا تنفذها.

ولتقوية جهاز المقاطعة أصدرت الجامعة قرارها فى مايو سنة ١٩٥١ بإنشاء مكتب فعلى للمقاطعة وحددته مكانه بدمشق على أن يعمم بإنشاء مكاتب إضافية فى العواصم العربية للمكتب الرئيسى بهف جمع المعلومات والبيانات والوثائق وتقديمها للمكتب الرئيسى حتى يتمكن من المتابعة والتحليل والتنفيذ.

ومنذ ذلك الوقت أصبحت المقاطعة فعالية وسلاح مؤثر وقوى حيث التزمت كافة الدول العربية بالامتناع عن التعامل مع اسرائيل بطريق مباشر أو غير مباشر.

والمقاطعة العربية المستخدمة كانت ذات شقين سلبى وإيجابى، فالسلبى هو عدم الدخول فى أية علاقات إقتصادية مع إسرائيل سواء فى الميدان التجارى أو المالى أو النقدى تصديراً واستيراداً، أو من خلال ميدان المعاملات المالية والمصرفية.

أما الشق الإيجابى فهو محاولة منع رؤوس الأموال الأجنبية من التدفق على إسرائيل وإغراء الموجود فيها للهرب منها، والعمل على منافسة اسرائيل فى أسواق صادراتها وعرقلة حصولها على المواد اللازمة للصناعة.

فى هذا الجانب استخدمت المقاطعة سلاح القائمة السوداء ضد كافة المؤسسات الاقتصادية والمالية والمصرفية العامة والخاصة والتى ثبت تعاملها مع اسرائيل، وامتد نظام القائمة السوداء ليشمل كافة القطاعات وأهمها السفن والطائرات التى تقوم على تقديم تسهيل من أى نوع لإسرائيل.

والمقاطعة فى هذا الجانب قدمت بوادر إيجابية تنم عن فاعلية، فمن خلال التقارير والإجراءات المتخذة من قبل المكتب الرئيسى بدمشق والمكاتب

الإقليمية لمقاطعة إسرائيل من ١٩٥٠- ١٩٥٦ تبين منها أن المكاتب الإقليمية وضعت العديد من الشركات الأجنبية التى تتعامل معها وفى نفس الوقت مع إسرائيل قيد القائمة السوداء، أو وضعت محل الحظر على منتجاتها حتى يتم تسوية أوضاعها فى المواد الغذائية والأفلام والآلات الكاتبة وأجهزة البرق وأجهزة حفر الآبار والمنتجات والشركات التى تتعامل فى الاستيراد والتصدير، وكذا الشركات التى تنتج الأحذية ومحولات ومحركات القوى الكهربائية وذبح اللحوم وحفظها وإنتاج الورق بأنواعه، وكذا إنتاج العلب والصناديق المصنوعة من المعدن، وكذا شركات إنتاج أنابيب المياه من الأسمنت المضغط وكافة مستلزمات أدوات المنزل من الملاعق والشوك والسكاكين وغيرها من أدوات المائدة.

وفى حصر كامل للشركات التى أنهت تعاملها مع اسرائيل أو ثبت براءتها من الاتهامات الموجهة إليها لعام ١٩٥٤ تبين ما يلى:

أولا: من ١/ ١/ ١٩٥٤ وحتى ٣٠/ ٦/ ١٩٥٤ عدد الشركات ٢٧ شركة.

ثانيا: من ١/ ٧/ ١٩٥٤ وحتى ٣١/ ١٢/ ١٩٥٤ عدد الشركات ٢٣ شركة المجموع ٥٠ شركة

ولإعطاء صورة فعلية لدور المكاتب الإقليمية العربية فإن المكتب الإقليمى المصرى أدرج مجموعة من الشركات الإجنبية التى ثبت أدانتها وحظر التعامل معها، وذلك وإما لمساهمتها الفعلة فى إنشاء مصانع فى إسرائيل أو لمساهمتهافى رأس مال شركات إسرائيلية أو منحت حق استخدام اسم الشركة فى المنتجات الإسرائيلية أو مدير الشركة أحد الصهاينة.

وقد بلغ عدد تلك الشركات فى الفترة من أول يناير وحتى ديسمبر سنة ١٩٥٤ ١٧ شرة أجنبية.

إن ذلك كله يدل دلالة واضحة على أن جهاز المقاطعة الغربية التابع لجامعة الدول العربية قام بدوره كسلاح فعال فى قضية الصراع العربى الإسرائيلى خير قيام خلال الفترة الأولى من الصراع، وأن الإجراءات التى اتخذت بشأنه إن نفذت بدقة وحزم من كافة الدول العربية دون ترافع وسدت النجوات والثغرات المتناثرة منها لكان لسلاح المقاطعة شأن آخر.

أما عن التطبيق الحالى لجهاز المقاطعة بعد أن خرجت إسرائيل عن كل القواعد المنافية للإنسانية والشرائع الدولية واحترام حقوق الإنسان والتمثيل بجثث الشهداء فأدى فيها وجهين ألخصهما فيما يلى:

أولا: المقاطعة الرسمية وتشمل شقين:

أ- السياسية والدبلوماسية وتقوم على طرد كل السفراء والبلوماسسين الأجانب والذين ثبت ضد دولتهم تهمة تأييد وتحريض دولة الاحتلال الصهيونى فى موقفها الحالى مع إخواننا فى فلسطين.

قطع جميع العلاقات بالتناسق بين الدول الإسلامية فى العالم مع كافة المنظمات الدولية والإقليمية التى تتعامل مع إسرائيل أو تؤيدها فى موقفها الحالى أو حتى تقف مع الأحداث الدامية على الساحة الفلسطينية موقفا سلبيا كهيئة الأمم المتحدة بكافة أجهزتها المتفرعة منها.. الخ.

ب- الاقتصادية وتقوم على قطع كافة العلاقات مع الشركات الأجنبية ووضعها فى القائمة السوداء فى حالة ثبوت التهمة عليها بالتعامل مع إسرائيل من قريب أو بعيد، وخاصة شركات الطيران والملاحة البرية وشركات صناعة الأسلحة.

ثانيا: المقاطعة الشعبية العربية:

وتلك تخضع لمقاطعة كافة المنتجات المستوردة والمتواجدة حاليا فى الأسواق العربية والقادمة من شركات تتعامل مع دولة الاحتلال فى حالة عدم تنفيذ المقاطعة على الجانب الرسمى أو حتى من جانب إحدى حكومات الدول العربية أو الإسلامية التى فقدت شروط المقاطعة المنصوص عليها فى لائحة الجامعة العربية، وقد نفذ ذلك الجانب فى الولايات المتحدة الأمريكية ضد منتجات اليابان التى تتواجد بكثرة فى أسواقها وتزاحم منتجاتها دون التعرض لقطع العلاقات السياسية معها. وهو ما بررته الحكومة الأمريكية فى رفضها للمنتج اليابانى الذى غزا أسواقها وأوقف بضائعها ومنتجاتها المحلية عن الصرف.

د/ عبد المعطى البيومى سالم الدرينى

مدرس التاريخ الحديث والمعاصر بالكلية

ثم تحدث فتحى أحمد شلبى المدرس بالقسم عن موضوع:

موقف الغرب من قيام الخلافة الإسلامية في العصر الحديث

د. فتحي أحمد شلبي

والتى ألقيت ضمن مشاركة قسم التاريخ والحضارة بكلية اللغة العربية بالقاهرة فى الندوات العلمية بمدرج حمروش بالكلية وألقيت بتاريخ الأحد ٢٤/ ٣/ ٢٠٠٢م والتى ألقاها الدكتور/ فتحى أحمد السيد شلبى المدرس بالقسم تناول المحاضر -تعريف الخلافة من ناحية الاصطلاح الشرعى ووظيفتها وقيامها فى العام ١١هـ- وأهميتها للمسلمين فى كل عصر (لحراسة الدين وتطبيق الشريعة وكيف قامت بهذه الوظيفة إلى أن ألغاها مصطفى كمال أتاتورك فى تركيا فى شهر رجب ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٤م).

ثم تكلمت عن دور الفعل فى العالم الإسلامى وخاصة مصر والذى تمثل فى بيان هيئة كبار العلماء فى الأزهر الشريف بشأن الخلافة ودعوة أعيان المسلمين لعقد مؤتمر لبحث مسألتها ووجوب إعادتها إلى حياة المسلمين مرة أخرى وردود فعل العالم الإسلامى على هذه الدعوة ولهفته على الخلافة واستجابته للدعوة ثم تكلمت عن شخصية أتاتورك الغامضة وانتسابه إلى (اليهود الدونمة) وصلته بانجلترا ودور المنظمات السرية اليهودية الأعضاء فى جماعة الاتحاد والترقى فى القضاء على الخلافة ثم بينت موقف ساسة الغرب وعدائهم وشماتتهم من خلال تصريحاتهم غداة إلغاء الخلافة مثل وزير الخارجية البريطانية (تشمبرلين) ورئيس الحكومة البريطانية (لويد جورج) وتصريح المسيو (جاسير) تقرر معاهدة لوزان أمام مجلس الشيوخ الفرنسى و(ترونسكى) وزير الحربية الروسى وأحد زعماء الشيوعية، كذلك تصريح المسيو (جرانداى) وكيل وزارة الخارجية الإيطالية وإظهارهم جميعا الشماتة والحقد والعداء نحو الخلافة وتخوفهم من استطاعة المسلمين إعادتها مرة أخرى بعد الفجيعة والهلع الذى أصاب العالم الإسلامى من جراء إلغائها فى تركيا.

وتكلمت عن معاهدة لوزان والدور الذى لعبه رئيس وفد إنجلترا ووزير خارجيتها (كرزون) بالتعاون مع كل من (حاييم ناعوم) كبير حاخامات

اليهود فى تركيا، واليهودى العثمانى (سلام) مستشار الوفد الإيطالى فى مؤتمر لوزان وقيامهم بدور الوساطة وكيف أن إلغاء الخلافة كان ثمنا لحرية تركيا واستقلالها ثم تناولت تحليلات المحررين الساسيين للصحف الغربية بشأن حادث إلغاء الخلافة وموقف العالم الإسلامى المستنكر لهذا الإلغاء ونشاطه لاعادتها مرة أخرى والذى تمثل فى الدعوة إلى مؤتمر إسلامى عقد فى رحاب الأزهر الشريف فى مصر فى تلك الفترة نذكره ما نشرته الصحف الغربية حول هذا النشاط الذى دب فى العالم الإسلامى وموقفها المعادى من هذا النشاط وإجماعها على هذا العداء، وكان من هذه الصحف صحيفة (الديلى نيوز) اللندنية و(الديلى كرونكل) وصحيفة (مانسستر جارديان) وصحيفة (البيتى جورنال) الفرنسية وصحيفة (التربيونا) الإيطالية وكذلك صحيفة (الضد) النيويوركية، وبينت كيف نشرت هذه الصحف تصريحات ساستها ومخاوف أمها متشائمة من المستقبل الذى يتنظر الإسلام من الاتحاد والقوة وإقامة الخلافة ودعوة ساستها ومفكريها لرسم الخطط والبرامج التى تدرأ عنها هذا الخطر المنتظر من قوة الإسلام القادمة.

ثم ختمت الكلام عن نتائج مؤتمر الخلافة الذى عقد فى يوم الخميس أول ذى القعدة الحرام ١٣٤٣هـ الموافق ١٣ من مايو ١٩٢٦) وكيف أنه رسم الطريق لعودة الخلافة مرة أخرى عن طريق عقد مؤتمرات متوالية للوصول إلى هذا الواجب المناط بأعناق المسلمين وكيف أن منظمة المؤتمر الإسلامى ورابطة العالم الإسلامى فى مكة المكرمة تمثل تجسيدا لهذا المطلب وخاصة إذا علمنا أن الملك فيصل رحمه الله عايش مؤتمر الخلافة وكان من المتابعين لقراراته وكان آنذاك أميرا ونجل سلطان نجد وملحقاتها عن طريق مراسلات الملك عبد العزيز لهيئة مؤتمر الخلافة وتأييده لعقد هذا المؤتمر ومشاركة الأمير فيصل فى هذه المراسلات ومعه طبقات الشعب النجدى.

الندوة الثامنة: فى محاضرة عن: «مخاطر الإدمان وتعاطى المخدرات»

قدم لها الأستاذ الدكتور على على صبح عميد الكلية ورائد الشباب وأعدها وألقاها الأستاذ الدكتور/ محمد محمد مدنى رئيس قسم الأمراض النفسية بكلية الطب بجامعة الأزهر الشريف.

وأعانه فى المناقشة فريق من الكلية ومستشفى الحسينى الجامعى وذلك فى ٣١/ ٣/ ٢٠٠٢م.

الندوة التاسعة: عن الإسعافات الأولية وأهميتها فى مواجهة الكوارث فى ٣/ ٤/ ٢٠٠٢م.

قدم لها الأستاذ الدكتور على صبح عميد الكلية ورائد الشباب وأعدها وألقاها الدكتور فتوح حسنين من جمعية الهلال الأحمر المصرى.

الندوة العاشرة: أقامها قسم البلاغة والنقد، وقدم لها الأستاذ الدكتور فتحى فريد رئيس القسم، وعلق عليها الأستاذ الدكتور عميد الكلية، والاستاذ الدكتور محمود عبد العظيم صفا، والأستاذ الدكتور: عادل محمد الأكرت.

موضوع المحاضرة: «إشكالية المجاز فى اللغة والقرآن الكريم» أعدها وألقاها الأستاذ الدكتور/ عبده أحمد هليل عليان الأستاذ بالقسم.

إشكالية المجاز في اللغة والقرآن

د. عبده أحمد هليل عليان

الحمد لله على نعمة البيان، والصلاة والسلام على أفصح الخلق وعلى آله وصحبه .

نعمة البيان من أهم نعم الله على الإنسان قال عزوجل: ﴿**الرحمن * علم القرآن * خلق الإنسان(٤) علمه البيان**﴾ فقد جمع القرآن الوجود كله فى الآيات الأربع الأولى من سورة الرحمن وقد بلغت القمة فى الإيجاز والاختصار، وبلغت القمة أيضاً فى النظم البديع والتأليف العجيب.

والبيان ضرورة للإنسان ومن هنا علّم الله آدم أسماء المسميات منذ الوجود الأول فى الآية ٣١ وما بعدها من سورة البقرة قال تعالى: ﴿**وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبؤنى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين**..(٣١)﴾.

وإذا نظرنا فى صدر الآية نجد الفاعل ضميراً مستتراً هو الله تعالى، وآدم مفعول وآل فى الأسماء للجنس أو الاستأراق، وبذلك فنشأة اللغة عند الإنسان الأول توقيف من الله عزوجل وهذا أمر ثابت بالنص المذكور، ولا اجتهاد مع النص.

ولو لم يكن البيان بهذه المنزلة ما علّم الله خليفة الله فى الأرض البيان.

لذلك قال العلماء: «لولا البيان ما عرف كفر من إيمان، ولا إساءة من إحسان، ولا علم من جهل، ولا فصاحة من عى، وما ظهرت اختراعات ولا اكتشافات وما عرف الإنسان ضمير صاحبه ولا حاجة أخيه، بل يصبح الوجود والعدم سواء».

والبيان كما عرفه أبو عثمان الجاحظ المتوفى ٢٥٥هظ فى البيان والتبيين «المنطق الفصيح المعرب عما فى الضمير».

والبيان بهذا التعريف يتناول أمرين: المنطق الفصيح: الألفاظ وهو علم الدلالة، والمعرب عما فى الضمير: المعانى والمقاصد والأغراض التى يقصد المتكلم إليها.

والألفاظ على كثرتها محصورة معدودة فى معاجم اللغة.. أما المعانى

فهى متسعة إلى غير غاية وممتدة إلى ما لا نهاية حسب الأزمنة والأمكنة وتجدد الثقافات وتنوع الفنون والآداب.

ومن هنا احتاج الإنسان إلى التنوع فى إستخدام مفردات اللغة، فقد استخدم اللفظ حقيقة لغوية، وحقيقة شرعية، وحقيقة عرفية، وحقيقة اصطلاحية، وحقيقة مهنية.. حسب تجدد المعارف والثقافات والعلوم والفنون..

ثم استعملوا اللفظ مشتركاً لفظياً وهو فى كل هذا حقيقة لغوية.

وبذلك فالحقيقة اللغوية هى الكلمة المستعملة فيما وضعت له فى اصطلاح به التخاطب.

وهذا القيد الأخير فى اصطلاح به التخاطب «ليشمل كل الاستعمالات التى سبقت وما يستجد من استعمال فى اصطلاح به التخاطب.

«ضرورة المجاز»

مع التنوع المتعدد فى استخدام اللفظ حقيقة نجد الألفاظ المحصورة لا تفى بحاجات الإنسان غير المحصورة.. فنقل اللفظ من الحقيقة إلى المجاز توسعة على الشعراء والكتاب والمتكلمين.. وهذا التنوع فى الاستعمال للفظ وارد فى الاستخدام العربى للغة شعراً ونثراً من خلال ما صول إلينا من كلامهم.

ما المجاز؟ معناه عند أهل اللغة الجواز والانتقال والتعدية من حال إلى حال ومن مكان إلى مكان ومن صفة إلى صفة.. ومنه جواز السفر الذى به الانتقال من بلد إلى آخر...

أما المجاز عند البلاغيين فهو اللفظ المستعمل فى غير ما وضع له لعلاقة وقرينة تمنع من إرادة المعنى الأصلى للفظ.

والمجاز اللغوى هذا ينقسم إلى مرسل واستعارة بحسب العلاقة.

فإن كانت العلاقة المشابهة فهو الاستعارة لأنها تعتمد على التشبيه فهى على كثرتها فى الأساليب ليست لها إلا علاقة واحدة هى المشابهة..

وإن كانت العلاقة غير المشابهة فهو المجاز المرسل، ووصف بذلك- المرسل- لأنه أرسل عن التقييد بعلاقة واحدة أو لأنه خلا من دعوى الاتحاد التى تبنى عليها الاستعارة والذى أوجد كل هذا التنوع النصوص التى نطق بها العربى الفصيح الذى عصم الله لسانه من الخطأ فى اللغة حتى قيل العربى لا يخطئ لأن النص أبو القاعدة، والقاعدة بنت النص.

وبذلك اتضح لنا أن المجاز ضرورة فى البيان العربى ذلك:

(١) لقلة الألفاظ أمام كثرة المعانى-كما أوضح الجاحظ.

(٢) للتوسعة على الشاعر والكاتب وعلى المتكلمين عامة.

(٣) الانتقال من الحقيقة التى تقصد إلى الصدق ومراعاة الواقع إلى المجاز الذى يقصد إلى المبالغة والإنتقال من عالم الواقع إلى عالم الخيال، والخيال من وسائل الإدراك عند الإنسان وبكل هذا نطقت العرب وتكلمت.

والقرآن الكريم عربى جرى على الأعراف العربية فى التعبير قال تعالى: **﴿حم * والكتاب المبين * إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون﴾**(١).

ومن هنا قيل: إذا خفى عليكم شيء فى كتاب الله فاطلبوه فى أشعار العرب فإنه نزل بلسانهم.

وكان الإمام عبد الله بن عباس رضى الله عنه يجلس فى فناء الكعبة المشرفة يفسر القرآن بالشعر- مسائل نافع بن الأزرق(٢).

وكلمة مجاز بدأت مع بداية البحث البلاغى فقد سمى أبو عبيدة معمر ابن المثنى ت ٢٠٠هـ كتابه وهو أول مؤلف فى البحث البلاغى «مجاز القرآن».

والمجاز عند أبى عبيدة هو الطريق إلى فهم المعنى المراد من الكلام.

ولم يعترض أحد من العلماء على هذا الاسم بل تتابع وتطور فى بيئة البلاغيين والفقهاء والمتكلمين..

وقد حدث خلاف بين العلماء فى إثبات المجاز وإنكاره واحتج المثبتون للمجاز فى القرآن الكريم بقوله تعالى: **﴿ليس كمثله شيء(١١)﴾**الشورى. وبقوله: **﴿واسأل أهل القرية التى كنا فيها(٨٢)﴾**يوسف. وبقوله تعالى: **﴿جدارا يريد أن ينقض فأقامه(٧٧)﴾**الكهف.

والأول من باب التجوز بالزيادة، ولهذا لو حذفت الكاف لبقى الكلام مستقلا.

والثانى من باب النقصان فإن المراد أهل القرية.

والثالث من باب الاستعارة لتعذر الإرادة من الجدار(١).

واحتج المانعون بقولهم، لا نسلم التجوز فيما ذكرتموه من الألفاظ.

أما الأول: **﴿ليس كمثله شيء﴾** فهو حقيقة فى نفى التشبيه.

---

(١) الآيات من ١-٣ سورة الزخرف.

(٢) الاتقان في علوم القرآن للإمام السيوطي.

والثاني: المراد به مجتمع الناس فإن القرية مأخوذة من الجمع.

والثالث: قوله تعالى: ﴿جداراً يريد أن ينقض﴾ فهو حقيقة لأنه لا يتعذر على الله خلق الإرادة فيه.

وهذه النصوص التي احتج لها المثبتون والمانعون ليست نصاً في المجاز فقوله تعالى ﴿ليس كمثله شيء﴾ نفي للمشابهه من كل وجه.

وقوله تعالى: ﴿واسأل أهل القرية﴾ يحتمل الإيجاز بالحذف، أهل القرية أو من قبيل المشترك اللفظي الذي يطلق على الأبنية والسكان.

والمثبتون للمجاز في اللغة والقرآن ذكروا نصوصاً صريحة في الحمل على المجاز.

منها قوله تعالى: ﴿واشتعل الرأس شيباً﴾ لأن اللفظ الموضوع للشيب انتشر واشتعل مستعار له على طريق الاستعارة التصريحية التبعية في الفعل.

ومنه قوله تعالى: ﴿والصبح إذا تنفس﴾.

قول الله تعالى: ﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات﴾ فإن الظلمة والنور هنا من قبيل الاستعارة التصريحية الأصلية لاستحالة حمل الكلمتين على الحقيقة عقلاً.

وأيضا نجد البيان النبوي مفعم بالمجازات[٢].

وأيضا كلام العرب شعره ونثره.

والاستقراء في ذلك يخرج عن الطاقة كما يعرق ذلك المشتغلون باللغة العربية.

وبذلك نرى أن حجة المثبتين للمجاز في اللغة والقرآن الكريم أقوى من حيث النص والتطبيق.

اللهم وفقنا إلي الصواب والرشد والسداد(٣)

أ.د/ عبده أحمد هليل عليان
أستاذ البلاغة والنقد
بكلية اللغة العربية- القاهرة

(١) الإحكام في أصول الأحكام للآمدي. (٢) المجازات النبوية للإمام الشريف الرضي.

(٣) خلاصة محاضرة ألقيت في كلية اللغة العربية بالقاهرة في الموسم الثقافي سنة ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

الندوة الحادية عشرة: أقامها قسم أصول اللغة، وقدم لها وعلق عليها الأستاذ الدكتور/ أمين فاخر رئيس القسم وموضوعها:

تعريب العلوم ضرورة حضارية[1]

للأستاذ الدكتور/ عبد الفتاح عبد العليم البركاوي

الأستاذ بالقسم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.. وبعد؛

فقد أصبحت قضية التعريب بوجه عام، وتعريب العلوم على نحو أخص من القضايا الملحة التى تشغل بال اللغويين وغيرهم من الإعلاميين ورجال التعليم والسياسيين والقانونيين، ذلك أنها لم تعد قضية لغوية فحسب وإنما صارت قضية ذات أبعاد دينية وثقافية وتاريخية، ولعل البعد الحضارى لهذه القضية هو أهم هذه الأبعاد جميعا، وإذا كنا قد ارتضينا فى الأونة الأخيرة مصطلح «حوار الحضارات» بديلا عن «صراع الحضارات» فإن لنا أن نتساءل: بأى لغة نتحاور مع الحضارات الأخرى؟

إن الحضارة العربية بكل ما تعنيه الحضارة من ثقافة وعلم وأدب وفن قد صاغت ذلك كله بلغة عربية استطاعت على مر العصور أن تستوعب الثقافات الأخرى وأن تضيف إليها ما أبدعته العقلية العربية فى مجالات العلم المختلفة، هذا فضلاً عن القيم العليا التى حملتها رسالة الإسلام إلى العالم كافة.

إن غايتنا من هذه المحاضرة أن نثبت بالدليل العلمى أن اللغة العربية قد استطاعت فعلاً أن تستوعب التراث الإنسانى المتمثل فى الثقافات الهندية واليونانية عندما نقلته إليها فحافظت عليه من الضياع، وأضافت إليه الكثير، مما جعلها مصدراً أساسيا للنهضة الأوروبية الحديثة.

إن لفظ «التعريب» مصطلح متعدد الاستعمال، وهو حينما يطلق هكذا فإنه يراد به الغالب نقل الألفاظ الأجنبية إلى اللغة العربية بعد إخضاعها لمقاييس الكلام العربى. وهذا هو معنى التعريب على ذلك عملية مستمرة منذ العصر الجاهلى وحتى يوم الناس هذا، وليس هذا بمستغرب ولا معيب لأنه نتاج طبعى لالتقاء الأمم والشعوب وتبادل المنافع فيما بين البشر ولقد أعطت اللغة العربية اللغات الأخرى أكثر مما أخذت، وإن نظرة عجلى فى قاموس

---

(١) محاضرة ألقاها أ.د/ عبد الفتاح البركاوي ضمن فعاليات الموسم الثقافي لكلية اللغة العربية بالقاهرة في ١٤/ ٤/ ٢٠٠٢م.

اللغتين الفارسية والتركية تثبت هذه الحقيقة بما لا يدع مجالا لأى شك.

وإذا أضيف مصطلح «التعريب» إلى لفظ آخر كأن يقال: تعريب الدواوين أو «تعريب العلوم» مثلا أصبح المقصود هو استعمال اللغة العربية لغة للمحاسبات والمكاتبات فى هذه الدواوين بالنسبة للنوع الأول، ولغة للتعليم والتعلم والممارسة فيما يتعلق بالنوع الثانى.

وعلى ذلك فهناك تعريب الألفاظ وهو ما يطلق عليه «التعريب»، وهناك أنواع أخرى من التعريب تتبين مما يضاف إليه اللفظ كتعريب الدواوين أو تعريب العلوم(١) الذى نبحث فيه اليوم.

إن اتساع اللغة العربية ودقتها فى التعبير عن أخفى المشاعر الإنسانية وأدق الحقائق الكونية يجعلها لغة للآداب والعلوم على حد سواء.

يقول الإمام الشافعي-رضى الله عنه- عن اللسان العربى: «هو أوسع الألسنة مذهباً وأكثرها ألفاظا ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبى»(الرسالة/ ٤٢).

ويقول أبو الفتح بن جنى: «إننى إذا تأملت حال هذه اللغة الشريفة، الكريمة اللطيفة وجدت فيها من الحكمة والدقة، والإرهاف والرقة، ما يملك على جانب الفكر حتى يكاد يطمح بى أمام غلوة السحر»(الخصائص١/٤٧).

لقد كانت عظمة العربية- ولا تزال- مرتبطة بعظمة العرب أنفسهم، وقد كان حفظهم لها وتقديرهم لشأنها ناجما عن شعورهم بقوتها وإحساسهم ببعد مراميها، واتساع مقاصدها وتنوع إمكانات التعبير بها، ومن يتأمل قصائد كل من البحترى وأبى نواس وأبى العلاء المعرى وغيرهم يجد التعبير من أدق المشاعر الإنسانية وأرقى الأفكار الفلسفية، أما إذا تأملنا كتب المعاصرين لهؤلاء من الأطباء والصيادلة فسنجد أوضح مثال للغة العلمية الدقيقة بمصطلحاتها

---

(١) أ- التعريب لغة مصدر عرب الشيء بمعني جعله عربيا، أما الألفاظ فبإخضاعها لمقاييس كلام العرب، وأما الدواوين أو العلوم فينقلها إلي اللغة العربية، ولفظ عرب مأخوذ من مادة «ع ر ب» التي تدل علي معان أصلية ثلاث هي: الإبانة والإفصاح.

ب- المرح والنشاط (ج) الفساد والتحول، ومن الأول أخذ لفظ «العرب» لوضوح كلامها ومن الثاني قوله تعالي «عربا أترابا»، ومن الثالث قول سيدنا عمر-رضي الله عنه- عربوا عليه (أي أفسدوا عليه بولته) ذلك أنه رأي أعرابيا يبول في المسجد. والتعريب الذي معنا من المعني الأول.

المحددة، ومعانى ألفاظها الواضحة، حيث الأسلوب المباشر، والنسق المألوف، وهذه هى خصائص اللغة العلمية فى كل عصر وحين.

لقد سجل أبو الفتح ابن جنى (وهو فى الأصل عير عربى) موقف العلماء العرب من حيث الاعتزاز بلغتهم وإيمانهم بتفوقها فى عصور العربية الزاهرة فقال: «المروى عن العرب فى شغفهم بلغتهم وتعظيمهم لها، واعتقادهم أجمل الجميل فيها أكثر من أن يورد كله أو جزء من أجزاء كثيرة منه وما لم يذكره ابن جنى هنا هو أن هؤلاء العلماء كانوا واثقين من أنفسهم ومن لغتهم ومن حضارتهم وثوقا ينم عن روح وثابة وهمة عالية نحن الآن فى أشد الحاجة إليها .

ثم سجل موقف العلماء من غير العرب (أى المستعربين) قال :

«فإن قلت : فإن العجم أيضا بلغتهم مشغوفون ، ولها مؤثرون ، ولأن يدخلها شئ من غير العربى كارهون ، آلا ترى إذا آورد الشاعر منهم شعراً فيه ألفاظ من (اللسان) العربىَ عيب عليه وطعن لأجل ذلك عليه؟ فقد تساوت حال اللغتين فى ذلك، فأى فضيلة للعربية على العجمية؟

قيل: لو أحست العجم بلطف صناعة العرب فى هذه اللغة وما فيها من الغموض والرقة والدقة لاعتذرت من اعترافها بلغتها فضلا عن التقديم لها، والتنويه بها، فإن قيل فى ضد ذلك: بل لو عرفت العرب مذاهب العجم فى حسن لغتها وسداد تصرفها لم تفخر بلغتها ولا رفعت من رءوسها باستحسانها وتقديمها.

قال أبو الفتح راداً على هذا المزاعم: قد اعتبرنا ما تقوله فوجدنا الأمر فيه بضده وذلك أنا نسأل علماء العربية ممن أصله أعجمى وقد تدرب بلغته قبل استعرابه[1] عن حال اللغتين فلا يجمع بينهما، بل لا يكاد يقبل السؤال عن ذلك، لبعده فى نفسه وتقدم لطف العربية فى رأيه وحسه وقد سألت أبا على

---

(١) يعني الاستعراب هنا: اتخاذ اللغة العربية لغة للحياة اليومية والأدبية بدلا عن اللغة القديمة التي كان يستعملها المستعرب، وإذا كان اللغة القديمة تاما كان الاستعراب كذلك، فإن تحدث باللغتين معا كان هذا استعرابا ناقصا وقد يطلق عليه مصطلح «ازدواجية اللغة» ولنا في هذا بحث بعنوان «في الاستعراب والعربية» منشور ضمن البحوث التكريمة للأستاذ فيشر بعنوان «بحوث عربية».

(الفـارسى) عن ذلك غـيـر مـرة فكان جـوابه عنه نحـواً مما حكيـه.. (الخصائص ١/ ٢٤٢).

وتمحيصاً للمسألة من جميع جوانبها والتزاما بالموضوعية والجدية التامة فى الحكم على أهلية اللغة العربية وتمكنها فى نفوس العرب والمستعربين أورد ابن جنى اعتراضا ثانيا وأجاب عنه بما يكشف حقيقة تقدم العربية عندما قال: «فإن قال قائل: ما تنكر أن يكون ذلك لأنه كان عالما بالعربية ولم يكن عالما باللغة الأعجمية، ولعله لو كان عالما بالأعجمية لأجاب بغير ما أجاب به.

قيل: لو كان الأمر كما تزعم- وهو ليس يقينا على كل حال- فإن العجم العلماء بلغة العرب وإن لم يكونوا علماء بلغة العجم فإن قواهم فى العربية تؤيد معرفتهم بالعجمية، وتونسهم بها، وتزيد فى تنبيههم على أحوالها لاشتراك العلوم اللغوية واشتباكها، وتراميها إلى الغاية الجامعة لمعانيها، ولم نر أحداً من أشياخنا فيها كأبي حاتم ونبدار وأبى على يسوون بينهما، ولا يقربون بين حـاليـهـمـا، وكـأن هذا مـوضع ليس للخـلاف فـيـه مـجـال» (الخصائص ١/ ٢٤٣).

وفى العصر الحديث كانت شهادة شيخ المستشرقين فى هذه القاعة منذ سنوات مضت، أعنى بذلك ما قاله الأستاذ فيشر فى الثامن عشر من إبريل سنة أربع وثمانين وتسع مائة وألف من أن «اللغة العربية قادرة على التكيف اللغوى والحضارى فى كل عصر وهى تملك قدرة عظيمة من الألفاظ (تمكنها من التعبير عن كل مستحدثات العصر) هذا إلى جانب أصالتها وعراقتها المتمثلة فى احتفاظها بالإعراب الموروث عن اللغة المشتركة».. إننا لم نورد هذه الشهادات بهذا الاطناب إلا لأن التحدى الأعظم الذى يواجه العربية فى العصر الحديث يتمثل فى شعور أبنائها -أو كثير منهم- بالدونية وقد انعكس هذا الشعور فى تقليلهم من شأن أنفسهم أولا ثم من شأن لغتهم ثانيا، ولو عرفوا الحقيقة كما عرفها من قال الله فيهم: **﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا﴾**، لرجعوا إلى صوابهم ولعلموا أن هذه اللغة محفوظة بحفظ الله لها وبتوفيقه للغير من أبنائها الذين لم يبهرهم الزيف الوارد مع الحضارة الغربة الوافدة.

لقد عبر شاعر النيل حافظ إبراهيم خير تعبير عن حال اللغة العربية منذ مطلع هذا القرن عندما قال على لسان اللغة العربية تستصرخ أبناءها وتذكرهم بقدرتها على الاستيعاب:

وسعت كتاب الله لفظا وغاية   وما ضقت عن آى به وعظات

فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة   وتنسيق أسماء لمخترعات

فيا ويحكم أبلى وتبلى محاسنى   ومنكم -وإن عز الدواء- أساتى

فيا أساة العربية إن هذا السيل الجارف من الألفاظ الأعجمية الذى يغذيه انبهار بالحضارة المادية لن يتوقف إلا إذا أحسنّا وصف الداء ثم أخلصنا النية وصدقت منا الغرائم فى وصف الدواء ثانيا ثم فى تناوله فى غير شطط أو تقصير ثالثا.

أما الداء فيتمثل فى أمرين:

الأول: يتمثل تلك الحالة النفسية التى خطط لها المستعمرون وأذنابهم، تلك الحالة التى ألقت فى روع كثير من المثقفين أن العربية لا تصلح لتدريس العلوم الطبيعية خاصة فى مجالى الطب والهندسة والصيدلة ونحو ذلك.

الآخر: ويتمثل في السماح لهذا الحشد الهائل من الألفاظ اليومى حتى لتكاد هى هذه الألفاظ تغلب على نظائرها فى واجهات الشركات والمحلات التجارية فى بعض الأحياء التى تسمي بالأحياء الراقية مثل حي الزمالك فى القاهرة، ولست فى حاجة لذكر أمثلة عديدة لذلك لأن ألفاظا مثل سوبر ماركت- بيتكو- رامكو- كايرو- وامكو- ريسيفر وغيرها تصطدم العين فى الصحف وتقرع الآذان فى الأجهزة الإعلامية المسموعة والمرئية بما لا يدع مجالاً للمكابرة فى التقليل من شأن هذه الظاهرة.

وفيما يتعلق بالنقطة الأولى وهى الزعم بعدم صلاحية العربية لتدريس المواد أو العلوم الطبيعية والتبحر فيها ومن يطالع كتاب مفاتيح العلوم

---

(١) انظر خلاصة مقالة فيشر في جريدة النور الصادرة ١٨/ ٧/ ١٩٨٤.

للخوارزمى، ويقرأ الفصول الثمانية التى عقدها للمصطلحات الطبية كما كانت شائعة فى عصره يرى رأى العين أن العربية قد اتسعت لتعبر عن أدق أجزاء الجسم وأكثرها وأكثرها غموضا من الناحية التشريحية ونكتفى بإيراد المثال التالى من فصل التشريح، يقول رحمه الله:

الشرايين هى العروق النابضة واحدها شريان ومنبتها من القلب تنتشر فيها الحرارة الغريزية أى الطبيعية وتجرى فيها المهجة وهى دم القلب، وأما العروق غير النوابض فمنبتها من الكبد، ومن الشرايين: الأبهران وهما يخرجان من القلب ثم يتشعب منها سائر الشرايين، ومن العروق المشهورة غير الضوارب «الباسيليق» وهو فى اليد عند المرفق إلى ما يلى الإبط، والقيفال عند المرفق أيضا فى الجانب الغائر (الوحشى) والأكحل بينهما، واسم الأكحل عربى وأما الباسيليق والقيفال فمعربان»[1].

إن العبارة الأخيرة للخوارزمى تشير بوضوح إلى أنه لا يضير العربية مطلقا أن تأخذ بعض الألفاظ ذات الأصول الأعجمية وتخضعها لمقاييس العربية فتصبح بذلك معربة أى عربية بالتجنس، أما أن تأخذها كما هى بحيث تظل محتفظة بثوبها الأعجمى فلا وإذا أردنا مثلا آخر على اتساع العربية وإمكانية استيعابها لأدق التفاصيل فيما يتعلق بعلم آخر من العلوم التى قد يظن خطأ أنها من المخترعات الغربية أو من مبتكرات العصر الحديث فعليه أن ينظر إلى ما أنتجته عبقرية الصيادلة العرب فى مجال علم الأدوية والنباتات الطبية وعلوم التغذية ذلك على سبيل المثال:

١- كتاب الأدوية المفردة لا سمان بن عمران ٢٧٩هـ.

٢- المعجم فى تفسير المصطلحات الطبية فى كتاب المنصورى فى الطب للرازى سنة ٣١٢هـ.

٣- كتاب الأغذية لإسحاق بن سليمان ٣٤١هـ.

٤- كتاب الاعتماد فى الأدوية المفردة لأبى جعفر أحمد بن الجزار ٣٦٩هـ.

٥- الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، والمغنى فى الأدوية المفردة وكلاهما لأبى محمد عبد الله بن أحمد المعروف بـ ابن البيطار ٦٤٦هـ وغير ذلك كثير وكثير[2].

---

(١) مفاتيح العلوم للخوارزمي ص٩٣.

(٢) انظر في ذلك: دراسات في المعجم العربي لإبراهيم بن مراد ص١١ وما بعدها.

وتظهر أهمية الكتاب الأول وهو كتاب الأدوية لابن عمران فى ذكره أدوية نباتية جديدة لم يكن لليونانيين بها سابق معرفة، بل هى من نباتات الأرض الإسلامية فى المشرق والمغرب، ومن ثم فإنه يعد إسهاما حقيقيا فى إثراء المعجم العربى الخاص بهذا الفرع من فروع العلم.

ونكتفى هنا بإيراد جزء من مقدم ابن الجزار توضح إلى أى مدى أسهم الأطباء والصيادلة العرب فى بناء صرح العلوم الطبية وأنهم لم يكونوا مجرد ناقلين لما كتبه غيرهم من اليونان أو السوريان، وإنما نظروا إلى ذلك بعين فاحصة وعقول مبتكرة يقول رحمه الله بعد أن ذكر جهود السابقين فى هذا المجال وخاصة ديسقوريدس وجالينوس:

إن هذين الرجلين (أى ديسقوريدس وجالينوس) لا نهاية وراءها ولا غاية بعدهما فيما عانياه من هذا الفن، غير أنا وجدنا ما عانيا من ذلك قد لحقه التقصير عن بلوغ نهاية المدح من ثلاثة أوجه:

الأول: أن ديسقوريدس ذكر أكثر منافع الأدوية ومضارها ومنابتها والمختار منها ولم يذكر طبائعها ولا كميتها ولا قوة كل واحد منها فى أى درجة هو من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة، وأما جالينوس فإنه ذكر قوى أكثرها ولكنه لم يبالغ فى ذكر منافعها ومضارها وخواصها».

والوجه الثانى: أن كثيراً من الأدوية التى ألقياها فى كتبهما مجهول غير كعروف فى اللسان العرب، وكثير منها معدوم غير موجود.

والوجه الثالث: أنهما تركا ذكر كثير من الأدوية المفردة التى لا غناء لأحد من الأطباء عن علمها ومعرفتها لعموم منفعتها وكثرة الحاجة إلى استعمالها»[1].

إننى على يقين من أن كبار أطبائنا لم يقرؤا هذا الكلام ولم ينتفعوا به، وظنوا -وبعض الظن إثم- أن العربية كانت بمنأى عن هذه العلوم ولو كلفوا أنفسهم عناء البحث فى التراث الطبى عند العرب لوجدوا من المصطلحات الطبية ما كان يغنيهم عن استعمال لغة أخرى خلاف العربية فى تدريس المواد الطبية والصيدلية وغيرها من العلوم، إن المشكلة الأساسية هنا تتلخص فى أنهم

---

(١) مقدمة ابن الجزار لكتابه «الاعتماد» نقلا عن دراسات المعجم العربي ص٢٤.

تخصصوا فى هذا النوع من العلم وهم صفر اليدين من تراث أجدادهم، ومن ثم كانوا لقمة سائغة في يد الحقد على كل ما هو إسلامى أو عربى، ومبعث ذلك أن بناة الحضارة الغربية يدركون جيدا أن حضارة العرب والمسلمين هى المنافس الحقيقى الذى تفوق -ويمكن أن يتفوق أيضا- على حضارتهم ومن هنا كانت حربهم الشعواء ضد العرب والمسلمين وما أحرانا نحن العرب أن نتنبه إلى ذلك وأن نعيد ترتيب بيتنا من الداخل وأول لبنة فى ذلك هى الثقة بما عندنا والاعتزاز بتراثنا الأصيل يلى ذلك خطوة هامة تتمثل فى تعريب العلوم الطبية وغيرها تأليفا وتدريساً وممارسة، وليس هناك ما يمنع إطلاقا من الاستعانة ببعض الألفاظ الأجنبية بعد إخضاعها لمقاييس الكلم العربى كما فعل ابن الجزار وابن البيطار وغيرهما من الرواد ويقودنا ذلك إلى الحديث عن النقطة الثانية التى أثرناها فى صدور هذا الحديث وأعنى بها: تلك الهجمة الشرسة للألفاظ الأعجمية التى تنقل دون ضابط دائما ودون الحاجة إليها فى كثير من الأحيان.

إن الاختراعات الحديثة ومبتكرات الحضارة المعاصرة يمكن أن نجد لها أسماء عربية أو نشتق لها من الأصول الصحيحة الفصيحة ما يمكننا من الاستغناء عن كثير من هذه الألفاظ الأعجمية وليست ألفاظ: السيارة والقطار والطائرة وغيرها سوى أمثلة يسيرة تدل على إمكانية الاستغناء بما لدينا من ثروة لغوية عن استيراد أسماء هذه المخترعات، فإذا ما دعت الضرورة إلى اقتراض لفظ ما يجب أن يكون ذلك فى إطار ما خلفه العرب الفصحاء من طرق التعريب وما أرسوه من قواعد تعريب اللفظ الأعجم، وهنا يثور تساؤلان مهمان:

الأول: ما بالنا ندعو إلى الاستغناء عن اللفظ الأعجمى وندعو إلى جعله فى أضيق نطاق ممكن مع أن القرآن الكريم قد اشتمل على كثير من ذلك؟

والآخر: هل كانت هناك حقا قواعد لتعريب الكلم الأعجمى؟ أو أن العرب كانت تخلط فى هذا النوع من الكلم فتنطق به كيفما اتفق؟

سنحاول الإجابة عن هذين التساؤلين فى حدود الوقت المتاح فنقول:

إن القول بوجود الأعجمى أو المعرب فى القرآن الكريم مسألة قديمة نستطيع الآن أن نحسبها فى ضوء معطيات الدرس اللغوى الحديث فنقول يملء والفم ليس فى القرآن الكريم أعجمى وإنما فيه ألفاظ عربية أصلا واستعمالا، وألفاظ عربية استعمالا وإن كانت ذات أصول أعجمية وقد سبق العلماء العرب الدنيا بأسرها عندما جمعوا فى دراسة هذه الظاهرة بين منهجين من مناهج الدراسات اللغوية الحديثة (أو التى يقال إنه حديثة وهى كذلك عند الغربيين) أعنى بذلك المنهج التاريخى والمنهج الوصفى.

فعندما ذكر الإمام ابن عباس وعكرمة ومجاهد ومن سار على نهجهم من اللغويين والفقهاء أن فى القرآن ألفاظا من غير لغة العرب فقد نظروا إلى المسألة نظرة تاريخية تعنى هذه الألفاظ لمعرفة أصولها التى انحدرت منها.

وعندما ذكر الإمام الشافعى من الفقهاء وابن جرير الطبرى من المفسرين وأبو عبيدة معمر بن المثنى وابن فارس من اللغويين أن من قال: إن فى القرآن شيئا بغير لغة العرب فقد أعظم على الله القول، فإنهم فى هذه الحالة نظروا إلى المسألة من الوجهة الوصفية البحتة التى تنظر إلى اللغة المستعملة فى عصر محدد وبيئة معينة.

وعلينا أن نلاحظ هنا أن الفريق الأول ذا النظرة التاريخية قد استعمل حرف الجر «من» (من غير لسان العرب) وأن الفريق الآخر قد استعمل حرف الجر «ب» (بغير لسان العرب).

إن المرء ليدهش من هذه الدقة المتناهية فى تعبيرات هؤلاء العلماء فإن عباس وعكرمة ومن نحا نحوهم لم يقولوا إن هذه الألفاظ بغير لسان العرب ولكنهم قالوا من غير لسان العرب أى أن مبتدأ هذه الألفاظ كان من غير لسان العرب، أما الفريق الآخر فإنه لم ينف أن يكون فى القرآن ألسنا سوى العربية لأن هذه الكلمات تعريبها أصبحت جزءاً من لسان العرب، وقد تأكدت هذه الحقيقة بما سجله أبو عبيدة فى «مجاز القرآن» عندما قال: نزل القرآن بلسان عربى مبين فمن زعم أن فيه غير العربية فقد أعظم القول» وقد يوافق اللفظ اللفظ ويقاربه ومعناها واحد وأحدهما بالعربية والآخر بغيرها».

(١) انظر ما سمعه أبو عبيد من أستاذه أبي عبيدة في غريب الحديث، وقارن مجاز القرآن لأبي عبيدة..

إن مسألة التوافق بين اللغات، تلك التى أشار إليها أبو عبيدة والشافعى ومن بعدها ابن جرير الطبرى ينبغى أن تفهم على أساس أن للفظة المعربة صورة أخرى فى لغتها والمستعمل فى القرآن هو الصورة العربية لا غير، وعند بحث المسألة من الوجهة التاريخية فليس هناك ما يمنع أن يكون اللفظ أصيلا فى كلتا اللغتين، وينطبق هذا على كثير من الألفاظ ذات الأصول السامية التى ورثتها هذه اللغات جميعا من لغة واحدة هى السامية المشتركة.

إن تعريب اللفظ الأعجمى لا يقتصر فقط على المستوى الصوتى وإنما الذى أولاه القدماء عنايتهم يتناول أيضا المستويات اللغوية الأخرى من صرفية ونحوية[1] ودلالية ولو تأملنا جميع ما ورد من ذلك فى القرآن الكريم وجدناه قد خضع للتعريب إن لم يكن على المستوى الصوتى فعلى المستويات الأخرى.

إن القول بتعدد مستويات الأخرى إن القول بتعدد مستويات التعريب، وبهذا تنحسم مشكلة الخلاف بين علماء العربية فيما يتعلق بهذه المسألة، ويندفع بذلك أيضا ما يزعمه بعض الباحثين المحدثين من أن المفسرين والفقهاء قد عالجوا القضية بناء على مواقف مذهبية خارجة عن اللغة قد أوقعتهم فى تعسف كبير.

إن القدماء ولم يتعسفوا وهم يعالجون هذه المسألة وإنما عالجوه من منظور لغوى سبقوا به عصرهم بما ينيف على ألف عام، والذى تعسف حقا هم أولئك الذين تعجلوا فى فهم منهج القدماء أو نقلوا عنهم من مصادر متأخرة دون الرجوع إلى المصادر الأصيلة التى سجلوا فيها آراءهم، ومن ذلك على سبيل المثال أن كثيرا ممن تناول هذه القضية نسب للإمام الشافعى -رضى الله عنه- أنه ينفى وقوع المعرب فى القرآن الكريم فى حين أن الشافعى لم يتحدث أبداً إلا عن الأعجمى، وشتان ماهما.

إن تعريب العلوم الذى نتحدث عنه اليوم لا يمكن أن يتم إلا بتعريب بعض الألفاظ أو المصطلحات التى استحدثت بأخرة ولم يكن للعرب ولا لغيرهم عهد بها من قبل، وهنا لا ضرر إطلاقا من نقل هذه المصطلحات إلى

---

(١) مثال التعريب علي المستوي الصرفي كلمتا الميم والطور اللتان هما في الأصل بما وطورا فاستبدلت بعلامة التعريف الأرامية أداة التعريب العربية ومثل كلمة خراسان التي ذكروا أنها مثال لما لم يغير صوتيا ولم يلحق ولكن لحقها الإعراب العربي قالوا خراسان أقصي ما يراد بنا ثم القفول فقد منا حراسان.

اللغة إما باستعمال ألفاظ عربية أصيلة أو بتعريب هذه المصطلحات، والفرق بين الأمرين أننا فى الحالة الأولى ننقل المعنى فقط وفى الأخرى ننقل اللفظ والمعنى شريطة أن يخضع اللفظ المنقول لمقاييس الكلام العربى.

إن التحدى الحضارى الذى تواجه الأمة العربية واللغة العربية يفرض علينا جميعا أن نثق بأنفسنا وبلغتنا وأن نقوم بما قام به أسلافنا من نقل علوم الآخرين والإضافة إليها، ونحن لاشك قادرون على ذلك إذا أخلصنا النية وبذلنا الجهد وذللنا العقبات التى تعترض طريقنا، ولا يسعنا فى هذا المقام إلا أن نشيد بتلك الجهود المخلصة التى تبذلها هيئات ومؤسسات مثل مكتب تنسيق التعريب فى الجزائر ومجمع اللغة العربية فى القاهرة ومؤتمرات تعريب العلوم التى تعقد سنويا فى جامعة عين شمس، وهنا نشير إلى تلك البحوث القيمة التى أبرزتها فعاليات المؤتمر الأخير الذى انعقد فى الفترة من ٢٠-٢١ مارس سنة ٢٠٠٢م وقد تناول المؤتمرون بالبحث والدراسة الجوانب القانونية والاقتصادية واللغوية لعملية تعريب العلوم، وها نحن نضيف إلى الأبعاد التى تناولها المؤتمر بعدين آخرين لتيسير عملية تعريب العلوم هما: البعد النفسى المتعلق باعتقاد أجمل الجميل فى لغتنا، والبعد التاريخى المتمثل فى البرهنة على أن اللغة العربية هى من أصلح اللغات للتعبير عن أدق العلوم بما نحوية من ألفاظ واضحة الدلالة وعبارات قادرة على الوصف الدقيق لحقائق الكون والحياة، يقول بعض الباحثين مؤكداً هذه الحقيقة: من يقرأ الفصول الضافية التى كتبها ابن سينا فى القانون أو ابن البيطار فى «الجامع لمفردات الأدوية والأغذية يجد أوضح مثال للغة العلمية التى تعمد إلى الوصف الموضوعى للظواهر فى تراكيب لغوية بسيطة تتوالى فيها المفردات على نسق معتاد وتؤدى فيها الألفاظ معانيها المقصودة مباشرة بلا مجاز ولا ظلال ولا زخرفة»(١).

إن من الوسائل المهمة لإتمام تعريب العلوم أن تقوم حركة منظمة تتولاها جامعة الدول العربية لترجمة الكتب العلمية ترجمة دقيقة يراعى فيها أن يكون المترجمون ممن يجدون ثلاثة أمور:

الأول: إتقان اللغة العربية والاطلاع الكافى على ما خلفه أجدادنا فى

(١) بتصرف عن «التعريب قديما وحديثا من الدكتور محمد حسن عبد العزيز ص٢١٧.

المجالات الطبية والهندسية والصيدلانية ونحوها.

الثاني: الإجادة التامة للغة المنقول منها لأن الفهم القاصر للغة يؤدى إلى تراجم ضعيفة تضر أكثر مما تنفع.

الثالث: إجادة الموضوع المنقول والتبحر فيه وسبر أغواره قبل عملية النقل أو الترجمة.

إن أعداءنا يدركون تماما أن تعريب العلوم (جعلها باللغة العربية) يعتمد أساسا على الترجمة ولذلك فإنه «عقب الاحتلال الإنجليزى لمصر أغلقت مدرسة الألسن وأهملت البعثات، وقلت العناية باللغة العربية مع زيادة الاهتمام باللغة الإنجليزية، وكان الإنجليز يشترطون على من يريد الالتحاق بكلية الطب أن يجيد اللغة الإنجليزية، وصارت جميع الكتب فيها باللغة الإنجليزية وأصبح جل المدرسين وكثير من المديرين من الإنجليز ومنذ ذلك التاريخ نحيت اللغة العربية حتى لا تكون لغة علمية»(١).

إن النجاح الذى حققناه فى مجال التحرر من الاستعمار الإنجليزى لبلادنا يظل نجاحا منقوصا ما لم نتوجه بالتحرر الثقافى المتمثل فى إعادة اللغة العربية إلى سابق عهدها لغة للعلوم المختلفة من طب وهندسة وصيدلة وغير ذلك مما يدرس حتى اليوم باللغة الإنجليزية أو غير الإنجليزية من اللغات الدخيلة علينا منذ عهود الاستعمار الأوربى، وما ذلك على الله بعزيز.

وآخرنا دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وكانت الندوة فى ١٤/ ٤/ ٢٠٠٢م

(١) جاك تاجر، حركة الترجمة بمصر خلال القرن التاسع عشر ص١٢٥ (بتصرف يسير).

الندوة الثانية عشرة: مهرجان الربيع الشعرى الرابع عشر

وموضوعه: «القدس الإسلامية لابد أن تعود»

تحت رعاية الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس الجامعة

ورئاسة الأستاذ الدكتور على على صبح عميد الكلية

وذلك بمشيئة الله تعالى فى الساعة الحادية عشرة من صباح يوم الثلاثاء ٣ من صفر ١٤٢٣هـ الموافق ١٦ من أبريل ٢٠٠٢م بمدرج الشيخ حمروش بالكلية

مدير رعاية الشباب: عبد الرحمن عبد الغنى طه

رائد اللجنة الثقافية: أ.د/ شفيق عبد الرازق أبو سعدة

شعراء المهرجان

١- أ.د/ إبراهيم حسن إبراهيم

٢- الشاعر أحمد عبد الهادى

٣- الشاعرة إيمان بكرى

٤- الشاعر الوردانى ناصف

٥- الشاعر حسن خريس

٦- أ.د/ حسن عبد الرازق

٧- أ.د/ شفيق أبو سعدة

٨- أ.د/ صابر عبد الدايم

٩- الشاعر عبد الحسيب الخنانى

١٠- د. علاء أحمد السيد

١١- الشاعر محمد التهامى

١٢- د/ محمد الحضيرى

١٣- د/ محمد عبد المنعم خفاجى

١٤- د/ مصطفى السواحلى

١٥- الطالب محمد حسن بركات

أمين الاتحاد: محمد محمود

المشرف الثقافى: عاطف عبد العاطى

قدم الأستاذ الدكتور صبحى عبد الحميد الحاضرين بشعر تحية وتقديرا لهم فقدم فى بداية الحفل:

(١) معالي أ.د/ علي صبح عميد الكلية الموقر:

صـبح نمتـه إلى العـلا آدابه وكساه سربال اكثنا أجدادهويلوح

يعلو على الشمس المضيئة فجره مـثل ضـيـائه برهانه

يصبو إلى المجد العظيم مناضلا ومكملا ما صاغه أقرانه

أولاه خـالقـه العلوم مكينة أغناه عن كل الورى إحسانه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم، علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان بلسان عربى مبين، يدعو به إلى الحكمة والموعظة الحسنة، **﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾**.

والصلاة والسلام على أبلغ الدعاة شرفه بدعوة أمته إلى الحكمة والموعظة الحسنة، ليتخذ من الأدباء والشعراء وغيرهم دعاة على سنته ومنهجه فكرمهم الله عزوجل وسمى سورة الشعراء باسمهم وأثنى الله عزوجل على جنده منهم فى سياق الأمر بالدعوة فى قوله تعالى: **﴿وأنذر عشيرتك الأقربين، واخفض جناحك لمن تبعك من المؤمنين فإن عصوك فقل إنى برئ مما تعملون﴾** إلى قوله تعالى: **﴿والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم فى واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون﴾** فقد أثنى الله عزوجل على الشعراء والأدباء ومهما أثنينا عليهم فهو دون ذلك بكثير من تكريم الله عزوجل لهم.

وباسم جامعة الأزهر الشريف عامة وكلية اللغة العربيج خاصة نحيى الأخوة الشعراء، والسادة الضيوف، والأساتذة، والعاملين والطلاب نحييكم جميعا بتحية الإسلام: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد؛

فمنذ أن امتن الله عزوجل على هذه الأمة بنعمة الإسلام وما أجلها من نعمة وجعل معجزته البليغة هى القرآن الكريم والسنة الشريفة هو مصدر التشريع والتبليغ والدعوة منذ ذلك تحول الأدب العربى إلى أدب إسلامى شعراً ونثراً بالكلمة الطيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها لا بالكلمة الخبيثة فما لها من قرار.

وليس هناك اختلاف بين الأدب العربى والأدب الإسلامى، لأن الله عزوجل جعل شريعته فى القرآن بلغة القرآن والإسلام وهى اللغة العربية وأدبها، ولم يفرق بينهما فقد جعلهما سواء فقال عزوجل: ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾.

فليس بينهما خلاف كبير فالأدب العربى منذ البعثة إلى الآن فى المستقبل أدب إسلامى إذا غضضنا البصر والنظر عن جزء يسير من الأدب العربى لا ينقص من قدره وتأثيره وخلوده مع خلود القرآن الكريم والسنة الشريفة، هذا الجزء اليسير يتمثل فى نماذج قليلة فى بعض الأغراض الأدبية وهى:

١- الغزل الماجن الفاحش.
٢- الخمريات.
٣- الهجاء القبيح الذى يعتمد على السباب وكشف العورات.
٤- الغزل بالمذكر.
٥- شعر الشعوبية والعصبية.
٦- شعر الزندقة والوجودية والإلحاد.

وما عدا هذه النماذج التى لا تقدح فى تراثنا العربى يتفق الأدب العربى مع الإسلامى ليكونا معا أدبا إسلاميا يجمع بين القيم الفنية والقيم الخلقية فى الشعر والقصة والمقالة والخطبة والمسرحية والرواية وفن السيرة والوصية وغيرها من فنون الأدب الإسلامى السامية فنا وقيمة.

لذلك أدى الأدب دوره فى عصر صدر الإسلام شعرا ونثرا وأدى دوره فى الفتوحات الإسلامية والدفاع عن الإسلام فى العصر الأموى والعباسى فى حروب الفرس والروم، والتتار والمغول والحروب الصليبية.

ولازال يؤدى دوره فى الدفاع عن الأرض المقدسة عن فلسطين والمسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين أرض الديانات والرسالات، أم

فيها نبينا محمد ﷺ جميع الأنبياء فى موطن الإسراء ومنطلق المعراج:

﴿سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله﴾.

ومن أجل هذا كان هذا المهرجان الشعرى ليشارك إخواننا فى فلسطين منهم بالكلمة الطيبة النافذة والصورة الأدبية المؤثرة لتكون دفاعا عن المقدسات ودعوة إلى الجهاد قذيفة فى صدور اليهود وحلفائهم، فهى أشد عليهم من وقع السهام كما قال الرسول ﷺ لشعراء الإسلام فى الدفاع عن حرمات الإسلام والمسلمين.

وإننا فى هذا المهرجان نحث الأمة على الوقوف صفا واحدا جندا لله عزوجل مع المجاهدين فى فلسطين لنصرة الإسلام والمسلمين حتى نستحق صفة الإسلام والإيمان ومخاطبة الرحمن فتهزم حين تصف الله سبحانه متحدثاً عنا كما فى قله تعالى: **﴿وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون فتقطعوا أمرهم بينهم زبراً كل حزب بما لديهم فرحون﴾** وقوله تعالى: **﴿إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم والذين كفروا فتعسا لهم وأضل أعمالهم﴾.**

نبتهل إلى الله عزوجل خاشعين وندعوه ضارعين، اللهم وحد كلمة المسلمين، وانصرنا على اليهود والكفرة والملحدين أعداء الدين، كما وعدتنا يا رب العالمين مخاطبا اليهود: **﴿وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً﴾**، اللهم شتت شملهم وفرق جمعهم واجعل كيدهم فى نحورهم واجعل الدائرة عليهم، وأفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين اللهم اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين- إنك نعم المولى ونعم النصير.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وسلام على المرسلين وصلى الله على سيدنا محمد الصادق الأمين وعلى آله وأصحابه والتابعين رضى الله عنهم أجمعين.

أحييكم وأشكركم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أ.د. علي علي صبح

عميد الكلية

(٢) معالي أ.د/ عبد الله الحسيني هلال وكيل الكلية الموقر

يا ابن الحسين تحية ومدائح قد أخلصتك تجارب وتكادح
ما كل من كان الوكيل بقائد كلا ولا كل السيوف ملافح
أسعدتنا بقيادة مأمونة مما يسوء وذاك فعل صالح

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمدا يكافئ سابغ نعمته، واستديم به عظيم فضله وجليل منته، وأصلي وأسلم على أشرف خلقه سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه، وعمل بسنته إلى يوم الدين.

صاحب الفضيلة الأستاذ الدكتور عميد الكلية، الأخوة الزملاء أعضاء هيئة التدريس السادة الضيوف، أبناءنا الطلاب، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد؛

فإنه يسعد كلية اللغة بالقاهرة أن ترحب بكم فى مهرجان الربيع الشعرى الذى تحرص على تنظيمه فى كل عام إيمانا بأهمية الشعر وإدراكا لأثره فى الدعوة إلى الجد والدلالة على الفضيلة وتهذيب الطباع، وإذكاء الروح الوطنية، وشحذ الهمم واستثارة العزائم لتحقيق الآمال الوطنية والطموحات القومية، وصدق الرسول الكريم -ﷺ- حيث يقول: «إن من البيان لسحرا، وإن من الشعر لحكمة».

وتهدف الكلية من وراء تنظيم هذا المهرجان إلى تحقيق أغراض شريفة ومقاصد نبيلة منها إتاحة الفرصة لتثقيف الشعر وتهذيب القوافى وتجويد القصائد ومخاطبة العقول ومناجاة العواطف والاستجابة لمتطلبات الحياة والتفاعل البناء مع أحداثها ومستجداتها.

ومنها اكتشاف المواهب الشعرية والملكات الإبداعية لدى الطلاب، وذلك لصقلها ورعايتها وتشجيعها وإفساح الطريق أمامها لتحقيق أهدافها والوصول إلى غاياتها.

ومنها تمكين الطلاب من الاستماع إلى نماذج راقية من الشعر

الرصين الجيد الهادف ليتزودوا من معينه الصافى ونبعه الضافى قيما عظيمة وأحاسيس مرهفة ومشاعر رقيقة، وأساليب قويمة، وصورا بديعة، وأخيلة خصبة، وبذلك يعظم نفعهم وتتعدد فوائدهم.

إننى انتهز هذه المناسبة لأهيب بأبنائى الطلاب أن يحرصوا على حضور هذه المهرجانات لينتفعوا بها، وأدعوهم إلى المشاركة الفعالة التى تظهر البراعة اللغوية وتكشف عن المواهب الأدبية كالخطابة والإلقاء والكتابة والمناظرات والمساجلات الشعرية والنثرية والندوات الثقافية؛ لأن الممارسة اللغوية الصحيحة أساس تعقيم اللسان والقلم؛ إذ تؤدى إلى تفعيل الثروة اللفظية وربط التراكيب اللغوية بمدلولاتها ومعانيها، فتكون ماثلة فى ذهن الطالب على الدوام، فيستدعيها متى شاء ليعبر بها عما يريد.

أدعو الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا جميعا إلى إخلاص القول وإحسان العمل، إنه سميع مجيب، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أ.د. عبد الله الحسيني هلال

وكيل الكلية

الشاعر الكبير سعادة أ.د/ إبراهيم حسن

رئيس القسم للشعراء رأس — وللأخلاق وابن الصالحينا
يقود القسم في صمت حكيما — ويجلس بيننا كالفرد فينا
بل أنه يرتضي التكريم فضلا — لمن سبقوا بعلمهمو سنينا
يصوغ العدل في قول وفعل — فأحيا ذاك نهج السالفينا
فصار القسم للأقسام فخرا — بهيبته وهيئته مكينا

صيحة ونصيحة

للدكتور/ إبراهيم حسن إبراهيم، الأستاذ ورئيس قسم اللغويات في كلية اللغة العربية بالقاهرة- جامعة الأزهر.

عجبت لما رأيتُ الشعر يغشاني — يقولُ: يا صاحبي أشكوك أحزاني
فقلت والدهشةُ الكبرى تُخالِجُني — قد كنت تُسلِّي وكنتُ الشاكيَ العاني
فقال: معذرةً، فاض الفؤادُ بما — يُفتِّتُ الصخر من هم وأشجانِ
كسَّرتُ عُودي وقيثاري إذ انبعثا — يُردِّدانِ صدَى حزني بألحاني
وكِدتُ أُتبِعُ -من قهر- بقافيتي — ماذا تُفيدُ قوافيَّ وأوزاني؟!
لجأت للدمع علَّ الدمع يُسعِفُني — ما خِلْتُ أنَّ عيُونَ الشِّعرِ تنساني
وحين عاتبتُها قالت مُفرِّجةً — غدتْ بُحورُك غَيْضاً دون شُطْآنِ
جفَّت ينابيعُها من فقدِ رافِدِها — صدْحُ البلابلِ أضحى نَعبَ غِربانِ
يا صاحِ أُنظرْ إلى الإسلامِ هل تجدَنْ — شريعةً مثلهُ هانتْ على الجاني؟
في كلِّ شبرٍ ترى أشلاءَ مسلمةٍ — أمْ عجوزٍ، وأشلاءَ لولدانِ
هنا الجباهُ التي طال السجودُ بها — هنا الأنوفُ التي ذلَّتْ لديَّانِ
هذِي الأيادي التي عمَّتْ فضائلُها — تلك العيونُ التي فاضتْ بتحنانِ

هنا قلوبُ الهُداةُ الغُرّ مــزّقــهــا تلاحمُ الـغـدرِ من عــادٍ ومن شــانى
أين الـديارُ التى كـانتْ بما حــفَلتْ أُنسَ الوجـودِ، وفخـرَ الفاتحِ البانى؟
صـارتْ يبـاباً، وأضحـى عِزُّها أثراً أو عـربدَ الشـركُ فيـهـا بعـدَ إيمان
وأيـن قبلــتُنـا الأولَى ومَقْدِسـنا؟ مَسرى الرسول غدا وكـراً لجـرذانِ
قد حـوَّلوهُ إلى مَلقَى الهـوىَ حَرماً هـم دنّســوهُ بـأرجــاسٍ وأدرانِ
يا ويح قــومىَ إنْ قــال الإلهُ لـهم: ضيَّعتمُ المسجـدَ الأقصَى بعِصيانى
تركتـموهُ أسيـرَ القيْدِ وانشـغلتْ عـنه القلـوبُ ببــرْقِ خلّبٍ فــانِ
قدْ شـرّبوكمْ كئـوس المكرِ مُتـرَعـةً هـمُ العِدا قــد تـردّوا ثـوبَ خُلّانِ
أنّى لمن قـتّلـوا رُسلي بـغـدرهمـو حـفظُ العهـود؟ وأنّى صـونُ أوطانى؟
إنْ تحفظوا عهدَهمْ خـاسوا بعهدِكُمو أو تـأمنـوا مكرَهم بُؤْتُمْ بـخُسـرانِ
أبنـاءَ دينـىَ إنْ خــارتْ عــزائمُكمْ من يُنقِذُ الـدينَ من أنيـابِ غـيلان؟
ناداكمُ الـدِّينُ: يا أبنـائى انتـبهـوا نمتم وقـد أدلجـوا يبـغُون بُنيـانى
كى يهـدِموهُ فـلا يُبـقُوا له حـجـراً أو يَسلُبــونى أحكامِى وسلطانـى
أصـحـاب فيـلٍ همُ، والطّيـرُ ترقُبُهمْ يـا ذُلَّ أبرهـةٍ فـى طِمْرِ أكـــفـانِ
لكنْ يدُ اللـهِ تحـمـينى بقــوّتِهـا وقــوةُ اللـه فــوق الإنسِ والجــانِ
وجُنْدُ ربّى وأهـلــى فــى تـلاحمِهمْ كــأنّهمْ أهلُ بـدرٍ يـومَ فُرقــانِ
مدُّوا لأهــلــى يــداً وجبَتْ تُؤازرُهمْ بـذا قــضَى اللـهُ فى آيـاتِ قــرآنى
وبيّن المصطـفى الـهــادى بسنتـه: جـبـريلُ مـازال يُوصـينـا بجـيـرانِ
هيّا اجمعوا الصّفّ، والتفوا بقائدِكمْ لا يَصلُحُ الـناسُ فــوضَى دونَ رُبّانِ
وحكمـةُ الله فى نُصحِ الشيـوخِ وقدْ علِمتْ بذا النّاسُ من قاصٍ، ومن دانى

صوتُ الشبيبةِ يحدوهُ الهوىَ عزماً والعقلُ يدعو إلى ريْثٍ بميزانِ

لا تسمعوا لدعاةِ الخُلْفِ ويحكمو فكلُ شيءٍ بتقديرٍ وحُسبانِ

وأخرسُوا كلّ من يَبغِي مُزايدةً فاضَ الإناءُ وعمّ السُّخطُ أركاني

الخُلفُ يُضعِفُكُمْ في وقتِ مِحنتكمْ والضّعفُ يدعو إلى ذلّ وإذعانِ

عارٌ على أمةِ القرآنِ ضَعفهُمُو إنّ الضعيفَ ذليلُ القَدْرِ والشّانِ

تأبَى البطولةُ والإسلامُ ضَعفكُمُو إن البطولةَ والإسلامَ صِنوانِ

أ.د. إبراهيم حسن إبراهيم

---

(١) انظر خلاصة مقالة فيشر في جريدة النور الصادرة ١٨/ ٧/ ١٩٨٤.

(٣) سعادة أ.د/ شفيق أبو سعده

رائد اللجنة الثقافية

يا من أرى فيه الوفاء مجدا　　والصدق والإخلاص فى حب ندى
أنت الشقيق محبة وسماحة　　بالخير اتضح بالسمو كفرقد
تسمو الأواصر عندكم فى رقة　　كالسلسبيل الظاهر المتجدد

نفثة مصدور علي جدران الأسي

استنصروا بالله مره .. لا يقبل الحر المعره
من ينصر الرحمن يمدده ويعظم فيه نصره
النصر نصرك يا إلهى فامنح الإسلام خيره
إنا أسأنا ربنا.. فالعفو منك سنا وقدره
فئنا إلى ظل الكريم وما اقترفنا كان حسره
ما حيلتى إلا رجاء العفو، أضحى الشر جهره
والمستجير بعلج ضغن عند كربته مضره
أو يستعان على العدو بقطبه شاهت مبره
لم لا تعدون الحِمام حجافلا تجتث شره؟!
الغدر طبع ذوى الخنا والحر حين يُهان جمره
فاحذر عدوا يرتدى ثوب الصديق فما أمرّه!
لا يسلم الأفاك من تلوينه، فتوق مكره
أنا لا أخاف الذئب يعوى لا أبالى منه أمره
فإذا عوى الغرب الغراب تطير الإنسانُ فوره
قد شوهوا الحق فاستعلى البغاث وما أضره!!

والناس قد صمّوا فهُم صرعى الرذائل أىّ شرّه؟!
والعالم المأفوف لا يخشى المهان ولن يَبَرّه
الركب ما رحم الضعيف وما حماه أو أقَرّه
ومجالس الأمم استبدّ بها الطغاة وذاك عِبره
فلتغرُبى يا هيئة الأمم الهزيلة مُسبطَره
إنا رجوناكم فما أنصفتمونا ألف مره
إنا يئسْنا منكمُ لا دَرّ درُّ المكْفهِرّه
إنا بلَوْناكم ولكن بعد أحداثٍ مُضِرّه
إنا وعينا الدرس فاحذر يا عدوُّ الحرّ جمره
مسرى الرسول لواؤنا والقدس فى الدنيا المجَرّه
كن أيها العربى ذئباً ليستَ الدنيا لهِرّه
عَيْشُ الذليل مهانة فَلْيَحفِر المغلوبُ قبره
فَتَقَوّوا بطش تُحترَمْ فيكون للأمجاد بكره
أأقول لا تتجهّزُوا للحرب، إنّ الحرب مُرّه
لا ترفعوا أصواتكم فالصوت يا أقوام عوره
أأقول لا تستيقظوا فالنوم عند الذل سُتره
أأقول حقّر أُسْدنا أو غادُ شارون المعرّه
لا لن أقول ففى بنى أُسدى سيوفُ الله كثره
لا لن أقول ففى الأسود الناصر المغوار غُرّه
لا لن أقول ففى الكُماة مبارك رأس ودُرّه

أَبْلِغْ إيادايا يا ابن يَعْمُرَ يَبْلُغُ المغمورُ عذره
هذا بلاغ الشعر يا ابن قبيصة أَدْرَكْتَ أمْرَه
في يوم ذي قار توَحَّدتُم فكان النصرُ فجره
إكليلُ غارٍ توّج الفُرسانَ في حِيٍّ أغرّ
في مرج دابق أرْسيل الكفرِ يهْدر ما أضرّه
في العاشر المنصور فرّ بنو القرود المشْمخِرّه
طارت فلول الغِرّ فاحذر يا عدوّ الله مِصْرَه
يا عرب لا تهنوا إذا ما نكبةٌ عرضتْ لعِبره
إنا زرعنا المجد في مهد الورى فاشتاق عِطرَه
أبناء صهيونٍ وبَا وعليك إسرائيل كدْرَه
أنتِ الشذوذُ وأنت إفكُ مباءة أنت المعره
أنت الشراذم والأراذل لا رأيتك مستقِره
يا من مردْتِ على النفاق على الشقاق على المضره
عودى لأمك يا لقيطةُ إنّ أرض العرب حرّه

أ.د. شفيق أبو سعده
٢٠٠٢/٤/١٦

(٨) الشاعر أحمد عبد الهادي

أشعــــاره قطر الندى وفنونه كـالغيث في نفع الورى مل أكثـر

أرضي فلسطين

مـــاذا أقـــولُ ومـــاذا يكتبُ القلَمُ فــالخَطْبُ أعظمُ مِمّا تُفْـصِحُ الكلِمُ
كمْ قدْ بــكَيـــنا وقُلـــنا ألفَ مرثِيةٍ فى نكبةِ الأهلِ مُنْذُ اعترّ مَنْ ظلَمُوا
ودمّروا الـــدُّوروالأهـــلُونَ قدْ حُصِدُوا حَصْداً وغازِيهِمُـــو مُســتَقبِحٌ أثِمُ
والـــيَوْمُ سَفٌ: ونـــيرَانٌ ومَقْصَلَةٌ وهَتْـــــكُ سِترٍ وجوٌ كلُّهُ زَحِمُ
يا آلَ يَعْرُبَ ما هذَا وكـــــيفَ سَلا بَالُ الأباةِ ألـــــيْسَ لِعزِّكُم شَمَمُ
عدَوا على المسجدِ الأقصى يؤزّهمُو حِقْدُ الـسِّنينَ فهَلْ يعْنيكُمُ الحرَمُ
إنّى لأصرُخُ مِنْ قلبِي ومَـــــوْجِدَتِي لا يعـترِيها الونَى بلْ حقّها الضّرَمُ
هَلا سَمِعـــــتُم أمْ انتُم فى تقَاعُسِكم تَسْتَمرِئُونَ الخَنَا والخَصْمُ ينتقِمُ
ويَســـتَحِلُّ حِماكُمْ دُونَمـــا حرَجٍ لا كهْفَ لا سَقْفَ إلا راحَ يقْـــتَحِمُ
ويَحِي علـى الطِّفْلِ فـى أحْضَانِ والِدِه عدَاً علـيــــهِ بِغـــدْرٍ فَاتِكٌ عَرِمُ
ويَحِي على الدُّورِ فى الأصقاعِ إذْ ظهَرَتْ مِثْلَ الأتُونِ ونَارُ الخَصْمِ تلْتَهِمُ
ويحِي على الزَّرعِ ثُمّ الضَّرعِ قـد ذهَبـا طُعْمـاً لنارِ العِدَى والأهلُ قدْ حُرِمُوا
أرضى فلسطينُ يَا أرضـــا مــعـذّبَةً إنّى إلى اللـه ضِدّ البـغْى اخْـتـصِمُ
مَـــــا ذَنْبُ شعْبِكِ أنْ يَغْتَالَه نَزِقٌ أجْرَى الدِّمــــاءَ ولمْ يظْهَرْ بـه ندَمُ
وَهْوَ الّذِى كَانَ مَـطْـرُوداً ومـنْـدَحِراً لدىَ الشُّعـــوبِ ولَمْ تَثْبتْ لَهُ قَدَمُ
ورَاحَ بِلــــفُوْرَ يــدعُوهُ بمـــوعِدَةٍ إلى فلسطينَ، ذا غـــازٍ وذا نَهِمُ
أنــشُودَتِى ثُمّ حتّي الـعرْبَ أن يـقِفُوا مِثْلَ الأسُودِ هُمـا جُهْدِى هُمـا القسَمُ

أنْ يُدرِكَ الساهِرُ المظلومُ غايَتَهُ	وتَرجِعَ الأرْضُ والأجزاءُ تلْتَئِمُ
هُنَاكَ يا قومُ يحلو أنْ يكونَ لنَا	تحْتَ السَّماءِ مكانٌ أُسُّهُ القِيَمُ
هنَاك يا قومُ لا يُزرى بنا أحَدٌ	إذاً فخرنا وأُعلت قدرنا الأمم
إذ صارتِ الأرضُ فى زهْو بعودَتِها	وأصبحَ الأمْنُ فى أبناءِ مَنْ ظلَموا
وغادرَ الحاقِدُ الباغِى على عَجَلٍ	أرْضَ السّلامِ وسادَ السلمُ والنّغَمُ

أحمد محمد عبد الهادي

٢٠٠٠/١٠/٤

(١) بتصرف عن «التعريب قديما وحديثا من الدكتور محمد حسن عبد العزيز ص٢١٧.

الورداني ناصف

ورادنى شعرك منهل متكامل لرجاحة فى عقلكم لا تنكر
ألبستم الفن الجميل وجاهة أشعاركم تاج به متفاخر

رسالة من الدرة

أنا حلم دره
أنا ذلك الطفل الذى فتكت به
الأطماع فى وطن الغضب
أنا ذلك الحلم الذى قد مزقوه
بلا سبب
أنا ومضة النور الذى قد أطفأته
يد الجبان المغتصب
أنا حلم دره
أنا أحمدٌ.. ومحمدٌ.. ومهندٌ
أنا أسرٌ.. أنا جاسرٌ.. أنا ياسرٌ
أنا خالدٌ.. أنا عابدٌ.. أنا ماجدٌ
وأنا حنينُ.. أنا الحسين.. أنا رجبْ
أنا كل أطفال العربْ
أنا ذلك الأملُ الذى قد مزقته
هوادة الحكام.. حين الحقُ تاه
أنا وصمةُ العار التى لحقت بكم
يا أيها العرب الأباة!!
أنا ذلك المستقبلُ المزعومَ

قد خنقته أحلامُ البغاة
قد جرّدته من التفكُرِ والتذكّر
والتصوّرِ والتطوّر
والأماني.. والأغاني.. والحياة
أنا ذلك الوطنُ الذى
قد عاش يرسفُ فى قيودِ الذلِ
أعواما كثيبة
ذبحته أيدى المارقين
وكفنته يدُ العروبة
وبنوا على أشلائه وطناً
لكل الشاردين التائهين الواقفين
على حدود الأزمنة
من أغمدوا أطماعهم فى حلْمِنا
وسقوا صحارى غلّهم بدمائنا
من لوثوا طُهر الرؤى
بقذائف الحقدِ الدفين المزمنه
أنا حلم دره
أنا ذلك الطفل الذى قد عاش يوماً
بعض أحلام الطفولة
أو جاء يوماً لاهياً
-كبقية الأطفال- باللعب الجميلة
لكننى كبقية الأطفال فى حيفا

وفى يافا.. وفى صبرا وشاتيلا.. ورام الله .. وفى غزا
وفى القدس السليبة.. فى جنين.. وفى الخليل..
وفى ربا لبنان.. فى الجولان.. أسمع جدتى
تجنر أنغاماً عليلة
كم عشت أسمعها تغنى أغنيات الموت
تتلو قصة التحرير نكتبها جميلة
كانت تغنى بالشظى المكبوت فى وجدانها
وتعيد أمجاد الرجوله
كانت تردد دائما أشعار عنتر والهلالى وفدوى
والأوائل من فحول الشعر فى سفر البطوله
(لا يسلم الشرف الرفيع..)
(إذا بليت بظالم كن ظالما)
وتعيد آيات القصاص
فإنها شرعُ القبيلة
أنا حالم دره
أحكى لكم يا سادتى عما جرى
فى ذلك الوطن الذبيح
كيف استباح المجرمون دماءنا؟
كم لطخوا مسرى النبى
ولوثوا مهد المسيح
أحكى لكم عن قهرنا
وعن انتحار الحلم فى وجداننا

وتمزّق الآمالِ فى الوطن الجريحْ

أحكى لكم ... أحكى لكم

أحكى لكم عن أى شئٍ

أيها العرب الأباة؟!

ماذا أقول وقد تبعثر عزمُنا

والحلمُ تاهْ

وغدت أمانينا غُثاءَ

تحت أقدامِ الطغاة

لا ظل يحمى حلُمَنَا المقهور

من ظلم العتاهْ

سلبوا كرامتنا

ومن أحلامنا سلبوا الحياةْ

أنا يا حماةْ عروبتى

طفلٌ تربى تحت نير الاحتلال

أقصى أمانيه الحياةُ

بلا رُصاصٍ .. أو قتال

لكنها أقداره حكمت عليه

بأن تطارده النعالْ

لا حصنَ يحمى أمنهُ

ويصدُّ ألوية الزوال

وشريعةُ البغى التى نأبى..

تمزقنا..

وتمتهن النضال

فهل استطعتم يا حماة عروبتى

قهر المحال؟

وهل استطعتم يا حماة عروبتى

دفع الهوان؟

يا من تربعتم قروناً

فوق خارطة الزمان

وروت حضارات الشعوب

علومُكم

ومنحتمو الفكر الأمان

قولوا لنا أنرى بكم بعض الأمان؟!

ردوا إلينا حقنا المسلوب

والأمل القصىّ

ردوا إلينا عزة الإنسان

من أيدى البغى

ردوا إلينا سادتى مسرى النبى

ردوا إلينا يا حماة عروبتى

الشرف المهان

واسترجعوا عصراً به

أحنى (صلاح الدين..)

ظهر العنفوان

وأعاد (بيت المقدس) الميمون

ردّ لــه الأمـــــــــــان

ردوا عـــلــيــنـــا ســـــــــــــــــــادتـــى

ولــتـــســـمـــعـــوا صـــرخـــاتـنـا فى كل آن

فـــالمســـجـــد الأقـــصى يئـن

من الـتـــمـــزق والـهـــوان

والـقـــدس تـصـــرخ صـــرخـــة المذبـوح

تـســـتـــجـــدى الأمـــــان

هـل تـنـقـــذون أيـا حـــمـــاة عـــروبـتـى

الـقـــدس المـهـــان؟!

قـــــــــــولـــوا لـــنـــا:

هل تنقـذون كرامـة القـدسِ المهان؟

بـالـلـه قـــولـوا ســـادتـى

هل تنقـذون كرامـة القـدس المُهان؟

الشاعرة: إيمان البكري

إيمان بكرى شعرها متألق فهو الربيع نضارة بل أحسن
نظمت عقود زيرجد فى فنها تعلو السماء وجاهة وتقنن

أنا باق

أنا باق باق ... أنا باق
عربى عربى باق
بعيون الشحر أنا باق
بجذور الدمع أنا باق
فى ذعر الجرح أنا باق
باق فى آهة زيتونى
باقٍ فى شهقة ليمونى
إن سفكوا الحلم أنا باق
إن خنقوا الضوء أنا باق
احتلوا الجسد أنا باق
انتزعوا الجلد أنا باق
لن أعلن يوما اخفاقى
وسأصرخ فى وجه الدنيا
عربى .. عربى باق
يا سادة عصر الهمجية
جسدى قنبلة ذرية
ودمائى جسر الحرية
أنا صرخة طين عربية

وجذورى ترضعُ إعصارى
من ثدى الأرض ومن نارى
إن جعتُ ساكل من جوعى
وسينبُتُ من نزفِ ضلوعى
وجهٌ ثورى عربى
سيحرر بالموت رفاقى
وسيصرخ فى وجه الدنيا
عربى.. عربى باق
أقسمت يمينا بالأقصى
بجلال الأسماء الحسنى
وبسوره مريم والفجر
بالنزف وآلاء الحجر
سأجول بذاكرةِ الماضى
وأعودُ مع الزمن الآتى
فالنارُ ستكمل دورتها
والشمس سترفع رايتها
وسيسرى للقدس براقى
وسأصرخ فى وجه الدنيا
عربى.. عربى باق
فى صورة مرسوم رائع
أسلمنى مأجورٌ بائع
لوليمة شيطانٍ جائعْ

والحقُ تسربل مهتانا
والخوفُ يعملقُ أقزاما
فأتموا البيعة مجانا
والقاتلُ منحوه وساما
لن تلد الذئبة حِملانا
يا أخوة يوسف أوعدِكم
فالعامُ القادمُ موعدُكم فعظامى فوق موائدكم
ودمائى سوف تطاردكم وستترك فوق ضرائطكم
آثار أصابع مأساتى
وأنا أعلنت قراراتى
سأظل أقاتلَ وأقاتل
وأطاردُ أحلامَ القاتل
إن ملأوا سمايا أضرحة
سأظل أقاتلُ وأقاتل
إن صنعوا جلدى أوشحة
سأظل أقاتل وأقاتل
إن زرعوا دمائل أسلحةً وأقاموا بجسدى مذبحة
قدماى ستنبتُ أجنحة
لتسنبل أحزانى قمحا
وسأصرخ مجنوناً فرحاً
متم.. وأنا وأنا باق

قـال المؤتمرُ الدولىُ مـوتى مـشـروع قـومى

وأنا والموت صـديقـان أحـبـبت الموت فـأدنانى

وجـه الحـرية عـنوانى

أبـصـق فـى وجـه الجـانى

وبوجـه المندوب السامى جـرحى أوسـمـة وقـلاده

والموت صـلاةٌ وعـبـاده ونزيفى بـعثٌ وإباده

فـانقـرضـوا يا نسل القـادة

يـا وجـه عـروش قـواده

إن مت سـأولد فى الأتى لأمـزق تـصـريح وفـاتى

بـالحـزن وبالجـرح الأسـمى

سـأعـيـدُ جـمـيع صـداقـاتى

حـررت من القـيـد وثـاقى

وسـأصـرخ فـى وجـه الدنـيـا

عـربى.. عـربى بـاق

إن ثـقـبـوا الرأس أنـا بـاق

إن ذبـحـوا الـظـل أنـا بـاق

بـصـراخ الأرض أنـا بـاق

بمـلـف جـريمـتـكـم بـاق

أنا سـيـد شهداء العـصـر تنُحـبنى الريح على قـبرى

كـى أقـرع أسـمـاع الصـمتِ

فـعـروقى حـبلٌ من مـسـدِ

والـوطن مـقـيم فـى جـسـدى

أنـا بـاق بـاق ... أنـا بـاق

أ.د. حسن إسماعيل عبد الرازق

حسن الخليفة حبنا أهلاً به ... هو قمة فى شعره ومنار
قد صار ينشد بيننا أقسامه ... هو شاعر وله الفنون تدار

تحية للأزهر

حيِّ الأفاضل، واشكرنَّ الأزهرا ... واذكر به بدرَ السماء النيِّراَ
وانظمْ لهُ عِقدَ الثناء، مرصعاً ... دراً بروق السامعين وجَوْهَراَ
مِنْ كلِّ رائعةٍ سمَت مزهوّةً ... وتعشّقت بدرَ الوجود الأزهراَ
غراءَ إنْ خطرتْ أضاءتْ أنجماً ... وإذا انجلتْ حسناً أنارتْ أقمراً
جمعتْ من الشهبِ المضيئة أعرفاً ... وجرتْ على صُحفِ الطهارةِ أسطراً
فإذا بدتْ أهدتك حسناً طاهراً ... وإذا شدتْ أعطتكَ لحناً خيّراً
ريحانةَ الفصحى، نمتها روضةٌ ... سُقيتْ رحيقاً بالعبير معطّراً
تهبُ الربيعَ الغصنَ آيةَ حُسنهِ ... وتبثُّ فى عطفيْهِ أيكاً أخضراَ
مِنْ معْهدٍ يهْدِى البلاغة سمْحةً ... والقولَ عذباً، والبيان مُنَضّراً
شرفُ الطهارةِ قد حماها مُجتهداً ... والأزهرُ الأسنى نماها عُنصراً
أكْرِمْ بِهِ مَجْداً أضاءَ هِدايةً ... وسمَا جلالاً، واستمر مُنوّراً
شرُفَتْ بِهِ مِصْرُ العزيزةُ عندما ... شاءَ المعزُّ لها بأنْ تبقى الذرا
أعلى بمئذنتيه آياتِ الهُدَى ... وَحبَا المُصلى بالعبير وطهرا
ورَى الحديث عن النبى معطّراً ... وتلا كتاب الله فيه مطهراً
وأضاءَ للدين الحنف منارةً ... أسمى من النجم العلى وأطهرا
فيها «الإمام الشافعىُ» و«مالكٌ» ... و«أبو حنيفة» و«ابن حنْبل» فى الذُرى
طلعوا شمُوساً فى سماءِ جلاله ... وعلى رُباهُ الطهْرِ فاضُوا أنهُراً

فـــغــــدا بـنـور الْعلِم أوَل قـــبـلـةٍ … تختال -بعد القبلتين- على الورى

يهـفـو إلـيـه من المـشـارق مـعـشـرٌ … ويشدُّ من قَلْبِ المغــارب مَعْشــراً

فَأضاءَ فى الشـرق الْقـصِى مَشَاعِلاً … وأمدَّ للْغَرْبِ الـبــعــيــد الأبـحــرا

يردِون -مـن ظمــأ- مـناهـل علمهِ … ويـــرون-فــى شَغَفٍ- هُداهُ تبَصُّراً

فـــيُطَالِعُـــون بِهِ سَمَاحَة ديـنـهـم … وَيَرَوْنَ فـيـه- عن يـقينٍ- مـفْخـراً

حــجــوا إلـى الـبـيـت الـعـيق تَطَهُّرا … وسَعَوْا إلـى مَهْدِ الـعـلوم تحـــضُراً

وجــدُوا من الـبـيـت المهـيـب مـثـابة … ومِنَ الكِنَانِى المبـــارك مَشْعـــراً

إنَّ الذى وهــب الـعـــتـيق مــهــابةً … أَعْطى الكِنانى الشـــريـف الكوثرا

فلقـــد نماهُ فى الأمـــاجــد «جــوهرٌ» … ومــضـى إلى الـدُّنيـا فـخلَّد جَوْهرا

مـنْ أَلْفِ عـــامٍ جـــاءَ يُرْسِلُ نُوره … علمـاً، وفـضـلاً، واجـتـهاداً مُثـمراً

وطَوى الزَّمَان: ممالكاً فـــمـــالـكاً … يـغـشى الـقـرون بنوره والأعـصُرا

حــتـى تألقت الـعــصــور بفـضـله … نُوراً، وفـــاحت بـالـهــداية عـنـبــراً

مِنْ فـيضهِ سـقت الـحـضـارةُ نبـتـهـا … وبعـــذبِهِ أروتـه حـــتى أثـمـــرا

فى كـل ناحـــيــــة تـرى من نـوره … غُرراً أعـــزَّ من النـجـــوم وأنـورا

مِنْ كُلِّ فَذٍّ فـى الـعـلـوم مُخـــــفِقٍ … أوْ فـــاضِلٍ، ورعٍ، يزيـنُ المِنْبـــرا

ورثُوا المهـابة فـاضِلاً عن فـاضِلٍ … حـــتـى علَوْا فوْقَ الـكواكب حفَّرا

زانوا سَمَـاء الـعـلم وهى رفـيـعـةٌ … وَشمَمُوا إليـــهـا مُخْجِلِينَ الأقْمرا

لَوْ أنَّ لـلـرُّسْلِ الكرام بـقـــيـــةً … لحـــسِبْتَهُمْ رُسْلَ الـســمـــاء تَطَهُّراً!

يا مَعْقِلَ الدين الـحـنيف ومـوئل الـ … ـفُصْحـى، سلِمْتَ مُؤَيّداً، ومؤَزَّراً

أعْلَيْتَ قـــدْرَهُمـــا؛ فَصُنْت أمـــانةً … ووقـفت دونهما؛ فذُدْتَ عن الشرى

جرَّعْتَ «نـابـلـيــون» مرَّ هـزيمةٍ … نكراء هدَّتْ ما أقَامَ ومــا اشـــتـرى

أذللتَهُ حتّى تلون مــعـلنـاً ... إسلاَهُ وهُوَ المـنـافقُ مَخْبَراً

إذْ جـاء يَسْتَرْضى الأئمّة مُقْبلاً ... وردَدْتَهُ يَبْكى الشـجـاعـة مُدْبراً

حـتـىً تجـرأ واسـتـبـاحك منْزلاً ... مُتَوَهِماً أنَّ الثُّريَّا كـالثّرىَ!!

فَسَخِرتَ مِنهُ وهْو يـرجع نـادمـاً ... ويقولُ فى بَلْواهُ: خـابَ من افتـرى

وكَتَبْتَ عِبْرةَ فعْلِه فـى لحـظـة ... رَدَّتْ عن الوَطنِ الحبيب «كليبـراً»

فَسل «الجـبـرتى» المشاهِدَ تَلْقـهُ ... يُفْضِى إلـيْكَ بمـا رأى وبِمَا درى

إنَّ الذِى خَلَقَ «الـكـنـانـة» حُرَّةً ... خَلَقَ «الكِنانِيّ» الشَرِيفَ غضَنْفَراً!

أعْلَيتَ بالـقـرآن قـدْر لِسَانِه ... فَغَدَا عَنِ الخُلقُ العـظـيم مُعَبّراً

وحَفِظْتَ بـالفُصْحـى فضَائِـاً أمّة ... جعَلَتْكَ مَظْهَرهَا الشـريفَ الأنْوراَ

فبعثْت «سحبان بْن وائِل» مُفْصِحاً ... يُعْلِى الفَضَائِلَ فى المدائن والقُرى

وإذا «عكـاظ» تسـتـعـيـد رُواءها ... وزُهَيْرُ يَحْضُرُهَا، مُطَاعـاً خيَراً

يتـقـاطرُ الشُعَرَاءُ عِنْد قـيـامِهِ ... حكمـاً، لِيُنصِفَ مَنْ يَكُونُ الأشعـراَ

وإذا «بحـسـان بن ثـابت» مُنْشِداً ... يُعْلِى الغساسِنَة الكرامَ أُولى القُرىَ

وإذا زهـيـرٌ فى مُهَذّبِ شِعْرِه ... يلْقىَ لبـيـداً راضـيـاً، مُسْتـبـشـراً

يُثْنـى علـى هَرِم بِمـا أسْدى لَهُ ... ويَرَى لبـيـداً للهـداية شِمّراً

صفَحَاتُ مَجْدٍ سَالتِ الفُصْحى بِهـا ... عَذْباً، فُراتـاً، سـائِغـاً، مُتحـدراً

جلّى بِهاَ الشّعْرُ الرَصينُ مُبـرَزاً ... يُغْنِى بهـا «الحُرُ» الذى قـد قـصّرا

إنَّ المُفْـرِطَ فى أصَالَـةِ شِعْرِهِ ... وزْناً، وقـافـيـةً، أضـاع الجَوْهَرا

حلَّ العُرى مِنهُ فأفْسـد نَظْمَهُ ... أيُقـالُ: شِعـرٌ بَعْدَ أنْ حلَّ العُرى؟!

مـاذا يُسـمى بَعْدَ ذلك فِعْلَهُ؟ ... لا الشّعْرَ قَالَ، ولا بـنـثـرٍ ثرثـرا!

قـالوا: هُو الشّعْرُ الحـديثُ ورُبّمَا ... مَرِضَ الـشُعُورُ بِهِ وَناءَ تَضَرُراً!

تخذَ التدلّه والغموض طريقةً ... والبُعْدَ عَنْ لغَةِ العروبةِ مَعْبَراَ
ما للعروبةِ فيه غيرُ حروفِهِ ... لولا الحُرُوفُ لَبَات رَبْعاً مُقْفِراً
سَمُّوهُ ما شئْتُمْ سوى أن تزعُمُوا ... أنّ العُرُوبَةَ منه نالَتْ مَظْهَراً
فَهُوَ القُصُورُ لِرَاغبٍ فى شُهْرَةٍ ... أعْيا عن الفُصْحى فبَاتَ مقصِّراً
لا تنسبُوا للضاء حشواً ضائعاً ... أمْسى لتَضْييع الأصيلِ مُسَخَّرا
صُونُوا تُراث الضاء من «تطويركم» ... حِفْظُ التُراثِ مِنَ الفضائل فى الذُّرى
فَمُوشَّحاتُ الغَرْبِ أعْطتْ قبلكُمْ ... مثلاً لتضْييع التُّراثِ تحرُّراً!!
طلَعَتْ على الفُصْحى فضَاع جَلالُها ... واتتْ على مَجْد القريض فغَوّرا
وإذا بدولتها تضيعُ تفرْنُجاً ... وإذا بِهام ذِكْرى تَمُرُّ تحسُّراً!!
والأزْهَرُ المعْمُورُ يقْذفُ مثْلَه ... زَبَداً جُفَاءً، ثُمّ يَبْقى الأجْدرا
فحمايةُ الفُصحى حمايةُ ديننا ... مَنْ صَانَها صَانَ الحنيفَ الأطْهَرا
يا مطلع الزُّهر الكرام: تحيةٌ ... مِنْ شاعرٍ يَشْدو بفضْلِكَ فى الوَرى
أثنى عليك ففَاحَ عِطْرُ ثَنَائِه ... وَرَوى الزَّمانُ ثَنَاءهُ فتَعطرا
نَظَمَ الثَّناءَ قلائداً وضَّاءَةً ... طلَعتْ على أُفُقِ البيانِ فنوَّرا
إنْ كان «شوقى» لم يفُزْبكَ مَطلعاً ... فلقد أضأتَ الكونَ حتّى أقمرا
فَعلَى بيَانكَ صاغَ تبر قصيده ... وعلَى شِراعك فى البَلاغةِ أبحراَ
حيّاكَ مُنْبَهِراً بِنُورك مادِحاً ... وَشَدَوْتَ بِاسمكَ فى الأنامِ مُكَبِّراَ
لك فى القُلُوبِ محبّةٌ أزَليةٌ ... وَمِنَ الجَوانحِ ذِمّةٌ لَنْ تُخْفَراَ
العِلْمُ بَاقٍ ما بقيتَ مؤيّداً ... والدِّينُ باقٍ ما بقيت مُظفَّراً

الشاعر حسين خريس

هذا الحسين حبيبنا وشقيقنا	بقدومه للقائنا إكبارُ
بِفُنُونِهِ وسماته قد أشرقت	شمس الهدى قد لاحقت الأنوار
جَاءِ يبارك جمعنا بفراته	أهلا به هو قمة وفخار

صرخة شهيد

عاهدتُ نفسى أنْ أكونَ لموطنى اليومَ الفِدَاَ

حتّى أعيش منعّماً وأعيش عمراً أسْعَدا

أنا لن أموتَ وقد وهَبْتُ العمرَ يوْماً خَالِدا

يُعْطى الحياةَ لشَعْبى السَارِى علَى وهَجِ الرّدَى

وجعلْتُ للرّشاشِ صَدْرِى والرّصَاصِ مقاصِداَ

فإذا سقَطْت فوسّدونى قُربَ يافا مرْقَداَ

وخذُوا عظَامى للبَنادِقِ والبيَارِق مَسْنَدا

وخذُوا دمَائى للسّراجِ يضئُ ليلاً أسْوداَ

وخذُوا الرّداءَ وقد تلوّنَ بالدّماَ وتورّداَ

علَماً يُرَفرفُ فى سَماءِ المجْدِ أحمرَ شَاهِدا

لأظلّ بالعهْدِ العظيمِ كما عهِدتَ مُعَاهدا

ويطلّ حقدُ النارِ فى جَسدى يلعلعُ مُنْشداَ

اللّهُ اكبرُ يَا فلسطينُ اشهدِى منّا الغدا

ها نحنُ عُدْنا ... والسّلام إليكِ أصْبحَ عائِدا

تحية الى القدس

شعر: الدكتور حسين خريس

يا قدسُ يا حبيبه

يا من على تلالكِ المهيبة

تُعانق الأرضَ السماءْ

يا من على سهولك الخصيبة

قد راحَ يغزلُ الضيَاءْ

ألوانهُ القشيبة

يا قدسُ يا عجيبة

إليكِ يا مدينةَ الشّموخِ والإباءِ

يا منْ علَى ساحَاتك الخضيبةِ الدّماءِ

كنّا نصلّي كلّنا .. معَا .. معاً

ونُشْرعُ الأيدِي معاً والمِدْفعَا

لَنْ نرجَعَا .. سلاَحُنا لنْ يوُضَعَا

إلّا علَى بوّابةِ القدسِ الشّريفِ مُشْرعاً

وهَاتفاً .. مُرَدّداً .. فلتدخلُوا معاً .. معاً

أو تسقطوا .. معَا .. معَاً

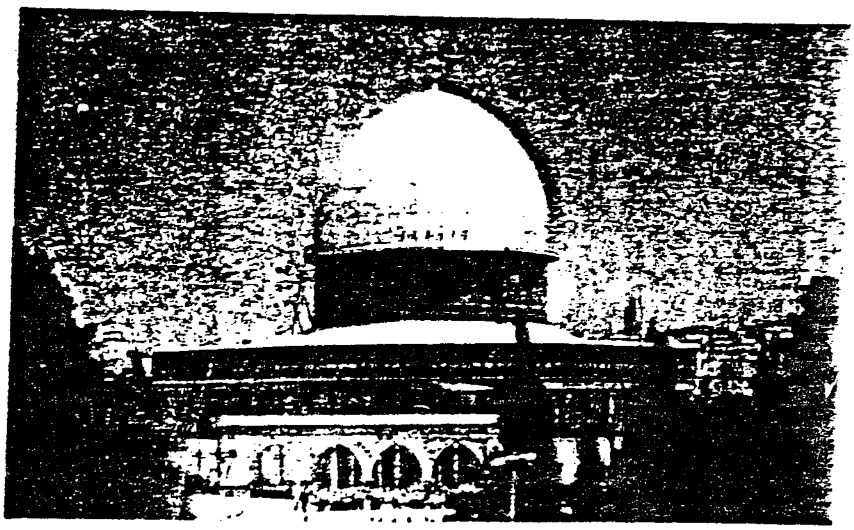
لن نرجعا .. لن نرْجعاً

سندخلُ القدسَ معَا .. معاً .. معاً

أ. د/ صابر عبد الدايم يونس
وكيل كلية اللغة بالزقازيق

هو صابر والشعر طوع بنانه　　　هو فى السلوك منارة وعظات
هو فى البيان رجاحة ميمونة　　　وهو الوكيل وهديه البركات

نقوش على جدران المسجد الاقصى



يا قدسُ .. طيرُ البغى فيك يحلقُ
والمسجدُ الأقصى يُدَكُّ ويُحْرقُ
والغاصبون زمان أمنكِ مادروا
أن الحجارة فى اشتعالكَ فَيْلقُ
قد أضرموا النيران فيك .. وفى قلو
بِهمُ الفسادُ مع الجحود مُعَلَقُ
والمسجدُ الأقصى يقاوم كيْدهم
وبه إلى فَجْر الأمانِ تَشوُّقُ

إن أحـــــرقوه .. وهـدَمْوا مـــــحْرابَهُ

فـبكى وهـم سـمـعـوا الأنين فـصـفَّقـوا

فـــالثـــأر يزْحَفُ فى انتـفـاضـةِ أمـتى

وبـعــــــزيمـة الأحْرار قـلبـى يَشْهـقُ

والمنبــر القــدسى كـــبـــر هاتـفـــاً

والغـــرب صم .. وقـــد وعـــاه المشـــرق

مـــاتت قـــضـــايانا بمجلس أمْنهم

وضـــمــــيـرهم للزور دوْمـــاً يعلقُ

لا عـــدل .. لا إنصـــاف فى زمن يسـّـــا

مُ الحـقُّ فـــيــــه وبالضــــلال يُطوّقُ

«الله أكـــبـــر» فى الشـــدائد مـــدفعى

بالنصـــر برقُ ضـــيـــائهـــا يتـــدفّقُ

* * *

لكـانّ صـــوت المســجـد الأقـــصى على

بـاب الزمـــــان .. بـكـل عــــزم يطرقُ

ويـقـــول «للتــــاريخ» قمْ .. وابعثْ إلـىّ

الأنبـــيــــاء فـــأمّتى تتــمـــزّقُ

ويقـول «يا موسى» ائتنى بعـصـاك واسـ

حَقْ جـــبـــهــــة البــــاغين إنـى أُخْنَقُ

فلكم أضــــاء منـارتى نـورُ الوصـــــا

يا العــــشـــر وهـى بكـل حبّ تنطِقُ

ويقـــول «يا عـــيـــسى» مـــهـــادك نوره

يخــبــو .. وكــادت شــمــســـه لا تُشْرقُ

كم كـنت تبـرئ أكـمـهــاً .. أو أبْرصــا

والميتَ تُحــيــى .. والرجـــاء تحـــقّقُ

أفــلا سَعَيْت اليــوم تـنقــذُ ســاحــتى

لـيظل ذكــرك فى الـســمــاء يـحلـقُ

فـحـجارتى الصـمـاء كم أصـغَت إليْـ ...

ك وأنت فى حـضن البــتـول تشـقـشقُ

ودَرَجْت فى صــاحى فــراشــة عــفــة

تجنى الرحــيق من الضــيــاءِ وتعــشقُ

ويقـــولُ «يـا طه» بأولـى القــبلتــيـ ..

ـن الحق يـصلـبُ فى النّهـــار ويُشْنـقُ

والـعَدْلُ .. فى أنْهـــار ظلم الـغـــادريـ

ـن من المفـــاســـد والمجـــازر يـغْرقُ

والسّلم .. مــبــتــور اليَدين بســاحــةٍ

فــيــهــا الأمــان مع الســـلام مُؤرّقُ

«الله أكــبــر» فى الشـــدائد مـدْفــعى

بـالنصــر برَق ضــيـــائهــا يتَدفّقُ

* * *

يا قـــدسُ طَيْرُ البـــغى فـــيك يحلّقُ

والمســجــدُ الأقــصى أســيــرٌ مــوثَقُ

قد أشعلوا النيران في أضلاعه
وضلوعه هذى ذكرٌ مُغْدِقُ

قد أحرقوه فزاد عطر جلاله
كالعود يكثر عطرُه إذ يُحْرقُ

وأتوا بحقدهمُ ليطفئ نوره
لكنه كالشمس فينا يبْرقُ

وإذا بعاصفة الفداء تهب من
مهد السلام على الطغاة فتصْعَقُ

قبسٌ من الفاروق أشعل أمّةً
كادت تضيع كديمة تتشقّقُ

والمسجد الأقصى يبارك خطْوَه
فجبينه بضياء عزّ يُشْرقُ

وتسلم المفتاح من «حرّاسه»
وبوجْهه نَجْم الهُدى يتألّقُ

وهوت مع الأجراس آخر صيحة
للظلم .. وهو بسهْم عدل يُرْشَقُ

وإذا بفتح للخلاص تقودُنا
فإذا به «فتح قريبٌ» مُشْرق

«وبشارة» أذكى صلاح الدين ها
لتها فَسرنا نحوَها نَتَدفَّقُ

«حطين» حجتنا وواحة مجْدنا
حيث الأوائل والأواخر تعشقُ

مسرى رسول الله .. تلك صحائفٌ
خُطّت بسفر المجْدِ فيكَ تُنَسّقُ
إن اشعلوا النيران فيك فإنما
هى جذوةٌ .. وبغيرها لن يُحرقوا
ظلموا سليمان الحكيم بهيكل
وبغَوْا .. وقالوا: نحن شعبٌ أعرقُ
المسلمون .. على الأكف .. الروحَ قد
وضعوا .. وكلٌ للفدا متشوقُ
آسيا .. وأفريقيا وأورُوبا ومن
عطر الحقيقة والشريعة ينشَقُ
سيهبُ كالإعصار كلُ موحّد
يُفْنى الطغاة .. وللجناة يمزّقُ
سيهب كالإعصار كلُ موحّدٍ
وعلى الطغاة بكل حزم يطبق
هذى الدماء الخُضْرُ تكتب قصيدتها الحجارة بالبسالة تورقُ

تتفجَرُ النَّيرانُ من أضلاعها واللهب المحمومُ فيها يغرقُ

والمؤمنون .. إليكَ يزحفُ جَمعهم دونك غايةٌ تتحقّقُ

وشهادة التوحيد مدفعهم ورأيةُ الله عليهم تخفقُ

ويبـــارك الرحـــمن زحـــفـــهمُ إليـــ
كَ فـــأنـت بالـزَّحـف المقـــدّس أخـلـقُ

وتســـيـــر جنْدُ الـلـه بين صـــفـــوفـــهم
فـــالـلـه يـنصـــرُ جنْـــــده ويُـــوفّقُ

* * *

صيحة وتحذير

أ. د/ صبح عبد الحميد

يا أيها القوم اعدلوا واستنكروا ... ان اليهود تطاولوا وتجبروا
افيتركون لبغيهم وعنادهم ... إن السلام بجاهكم يستنصر
سلبوا العروبة قدسها وبلادها ... وبنوا حصونا صرحها سيدمر
سلبوا العروبة قدسها وبلادها ... أنسوا الجلاء وخيبرا لن يظهروا
أنسو المحارق والقَنعار وحارةً ... أن الأكاسرة العتاة وقيصر
بنوا الجيوش فنبة وتآمروا ... فأذاقهم إيماننا ما يبهر
أما اليهود فبغيهم يتكاثر ... قتل وتشريد وزيف ينكر
ونسوا العهود وخزيهم فى ذلة ... فليردعوا شارونهم وليذكروا
أنسوا العبور وقهرهم أنسوا ... الفرار من الجنوب وجيشهم يتقهقر
يا آل صهيون اليهود تذكروا ... إن كان وعى قلوبكم يتذكر
ولتعلموا أن العروبة قوة ... يرعى الإله جنودها ويناصر
وهم الحمام إذا المنية شمرت ... عن ساقها واليوم أقتم أغبر
قدروا التعاظم واتقوا منا قوى ... كل الكماة لها تذل وتضغر
عرب إذا بكر الصياح حسبتهم ... أسد العرين على نعام تزأر
يتراكمون على الصوارم والقنا ... كتراكم القوم الظماء تجمهروا
وهم اذا حان اللقاء فانهم ... كالموت يمضى حازما فتدبروا
أفتقتلون وتسلبون بلادنا ... أنتم بفات هائج يتنسر
لا لن يدوم غروركم وعنادكم ... فستقهرون جميعكم وسننصر

فـالله أخـبـر فـى الكتـاب مـؤكـدا   أن الفناء لطيـشكـم فاسـتـبـشـروا

مستـحـصدون غـروركـم تـبـاً لكم   فـالأمن ضـاع ببـغـيكم فلتـحـذروا

لا لن ننام عـن الحـقـوق وقـدسنا   فـالـلـه أكـبـر للعـدالة تـظهـر

فلـنـنقلـن إلى الـطغـاة رحى ردى   أبدا يدور بـهـا الزمـان ويـخـبـر

رفـع الإلـه على الـنجـوم مـحلـنا   والـلـه يرفـع مـن يشـاء ويظهـر

أ/ أحمد صقر

ضحك الربيع وأشرق النوار وتفتقت فى روضها الأزهار
فسألته ماذا جرى فأجابنى شيخ الصقور وقفه المدرار

مهْرجان الشعر في فصل الربيع

أحمد محمد صقر - خريج الكلية ١٩٥١
مدير السعيدية الثانوية الأسبق - عضو اتحاد الكتاب

جاء الربيع تَزُفُّه الأطيارُ وتفوحُ فى أجوائهِ الأزهارُ
وسرى النسيمُ العذبُ فى جنباته وترقرقَتْ من وَحْيه الأشعارُ
فبكل روضٍ للطبيعة بَهجةٌ هى للربيع علامَةٌ وشِعارُ
وهنا رياضُ (الضادِ) فى كلية لكتائب الفُصحى بها مضْمارُ
يتسابق الفُرْسانُ من شعرائها (بعُكَاظَ) كلّ قصيد همْ مُختارُ
فى مِهْرجان الشعر هذى نُخبةٌ للشعر منها أنهرٌ وبحارُ
تتجمع الأجيالُ بينَ رُبوعِها والأزهرُ المعمورُ نِعْمَ الدارُ
فالكلُ يسعدُ بالربيع وينْتشى وشعارُنَا التفضيلُ والإيثارُ
ما أسعداً الدُنيا بعيدَ رَبيعِها وبساحهِ يتجَمعُ الأخْيارُ
لكنَّ (شارون) اللَعينَ أحالهُ ليلاً جوانبهُ أسىً وغُبارُ
يتعقبُ الأحرارَ من أبطالنا قتلا كأنَّ دماءَهُمُ أنْهارُ
لا فَرْقَ بين رضيعهم وشبابِهمْ فالكلُ تَخطر حولَهُ الأخطارُ
فى ساحةِ القُدسِ الشريفِ جماجمٌ ومعابدُ من فوقِهمْ تَنْهارُ

تجـرى الـدَمـاءُ الطاهراتُ غـزيرةً	والمعــتـدى مـتـجـبّرٌ غـدَارُ
لا ذنـبَ إلا أنـهم بـحقـوقـهمْ	يـتـمـسكون وكلّهـم أحـرار
لا يـقـبلـون الضَيْم فـى أوطانِهمْ	فـالعـيشُ فى قَيـدِ المذَلة عَارُ
فَعـدت (فلسطينُ) الحبيبةُ مَذْبحاً	للشَعـب، والمستـعـمِرُ الجـزَارُ
يتـسـاقطُ الشـهـداءُ تحت قنابلِ	ومنـازلٍ يَهْوى بـهن دمـارُ
والـعُرْبُ غـلـو بالـسـلام أكفُهمْ	وبضُفهم وبَغُدْقـةِ قـد حـاروا
والعمُ (سـامُ) بالمصـائب سـامنَا	وأصـابنا مِنْ ظلْمـهِ إعـصـارُ
والعـالمُ المذهـولُ ينظرُ جـامـداً	قـد ضـاعَ منه الـعـقلُ والإبصـارُ
وبكلُ أنواعِ الـسـلاحِ مُدَجـحـاً	(شـارونُ) يقتل كـيـفما يخـتـارُ
مـاذا أقـولُ وقـد شـعَرْتُ بغصَةٍ	فى مـوقـف حـارتْ به الأفكار؟
أين الشـهـامـةُ والعَدالةُ والـجحـا	أين الضـمـيـرُ الحىُ والأنصـارُ؟
الـلـه أدعـوُ أنْ يـوجَدَ شَمْلـنـا	فـهـو الإلهُ الواحـدُ القـهـارُ

الشاعر عبد الحسيب الخناني

عبد الحسيب سحابة مُنْهلة نحنى لها هاماتنا ونقدر
أشعاره من سحرها نزهو بها وبيانه قد عاش فيه الأزهر
نثر اللآلئ بيننا مرموقة خط السطور دقيقة تتفاخر

إلى شهيدة

طلّيَ علينا من علَائِكْ طلّي بأحداق الملائِكْ
واستبدلي للشمس مطلعهَا لتبزغ من مسائِكْ
واستنهضي فينا الحمى ينهضْ على وهج انطفائِكْ
إنّا تكسّحت المُنى فينا .. ونُهنا عن لوائِكْ
الله .. ما أحلى النساءَ .. وقد عرفن خُطا إبائِكْ
فصنعن جيلاً من نزيفك فاذهَن إلى فضائِكْ

* * *

ها أنت .. دهشة أرضنا لمّا انطبقت إلى سمائِكْ
أنثى بلون العزم .. مُخْضراً .. توهّج من دمائِكْ
أنثى بعملقة الوجود .. وقد تباهى بانتمائِكْ
أنثى تقول: رجوعَنا يا قُدسُ يبدأ من نسائِكْ
فدعى رجالك للتفاوض .. وانظرينا في فدائِكْ

* * *

يا قــدس .. يا عــرض الهـدى والحــشـد يغـفـو عن ندائك
ها أنـت تـفــــديك الأنـوثـة حـين تـهـنـا فـى عـــــرائك
عـــرضٌ يـدافع عـنه عـــرضٌ .. والـنـشــامـى فى الأرائك
عـــرض يـدارى بـاتجـــار عـــارَنـا فى أولـيـــائك
فـــإذا الـشــوارب قـــد تمـنـت - لـلـشــهــادة - درع تائك
هـربـا مـن الخـــزى المُدَجَّج بالحـنـاجـــر مـن ورائك

* * *

يا نـون نسـوتـنـا .. أترضـين الذكــورة فـى خـبــائك؟!
فلـعلـهـا يـومـاً لديك ســتــســتــفــيقُ عـلـى عطائك
وتقــود نخــوتـهـا لأقــصــاهـا وتـزحـف فـى ضـيــائك
مـــا أكـــرم الزحـفَ المـلـبّى حين يـخـــرج من ردائك

* * *

دعوة إلى الوحدة الإسلامية

أمسية شعرية

بقلم أ. د. محمد بدر معبدي

هيا لنداء القرآن … هيا لنداء الإيمان
هيا يا مسلم لجهاد … هيا وألبس ثوب طعان
لتخلص قدسك من بغى … وتقلم أظفار الجانى
وتعيد بلاداً قد غصبت … ونشيد أعلى البنيان

إن لم نتسلح بالإيمان … فإن الذئب سيأكلنا
إن لم نتسلح بالتوحيد … فإن الضبُع ستقتلنا
إن لم نتجمع بالقرآن … فسوف تدك جحافلنا
وسلو (جيش) وكيف طغى … (شارون) وداس جماجمنا

قتل الأطفال ولم يعرف … للرحمة لفظاً أو معنى
ما رحم الأم وما حملت … بل راح لها يبقر بطنا
وحطام الشيخ فلم يرحم … ضعفاً للشيخ ولا وهنا
وتمادى ينشر إرهاباً … ويدك بمدفعه السكنا

وغدا كالثور يحطم … فى البستان خمائله
ويدمر أشجار الزيتون … الغض ويسكُت هادله
وأحال جبال الأرز لظى … والروض أمان بلابله
وسلوا (بيروت) وعاليه … لبسا للحزن سرابله

لم يرع العالم والأمما … وبلا عقل قذف الحمما
محق البلدان وعمرانا … ومخيم جنين هدما

وبنوا الإسلام بأحلام — وترى جمعهم منقسما
تركوا القرآن وتوحيدا — ورضوا بالذلة مغتنما
يا قوم تعالوا واتحدوا — فالأمر كما ندري بدد
وإلام الفرقة تقتلنا — والنار بقومي تتقد
والتائه في الأوطان غدا — يعثو في القدس ويضطهد
وابنه شارون في الأقصى — تلهو ويطيب لها الطرد
تعثو وتعربد في القدس — والمسجد أغرق في الدنس
من بعد صلاة وقيام — قد أصبح يزخر بالنجس
يستصرخ يا قومي هبوا — فالليل تطاول بالغلس(١)
وهلموا كي نمحو عارا — ونواريهم بطن الرمس٢
يكفينا يا قوم هوان — يكفي ما لاقى لبنان
يكفي ما ذاقت سيناء — يكفي ما عاني جولان
يكفي ما حل بأوطان — يكفي بغداد وإيران
لو كنا متحدين لما — هنا ولحكم قرآن
فهلموا يا قومي هبوا — للقدس فسيروا يا عرب
وتعالوا ننصر قبلتنا — فالرزء توالى والخطب
والله يبارك وحدتنا — فيها لا يبقى مغتصب
وترفرف رايات الظفر — والنصر يباركه الرب

د. محمد بدر معبدي
عميد كلية الدراسات الإسلامية
بجامعة الأزهر
ص. ب. ٨٠٣٣ الرمز البريدي ١١٣٧١
مساكن مدينة نصر القاهرة
جمهورية مصر العربية

(١) الغلس: الظلام.

(٢) الرمس: القبر.

ثورة الغضب

الشاعر: محمد علي عبد العال

تحرك يا فلسطينى
فعالمهم بلا دين
فلا الأخلاق تزجرهم
لأن الأذن من طين
تحرك يا فلسطينى فإن الصمت يؤذينى
فعال القوم داستنى
وكنت مطهر المتن
فحاذر إن فى خلفى
عدو الله والدين
تحرك يا فلسطينى فإن الصمت يؤذينى
أنا الحجر الذى معكم
متى الإحساس يجمعكم
فقد فاضت معاناتى
وضجت ثورة الغضب
تحرك يا فلسطينى فإن الصمت يؤذينى
أدافع عن حصى أرضى
وكل مقدس العرض
أنا الحجر الذى ولدت
حصاتى فى حمى القدس

وعاشت فى ربى الضفة

وثارت فى لظى غزة

فضجت من براكينى

تحرك يا فلسطينى فإن الصمت يؤذينى

ودع عنك الخيالات

وفكر فى الغد الآتى

فليس سواك يحملنى

ويقذفنى إلى العاتى

فقد أهملتنى زمناً

تولى البغى إسكاتى

تحرك يا فلسطينى فإن الصمت يؤذينى

لأنك أنت مأساتى

فلا تركن إلى الذات

لا تغوى فى الميادين

تحرك يا فلسطينى فإن الصمت يؤذينى

فقد فاضت معاناتى

وضجت ثورة الغضب

(٦) الشاعر الكبير محمد التهامي

من مثله فى شعره قد فاق بحرا   زاهرا وبه الحقيقة تظهر
والقلب يهتف دائما أهلا به   فهو الفرات مذاقه والكوثر
حلف الزمان لنانين بمثله   هو حانث هو حانث مُكَفر

دم السلام
في الحرم الإبراهيمي

لم يبقَ والمحرابُ غطاهُ الدَمُ
شئٌ بدنيانا الجريحةِ يَسْلَمُ
غطَت بحارُ الدَمِّ نور عيوننا
وبكَى لبَلوانا الأصمُ الأبكَمُ
ما عادَ فى طولِ الحياةِ وعرَضْها
معنى تسوغُ به الحياةُ وتُهضَمُ
هل بعد نورِ الفجرِ فى عتباتها
ونداؤه فى سَمعها يترنَمُ
وسجودِ رهبانِ الحياةِ ونُسكِهم
وجبينُهم لثرىَ الطَهارة يلثَمُ
وخضوعهُم للرَب جلّ جلالهُ
لولا الركوع لربِهم ما استسلموا
فعيونهم شغلَت بعمق
جثت لعِزة ربها تَسترحمُ

وكَيـــــانهم قـــــد ذابَ فـى أنـوارِه
وسَمـــــا ولامَسَهُ الـضّيـــــاءُ الأعـظـمُ
ونـفـــــوسهُم بـالـلّهِ قـــــرٌ قـــــرارُها
ودَنـت إلـى رَحَمـــــاتِه تَسـتَعـصـمُ
فـى ظِلّ أجـنـحةِ الملائـكِ تَحـــــتَمى
وتـنـالُ رِضـــــوانَ الأمـــــانِ وتُرحَمُ
وتخـــــاصمُ الـدُّنيـــــا وتـهـجـــــرُ أهلـهـــــا
وُتـهـيـمُ فـى دُنيـــــا السَّمـــــاءِ وتَنْعَمُ
وتَلُمُّ من دُنيـــــا الـذنـوبِ ثيـــــابَهـــــا
وكـــــأنـهـــــا بـين المشـــــاعـــــرِ تُحـــــرِمُ
هـل بعـــــد فـيـــــضِ النّورِ فى جَلَواتـهِ
يـســـــرى ســـــوادٌ يَمْتَطيـــــهِ المجـــــرمُ؟
هـل حـين تَغْتَسِلِ الحـــــيـــــاةُ بـنـورها
تُجْتَثُ مـن نـورِ الحـــــيـــــاةِ وتُحْرَمُ؟
هـل لك ذلـك الـصـــــرحُ الـعـــــزيزُ بـنـاؤهُ
فـــــوقَ الـرؤوسِ المســـــتـجـــــيـرةِ يُهْدمُ؟
هـل غُصّتَ الأفـــــواهُ لم يَصـــــرخ بـهـــــا
صـــــوتٌ يـقـــــولُ بـأن ذاك مُحَرّمُ؟
هـل شلّت الأيدى فـــــصــــرنَا عـــــالَمـــــاً
فـيـــــه الجـمـــــيعُ مُقَيّـــــدٌ ومكَمَمُ؟

يـــا ربَّ هـــذا الجُبْنُ فـــى لـــوثـــاتهِ
يَطـغـىَ عـلـىَ أقـــــــداسِنا ويُدمِدمُ

أصلى الجـــبـــانُ الســـاجـــدين بنارهِ
هل بـعـــــد هـذا فى الـورَى من يـأثمُ؟

قـــــد ذابَ فــى نـار الـعـــــداوةِ قلبهُ
فـــتـــضـــرَّمَتْ فى راحـــتـــيــه جـــهَنمُ

يـســـتنبتُ الـبـــغـــضـــاءَ فى خَطواتهِ
أنىَّ مـــشى فـــهـــو الـبـــغَيضُ المُولمُ

ألـقَى قِنـاعَ الزَّيْفِ عـن إنـســـــانه
فَبَدا كـــشـــيـطانٍ يُعذِّبـهِ الـدَّمُ

قـــــالـوا: الـسَّلامَ ولَطَّخَتَ أيـديـهـمُ
بدَمِ الـســلامِ فـلـيــتـــهم ســـائـمـــوا

يا ربَّ هذى حـكـمـــةٌ مـــســـتـــورةٌ
يا لـيــتـنا نـدرى الخـــبءَ ونـعـلـمُ

إذ كلَـمـــا اشـــتـــدت لهـــا أشـــواقُنا
تـأبى وتُمـــعِنُ فى الخـــفـــاءِ وتُبـــهَمُ

د/ خفاجي

هو عالم وأبوه عبد المنعم ولـه القصائد نسجها المتعطر

بمعنى إليه المجد، سمحا دائما ولـه المناقب والعلى الفاخر

وصديقه فى صوب غيث سائغ يرى القلوب فتستزيد وتسكر

وجماعة الشعر الحديث لحبه هو رأسها لله يدعو ينشر

فلسطين الثائرة

أنت فوق الشمس فوق الأنجم

يا فلسطين اسلمى ثم اسلمى

الفدائيون فاقوا للكفا

ح، فمرحى بالكمى المعكم

وجموع الثائرين انتفضوا

رفعوا أيديهمو بالعلم

لم يمت فيهم إباءً ومشت

بفلسطين أسود الأجم

تلك رام الله ونابلس ندا

ء دعا للثأر لم يستسلم

حيها أرض الضحايا أبدا

والبطولات وأرض الشمم

كم مشى أبناؤها للموت نشـ

ـوى بوجه الثائر المبتسم

ولواء للحمى ترفعه

فى حناياها وفوق القمم

يا فلسطين انتفاضاتك هزت
ضمير العالم المحتلم
قد براكِ الله فينا حرة
لم تستكيني للعدا أو تهزمي
وتفادين دواما للسلا
م، وتحمين حقوق الذمم
يا فلسطين اسلمى ثم اسمى
يا نشيد المجد فى كل فم
فى الأعاصير التى مرت على
شعبك الحر صنوف الظلم
أنت مأساتك صارت مثلا
سار للعدوان بين الأمم
قصة تحكى الأساطير وما
مثلها قصة ظلم أظلم
الخيام الخاشعات انتفضت
بأنين الثاكلات الأيم
والعذارى من حناياها بكت
بدموع الثائر المضطرم
كل أم قد حكت أحزانها
ذكريات طُرزت بالألم
وأب قد مثلت أسماؤه
غدر صهيون الزنيم الأشأم

مـــثلت مـــا حـــاك الاســـتـــعـــمـــار من
كـل مـــــــــــا تـعـلـم أو لـم يـعـلـم
دمـــعـــة قـــد عـــرفت أطفــــالـه
ســـــره، ســـــر العــــــذاب الملـهم
فـــبكوا مـــثل أبيـــهم حـــزنا
مـــاضــيــا فـــزعـــهم فـــيب الحلم
هـتـــفـــوا باسم فلسطين الحـــمى
وطـنـا كــــــــان لـهـم فـى الأنجـم
وطـنـا أضـــحى لـشــــذاد الـورى
نـهـب مـــحـــتـل أثيم مـــجـــرم
عـــرفـــوا فى الربـع مـــا قـــد عـــرفـــوا
فـــــغـلـت أضـلـعــــــهم بـالـنـقـم
ورمـــوا كل جـــبـــان خـــائن
وعــــدو غــــاصب بـالحــــمم
وحـــريق المســـجـــد الأقـــصى يضـــيـ
ـئ لـهـم نـهـج الـكـفـــاح المضــــرم
يـا فـلـسـطـين اسـلـمـى ثـم اسـلـمـى
أنـت رمــــز لـلـنـضـــــال الأعـظـم
قـــســـمـــا بـالـلـه رب الـعـــالمين
الـعـــزيـز الـقـــادر المنـتـــقـم
قـــســـمـــا بـالخـــالق الأعلى ومـــا
أعـظـم الـلـه الـعـــلا فـى الـقـــسـم

لنعيد الشمس في مشرقنا
في حمى الأبطال أرض الحرم
بنضال للعلاء، للأمل الـ
ـحر، يحيا، ليس بالمنهزم
قدر سار إلى غاياته
يا فلسطين اسلمي ثم اسلمي
صغت شعري بدموعي ودمي
وروى أحزان روحي نغمي
وطن الخلد فلسطين لنا
ولنا الفرس تفدى بالدم

الشاعرا مصطفي محمد رزق السواحلي

بسواحلى أنشدت شعرا حالما ... وبمصطفى وقف البيان مُفَاخِر
فالشعر منه رواؤه وحياته ... والفن منه أريجه المتعطر

عُرْسُ جنين

جَنينُ المَجْد يُمْخَضُ فى جِنينا ... يخطُّ بكفّه النصر المبينا
وفجّر أحمرُ الخدين يجرى ... به نهر الفدا حتى يبينا
وروضٌ للشهادة فى بقيعٍ ... روته لنا دماء الطاهرينا
ودرسٌ فى البطولة ما سمعنا ... بها فى مكرمات الأولينا
شهيدَ الحق، أىُ نشيد غرْسٍ ... يزُفك فى رحاب الخالدينا؟
فما قتلوك فى الساحات صبراً ... وما صلبوا إباءك واليقينا
وما دفنوك فى الأنقاض غدراً ... فلست بغير جناتٍ دفينا
وما هدموا ديارك بل بنوها ... قلاعاً للبسالة أو حصونا
فإن الأسد أشرس ما تراها ... إذا هجرت ضراغمها العرينا
شهيد المجد أنت الحىُ حقاً ... ونحن بكل عارٍ مَيتونا

* * *

أيا أُسْد المخيّم قد سمعنا ... نداء المستغيث وما عُنِينا
(لقد أسمعت لو ناديت حيا) ... فخوضوا كيف شاء القولُ فينا
وقولوا: أمّة ذبحت عُلاها ... وما دانت بغير الذل دينا
سماسرة السلام بغوا علينا ... وأسفار المذلة لقّنونا
فما فى القوم من رجل؛ لأنّا ... بسكين التخاذل قد خُصِينا
وكل شعوبنا رهن احتلالٍ ... لأقزام طغوا فاستعبدونا

(أرانبُ غيرَ أنّهم ملوك) بأغلال الهوان مصفدونا

فأصحاب السمو سموا فخانوا إلههم، وبوشاً يعندونا

وبيت الظلم كعبة كل مَلْكٍ ينال بها صغار الطائفينا

فمن فى العرب ينصر مستغيثاً ومن فى العرب حيٌ كي يعينا؟

أليس المنطق المقلوب قولى: لأسدكمُ: تعالوا حرِّرونا

* * *

رهينَ المحبسين فدتك نفسى إذا رضى المطبِّع أن يخونا

نُصِبْتَ بدولة الباغى خفيرا وبعْتَ المجد والعز الثمينا

فليتك ما خلعت لباس حربٍ ولم تمدد لخنزير يمينا

وليتك ما وثقت بزور قوم على باب العدا متسولينا

ألم تقطع بأن السلم وَهْمٌ وأنك كنت مبتاعاً ظنونا

إذا نسى النباح الكلبُ يوماً فقد تلقى يهودياً أمينا

فطلِّق وَهْمَهُمْ واخرج شهيدا كفاك العيش محصوراً مهينا

وسافر فى ركاب الخلْد نوراً إلى إخوانك المستشهدينا

لقد نطق الجماد بكل أرضٍ كفى بالعرب إذلالاً مبينا

فحيَّ على الجهاد سبيل عزٍ إذا ودَّ النشامى أن نكونا

شعر/ مصطفي محمد رزق السواحلي

١٥/ ٤/ ٢٠٠٢م

مفتتح

«لو وقف ابو الطيب المتنبي أمام قمة بيروت لقال»

واحـرّ قلباه ممّنْ قلبهم شَبِمُ ومن سلاحهم يوم الوغى كلِمَ
مالى أُكتّمُ غيظاً من تخيّركم مستنقع الذلّ لا دينٌ ولا هِمَمُ

في البداية

حتام نُخْدعِ فى دعوى زعامتكم وكلُّ طاغيةِ مُسْتَنْوقٌ قَزَمُ
ألستمُ الأسدَ جَلادى شعوبكم هلا برزتُم إلى شارونَ يا بُهَمُ
فالخيل والليلُ والتاريخ ينكركم والسيف والرمح والقرطاسُ والقلمُ

السواحلي

علاء أحمد السيد

المعيد فى قسم الأدب والنقد

إلي ليلي الحزينة..

إلى ليلى نزفت دموع شوقى ... فإن الحب أرهقنى سهادا
فقد باتت بأرض القدس ليلى ... وقد لبسن على موتى الحدادا
تناديني وأسمع صوت ليلى ... بصوت القدس يتحد اتحادا
وأطفال الحجارة شيبونى ... بموت يملأ الدنيا سوادا
فيلعننى الزمان ويزدرينى ... بسوط يوسع الروح احتداد
فيا ليلاه يا قدساه وعدا ... أنا أتِ قد اختبرت المعادا

*   *   *

ولن أدعو صلاح الدين إنى ... تخذت من التقى أملا وزادا
صلاح الدين ليس أحق منى ... بقبلة كفك الرضوى اجتهادا
أنا المجنون يا قدسى بحب ... أتاه القلب طوعا وانقيادا
سآتى بائعا برضاك روحى ... فأنت الروح بل أغلى ودادا
سآتى فى مثار النقع ليْثا ... يرجُ الأرض يشعلها جهادا
وأحلف حلفة الأبطال إنى ... سألوى ظالما عما أرادا
أراهم جندك الأبطال ثاروا ... وسلوا السيف واغتمزوا الجيادا
بعزم يملأ الدنيا جحيما ... إذا ما المسجد الأقصى تنادى
وقالوا إننا لله بعنا ... نفوسا موتها أضحى المرادا

*   *   *

أحباء الحجارة يا صغارى ... لقد علمتم الدنيا العنادا

قلوب مـــا بكم أم ذى جـــبـــال غـــدت ليـــهـود رعــبـا وارتعـــادا
أحـــبــاء الـحــجــارة يا طيـــورا أبـابـيـــــــلا عـلـى ظـلـم تمادى
حــــجـــارتكم لهم أمطار ســـوء فـــألـقـــوهـا وأصلوهـم جـلادا
ولا تســتــيـئـسـوا من روح ربى إذا مـا الـناس قـد صاروا جـمـادا
فـــإن الله واعـــدكم بـنـصـــر فـــلاقـــوهـم ولا تهنوا شـــدادا
يـؤيـدكـم بـجـنـد لـن تـروهـا وروح الـقـــدس بـيـنـهـم تـهـــادى
ألا لاتحـــسـبـوا الشـهـداء قـتلى فـعـند الله يحــتـســبـون زادا
فليس ســـواكم للـقــدس صـــوت إذا مـــــا اثـاقـل الأجـنـاد نـادى
ولا يحـــزنكم الأقـــصـى أسـيـــرا فـــإن الله لـو عــــادوا لعــــادا
فـــلا والـلـه ليس يـقـــر جـــفـن لتـلـك الأرض حــتى تســتــعـــادا
يـشـــرف شـــاعـــرا أن تـقــبلوه وبين صـفـــوفكم يلقى اعــتــدادا
ولكن قـــبل ذلك عـلـمـــونى شـجـاعــتكم إذا مـا الـظلم ســادا
فـــإنى بـاحث عن وجـــه لـيلى وليلى فى الرصـاصـة لا تعــادى
فـــهل فى أرضكم ســـتكون ليلى وهل كـــعب بـهـا يـلقى ســعـــادا

* * *

ويـا شـــارون لا تـغـــتـــر إنا وهـبـنا الروح والـدم والـفـــؤادا
بـدأنا فى النشـــيـــد ولست تدرى إذا اكــتـمـل النشـيـد بنا وســادا
سنهـــجـــر زينة الدنيـــا ونأتى بخـــيل تملأ الأرض احــتـــشـــادا
فـفى الرئتين خــيل من جـحـــيم ســتــتــرك نارك الهـيـمى رمــادا
ســتــرجـعـكم كـمـا كنتم خـــزايا لأهل الأرض ذلا واضـطـهـــــادا
فـــقـــد أشـعـلتم الدنيـــا حـــروبا وعـــثـتم فى حـدائـقـهـا فـســادا

وقلتم أرضنا كلا كذبتم … غدا سترون قدسا مستعادا

أرى أبناء يعرب قد أفاضوا … وقامت أمة العرب اتحادا

أتسمع..؟ إن فى الأقصى نشيدا … لطفل يقطع الصمت انتشادا

يقول لهم أنا آت إليكم … شهابا ثاقبا يهدى العبادا

أنا الولد الذى تصبو إليه … عروبتكم فأرخوا لى القيادا

فلا فَتّ الرصاص لدىّ عزما … ولا خفت الذخيرة والعتادا

بكفى سيف خالد فاتبعونى … وقلبى جاء من عمر امتدادا

ويا ليلى الحزينة وضّئينى … بماء الدمع واطّرحى الحدادا

علاء أحمد السيد

أ.د. شفيق عبد الرازق أبو سعدة

ثم ماذا يا بنت مصر؟!

خدَعوا الجمال، وشوهوا الأخلاقا ... والعصرُ مِن ويْل التطوّر ذاقا
ضلّوا السبيل تخبطوا فى خبطهم ... ولوَوا رؤوسهمُ هوىً وشقاقا
حمّلوا التطور للبلاد، وأرجفوا ... لذيوعه، فغدوا له أبواقا
وَجَنوا على القِيمَ السّويّة وانتشوْا ... وجرى التطوّرُ لاهثا أطلاقا
يا بنتَ مصرَ صفَعْتِ وَجْهَ تراثِنا ... لما هويتِ المظهرَ البرّاقا
وظهرْتِ بالدِّيميل والشّفّاف مَن ... تظهرْ بصبْغ لن ترى إشراقا
قد شاهَ حُسْنُكِ إذ لبستِ بروكة ... ووَضَعْتِ فى تاج الجمال وَثاقا
شوّهتِ خلق الله مذ رُمْت الهوى ... وكشفتِ صدرك وابتذلتِ الساقا
وبرزْتِ سافرةً ووجهُكِ لوحةٌ ... فَنّانُها ضلّتْ يداه وفاقا
وإطارُها ذنبٌ عليكِ وحسرةٌ ... قد قيّدَتْ منك الخُطا والماقا
أَبرزْتِ كلّ مثيرةٍ لعيوننا ... وهرَقتِ كلّ إثارة إهراقا
والفتنةُ الشّوهاءُ أضحتْ ناظرى ... فغدوتُ لا أشتاقها إطلاقا
فى كلّ يوم صيحةٌ محمُومَةٌ ... تُردِى الحياءِ وتصرعُ الأرزاقا

* * *

وقصدتِ دور اللهو يصحبك الهوى ... وهشّمْتِ كأساً بالحياء دهاقا
وبكل منعرج أراك وطامعاً ... تشْكينَ وجْدا يعصرُ الأحداقا
تثْنينَ عِطفَك فى دلالٍ ساحر ... ويميسُ صوْتُكِ حالما رقْراقا
وتصوّبينَ سهامَ لحظك بغتة ... وتقدّمين الحبّ والأماقا

يا هذه البلهاءُ مهلا إنما ... خدع المدبُ بدمعه الأشواقا
دوّى غليل النفس من غلوائها ... والذئب لا يتذكر الميثاقا
والذئب لن يدعى حماكِ وكيف لا؟ ... وقد امتهنْتِ حماك والأعْراقا
عذريّة الحبّ انتهت لا تخدعى ... وَسَلِى الأريبَ يُجبْكَ والذواقا
أنا لا أقول تطورى وتبرجى ... فتبرّج الفتيات ليس خَلاقا
إنْ كان ثَمّت فى التطور كبوةٌ ... فليندحرْ وليحملْ الإخفاقا
ما ضرّكِ التعليمُ يا بنت الأُولى ... سَادوا، وشادَتْ بنتُهم ماراقا
صانت جلال حياها وعفافها ... فهدَرْت ما صانت، وقلت عتاقا
وبعثت فى الفتيان عز ما خاثراً ... فمشى يلاحقك الشباب لحاقا
يا بنت مصر! وأنتِ رمزٌ للسنا ... صونى حياءك واخلعى الأطواقا
قد ساءك التقدير فيما تجْتَرينَ ... أهذه رفقاً تراثك تاقا!!
أَين الفضيلة؟ سائلى عنها النّهى ... راحت تسحّ دموعها إشفاقا
هى فى صراع والرذيلة فاحسمى ... هذا الصراعَ وتوّجى الأخلاقا

* * *

عُذريّة الحبّ العفيف قُبالتى ... أرنو إليها تائها خفاقا
ويشدّنى التاريخ نحو تراثنا ... فأرى هناك أحبّةً ورفاقا
وأرى بثينة حرّةً وجميلها ... يرعى حماها، ينشد التّرياقا
ورأيت عزّةَ شمسَ طُهر لاتنى ... وكثيْراً يدعو لها الخلاقا
وسمعتُ عُروةَ شاكياً عفراءه ... حتى قضى، أضناه ما قد لاقى
ورأيت ليلى فى الخيام عفيفة ... وابن الملوح وامِقاً مشتاقا
تشكو إلى الرحمن أدواء الجوى ... وعفافُها قد عطر الآفاقا

وتَلَفَّعتْ دعْدٌ بمِئــــزَرها، وسُعْدىَ   نبــهت فى صبُــحِنا أَحْداقـــا

ورأيت ريًا نبْعـــة عـــربيـــة   وسـمعت عبلـة تحْفِزُ العـمـلاقـا

ولقـــد ذكـــرتـك والرمـــاح نواهـل   فـذكــرت فـيك الطُّهــرِ والأعــراقـا

هذى شمـوسُ البيـد شـامخـة الذرا   وعــفــافُهــا أَكــرِمْ بـه أخــلاقــا

نُوحى حـمــامــاتى على بنت العــلا   قـد طلَّقتْ مـجـد الجـدود طلاقـاً

عودى معى واستـيقظى وتبـصرى   قــيمَ الأوائل واحْطِمى الأبـواقـــا

قلبُ الجـمـــال الحق يزهـو ينتـــشى   لو ضمّ قلبُك قلبــه المشــتــاقـــا

يا أخـر الصـيـحـاتِ كـفُى واخـرسى   وكـفـاك تضليـلا كـفـاك شـقـاقـا

يا بنـت مصـر تراثنـا فـخـر وإشـراق   فـــهبِّى واحـــضنى الإشــراقـــا

الندوة الثالثة عشرة: أقامها قسم اللغويات وقدم لها الأستاذ:

إبراهيم حسن إبراهيم

رئيس القسم

وموضوعها: «ضعف مستوى استعمال اللغة العربية المشكلة والحل»

منزلة اللغة العربية

لقد قامت قومية العرب على لغتهم ففى الجاهلية كانت لغتهم هى أعظم مفاخرهم حين ينظرون إلى مفاخر سواهم من الأمم التى تفوقهم أو تسبقهم تمدنا أو علما أو سلطانا أو صناعة وكانوا يرون أن لغتهم منفردة تعلو على كل مفاخر الآخرين وكانت هناك أماكن تشبه النوادى الأدبية الآن للسباق الشعرى فى سوق عكاظ ومجنة وذى المجاز وغيرها وكان فيها نقد عام بنهض اللغة نهضة أدبية ولغوية وكانت للشعراء والأدباء منازل سامقة وتقديرات عظيمة تناسب مكانتهم فكان كل شاعر بجوار الملك أو شيخ القبيلة وكأنه وزير إعلام أو ثقافة يدافع عن أمجاد القبيلة أو البلدة وكل ذلك كانت له مكافآت مجزية ونظرات حانية فأثر فى الحفاظ على اللغة.

ثم جاء الإسلام الحنيف ونزل القرآن بلغتهم فوطن هذا من مكانتها وأسهم فى الحفاظ على أصولها منحة من الله الذى قال فى سورة الحجر: **﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾** ولذلك قامت علوم القرآن وهى علوم اللغة والتفسير والبلاغة والحديث والأصوات واللهجات وغيرها لتوضح للناس دلالات القرآن وتشريعاته فزادت هذه العلوم اللغة العربية ثراءً وارتقاء وانتشارا فى كثير من الأمم التى دخلت فى الإسلام واستظلت بنفوذه شرقا وغربا، ولقوتها صاولت اللغات الأخرى وتغلبت عليها فانتشرت فى مصر وتوارت القبطية إلا قليلا وانتشرت فى كثير من بلاد الفرس وتوارت الفارسية وانتشرت فى كثير من بلاد الهند والأتراك وغيرهم وأثرت فى لغاتهم.

وكان صنيع الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان عظيما حينما عرب الدواوين فسارع الناس إلى تعلمها ليأخذوا مجالهم فى الحياة ولعظمة هذه اللغة نجد ألفاظا كثيرة منها فى لغة الملايو بل إنه تكتب بحروفها بعض اللغات

وقد انصف النبى ﷺ وبلغ غاية السداد والإرشاد فى قوله: «إنما العربية

اللسان. وروى أن رجلا لحن بحضرته فقال: أرشدوا أخاكم فقد ضل.

كما روى أن عمر بن الخطاب قال لبعض الشباب حينمامر عليهم وهم يتعلمون الرمى فقالوا: نحن قوم متعلمين قال لهم إن خطأكم فى رميكم أيسر من خطئكم فى لغتكم وليس هذا تهوينا من شأن الرمى فالرسول ﷺ قال: القوة الرمى وهو يفسر: وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة وإنما أراد أن الصواب نحن قوم متعلمون ليبين لهم أن الحفاظ على لغة كتاب الله وسنه رسوله سبيل إلى حفظ الشريعة والعقيدة والتراث وذلك شئ له مكانه ومكانته.

وقيل إن هناك أثرا يقول: تعلموا العربية وعلموها الناس ولقد شكلت اللغة العربية وهى إحدى دعائم الأمة رباطا وثيقا يؤلف بين الجماعة العربية ووعاء إنسانيا وحضاريا تختزن فيه ذكرياتها وتجاربها وجل ثقافتها وتصوغ فيه أحلامها وآمالها.

ومن أعظم ميزات اللغة العربية الشاعرة العريقة الفتية أنها حافظت على بنائها بزعم كل المحاولات الأجنبية ضدها فى الماضى البعيد والقريب وهذا الشئ هو تجسيد التكوين النفى المشترك الذى عاشته الجماعة العربية.

وإذا كانت اللغة جهاز الاجتماع عند الإنسان فاللغة والأمة أمران متكاملان.

وهذا حق صراح فاللغة العريقة تأتى فى الصدارة من المقومات المعنوية للأمة لأنها هى اللسان المعبر عن كل ما عداه من المقومات الأخرى فهى التى تسجل تاريخ الأمة وهى التى تتحدث بحضارتها وخى التى بأدبها وتراثها تعبر عن قيمها وحركة عقلها ونبض قلبها وكذلك هى وسيلة التواصل الفكرى والروحى بين أبناء الأمة من جانب ووسيلة التعرف عليهم حين يعبرون للآخرين عن أنفسهم من جانب آخر.

واللغة العربية واحدة من أعظم اللغات العالمية وأقدمها ومن أعظم تلك اللغات أدبا وأعرقها ثقافة وأثمرها علما إذ ترجع أقدم نصوص مسجلة بها إلى أكثر من ستة عشر قرنا ومذ زخرت هذه اللغة بأدب رفيع كان ومازال واحدا من أهم الأدب الإنسانية المستمرة المتطورة ولذلك اختارتها الأمم المتحدة إحدى اللغات الحية التى يتحدث بها الناس هناك.

أسباب ضعف مستوي استعمال العربية قديما وحديثا وعلاج ذلك:

أولا: أسباب الضعف قديما وعلاج ذلك:

أول هذه الأسباب اللحن الذى شاع فى العصور الأولى للفتح الإسلامى للبلاد المجاورة فالتقاء العرب بالفرس مثلا شرب إلى كل من العربية والفارسية كثيرا من الكلمات والنعاريف والتراكيب.

ومما يجب أن ننبه إليه أن جريان الكلمات الجارية على اللسان العربى لا يعد انحراف مادامت فارسية خالصة ولا خطر من ورائها فذلك من تعلم اللغات ومن تعلم لغة قوم أمن مكرهم وإنما الخطر حينما يعطى المتكلم للكلمات العربية أحكام الكلمات الفارسية من حيث التنبية أو الجمع أو النسب أو التذكير أو التأنيث إلى غير ذلك من القواعد الخاصة بالفارسية مثل أن فى بعض الكلمات ففى تفوح البلدان أن عثمان أقطع أخاه حفصا حفصان وأخاه أمية أميتان.

ومن الذين جرى اللحن على ألسنتهم عبيد الله بن زياد وأبو الجهير الخراسانى فى القرن الأول وفى القرآن الثانى خالد بن عبد الله الذى ولى العراق ١٠٥ فقد قال: إن كنتم رجيون فإننا رفضانيون كما جاء فى البيان والفن ٢/ ١٧٠.

ومنهم أمير البصرة محمد بن سليمان الذى قرأ على المنبر إن الله وملائكته كما جاء فى مجالس العلماء للزجاجى ٥٤ وأرسل إلى النحويين أن يحتالوا لقراءته، ومن العلماء يوسف بن خالد التيمى الذى قال من قفاؤها والذى كان يقول: هذا أحمر من هذا إنما فى البيان والتبيين ٢/ ١٦٨.

بل جاء فى القرن الثانى من يؤثرون السلامة بترك الإعراب كإسماعيل بن أبى خالد الكوفى ت ١٤٦ وكان ينطق الأسماء الخمسة على حالها المرفوع كما فى البيان والتبيين ٢/ ١٧٣.

حتى علماء اللغة فقد حكم يونس على حمار الزاوية لأنه كان يكذب ويلجن ويكسر وفى القرن الثالث كان يلحن الخليفة المعتصم وفى هذا القرن صار هناك لغة شبه عامية للحاكة والغزالين ولغة الخاصة. ويلاحظ أن التأليف فى النحو قد نشط فى هذا القرن.

وفى القرن الرابع فشا اللحن كما يقول الصاحبى فى مصر اللغة ٣٢ فقد قال: وقد كان الناس يجتنبون اللحن فيما يكتبون اجتنابهم بعض الذنوب أما الآن فقد تحوزوا.

موقف علماء التنقية:

لقد قام هؤلاء برد كل لحن ودجل فى اللغة واختلفت مناهجهم فمنهم الفراء والكسائى فى كتابه لحن العوام.

ومنهم الأصمعى الذى كان يخشى سيل الشعوبية فاتخذ موقف التشدد فى تخطئة المخطئ وجاء عنه فى سرائب النحويين إلى أنه كان يضيق ولا يجوز إلا أفصح اللغات، وكان مع ذلك لا يجب فى القرآن وحديث النبى ﷺ.

ومنهم ابن السكيت وكتابه إصلاح المنطق ولقد خفف من التشدد الذى سار عليه الأصمعى، ثم جاء ابن قتيبة الذى وضع فى أدب الكاتب ملاحظاته على لغة الكتاب متأثرا بابن السكيت ثم جاء ثعلب بكتابه الفصيح ثم أبو هلال العسكرى ثم الحريرى فى درة الغواص ثم الجواليقى فى كتابيه التكملة والذيل على درة الغواص ثم ابن الجوزى فى كتابه تقويم اللسان ثم عبد اللطيف ابن يوسف البغدادى وهؤلاء جميعا من علماء التنقية اللغوية فى العراق وقد أسهموا فى مقاومة اللحن وإن كان بعض ما قدموه فيه نظر فى الحقيقة.

وفى الأندلس كان هناك أفذاذ ذادوا عن حياض اللغة ومنهم الزبيدى فى كتابه لحن العوام وابن هشام اللخمى فى المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان وابن السيد البطليوسى فى الاقتضاب فى شرح أدب الكتاب وفى صقلية ظهر ابن مكى وكتابه: تثقيف اللسان وتلقيح الجنان يضاف إلى ذلك جهود علماء التنقية فى الحجاز ومصر والشام وغير ذلك.

السبب الثانى فى ضعف مستوى استعمال اللغة العربية قديما:

ما فعله بعض النحاة من تقعرهم فى التعليل بأساليب الفلسفة والمنطق حتى قال الفارسى قولته المشهورة: إن كان النحو ما يقوله الرمانى فليس معنا شئ منه وإن كان النحو ما نقوله نحن فليس معه منه شئ ويقول ابن خلدون فى مقدمته ٣٤٧، ٣٤٨ «ولذلك نجد كثيرا من جهابذة النحو والمهرة فى

صناعة العربية الميطين علما بهذه القوانين إذا سئل فى كتابه سطرين إلى أخيه أو إلى ذى مودته أو شكوى ظلامه أو قصر من قصوره أخطأ فيها عن الصواب وأكثر من اللحن ولم جد تأليف الكلام لذلك، والعيادة عن المقصود على أساليب االلسان العربى.

وليس هذا شأن النحاة جميعا بل هو شأن قلة منهم فالرمانى وأشباهه. ولذلك فنحن نستبعد ما جاء فى كتاب الحيوان للجاحظ ١/ ٥٨ تحقيق د/ يحيى الشامى أن الأخفش سئل عن سبب صعوبة كتبه فقال: أنا رجل لم أضع كتبى هذه لله ولو وضعتها هذا الوضع الذى تدعو إليه لقلت حاجتهم فيه» .

وممن تفلسفوا ملك النحاة الذى ألف المسائل العشر المتعبات للحشر وكذلك مؤلفوا الألغاز والأحاجى وقد يكون من الحسن أن نقرأ ذلك فى مراحل الدراسات العليا ومهما قيل فى شأن اللغة فى العصر القديم فقد كانت فنية نهض فيها الأدب وقامت بدورها وترجم إليها العلم اليونانى وغيره الذى أضاء الحضارة العربية الأولى وأنار أوربا عن طريقها لكن ما ذكرته كان سببا فى عدم الانتشار المرجو أو الاستعمال الأفضل وإن أدت اللغة أعظم أدوارها وأثبتت قوتها وصلابتها.

ثانيا: سبب ضعف مستوى استعمال اللغة فى العصر العثمانى:

إن ذلك يرجع إلى تحيزهم للغة التركية وإلى محاولة فرضها فى البلاد التى تتبعهم ودليلنا على ذلك ما دخل العربية من ألفاظهم ومنهم فهناك مقتعل بمعنى مزوج وظهورات بمعنى مؤقت، ودولاب بمعنى خزانة ونفر بمعين شخص وأبعدية بمعين مزرعة ولقد كتب محمد على خطابا قال فيه: تحيطون علما أنكم صوتوا فى تصرف والتزام كرد حق أغا وسرى فى كتب التاريخ أثر اللغة التركية ففى الجبرتى ولما وردت هذه الأخبار حصل للناس الانزعاج وأصبح الشعراء يقولون نظما معسولا لا طائل من ورائه وانتشرت الصناعة اللفظية وكسد منه التأليف.

ثالثا: سبب شعف استعمال العربية فى عهود الاستعمار:

إن سبب ضعف اللغة فى عهود الاستعمار الحرب الضروس ضد اللغة

فقد قدم كثير مهم الاقتراحات الخبيثة للكتابة بالعامية وأثروا فى بعض المصريين بل إنهم أوعزوا إلى بعض الكتاب وغيرهم بمحاولة الاستغناء بالحروف اللاتينية عن العربية فى الكتابة وذكر أن من هؤلاء أحمد لطفى السيد وذكر أن محيى العامية محمد عثمان جلال وسلامة موسى وغيرهما.

ومع ذلك كله فقد أدت اللغة دورها ودليلنا على ذلك جيل العماليق وكتاباتهم وشعرهم ومؤلفاتهم ومن هؤلاء العقاد، وطه حسين، وتوفيق الحكيم، والرافعى، والمازنى وغيرهم.

رابعا: أسباب ضعف مستوى استعمال العربية فى الوقت الحاضر:

إن أسباب ذلك كثيرة ومثيرة نوجزها فيما يلى:

١- سوء طريقة التدريس فى المدارس والجامعات.

٢- ضعف المعلم للغة العربية وسوء النظرة إليه.

٣- لجوء وسائل الإعلام فى كثير من الأمر إلى استعمال العامية.

٤- لجوء وسائل التثقيف إلى العامية.

٥- النظرة إلى اللغة العربية بصورة غير مرضية فى المجالات الحياتية إلى غير ذلك.

أما التفصيل فإنه كما يلى:

أولا: سوء طريقة التدريس فى المدارس والجامعات: إن الحديث سيبدأ عن طريقة التدريس فى المدارس ثم الجامعات أما المدارس ففى المرحلة الأولى يتبعون فى تعليم الأطفال الطريقة الكلية المعروفة فى أوساط الناس باسم طريقة «شرشر» وهذه الطريقة لم تؤت ثمارها والحل الرجوع إلى الطريقة القديمة وهى أن يتعرف الطفل على الحروف المفردة رموزا للأصوات اللغوية وما يتبع ذلك من التعرف على الحركات القصيرة والطويلة التى تفصل بكل حرف من فتحة وكسرة وألف وواو وياء ثم الرموز التى تضبط الكلمات من شدة ومزة ووصلة وسكون والمهم أن يتعرف الطفل الحروف ثم الكلمات ثم الجمل ثم الموضوعات وتتدرج معه حتى يجيد الكتابة والقراءة والتحدث والاستماع فإذا ما انتقلنا إلى المرحلتين الإعدادية والثانوية وجدنا تعليم العربية معتمدا على

بعض قواعد النحو والصرف والبلاغة وبعض مصطلحات النقد فى الثانوى بالإضافة إلى حشد عصور الأدب بدءا بالجاهلى حتى الحديث.

وعلاج ذلك أن يقدم العصر الحديث فى الشعر والأدب فى الثانوى ثم يأخذ الطالب نبذة عن العصر الجاهلى أو على الأقل نبدأ بالإسلامى ثم نتدرج والمهم أن يكون وكرنا أن نعمل على تحقيق الهدف من تعليم اللغة وهو تكوين الملكة وذلك لا يتم إلا بإقرار دروس للاستماع والقراءة والكتابة والإنشاء والخط من خلال معامل اللغة فإن لم يكن فالاستماع من الفصحاء أساتذة وطلابا.

والعجب أن المسئولين يقررون كتبا فى الإعدادى والثانوى فى موضوع واحد لتكوين الملكة فإذا نظرنا إليها وجدناها لا تمت إلى الدرس اللغوى بصلة فهى قد تكون نافعة فى ميدان الاقتصاد أو غير ذاك ومن ذلك عبقريات العقاد ثم حافظ وشوقى لطه حسين ثم شوقى للدكتور شوقى ضيف إلى غير ذلك.

والعلاج أن نختار كتبا سهلة العبارة تؤدى إلى تكوين الملكة من خلال قراءتها والاستماع إليها وتؤدى إلى التعبير الجميل والبراعة اللسانية.

إن دراسة القواعد فى نصوص أدبية شائعة لها دور كبير فى ترسيخ المعلومة فى ذهن الطالب أو الطالبة.

وأهم شئ أن يكون القرآن الكريم زادا وافرا ومجالا عظيما لاقتباس اللغة المعبرة والقاعدة الأصيلة وصياغة الفكر وصقل الروح ولقد أحصيت آيات القرآن المقررة فى الصف الأول الإعداى فوجدتها ٢٤ آية وفى الصف الثانى والثالث ٢٠ آية وقل من هذا أحيانا أو أكثر بقليل فى الثانوى والقرآن الكريم هو الأساس الذى يهذب الفكر ويقوم اللسان ويربى الملكة ولذلك يحرص كثيرون من غير المسلمين على حفظه إذا أرادوا إتقان العربية وجودة التحدث بها كما فعل والد الدكتور نظمى لوقا حينما حفظه القرآن وهو طفل وللعلم هو صاحب كتاب محمد الرسالة والرسول.

والمهم فى العملية التعليمية فى الابتدائى والإعدادى والثانوى العناية بالتطبيق والإنشاء والمحفوظات والاستماع والممارسة وتشجيع الطلاب على حفظ النصوص القوية وبخاصة نصوص القرآن يضاف إليها الحديث الشريف

والشعر البديع والنثر الرائق.

فابن خلدون فى مقدمته ٣٤٨ يقول: «ووجه التعليم لمن يبتغى هذه الملكة ويروم تحصيلها أن يأخذ نفسه بحفظ كلامهم القديم الجارى على أسبيبهم من القرآن الكريم والحديث الشريف وكلام السلف ومخاطبات فحول العربى فى أسجاعهم وأشعارهم وكلمات المولدين أيضا فى سائر نفوسهم حتى يتنزل لكثرة حفظه لكلامهم من المنظوم والمنثور منزلة من نشأ بينهم ولقن العبارة على المقاصد ثم يتصرف بعد ذلك فى التعبير عما فى ضميره على حساب عباراتهم وتأليف كلماتهم وما وعاه وحفظه من أساليبهم وترتيب ألفاظهم فتحصل له هذه الملكة بهذا الحفظ والاستعمال».

ومن أهم ما يبغى أن يلجأ إليه الناس للنهوض بلغة القرآن أن يذهبوا إلى المدارس العامة لأن المدارس الخاصة التى ظهرت فى عصرنا تعمل على تأهيل طلابها للحصول على شهادة أجنبية مثل الثانوية العامة الإنجليزية وشهادة الثانوية الأمريكية وهذا يؤدى إلى استبعاد اللغة العربية تماما وكذلك استبعاد المواد القومية المتعلقة بتكوين الانتماء الثقافى للطالب وهى الدين والجغرافيا والتاريخ والتربية القومية. وهذه المدارس إذا نظرنا إليها بعين العدل فإنها مخالفة لقانون التعليم ومناقضة لنص الدستور الذى ينص على أن لغة التعليم فى مصر العربية.

وخلاصة الأمر أن الهدف من دراسة اللغة التطبيق والممارسة وتكوين ملكة التحدث بأن ننشئ إنسانا قادرا على أن يرسل الكلام صحيح الفكرة سائغ العبارة صافى اللغة سليم الأداء يتلقفه عنه السامع أو القارئ فتسعد به نفسه وتأنس به روحه وذلك يتم بأن تعود طلابنا على حسن التفكير وجودة التعبير ونزودهم بما يعوزهم من القدرات والمفردات والتراكيب، ونعودهم على التفكير المنطقى وترتيب الأفكار وتدربهم على انتقاء الألفاظ المعبرة وحسن عرض الفكرة واستخدام الصوت المعبر والنطق السليم وطلاقة اللسان وإلغاء الكلمات والمناسبات وتعودهم على جمع الثروة الفكرية واللغوية والتحدث فى جو من الحرية دون تكلف وتعلمهم الاهتمام بالجانب الفكرى واللغوى ومن أول المرحلة الابتدائية نعلمهم القصص القصيرة ونحوها وتشجعهم على

التحدث داخل قاعة الدرس وكتابة الرسائل ونحوها ونصوب ذلك كله في هدوء ونرتقى بذلك كلما تقدمت سنوات الدراسة يضاف إلى ذلك العناية بموضوعات الإنشاء المناسبة لشكل مرحلة مع مراعاة أن سيل تنمية ذلك وضبطه يرجع إلى دراسة النحو بصور أفضل كما فعل سيبويه فالشاطبى فى الموافقات يقول عن كتاب سيبويه: لم يقتصر فيه على بيان أن الفاعل مرفوع والمفعول منصوب بل هو بين فى كل باب ما يليق به حتى أنه احتوى على علمى البيان والبديع ووجوه لقربات الألفاظ والمعانى فلندرس نحوا دون فلسفة أو جدل ولفسلفة لغة القرآن هى المقياس الأول والمستشرق الفرنسي بلاشير يقول: «لن نستطيع فهم العربية إن نحن أهملنا أهمية هذا الحدث القرآنى هذا الحدث الذى بفضله تجاوزت اللغة حدود الإنسانية المحضة» إننا فى حاجة لى إصلاح النحو بإصلاح البيئة اللغوية وإصلاح مادة النحو مبيناته على استقرار تام ومزجه باللغة والأدب الجميل.

وإصلاح التعليم الابتدائى والإعدادى والثانوى فى الأزهر من حيث اللغة العربية بنطيق عليه ما قلناه عن المدارس مع ملاحظة أن للأزهر طبيعة خاصة فهو حارس علوم اللغة والقرآن والسنة ولذلك فينبغى توجيه الاهتمام إلى طريقة التعليم وإلى الكتاب المؤلف والتخلص من الحشو والخلافات التى لا طائل من ورائها.

ننتقل إلى بيان حال التدريس بالجامعات:

فى مناهج بعض كليات اللغة العربية وأقسام اللغويات فى الكليات التى بها أقسام للعربية يطغى ما هو ثانوى وتكميلى على ما هو أساسى أصلى بل إنه قد يعنى بالعرض دون الجوهر ونخلط بين عملية البحث العلمى والتعليم الجامعى فهناك بعض أقسام اللغة العربية تقرر لغة شرقية فارسية أو عبرية وهذا عبء لا ينبغى عنه وجود المادتين بإسهاب وتفصيل فى كليات اللغات وأقسامها حتى لو درسنا هاتين اللغتين لاندرس التاريخ والنشأة وكذا وكذا وفى دراسة فقه اللغة نجد كلاما نظريا عن تاريخ اللغات ونشأة اللغة عند الإنسان القديم وتطورها إلى اهجات يتطور إلى لغات وتنقسم إلى فضائل وهكذا كما أنهم يخوضون فى تحليل الأصوات وحشد أقوال العلماء الغربيين فى ظواهر لا صلة لها بتكوين الملكة اللغوية ويمكن أن يدرس عقل ذلك فى الدراسات العليا.

كما أن بعض الأقسام تقدم المادة على شكل تلقين وهذا غير جائز وفي بعضها يتفلسف بعض الأساتذة ويجتهدون في التعليق على القواعد اللغوية الثابتة من فكرهم اجتهادا يفسد الأصول ويحير العقول وهذا لا يجوز إن الاجتهاد يمكن في طريقة العرض وتعليم القواعد والنصوص دون طرح أفكار تتنافى مع ما استقر عليه الإجماع من قواعد اللغة فلا يجوز بغير القواعد ولا الدلالات ولا الصيغ.

وهناك بعض الأقسام التي تدرس العربية في الجامعات قد أضافت دراسة الأدب الشعبي وهذا قد يكون مقبولا فهو أدب على كل حال عند كثير من الناس ولكن الأمر تطور إلى دراسة الفن الشعبي ثم الفلكلور بمعناه الواسع الذي يشمل المأثورات الشعبية والمهم أنه لا يصح الإسراف في ذلك.

وكذلك استخدمت دراسات مسرحية في بعض أقسام اللغة العربية في الجامعات يتصل بالدراما ولنشأتها وتطورها وأسسها وفنونها وقواعدها والعرض المسرحي وكل ذلك مفيد ولكنه يكون أكثر إفادة في معاهد الفنون المسرحية أو السينما أما دراسوا الأدب فحسبهم أن يدرسوا من الجانب المسرحي الأدب المؤلف للمسرح، كما أن هناك أقساما للغة تولي اهتماما بمواد التخصص دون الاهتمام بالتربية وفنون توصيل المادة إلى المتلقين وهناك أقسام حظيت بقدر من مواد التربية وفنونها دون التأهيل اللازم بمواد التخصص اللغوى والعلاج التوسط بأخذ قدر من من مواد التأهيل والتربية كما أن الكليات العملية لا تهتم بدراسة العربية في مصر. حتى الأزهر والدول العربية التي أتت بعدنا في هذا المضمار سبقتنا بتقرير متطلب لغوى حتى ينشأ الطبيب المتحدث بالعربية إلى جانب ما يجيد من لغات وهكذا المهندس وغيرهما وعلاج ذلك أن نقرر ما يتناسب مع الكليات العملية من مناهج لطيفة خفيفة في اللغة العربية تجعلهم يعظمون الانتماء ويجيدون الحديث والإنشاء كما أن الكليات العملية في مصر وفي كثير من الدول العربية تدرس المواد العلمية الطبية والبيولوجية والكيميائية وغيرها بلغات أجنبية وذلك أمر فقد تفوقت العربية قديما وتمكنت من هضم العلوم كلها بعد ترجمتها وفعلتها أوربا وغيرها عن العرب والمسلمين نعم إن التدريس في القرن التاسع عشر بدأ مدة طويلة لهذه المواد بالعربية ثم تطور الأمر إلى ما ترى إنه يجب التدريس باللغة العربية في

الكليات العملية فما الذى يمنع أن يتم التدريس باللغة الأم لترسيخ الفهم وتأصيل المفاهيم ويستكمل الطالب بنفسه معرفته من خلال المراجع الأجنبية ليجمع بذلك بين الحسنين ولاشك أن ضرورة التعريب أمر يفرضه منطق الأمور فى عصر انفجار المعرفة ولقد أخذت سوريا بمبدأ تعريب العلوم فتم تعريب الكثير من الكتب الطبية فى جامعة دمشق على أيدى بعض عباقرة اللغة العربية من الأطباء أمثال د/ حمدى ضياط ومرشد خاطر وحنى سح.

ولاشك أن الجهد العظيم الذى قاموا به من أجل اختيار المصطلحات الطبية من درر اللغة العربية لقواكب المصطلحات العصرية الحديثة أمر عظيم كما أنهم أخذوا بعض المصطلحات من كتب ومخطوطات العرب الأطباء أمثال الرازى وابن سينا والزهراوى وابن النفيس إضافة إلى المصطلحات العالمية الثابتة حيث أبقيت كما هى وهى قليلة. ولقد ساعدهم فى ذلك القرآن ومعاجم اللغة. أما حالنا الآن فالانجليزية فى مصر والسودان والعراق والسعودية والأردن وليبيا والكويت واليمن وسوريا بالعربية فى ثلاث كليات للطب وفى لبنان بالإنجليزية والفرنسية والصومال بالإيطالية والجزائر والمغرب وتونس بالفرنسية إن نصبه الترجمة واستخدام اللغة العربية لتعليم الهندسة والطب والمواد العلمية من قضايا الأمة العربية فى القرن الحادى والعشرين واتصالنا بالحضارة الغربية وتعريب ما تستطيع أمر تفرضه الضرورة وذلك لحاجتنا إلى العلم والتكنولوجيا.

والتعريب سيجعل اللغة أكثر استعمالا وأعظم تطورا وهذا يقوى الوحدة والتضامن ولا خوف فلغتنا من أعتى اللغات وأوسعها اشتقاقا وأوفرها تعبيرا. وقد نجحت دولة الكويت فى تشجيع الترجمة إلى العربية بسلسلة عالم المعرفة ونشر الأعمال الإبداعية فى العلوم الطبيعية والبيولوجيا والرياضيات. والمأمول إنشاء مؤسسة عربية متخصصة تشرف على كل أعمال الترجمة وقد بذل مجمع اللغة بالقاهرة جهودا مضيئة فى التعريب وصلت إلى مائة وخمسين ألف مصطلح ولم لا تترجم إلى العربية وإسرائيل تستخدم العبرية فى جميع المجالات العلمية وننقل إليها جميع العلوم وتأتى إسرائيل بعد الدانمارك فى معدل نشر الكتب بالنسبة لعدد السكان وذلك علاوة على حركة ترجمة هائلة إلى العبرية من الانجليزية والروصية والألمانية والفرنسية والأسبانية واليولندية

والعربية وتولى اهتماما جامعا ومركزا بتطبيقات المعالجة الآلية للغات الإنسانية بواسطة الكمبيوتر فلابد أن نهتم بالتعريب والترجمة فالعالم العربى يترجم بين كتاب كل عام وهذا خمس ما يترجمه اليونان وما ترجمناه من عصر المأمون يساوى ما تترجمه أسبانيا فى عام واحد ومصر تترجم كتابا واحدا مقابل ١٧٠٠ كتاب فى اليابان.

ومما لاشك فيه أن التعريب سيجعل كل فرد يقبل على تعلم اللغة العربية بإتقان ليفهم ما ترجم.

ننتقل بعد ذلك إلى الحديث عن المعلم: فضعف تكوينه والزراية بلغته وبه أحيانا كان سببا فى ضعف مستوى استعمال العربية فى العصر الحديث بصفة خاصة.

ومبدأ بالمعلم فهو الآن ليس على المستوى المطلوب لأسباب عدة:

أولها: أن من يلتحقون بكليات اللغة ودار العلوم وأقسام اللغويات فى الكليات الأخرى هم أقل الطلاب مجموعا ومعنى ذلك أن مستواهم فى اللغة العربية ضعيف كما أنهم لم يعدوا الإعداد المناسب فى المرحلة القانونية فهم فى كليات اللغة وأقسام اللغة العربية فى الكليات الأخرى التحقوا بهذه الكليات والأقسام على كره وعدم اقتناع ومع أن الكليات والأقسام تبذل جهودا كبيرة لتغيير الصورة فى نفوسهم والنهوض بهم إلا أن النتيجة ليست مرضية تماما.

والحل يتمثل فى الاهتمام بالمراحل السابقة للتعليم العالى فيكون هناك مدارس مخصصة للغة العربية على هيئة كليات اللغة بصفة مصغرة أو نزاد فى دور التخصص فى القانون شعبته خاصته باللغة العربية فى المدارس والأزهر وتقدم لهذه المدارس أو لتلك الشعبة المغريات وتكون روافد للغة الغربية فى التعليم العالى وقديما كان هناك تجهيزية دار العلوم.

وننتقل بعد ذلك إلى بيان خطر الإقلال من شأن اللغة والتهوين من قيمة المشتغلين بها. فقد بدأ ذلك مع الاستعمار الذى يسعوه أن يمحى لغتنا عن مكانها ومكانتها حتى جعلوا التعليم بالإنجليزية فى بعض البلاد المحتلة انجليزيا وبالفرنسية فى بعض البلاد المحتلة فرنسيا والحمد لله قد زال كثير من

ذلك ولكن بقى أثر ما كانوا يوجهونه من تعد لاذع للغة والمشتغلين بها وهذا ما نشاهده فى بعض وسائل الإعلام وبخاصة المرئية لا فلنعمل على وفعة شأن اللغة وعلو مكانة المشتغلين بها.

ننتقل بعد ذلك إلى وسائل الإعلام التى تشيع العامية فى بعضها على الأقل فالإذاعة والتلفاز كثيرا ما يوجهان إلى المستعمين والمشاهدين أحاديث باللغة لدرجة أن الفصحى قصرت غالبا على نشرات الأخبار وبعض الأحاديث الدينية والعلمية والأدبية وهذا الإهمال للفصحى فى غير ما ذكرنا يساعد على اغتراب الفصحى دخولها وكأنها لغة أجنبية.

والحل أن تكون اللغة الفصحى أساسا فى وسائل الإعلام وإذا جاءت العامية فيجب –على الأقل أن تكون فى أضيق نطاق.

ننتقل بعد ذلك إلى إهمال اللغة فى كثير من مجالات الحياة ومن ذلك التسميات التجارية والصناعية فكثير من الشركات العربية التجارية والمؤسسات الصناعية تتخذ أسماءً أجنبية مثل الهاى لايف والسنتر وهكذا.

وعلاج ذلك أن نلزم هؤلاء باستخدام الأسماء العربية ولذلك فرضت فرنسا غرامة مالية على من يترك الاستعمال اللغوى الفرنسى فى المحررات ونحوها.

ننتقل بعد ذلك إلى الوسائل الثقافية كالمسرح والسينما ونحوهما فقد شاعت فيهما العامية فهى الأساس والفصحى نشاز ولذلك يجب أن يكون ذلك بالفصحى فقد كانت مسرحيات شوقى شعرا عذبا رصينا وما ضجر منها أحد.

ننتقل بعد ذلك إلى ننسىء مهم جدا وهو عدم تحدث بعض المدرسين والأساتذة فى الجامعات باللغة العربية الفصحى إذ لابد من الالتزام بالفصحى فى الدروس فى جميع مراحل التعليم وهذا يتم الآن لمن عقد دورات تدريبية للمعلمين فى التعليم قبل الجامعى أما التعليم الجامعى فى أهم أكفأ من يقوم بذلك ولكن المهم الإرادة والتنفيذ.

ننتقل بعد ذلك إلى رصد درجة أكبر للغة العربية فى التعليم قبل الجامعى إذ إن نقص الدرجات المخصصة لها أدى إلى عدم إعطائها حقها فى

التحصيل والدرس والتطبيق كما أنه لابد من تخصيص وقت أكبر وكتب أفضل ولكى يزداد تعلق الطلاب باللغة العربية يجب أن تعود الوزارة

إلى توزيع المعجم الوجيز ليكون رفيقا لهم فى حياتهم.

ولكى يزداد تعلق الناس جميعا بهذه اللغة الفنية يجب نشر مطبوعات مجمع اللغة العربية وقراراته بصورة أكبر وتوزيع ذلك على المدارس والجامعات لطبع الأعداد المناسبة لتوزيعها على الطلاب للنهضة باللغة العربية.

وفى النهاية فما أجمل أن نعشق لغتنا قراءة وكتابة وتحدثا واستماعا وحظا جميلا وإلا فإن شكوى العربية على لسان شاعر النيل حافظ إبراهيم تطالعنا من جديد قائلة:

رجعت لنفسى فاتهمت حصاتى ... وناديت قومى فا حتسبت حياتى

رمونى بعضهم فى الشباب وليتنى ... عقمت فلم أجزع لقول عداتى

وسعت كتاب الله لفظا وحكمة ... وما ضقت عن اى به وعظات

فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة ... وتنسيق سماء المخترعات

أرى كل يوم بالجرائد مزلقا ... من الغير مدينتى بغير أناه

فيا ويحكم أبلى وتبلى محاسنى ... وفيكم وإن عز الدواء الساتى

أنا البحر فى أحشائه الدر كامن ... فهل ساءلوا الغواص عن صدفاتى

وآخر ما ندعو إليه للنهوض بالعربية متابعة البرامج التى تعنى بها مثل لغة القرآن ولسان عربى مبين إلى جانب البرامج الأخرى ومتابعة علماء التنقية مثل عباس أبو السعود فى أزاهر الفصحى ولغويات الشيخ النجار والمعجم اللغوى للأخطاء الشائعة وغير ذلك.

ألا إن للغات حقا على أهلها يجب الوفاء به وفى طليعة ما يلزمهم الوفاء علماء الأمة بعامة وعلماء اللغة بخاصة ويعظم الوفاء بهذا الحق حين تعظم الأخطار التى تهدد اللغات ويبلغ الوفاء بهذا الحق اسمى وأثنى غايات العظمة والشرف حين يكون وفاء يحق اصطفاها الله تعالى لتكون لغة ذكره الحكيم وبذلك يكون التخلى عن الوفاء بحق هذه اللغة الشريفة خطأ أكبر بل خطيئة كبرى.

ومن فضل الله على اللغة العربية فى وقتنا الحاضر مجامع اللغة العربية فى عواصم كثير من الدول العربية تعمل على تيسير قواعد اللغة العربية قاعدة ولفظا وأسلوبا وحروف كتابه وتعمل على وضع معاجم لغوية مثل المعجم الكبير والمعجم الوسيط والمعجم الوجيز وتعمل على دراسة اللهجات العربية القديمة والحديثة وتعمل على إحياء تراثنا اللغوى بتحقيق دقيق وفيق ومعالجة أهم قضايانا اللغوية والعلمية والأدبية وتعمل على إقامة مسابقات لغوية وأدبية وتعمل على متابعة ما يشيع فى وسائل الإعلام وعلى ألسنة عامة المثقفين من ألفاظ وأساليب ترمى بالخطأ والخروج على سنن الفصحى.

ومن فضل الله على اللغة العربية فى وقتنا الحاضر كذلك تأسيس سمعية لسان العرب التى تعمل على حماية اللغة من التآكل والجامعات التى تعلم بالعربية إلى جانب إتقان لغة أخرى لأغراض التعريب والترجمة من العربية وإليها واستمرارية البحث والتطوير بشأن اللغة وتكامل الأنشطة الإصلاحية والترويج للجديد أولا بأول وعماله وذيوعا وانتشارا.

ومن فضل الله كذلك إنشاء الجمعية المصرية لتعريب العلوم وتهدف إلى رعاية ونشر اللغة العربية الفصحى ودفع استخدامها فى مختلف أوجه المعرفة وعلى مختلف المجالات والمستويات وتعمل على الإسهام فى المترجمة إلى اللغة العربية ونشر وترجمة وتعريب المصطلحات والمطبوعات والدوريات والمفاهيم والأسايب المستخدمة فى مختلف العلوم وتعمل على تحقيق ونشر التراث العلمى الغربى.

وكل ما ذكرناه وغيره مما لم نذكره من جهود ترمى إلى ارتقاء مستوى استعمال العربية فى العصر الحديث وإلى أن تقوم الساعة يجب أن يستمر وأن يزدهر لأن لغتنا العربية لغة الكتاب والسنة كما أنها عنوان على شخصيتنا كأحد ملامحها الرئيسية التى تعرف بها بين الآخرين وهى فى الوقت ذاته النافذة التى تطل منها الشخصية العربية على تاريخها وحضارتها وقيمتها وثقافتها.

ألا إن الأمر كما قال الدكتور طه حسين «إن الذى لا يقدر على لغته العربية ليس ناقص الثقافة فحسب ولكنه ناقص الهوية والمروءة.

فهرست الجزء الثاني

فهرست الجزء الثاني